

A. U. B. LIBRARY

CLOSED
AREA

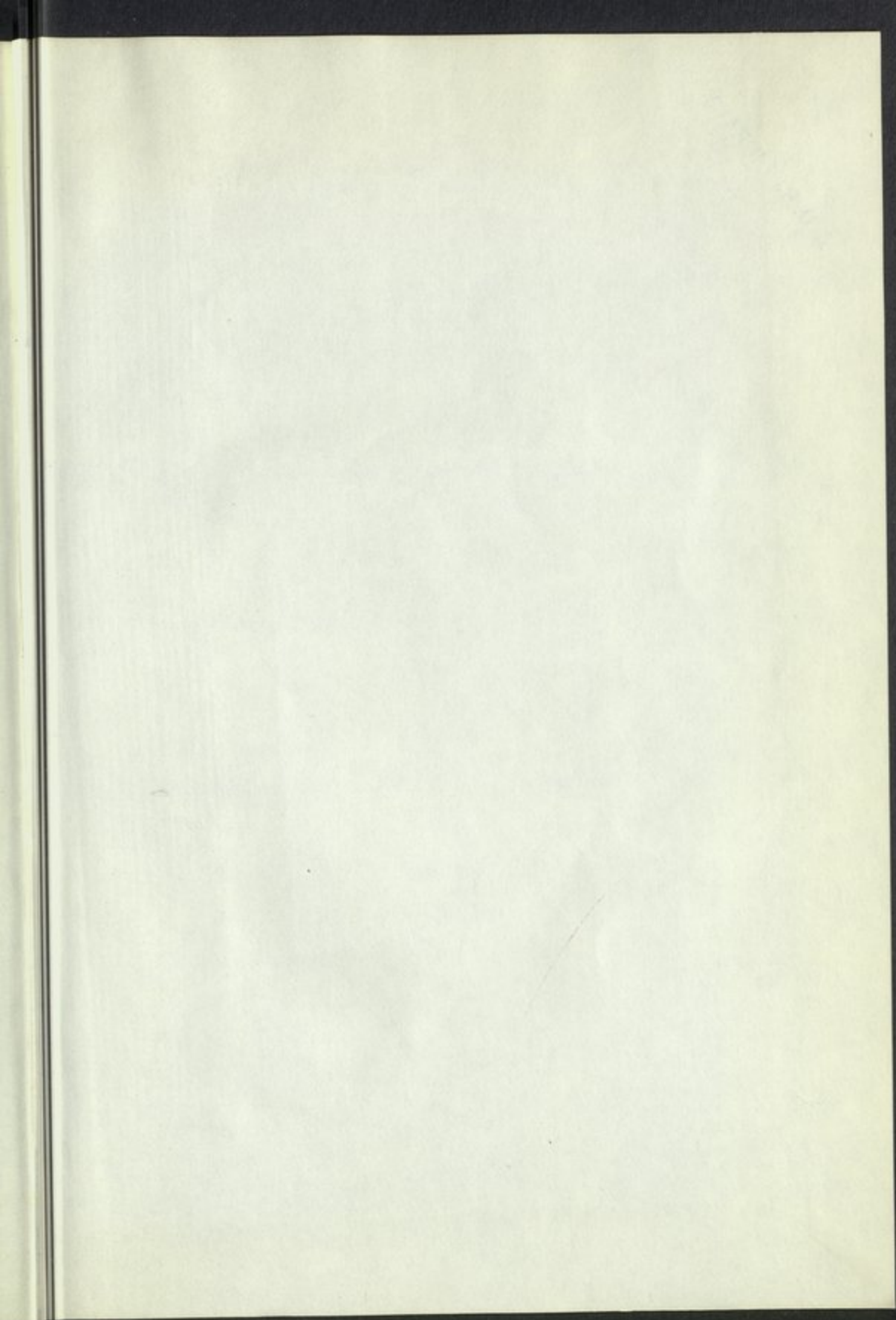
AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT

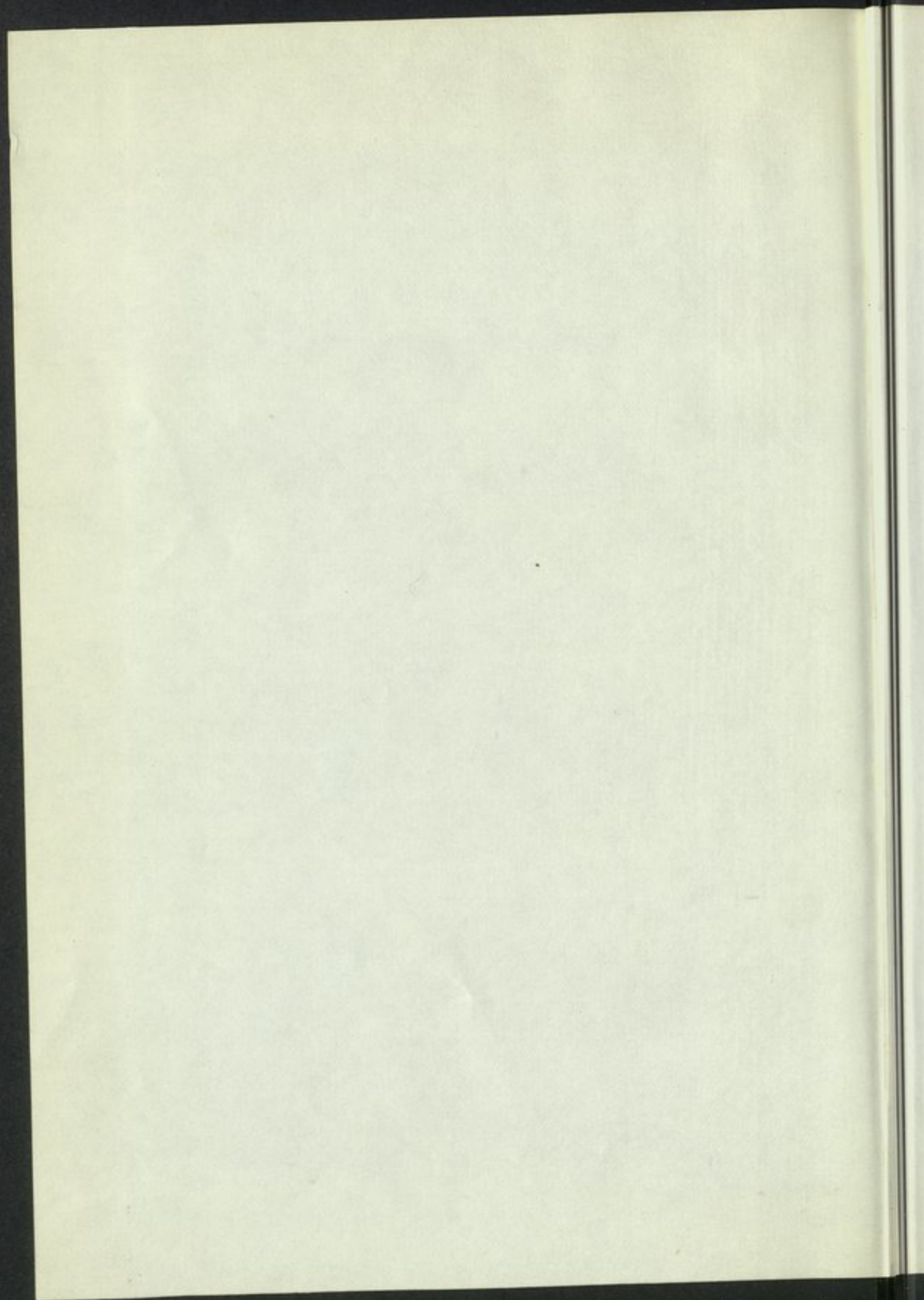


PHILIP HITTI COLLECTION

CLOSED
AREA

A. U. B. LIBRARY





1848
1849
1850

1851

1852

1853

1854

1855

مع تجنّد المؤلف

ابنس الطوري القديسي

استاذ الادب العربي في جامعة بيروت الاميركية

ابنس

من منشورات الدائرة العربية

في

جامعة بيروت الاميركية

طبع على نفقة وقفية ثيودور

في الجامعة المذكورة

المطبعة الاميركانية

١ ايلول ١٩٣٦

وتناولنا من امرائه ثمانية فدرسنا عصرهم وشعرهم على الطريقة التحليلية الحديثة ، وقرنا ذلك بذكر اهم المصادر التي يُرجع اليها في دراستهم ، وبطائفة كبيرة من رواثعهم الشعرية . فتم لنا بذلك غرضان ، غرض علمي وهو الجري في ميدان البحث الحر ، وغرض ادبي وهو التفننه بالادب نفسه .

ونحن نعلم ما سنستهدف له بسبب اختلاف الآراء . فان مقاييس البحث في الادب ليست مقاييسه في العلوم الطبيعية والرياضية . وانا نحن نعرض هذه الابحاث للمتأديين المفكرين ، ولطلاب التخصص الاولي مدرجة الى التخصص العالي ، وسعياً وراء الحقيقة العلمية . وانا لترحب بكل انتقاد مبني على الدرس والانصاف واصول البحث والمنطق . وقد كان معوانا في اختيار هؤلاء الثمانية شهرتهم ، وانهم اعق اثرأ من سواهم في تاريخ الشعر العباسي ، ولا يُعنى بذلك انه لا يوجد بين سائر الشعراء من يرتفع الى درجتهم ، او من يفوقهم في بعض المناحي ، وانا يُعنى انهم يمثلون العصر العباسي افضل تمثيل ، وفي درسهم درس لذلك العصر ودرس للحركة الادبية فيه

وها نحن نتقدم الى العالم العربي بالطبعة الثانية من هذا الكتاب بعد ان بذلنا الجهد في ضبطها وتنقيحها . وانا نلفت النظر الى ما اضفناه اليها من دراسة ابن الفارض وتحليل شعره . فعلنا ذلك ترولاً عند رغبة بعض العلماء والاساتذة ، وجبأ باكمال هذه السلسلة الشعرية العظيمة التي تعكس لنا العواطف العربية في احصب العهود الادبية .

جامعة بيروت الاميركية ١ ايلول ١٩٣٦

١٠ خ م

القسم الأول

في الجو الذي نشأ فيه الشعر العباسي ورجاله

العوامل السياسية والاجتماعية والفكرية

واثرها في تطور الشعر

سایه کلا و مستقال

ماجره و دریاها و عشا میه کله و دریا و دریا

نور و ماه و شیشه کلاه و قیاس و دریا

عشا و دریا و دریا

العوامل السياسية في الخلافة العباسية

نظرة عامة

حكم العباسيون في بغداد خمسة قرون كان عرشهم فيها ملعباً للاهواء والحركات السياسية المختلفة . وقد رأينا تمهيداً لهذا البحث ان تقسم مدة حكمهم اقساماً توضح لنا العوامل التي كانت تعمل فيها والتي ادّت اخيراً الى الخللها . وهي عند التحقيق خمسة نطلق عليها اسم « ادوار سياسية »

الدور الاول - دور القوة المركزية

اي قوة الخلافة، ويمتد من بدء الدولة الى اواخر حكم المتوكل، فيشغل نحو قرن من الزمان بلغت فيه الخلافة اقصى قوتها وازهى مظاهرها . وفي هذا الدور كانت بغداد عاصمة لسلطنة واحدة تمتد مما يقرب من الهند الى افريقيا (تونس)

الدور الثاني - دور الجندية

كان الخليفة المعتصم قد نظم من فتيان الاتراك جنداً يعتمد عليه في حماية العرش . فلما مات المعتصم اصبح نفوذ امراء الجند شديداً في الخلافة . ولم يكفد يقتل المتوكل سنة ٢٤٧ هـ حتى اصبح الخليفة في قبضتهم يتصرفون به كما يشاؤون . ويمتد هذا الدور الى سنة ٣٣٤ هـ، على ان الخلافة فيه بقيت برغم استبداد الجند محافظة على شي . من رونقها، وكان لها وزارة وعمال . ومما يذكر في هذا الدور ان ديوان الخلافة كان قد نقله المعتصم سنة ٢٢١ هـ الى سامراً وبقي فيها نحواً من ٥٨ سنة ثم اعيد الى بغداد

الدور الثالث - الدور البوهمي (٣٣٤ هـ - ٤٤٧)

وفيه كانت السلطة الحقيقية في يد بني بويه « وصارت الوزارة من جهتهم والاعمال اليهم »

واصبح الخليفة لا يملك من المال الاً راتباً يتقاضاه . على ان البويهيين كانوا اهل سياسة ودهاء ، فابقوا للخلافة نفوذها الاسمي ، وصاروا يحكمون في الدولة ظاهراً بامر الخلفاء . وبقوا كذلك الى ان ضعفوا ثم زال ملكهم بقيام السلاجقة

الدور الرابع - الدور السلجوقي (٤٤٧ - ٥٩٠)

فيه كانت السلطة للسلاجقة ، وهم دولة تركية قوية عرضت مملكتها واستولت على الامر في بغداد وضربت باسم سلاطينها النقود وخطب لهم على المنابر . على انهم كانوا كالبويهيين يحافظون على الخلافة ويظهرون التبجيل لصاحبها

الدور الخامس - دور الاحتضار

انقرضت دولة السلاجقة من بغداد ايام الناصر ولكن الانحلال كان قد تمكّن من جسم المملكة العباسية . فلما ذهب بنو سلجوق لم يبق للخلافة في بغداد سوى بعض النخاع . العراق . فكانت الخلافة في طور الاحتضار ، ولم تزل كذلك حتى جاءها المغول سنة ٦٥٦ هـ فنهبوا بغداد وقتلوا آخر خلفائها ومحو ما كان قائماً من معالمها .

هذه نظرة عامة نقلها عن بعد على العصر العباسي . ولما نحن في ذلك كالواقف على رهوة مشرفة على سهل عامر يسرح نظره في اقسامه العامة ويتبين معالمه الرئيسية ، دون ان يتغلغل فيه ليطلع على دواخله وخوافيه . وغايتنا من ذلك معرفة الخطط السياسية العامة تمهيداً لدرس حالة العصر النفسية ، وتوصلاً الى فهم ادابه . فنحن هنا انما نحاول درس الجو الذي نشأ فيه ادب القوم لا تاريخهم السياسي ، والا فالافضل الرجوع الى المطولات التاريخية كالتطري والمسعودي وابن الاثير ومسكويه وصاحب الفخري والذهبي وابن خلدون وسواهم ممن خاضوا عباب هذا البحث وجاءوا بالاخبار الوافية .

. . .

ولما القينا نظرنا العامة على هذه القرون الخمسة ظهر لنا في حياة الدولة العباسية وما تقاب عليها من غير الدهر ظواهر كبرى تمثل لنا ما نحن بصده ، اهمها ما يلي :

- ١ - التنافس على السيادة بين العناصر الجنسية
- ٢ - ضعف الخلافة وتجزؤها الى امارات مستقلة
- ٣ - الحركات الهدامة الداخلية
- ٤ - غارات الروم والافرنج على اطرافها

وقد كان يجدر بنا ان نتجاوز ذلك الى الكلام عن احوال الممالك الاسلامية ، ولا سيما البلاد العربية بعد سقوط بغداد ، ونربط ذلك بقيام العثمانيين وانتزاعهم الخلافة من العباسيين في مصر ، وما كان من احوال الادب في ايامهم ، ثم نسوق الكلام الى حالة الناطقين بالعربية في العصر الاخير ، وما كان لهم من النهضة بعد الحرب الكبرى . وانما ذلك خارج عن موضوعنا فترجئه الى فرصة اخرى نتناول فيها الادب العربي الحديث و اثر التطور فيه ، ونعود الآن الى الظواهر السياسية الكبرى في العصر العباسي

التنافس بين العناصر الجنسية

واخصها العربي والفارسي

في الفتح الاسلامية الاولى وضع حجر الزاوية لبناء الملك العربي العام . فبعد ان كان معظم العرب في جاهليتهم قبائل متفرقة ضاربة في اجواز القلابة ، وبعد ان كانت حكوماتهم في العراق والشام وسواهما خاضعة لاحدى الدول السائدة من فرس او روم ، اصبحوا في عهد الراشدين دولة واحدة ذات سيادة ، فنا فيهم حب الفتح والسلطان ، ووصل الى اشده في دمشق ايام الامويين ، واستمر على ذلك في بغداد الى ايام المعتصم . فعصر السيادة العربية لم ينته بعتة بانتها الدولة الاموية بل بقي نحو قرن بعدها . نعم ان عوامل الضعف كانت قد بدأت تعمل في جسم الدولة والخلافة ، ولكن سيادة العنصر العربي اخذت تهيبط تدريجياً وبقي العرب على شيء كبير من القوة والنفوذ طيلة العصر العباسي الاول .

في هذا العصر بلغت الخلافة اوج قوتها ، فكانت بغداد كما كانت دمشق قبلها عاصمة سلطنة مترامية الاطراف لا تقل عن سلطنة رومة في ابان مجدها ، وكان الخليفة العربي الحاكم المطلق يتصرف بشؤون الدولة واموالها كما يشاء .

اما الروح الفارسية التي كانت تمثل عظمة الفرس الماضية وامالمهم في استرجاعها فقد كانت في احط دركاتها ايام الامويين ، ولكنها اخذت تنتعش في اواخر حكمهم ، ولم تلبث ان تجسّمت بروح الثورة الخراسانية يقودها ابو مسلم لنصرة العباسيين . وعرف العباسيون ذلك للفرس فاتكوا عليهم في الادارة والوزارة ولذا راينا نفوذهم يتعاظم ، وراينا التنافس بينهم وبين العرب يشتد . وعلى ذلك يعدُّ الحافظ دولة العباسيين اعجبية خراسانية ودولة بني مروان عربية اعرابية وفي اجناد شامية^(١) . وقال ابن خلدون « كان بنو امية يستظهرون بجروهم وولاية اعمالهم برجال العرب مثل عمر بن سعد وعبدالله بن زياد والحجاج بن يوسف والمهلب بن ابي صفرة وخالد القسري وابن هبيرة وبلال بن ابي بردة ونصر بن سيار وامثالهم ، وكذا صدر من دولة بني العباس كان الاستظهار فيه ايضاً برجال العرب . فلما صارت الدولة للانفراد بالمجد وكبح العرب عن التطاول للولايات ، صارت الوزارة للعجم والصنائع من البرامكة وبني سهل وبني طاهر وسواهم^(٢) »

على ان العباسيين الاول كانوا اصحاب بطش وقوة ، فانهم مع اتكالمهم على الفرس لم ينسلموا لهم ، بل ابقوا للخلافة العربية جلالها . يدل ذلك على ذلك ما فعله المنصور باي مسلم حين خشي منه الطغيان^(٣) ، وكذا ما فعله الرشيد بالبرامكة حين اخذته الغيرة من تعاضهم وآية دولتهم^(٤) ، والمعتم بالافشين لطعمه اولانه على ما قيل كاتب بعض امراء العجم واحب ان ينقل الملك اليهم :^(٥) بل كانت سياستهم حفظ التوازن بين العرب المصرية واليمينية والخراسانية منعاً لاستبداد فريق بالدولة^(٦) . وكانت جيوشهم مؤلفة من عرب وفرس ، ثم جاء المعتم فقطع عن هؤلاء المال وجعل جنده من الاتراك

ومما يدل ذلك على هذا التنافس بين العنصرين العربي والفارسي مدائح الشعراء الذين نبغوا في ذلك العصر . فاذا اعتبرت اهم شعرائه تجدهم في اول الامر يتسابقون الى باب الخليفة ويتنافسون في مدحه ، ثم تجدهم يتحولون الى امراء الدولة من عرب وفرس . ويزداد هذا التحول مع الزمن الى العنصر الاخير ، فقد نبغ بين ايام الماسون والمعتمد ثلاثة من اكبر شعراء العرب هم ابو تمام والبحثري وابن الرومي ، وكان اكثر مديح الاول (وهو اقدمهم) في المعتم وبعض كبار العرب كأبي سعيد الثغري والقاضي احمد بن دواد وخالد بن يزيد

(١) البيان والتبيين (س) ٣ - ٢١٧

(٢) المقدمة (بيروت) ١٨٣

(٣) المسعودي ٦ - ١٨٣ الفخري ١٢٤

(٤) المقدمة ١٦ و ١٧ الفخري ١٥٥

(٥) مختصر الدول لابن العبري ٢٤٢ واليعقوبي ٢ - ٥٨٢ (٦) ابن الاثيرج ٥ - ٢٢٣

ومالك بن طوق وابي دُلف العجلي . ومدح الثاني المتوكل واختص به ، ومع ذلك كانت مدائح في كبار الدولة من الفرس تفوق مدائح في امراء العرب . اما ابن الرومي فليس له في الخلفاء شي . يذكر ، وهم ممدوحيه من الاعاجم كآل وهب وآل طاهر وامثالهم . وسيأتي تفصيل ذلك في كلامنا عن الشعراء واحوال ممدوحيههم

ولو تحرّيت الاسباب التي آلت الي وهن العرب ، وهم اصحاب الخلافة ، ومنافسة الاعاجم لهم في الرئاسة والادارة ، ثم تغلبهم عليهم لرايت من اهمها - عدا انقسامهم بين يمنية ومضرية - تناحرهم على الامر بين عباسية وعلوية ، بل العباسيون انفسهم لم يكونوا يداً واحدة فراجت بينهم سوق الاغتيال والدسائس والفتن : من ذلك قتل المنصور لعنه الله^(١) ، وقتنة الامين والمأمون ، وثورة ابراهيم بن المهدي عم المأمون وطلبه الخلافة ، وما كان من قتل المتوكل وغير ذلك من الحركات السياسية التي اوهنت قوى العنصر السائد ، ومهدت السبيل لانحلال عصبيته

بدأ نفوذ الفرس في الدولة العباسية منذ نجح الخراسانيون في الدعوة لبني العباس ومبايعة السفاح . وقد ظلت كفة العرب وكفة الفرس متكافئتين حتى انتصرت خراسان مرة اخرى وجلس المأمون على العرش . فتعاضم نفوذ الفرس جداً وما زال كذلك حتى بلغ اوجه ايام عضد الدولة البويهبي الذي قبض على زمام الامر في بغداد ، فتحول الامر بعد ذلك الى نزاع بين الفرس والترك انتهى بقيام السلاجقة كما سيذكر في حينه . ولم يبق للعرب في الدولة من قوة تذكر الا في بعض امارات حكموها ، كامارة بني حمدان في حلب وامارة بني الاغلب في تونس ، وسواهما من الامارات التي ستذكر في كلامنا عن تجزؤ المملكة العباسية

ضعف الخلافة

وتجزؤها الى امارات مستقلة

كانت خلافة الراشدين زعامة دينية دنيوية والدين فيها اقوى واظهر ، واصبحت في

عصر السيادة العربية (العصر الاموي و صدر العصر العباسي) ملكاً عظيم الشأن واسع الاطراف ذا قوة مركزية عظيمة . فلما انقضى هذا العصر ، وفسدت عصية العرب التي كانت ركن القوة الحربية في الدولة ، اخذت الخلافة تتحول تدريجياً من سلطة ملكية مسيطرة الى زعامة دينية مستضعفة . قال ابن خلدون ثم تغلب العجم الاولياء على النواحي وتقلص ظل الدولة ، فلم تكن تعدو اعمال بغداد حتى زحف الديلم اليها وملكوها وصار الخلائف في حكمهم ، ثم انقضى امرهم وملك السلجوقية فصاروا (الخلفاء) في حكمهم^(١) وجاء في الفخري قوله واصفاً دولة بني يويه - « فدوخت الامم واذت العالم واستولت على الخلافة ، فعزلت الخلفاء وولت لهم ، واستوزرت الوزراء وصرقتهم ، وانقادت لاحكامها امور بلاد العجم والعراق ، واطاعتهم رجال الدولة بالاتفاق^(٢) . » وكذلك كان السلاجقة كما ذكر ابن خلدون ، على ان هذه الدول المسيطرة لم تتناول الى مقام الخلافة فكانوا يدينون بطاعة الخليفة تبركاً^(٣) . وكانوا على ما ذكر القلقشندي مع غلبتهم على امر الخلفاء يقتصرون على متعلقات الملك في الجهاد والتصرف بالاقوال ، ويكونون امر الولايات الى الخليفة يباشرها بنفسه فتكتب عنه العهود والتقاليد على ما يشهد به الموجود من انشاء الصابي وغيره^(٤) وقد وصف صاحب كتاب الفخري هذه الحالة احسن وصف اذ قال - ثم طرأت عليها (اي على الدولة العباسية) دول كدولة بني يويه وفيها كبشهم وخلقهم عضد الدولة ، ودولة بني سلجوق وفيها مثل طغرلبيك ، وكالدولة الخوارزمية وفيها مثل علاء الدين ، وجريدة عسكره مشتملة على اربعمئة الف مقاتل ، ٠٠٠ الى ان يقول ولم تقو دولة على ازالة ملكهم ومحو اثرهم بل كان الملك من هؤلاء المذكورين يجمع ويحتشد ويحرق العساكر العظيمة حتى يصل الى بغداد . فاذا وصل التمس الحضور بين يدي الخليفة ، فاذا حضر قبل الارض بين يديه ، وكان قصارى ما يتمناه ان يوليه الخليفة ، ويعقد له لواء ويخلع عليه^(٥) . فمن كل ذلك نستنتج ان هؤلاء الملوكة كانوا يتصرفون بامور الدولة كما يشاؤون الا انهم كانوا يظهرن التبجيل لصاحب الخلافة فيقدّمونه ويقبلون يديه ويتبركون به ، وهم في الواقع اصحاب الامر ليس للخليفة منه شيء ، وانما كانوا يفعلون ذلك لما كان للخلفاء من الميزة الدينية في نفوس الناس

(٣) المقدمة ٣٠٨

(٢) الفخري ٢٠٤

(١) المقدمة ١٥٥

(٥) الفخري ١٠١

(٤) صبح الاعشى ١١-٧٣

ولم يكد يدخل القرن الرابع الهجري حتى ضعفت الحكومة المركزية في بغداد جداً ولم يبق للخلافة من نفوذ فعلي في المملكة . فكانت خلافة الرازي ، وبلاد فارس في يد بني بويه ، والموصل وديار بكر وديار ربيعة ومضر في يد بني حمدان ، ومصر والشام في يد محمد بن طُغج ثم في ايدي الفاطميين ، وخراسان والبلاد الشرقية في ايدي السامانية . وثمّت امارات اخرى ، واليك ذلك ببعض التفصيل :

الامارات المستقلة في بلاد فارس

وقد نشأت وانقرضت في مدد مختلفة بين سنة ٢٠٥ هـ و ٤٣٤ هـ وهي

الطاهرية في خراسان	الصفارية في فارس
السامانية ما وراء النهر	الساحية في اذربيجان
الزيارية في جرجان	

اما الامارة الفارسية الكبرى فقد مر ذكرها وهي البويهية (٣٢٠ هـ - ٤٤١) ويرجع نسب ملوكها الى ابي شجاع بويه بن فناخسرو من ولد يزيد جرد آخر ملوك الفرس^(١) . نشأت في بلاد الديلم واخذت بالتقدم حتى استولت على بلاد فارس ثم استولت على بغداد واصبح لها الامر والنهي في العراق وفارس . وكان الخليفة يعيش في ظلها من إقطاع يعينه له الملك البويهي^(٢) . وهذه الدولة شيعية لكنها لم تتعرض للخلافة العباسية (وهي سنية) بل ابقتها على حالها^(٣) وابتقت للخلفاء حق اصدار المراسيم والخلع . وهذا كبيرهم عضد الدولة لما استولى سنة ٣٧٢ على بغداد وعلى شؤون الدولة ، لم ير بدأ من تعظيم الخلافة^(٤) ، مع انه لا يعتقد باطناً بحق العباسيين فيها وقد زوج الخليفة ابنته وغرضه ان تلد ابنته ذكراً فيجعله ولي العهد وتكون الخلافة في ولده^(٥)

الامارات التركبة

ومنها الطولونية في مصر والشام ٢٥٤-٢٩٢
الاخشيدية في مصر والشام ٣٢٣-٣٥٨

(١) ابن العبري ٢٧٩ الفخري ٢٠٤ (٢) ابن العبري ٢٩١ (٣) ابن الاثير ٨-٤٤٩
(٤) ابن الاثير ٨-٢٣٦ (٥) مسكويه

الغزنوية في خراسان وافغانستان ثم الهند ٣٥١-٥٨٢ .

قال ابن خلدون وقد بلغت هذه الدولة من العز المبالغ العظيمة^(١)

اما الامارة التركية الكبرى

فهي السلجوقية وقد نشأت اولاً في تركستان ثم جمع جدهم سلجوق عشيرته ونفر بهم من بلاد الترك الى بلاد المسلمين ، فلما دخلها اظهر الاسلام وعلى ذلك نشأ اولاده . وما زال امرهم يعظم حتى ملك طغرل بك ، وهو اول سلاطينهم . بلاد العجم وكان قيامه في خلافة القائم العباسي ، ثم تقدم الى بغداد بدعوة من القائم لينصره على نائيه البساسيري^(٢) . فاستولى عليها وخطب له بالسلطنة على منابر بغداد وذلك سنة ٤٤٧ هـ وتولى خلفاؤه الامر بعده ، وما زالو يسوسون الامور في بغداد حتى ضعف امرهم . ثم زالت دولتهم في خلافة الناصر سنة ٥٩٠ هـ وكان السلاجقة في اَبان مجدهم اصحاب شركة عظيمة ، وهم عدة فروع امتد سلطانهم من افغانستان الى البحر المتوسط . ولما ضعف امرهم استبد عمالمهم (الاتابك) بالاحكام في اماراتهم المختلفة ، ولم يبق لهم بعد ذهاب دولتهم في بغداد وغارة المغول على المملكة العباسية الا آسيا الصغرى ، فقد حفظوها حتى جاء الاتراك العثمانيون فاستولوا عليها واستسوا على انقاض السلاجقة سلطنتهم العظيمة ، ثم لم يعتسوا ان اصبح سلاطينهم خلفاء العالم الاسلامي ودخلت اكثر البلدان العربية في حوزتهم . ولهم تاريخ خاص لا يدخل في بحثنا هذا

الامارات العربية

نشأ في الدولة العباسية بضع امارات عربية مستقلة ، على انها - اذا استئتمت العلوية والادريسية منها - كانت جميعاً تحط بالخليفة العباسي وتعدّه الزعيم الاسلامي الاكبر . ومنها :

الادريسية - في مراكش ١٧٢ - ٣٧٥ وكانت معادية للعباسيين

الاعلمية - في تونس ١٨٤ - ٢٨٩ امراؤها من تميم

الحمدانية - في حلب ٣١٧ - ٣٩٤ شيعية وامراؤها من تغلب اشهرهم

سيف الدولة ممدوح المتنبى .

(١) ابن خلدون ٣٦٠ - (٢) ملك هذا الاثر الامر حينئذ في بغداد ودعا فيها للفاطميين

المزيدية - في الحلة ٤٠٣ - ٥٤٥ وهم من بني اسد
العقيلية - في الموصل ٣٨٦ - ٤٨٩ دولة مضرية من كعب
المرداسية - في حلب ٤١٤ - ٤٧٢ وهي مضرية وامراؤها من بني كلاب
على ان اهم الدول العربية التي نشأت في اثناء العصر العباسي اثنتان الفاطمية والاندرلسية
واليك كلمة وجيزة في كل منها

الدولة الفاطمية (٢٩٦ - ٥٦٧)

وهي علوية اسماعيلية. بذلك يقول ابن خلدون^(١)، وابن الاثير^(٢)، وابن الطقطقي^(٣)
ويشك غيرهم في اصلها العلوي.

وكان بدء امرها في افريقيا ايام المعتدر العباسي ، ثم انتقلت (في ٣٥٨ هـ) الى مصر
وبقيت هناك حتى ازالها صلاح الدين الايوبي ٥٦٧ هـ. وهذه الدولة عظيمة الشأن ، تختلف
عن سواها من الدول التي نشأت ايام العباسيين انها قرنت الملك بالدين فنشأت خلافة تراحم
الخلافة العباسية . وقد تبسّطت فاستولت على افريقيا ومصر وسوريا والحجاز وبعارة ابن
خلدون قاسمت العباسيين شقّ الأبلمة ، ثم اخذت بالانحدار وما زالت كذلك حتى استولى
صلاح الدين على مصر . فلما مات العاضد (آخر خلفائها) قطع صلاح الدين الخطبة للفاطميين
وحوّلها الى العباسيين .

وللدولة الفاطمية يد على الادب العربي ، فهم الذين انشأوا الجامع الازهر ، وكانوا ينشطون
العلماء والادباء بالعطف عليهم واقتناء المكاتب الكبرى وفتح ابوابها لهم

الدولة الاموية الاندرلسية (١٣٨ - ٤٢٨)

تبدأ بعبد الرحمن الداخل (حفيد هشام بن عبد الملك بن مروان) الذي فرّ من وجه
العباسيين الى افريقيا ، ثم تمكّن من دخول الاندلس والاستيلاء عليها . وما زال الملوك من
آله يتوارثون الحكم فيها حتى قام عبد الرحمن الناصر فبلغت به الدولة الاموية في الاندلس
اوجها ، وهو اول من طمع بالخلافة من امرائها فللقب بامير المؤمنين^(٤) . قال مسكويه

(٣) الفخري ١٩٣

(٢) ابن الاثير ٨ - ٨

(١) ابن خلدون ٤ - ٣١

(٤) ابن خلدون ٤ - ١٢٢

فعل ذلك لما ضعف امر الامة ووهت اركان الدولة العباسية وتقلبت القرامطة والمبتدعة على الاقاليم. (١) وقد ازدهرت في ايامه الاندلس ايماً ازدهار، وبقيت كذلك ايام ابنه المنتصر ثم اخذت دولة بني امية تضعف واخذ الفساد يستولي على امارتهم، فتجزأت واصابها ما اصاب الدولة العباسية من ضعف العرش واستبداد الامراء باماراتهم المختلفة. ولهذا الدولة تاريخ خاص خارج عن تاريخ الدولة العباسية وقد نشأ فيها من الاداب والعلوم والفنون ما يقتضي سفرأ خاصاً. وقد ذكرناها في عرض هذا البحث زيادة للايضاح وتتمة للكلام عن الدول العربية التي انفصلت عن الخلافة العباسية

ومن الامارات المشهورة التي كان لها شأن يذكر في الخلافة العباسية الدولة الكردية المعروفة بالايوبية (٥٦٤ - ٦٤٨) واشهر ماوكها مؤسسها السلطان صلاح الدين الذي اشتهر في وقائعه مع الصليبيين

نأبر هذا التجزؤ في الادب العربي

وكان من نشوء هذه الدول في العالم الاسلامي ان الادب تحول عن بغداد الى مراكز اخرى. فكان الخليفة الراضي الذي بويح ٣٢٢ هـ آخر خليفة دُونَ له شعر، وآخر خليفة كانت مراتبه وجوازه وخدمه وحجابه تجري على قواعد الخلفاء المتقدمين (٢). ومعنى ذلك ان العرش العباسي لم يعد الموئل الاكبر للادب والادباء، وانه نشأ في الامارات المستقلة حواضر زاحمت بغداد في الشعر والعلم : نذكر من ذلك بلاط سيف الدولة في حلب، وتلك الحلقة الادبية التي كانت تحيط به مثل ابن خالويه وابن نباتة وايي فراس والمتنبي. والنامي والفارابي والسري الرقاء. والخالديين، وبلاط آل بويه ومن كان يتصل بهم كابن العميد والصابي والصاحب بن عباد، وامراء سامان وما كان لهم من عطف على العلم والعلماء. (٣) وقس على ذلك سائر الامارات في مصر والعراق والاندلس وفارس والمغرب، فان اللغة العربية ظلت الى ايام العثمانيين لغة الادب والدين والسياسة في اكثر الممالك الاسلامية. وكان الامراء من عرب وغير عرب يتنافسون في العطف على الادباء والعلماء وفي جمع الكتب

(١) تجارب الامم ج ٢ - ٦٠ (٢) الفخري ٢٠٦ (٣) المندي ٣٣٨

وخدمة العلم . واطهر من فعل ذلك من غير العرب الملوک الايبويون في اماراتهم المختلفة (١) . وهذا التنافس على الادب يفتّر لنا تلك الظاهرة التاريخية العربية - استمرار الادب العربي مع ضعف العرب وذهاب السيادة من ايديهم . واليك بعض امثلة من رجال العلم في ذلك العصر توضح لك ما نحن بصدده

ابن سينا الطبيب الفيلسوف توفي ٤٢٨ هـ . كان في بخارى في خدمة نوح بن منصور الساماني وفي خوارزم عند مامون بن مامون البيروني - الفلكي المشهور توفي ٤٣٠ هـ . كان في الهند واقام مدة في خوارزم وقد قدم بعض كتبه للسلطان محمود الغزنوي الجوهري - صاحب الصحاح توفي ٣٩٨ هـ . كان في نيسابور وقد ألف كتابه لابي منصور البشكي

ابن فارس - اللغوي المشهور توفي ٣٩٠ هـ . ألف كتابه الصحاح للصاحب ابن عباد ابن دريد - صاحب المجهرة والمقصورة توفي ٣٢١ هـ . صحب ابن ميكال امير فارس ولف له بعض كتبه

المسعودي - المؤرخ المشهور توفي ٣٤٦ هـ . نشأ في بغداد وطاق البلدان ثم استقر في مصر مسكويه - المؤرخ والمفكر توفي ٤٣١ هـ . صحب ابن العميد وخدم بني بويه ابن البيطار - النباتي المشهور وكان في خدمة الملك الكامل الايبي وامثال هؤلاء الاعلام كثيرون لا يتسع المقام لذكرهم . اما المدن التي شاركت بغداد او زاحمتها في الادب والعلم فنذكر منها - مصر وحلب ودمشق وقرطبة واسبيلية والقروان وخوارزم ونيسابور وبخارى . ومن الامراء الذين اشتهروا بميلهم الى الادب وعطفهم على العلماء ركن الدولة البويهبي ومنصور الساماني وشمس المعالي قابوس ومحمود الغزنوي والعزير والحاكم الفاطميان وصلاح الدين الايبي وغيرهم

الحركات الهدامة الداخلية

كانت الدولة العباسية منذ نشأتها مرتعاً خصباً للثورات، وتاريخها وثيق الارتباط بها . وهذه الثورات تظهر في مظهرين كبيرين - حركات الخوارج والحركات العلوية

حركات الخوارج

ويرجع تاريخها كما هو معروف الى ايام صفين والتحكيم . من ذلك الحين ظهر الخوارج ونشأوا حزباً معادياً للخلافة فثاروا الامام علياً بعد ان كانوا قبلاً من انصاره . ولهم مع الامويين وقائع مشهورة ، وقد كانوا من اشد الاخطار على دولتهم حتى قهرهم الحجاج بن يوسف ، والمهلب ورجالهما ، فضعف امرهم وتشتتوا في أنحاء مختلفة . ولم تقم لهم قائمة بعد ذلك حتى خلافة المنصور العباسي ، ففي ايامه خرجوا في عمان بقيادة زعيمهم شيان بن عبد العزيز ولكن المنصور ارسل اليهم جيشاً قوياً فهزمهم وقل جيوشهم

ولما كانت خلافة المعتد — والعرش العباسي في حال اضطراب من جراء المستبدين به — عادوا الى حركاتهم فخرجوا في ولاية الموصل بقيادة مساور بن عبدالله ، وتمكنوا سنة ٢٥٥ هـ من دخول الموصل والاستيلاء على كثير من أنحاء العراق . وبلغ من امرهم ان زحفوا على بغداد نفسها ، لكن جيوش الخليفة ردتهم فترجعوا ، واقام مساور في الموصل حتى اغتيل سنة ٢٥٨ هـ ولم يبق للحركة الخارجية بعد ذلك من قوة سياسية في العراق . على انها بقيت في الجزيرة العربية وفي افريقيا تحت اسم الاباضية (وهي فرع منها) قوة لا يستهان بها . ثم اعتراهم الوهن فتضعفت احوالهم ، ولم يلبثوا ان انسحبوا من معترك الجهاد السياسي والحربي (١)

الحركات العلوية

وهي اما ثورات قام بها آل البيت انفسهم خروجاً على الخلافة القائمة او حركات هدامة مؤسسة على المبدأ العلوي . وقد بدأت الاولى (ثورات الائمة) منذ انتزع الامويون الملك من آل البيت ، ومنها قيام الحسين الى الكوفة ومقتله في كربلاء ، وما تبع ذلك من دعوات وثورات طيلة الحكم الاموي ، كثورة المختار في العراق ثم الثورة الخراسانية ، وكانت علوية في اول الامر ثم تحولت الى العباسيين .

ولما قام العباسيون وانفردوا بالملك دون العلويين رجع النزاع الى ما كان عليه بين الشيعة والخلفاء . فتحركت الشيعة حركات عدتها العباسيون عصياناً ، كخروج النفس الزكية في المدينة ايام المنصور ، وخروج يحيى بن عبدالله في الديلم ايام الرشيد ، ويحيى بن عمر بن

(١) ومن اراد التوسع في حركات الخوارج فليراجع من المصادر العربية . ابن خلدون ج ٤ . ابن الاثير ج ٢ ص ٦١ و ٦٢ و ٧١ و ١٥٠ - ١٥٢ - خطط القرظي ٢ - ٣٥٤ وسواها

يجي في الكوفة أيام المستعين ، وظهور الكوكبي بقزوين وطرده آل طاهر^(١) ، لكن الخلفاء تمكنوا من الثأرين وقتلهم .

وفي بدء خلافة المأمون (وذلك قبل ان يقدم من خراسان الى بغداد) كثرت حركات الشيعة حتى رأى ان يعهد بالامر بعده لعلي الرضا^(٢) ، ولكن استياء العباسيين وموت علي الرضا حالاً دون ذلك . ثم كثر خروجهم في الحجاز واليمن والعراق وفارس وتتابعت دعواتهم . وهم ، ولئن لم يستطيعوا تقويض العرش العباسي ، فقد احدثوا فيه اضطراباً شديداً كان من جملة الاسباب التي ادت الى انحلال الدولة . ولا ينبغي ان الخلافة الفاطمية التي ذكرناها آنفاً كانت من ثمار الحركات العلوية ومن اشد الضربات على الخلافة العباسية

اما الحركات الهدامة المؤسسة على المبدأ العلوي فقد قامت بها هيئات منظمة احدثت تأثيراً كبيراً في المملكة العباسية ، واهمها حركات الزنج والقرامطة والحشاشين (الباطنية)

الزنج

حوالى منتصف القرن الثالث الهجري في ايام الخليفة المعتمد قام رجل اسمه علي بن محمد يدعي النسب العلوي ، فاستمال اليه قابو العبيد من الزنج بالبصرة ونواحيها وافسدهم على مواليتهم حتى اجتمع اليه منهم ومن سواهم خلق كثير ، وما لبث حتى عظم شأنه واشتدت شوكته . واتفقت له حروب وغزوات نصر بها ، فتفانم شره وانبث عسكره السودان في البلاد العراقية والبحرين والاهواز . وفي ٢٥٧ هـ اغاروا على مدينة البصرة فنهبوا واحرقوها وحدثوا فيها فيها فظائع ذكرها ابن الرومي في قصيدة عصماء . ستذكر في كلامنا عن هذا الشاعر . وكانت بينهم وبين جنود الخلافة حروب عظيمة دامت سنين كثيرة وذهب فيها الوف من القتلى ولكنها انتهت سنة ٢٧٠ هـ بقرهم وتحرير البلاد من شرهم . وكان قائد العباسيين الاكبر في حروبهم الموفق اخا الخليفة المعتمد . ومن كبار رجاله موسى بن بقا ، وابراهيم بن المدبر ، وابو العباس ابن الموفق ، وسواهم ممن يرد ذكرهم في مدائح الشعراء^(٣)

(١) الطبري اخبار سنة ٢٥١ (٢) ابن خلدون ٤ - ٩

(٣) للتوسع في البحث راجع ابن الاثير ج ٧ و ٨ . ابن خلدون ٢ - ١٨ - ٢٢ . الفخري ١٨٥ الطبري في اخبار سنة ٢٥٥ و ٢٦٢ الخ

القرامطة

كان ابتداء ظهورهم سنة ٢٧٨هـ بسواد الكوفة، وقد قاموا يدعون لال البيت وقوي امرهم هناك ثم ظهر منهم سنة ٢٧٦هـ جماعة من البحرين وعاثوا في البلاد ينوون البصرة . فخر بهم عمال العباسيين ولكن القرامطة انتصروا عليهم واستفحل امرهم في العراق ، فانضم اليه جموع من اعراب الشام وهاجموا دمشق . وكان بينهم وبين عامل الطولونيين فيها وقائع شتى ، وما زال امرهم يتعاظم ونفوذهم يتسع في العراق والشام والجزيرة العربية حتى امتست طرق الحج بايديهم فصاروا يعتدون على الحجاج . وفي سنة ٣١٧هـ دخلوا مكة فنهبوا اموال الحجاج وقتلوا منهم خلقاً كثيراً ، ثم اقتلعوا الحجر الاسود من الكعبة وحملوه الى هجر فبقي عندهم اثنتين وعشرين سنة . قال ابن الاثير فلما بلغ ذلك الخليفة الفاطمي المهدي كتب الى زعيمهم ابي طاهر ينكر عليه ذلك ويلومه ويلعنه ويقيم عليه القيامة ويقول : قد حقت على شيعتنا ودعاة دولتنا اسم الكفر والاحاد با فعلت ، وان لم ترد على اهل مكة وعلى الحجاج وغيرهم ما اخذت منهم ، وترد الحجر الاسود الى مكانه ، وترد كسوة الكعبة فانا بري . منك في الدنيا والاخرة . فلما وصله هذا الكتاب اعاد الحجر الاسود واستعاد ما امكنه من الاموال

وبقي امرهم الشغل الشاغل لولاة الامر في بغداد اكثر القرن الرابع الهجري ، وانك لتعرف مبلغ ما احدثوه في نفوسهم من كتاب كتبه الصابي عن لسان الخليفة^(١) . ثم ضعف امرهم وتفرقوا في البلاد^(٢)

المخاضون^(٣)

وهم من الباطنية . ظهوروا اولاً في ساوه ايام ملكشاه السلجوقي فناضلهم اولو الامر لكنهم لم يستطيعوا قهرهم . فلما مات ملكشاه استفحل امرهم في اصبهان . وفي ٤٩٣هـ استولى زعيمهم ومؤسس فرقتهم الحسن بن الصباح على قلعة الموت وهي من نواحي قزوین وجعلها مقر الحكم الاسماعيلي ، ومنها تصدر الاوامر الى كل النواحي وكان يدعو للخليفة

(١) راجع رسائله ٢٤٦ (٢) راجع اخبارهم في - ابن الاثير ج ٧ و ٨ و ٩
ابن خلدون ٤ - ٣٠٩، ٨٨ - ٤٥٩ تجارب الامم III ص ١٠٩ و ١١٠ - الطبري اخبار سنة
(٣) عن ابن الاثير وابن خلدون و ابي الفداء ٢٩١ ، ٢٩٠ ، ٢٨٩

الفاطمي بمصر . وفي ٤٩٨ هـ ظهر امرهم في الشام فتملكوا حصن افامية وقطعوا الطرق . واخذت شوكتهم تتعاظم حتى كانت ٥٢٠ هـ فاستولوا على بانياس ثم على اماكن اخرى ، وكان بطشهم شديداً في المسلمين والافرنج الصليبيين ، وكان ذأبهم اغتيال الامراء والزعماء . وما يدل على شدة شكيمتهم ان صلاح الدين الايوبي حاربهم في الشام ثم رأى ان يصلحهم وقد ظلوا اصحاب قوة وبطش وظل نفوذهم عظيماً من تركستان الى البحر المتوسط حتى اواخر الدولة العباسية وقيام دولة التتر ، فهاجمهم هولاء في العراق وخرَّب قلاعهم واغار عليهم في الشام الملك الظاهر ملك مصر . وهكذا أخذت شوكتهم وتشتتوا شرادم في الاقطار الاسلامية ، وذلك بعد ان اضطرت لهم ملوك المسلمين والصليبيين نحواً من قرن ونصف .

والباطنية التي ينتمي اليها الحشاشون تعضد المذهب الشيعي فكانت لذلك من اكبر انصار الدولة الفاطمية ، ومن افعال العوامل دينياً وسياسياً في تفويض سلطة الدولة العباسية

العوامل الهدامة الخارجية ومنها غارات الروم

كانت بلدان الشرق الاذن المتاخمة لبحر الروم قبل الفتح الاسلامي جزءاً من مملكة الرومان الشرقية (البيزنطية) . فلما حدث الفتح الاسلامي تقلص ظل الروم امام العرب الفاتحين . فاحتل العرب مصر وسوريا وانتزعوا جزءاً من الاناضول وبقي اكثره تابعاً للروم لان العرب لم يستقروا هناك . ولتاخمة الاناضول لسوريا والجزيرة العراقية نشأ بين الفريقين منذ المئة الاولى الهجرية حروب متواصلة كان النصر فيها سجالاتاً . ففي ايام معاوية مثلاً توغلت جيوش العرب حتى القسطنطينية ثم تراجعت^(١) ، واضطر معاوية سنة ٣٢ هـ ان يصلحهم على مئة الف^(٢) . وفي ايام عبد الملك هجم الروم على سوريا فبلغوا حماه وقنسرين والعوامم ثم هاجموا السواحل حتى خضع لهم قسم من الجبل . قال البلاذري وصالح عبد الملك الروم ، بعد موت ابيه وطلبه الخلافة ، على شي . كان يؤديه اليهم^(٣) . وفي ايام سليمان بن عبد الملك عاد العرب فهاجموا القسطنطينية^(٤) . وبقي الحال على هذا المنوال بين الروم والمسلمين اكثر ايام العباسيين . ولا يتسع المقام هنا لذكر الوقائع او لتعداد المدن والحصون التي كانت تتداولها

(١) الطبري ٥ - ٢٨٨٨ ابن خلدون ٢ - ٢٢٨ (٢) البيهقي ج ٢ ص ٢٥٧ - ٢٥٨

(٣) فتوح البلدان ١٨٨ (٤) ابن الاثير في حوادث سنة ٩٨

أيدي الفريقين . على انه لا بد من القول انه كان لهذه الحروب اثر كبير في الادب العربي .
يكفي ان نشير هنا الى ما سنذكره من روائع ابي تمام والبحري والمتنبي في انتصارات المعتم
والموكل وسيف الدولة . ولم تنج الممالك الاسلامية من خطر الروم الذين كانوا يواصلون
الغارات من الشمال حتى استقر الاتراك في الاناضول وحالوا دون تقدم الروم نحو الجنوب

(٢) غارات الصليبيين

وبينما كان الروم يتهددون الدولة العباسية من الشمال الغربي ، وكان السلاجقة يوطدون
نفوذهم في عاصمتها ، اتفق الافرنج على اكتساح الشام وما اليها بحجة انتزاع بيت المقدس
من ايدي المسلمين . وهكذا بدأت الحروب الصليبية واخذ الاوروبيون يواصلون الغارات
على الانحاء الساحلية من سوريا وفلسطين ومصر

ويتمد عصر الحملات الصليبية من ١٠٩٦ م - ١٢٩١ م - وقد كانت الخلافة العباسية
في اوائله متفككة العرى ، والفاطميون في مصر يتربصون الفرص للايقاع بها ، وكانت
سوريا - المعترك العام يومئذ - قد خرجت من حكم الدولة السلجوقية الرئيسية واصبحت
امارات يتنازعها اتابكهم وخلفاء مصر . فاعتم الافرنج تلك الفرصة ، وغزوها اولاً عن
طريق الروم ، ثم عن طريق البحر ، ولم يعتموا ان احتلوا القدس واسسوا فيها مملكة لاتينية
بقيت نحو قرن ونصف (١١٠٠ م - ١٢٤٣ م) . ولم يكتفوا بذلك بل مدوا نفوذهم على
القسم الغربي من سوريا الى ما وراء انطاكية ، فاسسوا الامارات المختلفة وابتنوا القلاع
الحصينة ، ساعدتهم على ذلك تنازع الحكام في البلاد وضعف الخلفاء . في بغداد والقاهرة .
ولكن الصليبيين كانوا من عناصر وبلدان شتى ، فنشبت بينهم منازعات كثيرة ادت اخيراً
الى فشلهم وخروجهم من البلاد^(١) .

ومن كان له اليد الطولى في خضد شوكة الافرنج صلاح الدين الايوبي ملك مصر
واخوه الملك العادل ، ووقائعهما مع الصليبيين في مصر والشام مشهورة . ولصلاح الدين
وآله في الادب العربي اثر كبير يظهر في المدائح التي نالوها من شعراء زمانهم . نذكر منهم ابن
الساعاتي^(٢) وابن النيه وابن قلاص^(٣) وابن مفرج النابلسي وابن التعاويذي وقد ذكره ابن

(١) قال ابن الجوزي في مرآة الزمان ج ٨ ص ٣٤٨ سنة ٥٨٢ وفيها ظهر الخلاف بين الفرنج
وتفرقت كلمتهم وكان لسعادة الاسلام (٢) لم ينشر ديوانه والدينا منه نسخة خطية ستشر في حينها

خلكان ذكراً خاصاً في سيرة صلاح الدين وذكر بعض مدائمه . ناهيك بالرسائل التي كان يتبارى بها منشو ذلك الزمان وعلى رأسهم القاضي الفاضل وعماد الدين الاصفهاني^(١) .
وبرغم ما كان بين الشرق والغرب في خلال تلك الحروب من العداء المستحرق والتزاع المستمر ، خرج الفريقان من صهيرها بفوائد اجتماعية ادبية عظيمة . وربما كانت فائدة الغربيين اعظم ، فانهم رجعوا عن الشرق العربي وقد اقتبسوا من حضارته يومئذ ما كان له اثر كبير في حياتهم الاجتماعية

و الخلاصة

ان الدولة العباسية لم يكد يمضي عهد خلفائها الثانية الاول حتى ظهرت فيها عوامل الفساد التي ادت الى انحلالها . وهذه العوامل داخلية وخارجية — فالداخلية (١) ضعف السلطة المركزية لتسلط المستبدين بها من عجم و اترك (٢) استقلال الامارات المختلفة وتنازعها (٣) عوامل الفتى والثورات من خوارج وعلوية
والخارجية — غارات التتر من الشرق ، وغارات الروم والصليبيين^(٢) من الغرب . وهناك عوامل اخرى يرجع فيها الى المطولات التاريخية

(١) راجع اخبار صلاح الدين في مرآة الزمان للجوزي ج ٨ ص ٢٧٠ — ٢٨٠ في اخبار سنة ٥٨٩ .
وراجع الكلام على الرسائل في تطور الاساليب النثرية للمؤلف
(٢) من اراد التوسع في الحروب الصليبية فليراجع من بين المصادر الكثيرة
مرآة الزمان للجوزي ج ٨
ما ورد في الجزء الخامس من ابن خلدون
اخبار الصليبيين في دوائر المعارف و لاسيا البريطانية
كتاب The Crusaders in the East للمؤرخ ستيفنسن (Stevenson)
كتاب الاعتبار لاسامة بن منقذ
رسائل الكتاب ايام صلاح الدين في صبح الاعشى

تطور الحياة الاجتماعية

في العصر العباسي

حضارة في فجر الاسلام

من المعلوم ان بلاد العرب لم تكن في زمن الجاهلية خلواً من حضارة ما . وفي القرآن الذي هو نص تاريخي صادق نجد الدليل على ذلك في ذكر المتاجر البرية والبحرية والشركات والاحتكار والشورى والصنائع والكتابة والملاهي والنقود وبعض المعارف . فاذا اضفت ذلك الى ما نقله المؤرخون من اخبار اليمن وقريش والامارات العربية القديمة في العراق وهوران وتدمر وسواها ، عرفت انه كان للعرب قبل الاسلام اتصال بالعمران السائد يومئذ . فلما جاء الاسلام وحدثت الفتوح ازداد هذا الاتصال وتنظّم ، وكان له بعد ذلك آثاره المعروفة . بيد ان الروح الدينية كانت في فجر الاسلام قوية جداً ، فوقفت بهم قليلاً عن الاخذ بأسباب الرخاء الحضري ، وكان لها اثر بين في تنظيم حكومتهم الاولى . حتى كان بعض امرائهم الاوّل يسلكون مسلك التقشف ويشددون في تنفيذ احكام الدين : يلبسون الخلق المرقع من الاثواب ويتجافون عن اطيب الطعام ويسيرون في الاسواق كعامة الناس . والشواهد على ذلك من اقوال المؤرخين كثيرة متعارفة لا يسعها هذا المقام ^(١) . نكتني منها بمثل رواه لنا الطبري عن عمر قال — ان سلمة بن قيس بعث برسول الى عمر ينبئه بفتح بلاد الاكراد ويحمل اليه حلي وجواهر . قال الرسول فاتيت امير المؤمنين وهو يغذي الناس متكئاً على عصا كما يصنع الراعي ، وهو يدور على القصاع ويقول يا يرفأ زد هؤلاء لحماً ، زد هؤلاء خبزاً ، زد هؤلاء مرقة . فاذا طعام فيه خشونة . ثم اتبعته الى داره فاذا هو جالس على مسح ، متكئ . على وسادتين من ادم محشوتين ليفاً . فنبذ اليّ احدهما . فجلست عليها ، واذا بهو في صفة فيها بيت عليه ستر . فقال يا ام كلثوم (زوجة عمر) غداًنا .

(١) راجع وصف حالهم في مقدمة ابن خلدون ٢٠٤ والفخري ٥٢

فأخرجت إليه خبزة بزيت في عرضها ملح لم يدق - الى آخر الحديث^(١)

على ان هذا التحرج كان على اشده في خلافة عمر . ذكروا انهم استأذنوه في بناء الكوفة بالحجارة وقد وقع الحريق في القصب الذي كانوا بنوا به من قبل ، فقال افعلوا ولا يزيدن احدكم على ثلاثة ابيات ، ولا تطالوا في البنيان والزموا السنة^(٢) . وماذا يراد بالسنة هنا غير ما عهدوه من مقتضيات التقشف اتباعاً لاحكام الدين ؟ وتأيداً لذلك نقل العلماء الاول كمالك وابن حنبل وابن سعد وسواهم كثيراً من الاحاديث النبوية التي تحض على البساطة والتقشف . فلما جاء عهد عثمان اخذوا يتساهلون في ذلك فقد روى المسعودي ان الصحابة ايام عثمان اقتنوا الضياع والمال وابتنوا الدور ذات الشرفات^(٣) . ولما حدثت الفتنة على ذلك الخليفة اراد خصومه ان يستغلوا هذا التساهل العمراني فذكروا من جملة ما تقوم عليه بناء الدار^(٤) . وقد فسر ذلك المستشرق كاسانوفاً بقوله « ان القوم الذين نشأ فيهم عثمان (اي الامويين) كانوا اقل اهتماماً بامور الدين والآخرة منهم بامور الدنيا ، فكان همهم الفتح وجمع المال^(٥) . ولعل الاصوب ان نقول ان التحرج الديني ضد الحضارة والرفاهة امر غير طبيعي فلا يلبث ان يزول . وهكذا كان بعد الحكم العمري ، برغم ان بعض الصحابة والتابعين ظلوا على سنة عمر

الدولة الاموية

ولما انتقل مركز الخلافة الى الشام خطا العرب الى الامام في سبيل الحضارة السياسية والاجتماعية . وكان معاوية مؤسس الدولة الاموية اول من اقام الحرس والشرط والبوابين في الاسلام ، وازخى الستور ، ومشي بين يديه بالحراب ، وجلس على السرير والناس تحته^(٦) . وقد ظهر على معاوية الميل الى محاكاة الاعاجم في ابهتهم منذ كان عاملاً على الشام . ذكر ابن خلدون انه لما لقي معاوية عمر بن الخطاب عند قدومه الى الشام في ابهة الملك وزيه من العديد والعدة استنكر ذلك وقال اكسروية يا معاوية ؟ فقال يا امير المؤمنين انا في ثغر تجاه

(١) الطبري (ليدن) جم ١ - ٢٧١٦ (٢) مقدمة ابن خلدون ٣٥٨

(٣) مقدمة ابن خلدون ٣٥٨ (٤) اليعقوبي ٢ - ٢٠٢

(٥) Moh. et la fin du monde 58 (٦) اليعقوبي ٢ - ٢٧١ الفخري ٧٨

العدو ، و بنا الى مباحاتهم بزينة الحرب والجهاد حاجة^(١) .

وبعد ان كانوا في المدينة لعهدهم الاول يحسبون التجافي عن الرفه والرخاء واجباً دينياً صاروا لما استقر ملكهم في الشام يتأنقون في اسباب الحياة الخضرية ، فلبسوا الحلل المزركشة ، واقاموا الابنية الفاخرة ، وانصرفوا الاقائل منهم الى الملاهي . ولم ينحصر ذلك في دمشق بل زاه في كثير من الحواضر كالكوفة والبصرة والمدينة ومكة . ومن البديهي ان يقبل الخاصة ومن يليهم من العامة على ما يقبل عليه امراؤهم ، حتى ان بعض ابناء الصحابة الاول واحفادهم اصبحوا من اكثر الناس استمتاعاً بالملاهي .

ومن امثلة ذلك عبدالله بن جعفر بن ابي طالب فقد تشاغل بالغناء والجواري حتى عيب عليه سعيه في هدم مروته^(٢) . ومنهم الوليد بن عقبة اخو عثمان بن عفان فقد شهد عليه اهل الكوفة انه صام بهم الصبح ثلاث ركعات وهو سكران^(٣) ، وعبدالله بن عمر بن الخطاب حده عمرو بن العاص بصبر لشرب الخمر . ومنهم الوليد بن عثمان بن عفان^(٤) ، وحفيده العرجي الشاعر ، وابن ابي عتيق حفيد ابي بكر ، وغيرهم من ابناء الصحابة الذين اقتضت السياسة الاموية منهم من الاشتغال بالسياسة فاندفعوا في سبل اللهو والمجون . وصار اللهو الشغل الشاغل لبعض المترفين حتى في مناسك الحج^(٥) . وهذا الاقبال من الامراء ومن دونهم على الدنيا كان له بلا شك تأثير كبير في تنشيط الصناعة والتجارة والادب ، فاقبل على دمشق وسائر الحواضر العربية عدد من الصناع والمغنين والجواري والشعراء مما زاد حركة العوامل وحدث فيها حالة اجتماعية لم يعهدها الراشدون .

ومع كل ذلك بقيت للبدواة نزعة في نفوس الامويين . فلم يكن امراؤهم يرغم سياستهم التي كانت ترمي الى تعظيم البيت الاموي يترفعون عن معاشره رعاياهم ومخاطبتهم والسماح لهم بالكلام عندهم . فقد نقل عن الوليد بن يزيد والعمر اخيه انها لما مات معبد (المغنى المشهور) مشيا بين يدي سريره حتى اخرج من دار الوليد^(٦) . وكان عبد الملك اول خليفة منع الناس من الكلام عند الخلفاء . وتقدم فيه وتوعد عليه^(٧) . ولا غرابة فقد كان بعضهم يكلمه بما لا يكلم به الملوک ، كما روى الجاحظ عن رجل من بني مخزوم وكان زبيرياً ، قال دخل على عبد الملك فقال له عبد الملك اليس قد ردك الله على

(١) المقدمة ٢٠٣ (٢) العقد ٢-١٥٢ والمبرد ١-٣٩٢ (٣) العقد ٤-٣٢٧ . نهاية الارب ٤-٨٩ (٤) الاغانى ٤-١٨٦ (٥) المبرد ١-٣٩٣ (٦) الاغانى (دار الكتب) ١-٣٧ (٧) البيان والتبيين ٢-١٢ والنخري ٨٩

عبيك ؟ فقال أو من ردّ اليك فقد رد على عقبه ؟ فاستحى وعلم انه قد اساء^(١) . ودخل كثير على يزيد بن عبد الملك يسأله عن معنى بيت للشاخ فاستحمة واخرجه^(٢) . ويثبت ذلك انهم كانوا حتى ايام الوليد يسمون خلفاءهم باسمائهم . قال اليعقوبي كان الوليد يقول لا ينبغي لخليفة ان يناشد ولا يكذب ولا يسميه احد باسمه ، وعاقب على ذلك^(٣) . وعن ابن خلدون انهم تجافوا عن القاب التعظيم مع الغضاضة والسذاجة لان العروبة في منازعها لم تفارقهم حينئذ ، ولم يتحول عنهم شعار البداوة الى شعار الحضارة^(٤) ، وقال كانت اعطيتهم اكثرها الابل اخذاً بذهاب العرب وبدواتهم ، ومثلهم كان عاملهم .

وقد نقل ابن خلدون حديث الحجاج ووليته في اختتان بعض ولده ، قال فاستحضر بعض الدهاقين يسأله عن ولائم الفرس ، فقال شهدت بعض مرازمة كسرى وقد صنع لاهل فارس صنياً احضر فيه صحاف الذهب على اخونة الفضة ، اربعا على كل واحد ، تحمله اربع وصائف ، ويجلس عليه اربعة من الناس ، فاذا اطعموا اتبعوا اربعتهم المائدة بصحافها ووصفاها . فقال الحجاج وقد علم انه لا يستقل بهذه الابهة يا غلام انخر الجزر^(٥) . ويظهر مما ذكره في موضع آخر ان نظامهم الحربي ظل بدوياً فكانت اسفارهم لحروبهم وغزواتهم بظعونهم وسائر حللهم واحيائهم من الاهل والولد^(٦) . ومع ما درته الفتوح عليهم من المال وما مهتد لهم من سبل الحضارة لم يخرجوا خروجا تاماً عن منازع البادية في حياتهم . الا انهم توسعوا كثيراً في الملاهي فتنظمت في الامصار المختلفة حركة الغناء واللعب على الآلات ونشأت في المدن المختلفة ولا سيما مدن الحجاز مجالس خاصة وحلقات خاصة من مغنين ومغنيات اتخذت الغناء مهنة ترتق بها . وقد بلغ ذلك منهم حتى صار فيهم دور خاصة للملاهي والمطالعة . جاء في كتاب الاغاني ان عبد الحكم بن عمرو الجمحي اتخذ بيتاً في المدينة فجعل فيه شطرنجات ونودات وقرقات ودفاتر فيها من كل علم ، وجعل في الجدار اوتاداً فمن جاءه علق ثيابه على وتد منها ، ثم جرد قترأ فقرأه او بعض ما يلعب به ، فلعب به مع بعضهم^(٧) . واذا قابلت ذلك بما كانت عليه المدينة ايام ابي بكر وعمر مثلاً تجد فرقاً كبيراً في اتجاه الافكار نحو الملاهي

(١) البيان والتبيين ١ - ١٨٢ (٢) البيان والتبيين (س) ٢ - ١٩٦
 (٣) اليعقوبي ٢ - ٣٦٨ (٤) المقدمة ٢٢٨ (٥) البيان والتبيين (س) ٢ - ١٩٢
 (٦) المقدمة ٢٦٨ (٧) الاغاني (بولاق) ج ١٦ - ٥٢

أما في دمشق - عاصمة الدولة يومئذ - فقد كان الخلفاء انفسهم الا القليل منهم ينشطون هذه الحركة . وكان يزيد بن معاوية اول من سن الملاهي في الاسلام من الخلفاء وآوى المغنين وشرب الخمر^(١) . واشهرهم في ذلك سليمان بن عبد الملك^(٢) ، ويزيد بن عبد الملك والوليد بن يزيد . وفي ايامهم كثرت الملاهي . ولم تنحصر في الخاصة بل تعدتها الى العامة ، فنشأت طبقة من المتخصصين في صناعة الطرب كان لهم اتباع يدربونهم على الغناء والالات تدريجاً فنياً ، وظهر في الحجاز جماعة من المغنين بلغوا من الشهرة مبلغاً عظيماً - منهم :

ابن مسحج - (مكي) وابن مُحْرز (مكي) وطويس (مديني) وابن سُريج (مكي) ومعبد (مديني) وجميلة (وكانت معلمة القينات في المدينة) وعزة الميلاء وحُنين والغريض واضرابهم ممن تجدد اخبارهم بالتفصيل في كتب الادب^(٣)

وقد رافق تقدم الغناء في هذا العصر تقدم الشعر الغزلي ، ولا غرو فهما ريباً عاطفة واحدة . ومن الشعراء الذين عرفوا بالغزل والتشبيب وما الى ذلك من لهو ومجون

الأحوص وهو مديني من الأوس

يزيد بن الطائية وهو شاعر بدوي

نُصيب مولى عبد العزيز بن مروان وقد اشتهر ايضاً بالغناء.

عمر بن ابي ربيعة وهو مشهور واختص شعره بوصف النساء وحاله معهن

العرجي وقد مر ذكره وكان شغوفاً باللهو والصيد والتشبيب

ومن طبقتهم كثيرون لا يتسع لهم المقام^(٤)

ومن مظاهر التطور الاجتماعي ايام الامويين نشوء دور التعليم وازدياد عدد المتعلمين . فقد كان العرب في اول امرهم اميين ، الاً افراداً قلانل بلغوا في الحجاز اول الدعوة الاسلامية سبعة عشر شخصاً^(٥) . ثم اخذ عدد القراء والكتبة يتزايد : قال ابن خلدون « لما جاء الملك للعرب وفتحوا الامصار وملكوا الممالك وتزلوا الكوفة والبصرة واحتاجت

(٢) المستطرف ٢ - ١٨٨

(١) الاغاني ١٦ - ٧٠

(٣) راجع كتاب الاغاني ج ١ - ١٥٢ ج ٣ - ٨٤ ج ٧ - ١٤٤ واماكن اخرى فيه . وخاية الارب

للنويري ج ٤ ص ٢٣٢ - ٢٩٠ . والكمال ج ١ - ٣٩٤

(٤) وتجدد اخبارهم في الاغاني والشعر والشعراء ووفيات الاعيان وسواها

(٥) البلاذري ٣٧١

الدولة الى الكتابة، استعملوا الخط وطلبوا صناعته وتعلمه وتداولوه، فترقت الاجادة فيه^(١) وطبيعي ان تتقدم القراءة والكتابة، وان ينشأ في مساجد الخواضر حلقات تعليمية ويكون فيها معلمون لصبيانهم. وقد ورد ذكر معلم الكتاب في شعر جرير اذ قال - « هذي دواة معلم الكتاب ». وفي اخبار الوليد بن عبد الملك انه مرَّ بعلم صبيان يعلم جارية الخ^(٢)

وذكر الجاحظ امثال الناس عن المعلمين. وفي دفاعه عنهم جعلهم ثلاث طبقات - مؤدبي اولاد الملوك - ومؤدبي الخاصة - ومعلمي كتاتيب القرى. وذكر بضعة من كبار المؤدبين في العصر الاموي مثل الجني والشعبي وعبد الصمد الاعلى وكميت بن زيد وقيس بن سعد وعطاء بن ابي رباح وعبد الحميد الكاتب والحجاج بن يوسف، يوم كان يعلم في الطائف^(٣). وبعبارة اخرى فرق بين الاساتذة المؤدبين وبين معلمي الكتاتيب الذين لم يبلغوا مكانة في العلم والتأديب. وقال ان امثال العامة قد تصدق على بعض هؤلاء لاعلى الطبقة الاولى التي ينتمي اليها كبار العلماء والفقهاء وقادة الافكار

وقد نقل ابن قتيبة وصايا بعضهم لمعلمي العصر الاموي فلترجع^(٤)

ويدلك على انتشار التعليم في هذا العصر نشاط حركة النسخ والتدوين : ذكروا انه في معركة صفين رفعت نحو خمسمئة نسخة من القرآن^(٥). ومع انه لم يصلنا شيء يذكر مما دون في هذا العصر فلا شك ان التدوين سابق للعصر العباسي. ومن ادلة ذلك نقلهم الدواوين الاميرية الى اللغة العربية. ويحدثنا يعقوبي ان زياد ابن ابيه كان اول من دون الدواوين ووضع النسخ للكتب^(٦)

وفي هذا العصر بدأت حركة النقل والترجمة واول من فعل ذلك خالد بن يزيد. ففي الفهرست نقل له الكيمياء رجل اسمه اسطفان^(٧). ويقول ابن النديم ان سالماً كاتب هشام نقل بعض رسائل ارسطو وذكر كتباً في مواضيع مختلفة دونت في هذا العصر

فما مرّ نستنتج ان احتكاك العرب بسواهم احدث فيهم ميلاً الى الاخذ عنهم، فزاد

(١) المقدمة (بيروت) ٤٣٠ (٢) البيان والتبيين ٢-١٦٤

(٣) البيان والتبيين ١-١٠١ (٤) عيون الاخبار (دار الكتب المصرية) مج ٢-١٦٦

(٥) المسعودي ٤-٣٧٨ (٦) يعقوبي ٢-٢٧٩ (٧) الفهرست (ل) ٢٤٢ و ٣٤٤

فيهم عدد المتعلمين وكثر الاقبال على القراءة والكتابة، واصبح في كثير من المساجد مراكز تعليمية للعلوم اللسانية والدينية
على ان المدارس لم تكن قد تنظمت تماماً وذلك
١ لعدم توفر الادوات الكتابية واتقانها
٢ لقصر مدة الامويين ولانشغالهم بالحروب والفتن

وبقي الامر كذلك حتى قام العباسيون وانتقلوا الى بغداد، ثم انصرفوا الى العلوم والمدارس، فتنظمت اسباب التعليم والتدوين والتصنيف، وحدثت تلك الحركة الفكرية المشهورة
فالعصر الاموي عصر انتقال اجتماعي تطورت فيه نوعاً عادات العرب ومعارفهم ودخل اللغة كثير من المصطلحات الادارية والاجتماعية والعلمية التي لم يكن للجاهلية عهد بها^(١)

مضارة العصر العباسي

في هذا العصر بلغ التطور الاجتماعي اوجهه ويظهر ذلك في ما يلي :

- ١ - نشوء قومية عربية جديدة
 - ٢ - عمران بغداد وسواها من الحواضر
 - ٣ - اتساع الثروة وترف الخاصة
 - ٤ - النهضة الفكرية العامة
- ولنشرح كلاً من هذه الظواهر الاجتماعية ببعض التفصيل

نشوء قومية عربية جديدة

واساس هذا النشوء (١) انتشار العرب في الامصار بعد الفتح (٢) امتزاجهم عن سبيل الزواج بعناصر اخرى (٣) تعرب الامم المغلوبة

خرج العرب من الجزيرة العربية فاتحين فانتشروا في الاقطار التي افتتحوها كالعراق

(١) راجع امثلة ذلك في تاريخ اللغة العربية لزيدان ص ٢٠-٣٠

وفارس والشام ومصر وأفريقيا والاندلس وأنشأوا فيها مستعمرات خاصة صارت بعدئذ مدناً عامرة كالبصرة والكوفة وواسط والانباء وبغداد والقاهرة والقيروان وسواها . وكانوا في أول أمرهم يرحلون في أثر الفتوح قبائل وعشائر فيقيمون في الأمصار ويتحضرون . والظاهر أن هذه الهجرة إلى الأمصار المغاوبة كانت من سياسة القادة والأمراء . فقد ذكر البلاذري مثلاً أن أبا عبيدة رتب ببالس (بناحية حلب) جماعة من المقاتلة وأسكنها قوماً من العرب الذين كانوا بالشام فأسلموا بعد قدوم المسلمين ، وقوماً لم يكونوا من البعوث نزحوا من البوادي من قيس^(١) . وذكر أن مسلمة بن عبد الملك أسكن مدينة الباب في الحضر أربعة وعشرين ألفاً من أهل الشام^(٢) ، وأن هرثمة اختط الموصل وأسكنها العرب^(٣) . وقال المقدسي كانت تدعى أولاً خولان حتى وصل بها العرب عمارتهم ومصرها^(٤) . وقد سبق هذه الهجرات الإسلامية الأولى إلى الأمصار المجاورة لبلاد العرب هجرات قديمة يدلنا على ذلك أنه قبل الإسلام وجدت إمارات وقبائل عربية في العراق وسوريا وفلسطين كاللخمين والعباسنة والتدمريين والأنباط وسواهم . وكثير من هؤلاء القبائل تحضر واصطف بصبغة البلاد الدينية والاجتماعية

واستمر الأمر على ذلك شطراً من الدولة العباسية . فقد بنى المنصور ملطية من ثغور الروم (وكان قد رتب فيها معاوية رابطة من المسلمين ثم خربت) ، وأسكن فيها أربعين ألف مقاتل من أهل الجزيرة^(٥) . وفي أيام المهدي غزا الحسن بن قطبة بلاد الروم بجيش مؤلف من أهل خراسان والموصل والشام وأمداد اليمن ومطوعة العراق والحجاز وبني طرطوس (وكانت قد خربت) ومصرها^(٦) . ومما يشعر بسياسة التمهيد هذه أنه لما أراد المأمون غزو الروم قال أوجبه إلى العرب فآق بهم من البوادي ، ثم أنزلهم كل مدينة افتتحها حتى اضرب القسطنطينية . على أن الأجل لم يممه أن يتم هذا الفتح^(٧) . ومن ذلك تحرك العصبية في الأمصار المختلفة كربيعة ومضر أيام الوليد في خراسان ، والقيسية واليانية أيام المأمون في مصر ، ولخم وجذام سنة ٢٥٧ هـ^(٨) في فلسطين . ناهيك بن كان قد رحل من العرب إلى أفريقيا والاندلس .

(١) البلاذري ١٥٠ (٢) البلاذري ٢٠٧ (٣) البلاذري ٣٣٣
 (٤) أحسن التقاسيم ١٣٩ (٥) البلاذري ١٨٧ (٦) البلاذري ١٦٩
 (٧) اليعقوبي ٢-٥٧٣ (٨) راجع اليعقوبي ٢ و ٣٩٩ و ٥٦٧ و ٦٢٣

والى انتشار العرب بعد الفتح واستقرارهم في الامصار يشير ابن خلدون في قوله — « وكان قد وقع في صدر الاسلام الانتماء الى المواطن فيقال جند قنسرين وجند دمشق وجند العوام، وانتقل ذلك الى الاندلس . ولم يكن لا يطرح العرب امر النسب ، وانما كان لاختصاصهم بالمواطن بعد الفتح حتى عرفوا بها وصارت لهم علامة زائدة على النسب . ثم وقع الاختلاط في الحواضر مع العجم وغيرهم وفسدت الانساب بالجملة وفقدت ثمرتها من العصية فأطرح ، ثم تلاشت القبائل ودرثت العصية بدورها وبقي ذلك في البدو كما كان »^(١)

وإذا نظرت الى هذا الامتزاج من جهة اخرى تجد ان الجزيرة العربية لم تكن مركز الملك العربي الأ نحواً من ربع قرن . ثم تحول الامر الى دمشق وبغداد ونشأت على اثر ضعف الخلافة في بغداد حواضر لامارات مستقلة . ومعنى ذلك من الوجهة الاجتماعية ان العنصر العربي الفاتح استقر قم كبير منه بعد الفتح خارج الجزيرة حتى قدر بعضهم من دخل سوريا منه بنحو ربع مليون^(٢) . ولا نستطيع ان نجزم بصحة هذا العدد ولكننا لا نشك ان الفتح سهّل للعرب الانتشار والاستقرار في البلاد التي افتتحوها ولا يعقل ان يحدث ذلك دون امتزاج او احتكاك قوي بالامم الاخرى . ففي الشام كان الروم والسريان واليهود ، وفي العراق الاراميون والفرس ، وفي مصر الاقباط ، وسواهم في سوي ذلك . وقد اتصل العرب بهذه الامم اتصالاً وثيقاً واحتمروا بثقافتهم وحياتهم الاجتماعية . وكان اكثر امتزاجهم بالفرس ، اولاً لاسراع هؤلاء باعتراف الاسلام ، وثانياً لما كان لهم من التأثير السياسي بعد ان اصبحت بغداد عاصمة الخلافة

وإذا تحريت ذلك من الوجهة اللغوية يتضح لك وجه الامتزاج — فان اكثر الالفاظ المقتبسة اما يونانية او فارسية . على ان اليونانية راجعة بالاكثري الى حياة اليونان العلمية والفلسفية دلالة على ان الامتزاج كان عن هذا السبيل^(٣) . اما الالفاظ الفارسية فمعظمها اجتماعي — وقد تحرّينا اكثر من مئة لفظة فارسية الاصل فوجدنا معظمها من باب الماكل والمشرب والملبس والمفرش والملهى ، ومن الادوات المنزلية والصناعية وما الى ذلك ، مما يدل على شدة تأثيرهم من حياة الفرس الاجتماعية^(٤)

(١) المقدمة ١٣٣ (٢) Ia Syrie - Lammens 119-210 (٣)

(٣) تجد كثيراً من هذه الالفاظ في الكتب الطبية والعلمية لذلك العهد (٣) راجع المقبسات الاعجمية في شفاء الغليل للخفاجي وفي العرب للجواليقي والالفاظ المرعبة لآدي شير وسواها

وإذا نظرت الى البلدان العربية اليوم وجدت في الفاظها المعربة الحديثة قياساً منطقياً لما حدث في الماضي . فأكثر الفاظها العلمية مقتبسة عن لغات أوروبا الحديثة . أما الاجتماعية ففي العراق تكثر منها المقتبسات الفارسية والتركية ، وفي سوريا الإيطالية والفرنسية ، وفي مصر التركية والأوروبية . وما وجود هذه الألفاظ إلا دلالة على احتكاك سكانها بالأمم التي اقتبسوا عنها . وذلك ما حدث للدولة العربية في بغداد وسواها . وهذا الامتزاج اللغوي الاجتماعي طبيعي بين الشعوب تتبادل فيه الألفاظ كما تتبادل السلع . فكما ان العرب أخذوا أولاً عن الفرس والروم والسريان والاقباط الذين استقروا بينهم كثيراً من الفاظهم ومصطلحاتهم ، عاد هؤلاء فأخذوا من العربية ما لا يمكن حصره هنا ، ولا سيما الفرس الذين أصبحت لغتهم مزيجاً من الفارسية القديمة والعربية . وكذلك أخذ غيرهم كالأتراك والاسبان . وكل ذلك دليل على تبادل اسباب الحياة الاجتماعية . ويكون الاقتباس عموماً على احد سبيلين

(١) الامم المغلوبة من الامم الغالبة

(٢) اللغات المتأخرة في نوع من انواع الحضارة من اللغات المتقدمة فيه

الامتزاج بالزواج

ولم تقف عملية المزج في الاقطار الاسلامية عند هذا الحد ، بل تعدتها الى ما هو اعظم فقد اختلط الجنس العربي بسواه عن سبيل الزواج : اختلط أولاً بالامم التي اعتنقت الاسلام من فرس وترك وبربر وسواهم ، ثم بالامم الاخرى عن طريق السبايا والجواري اللواتي لعبن دوراً مهماً في تاريخ الاسلام الاجتماعي . وقد كان الامويون أولاً يتعصبون ضد ابناء الاماء ولا يستخلفونهم : فقد اُتّب عبد الملك علي بن الحسين لتزوجه جارية ، وعيّر هشام زيد بن علي بن الحسين بقوله : انت الذي تنازعتك نفسك في الخلافة وانت ابن امة^(١) . ولما زوج ابراهيم بن النعمان بن بشير الانصاري يحيى بن حفصة مولى عثمان بن عفان ابنته على عشرين الف درهم قال قائل يعيّره^(٢)

لعمرى لقد جلّلت نفسك خزبة وخالفت فعل الاكثرين الاكارم
ولو كان جدّك اللذان تتابعا بيدٍ لما راماً صنيع الألائم

على ان ذلك لم يمنع حتى بعض الخلفاء الامويين من التزوج بالاماء . فكانت ام يزيد بن الوليد فيروزا شاهي ابنة شيويه^(١) ، وام يزيد بن عبد الملك شاهفريد بنت فيروز بن كسرى^(٢) ، وكانت جدة مروان بن محمد كردية . اما بنو العباس فكثرت ذلك بينهم ، حتى كان كثير من خلفائهم ابناء اماء^(٣) . منهم المنصور والرشيد وابراهيم بن المهدي والمأمون والمنتصر والمستعين والمعز والمهتدي والمقتدر والمكتفي والمستضيء والناصر ، وقس على ذلك سائر الطبقات حيث اختلط الدم العربي بسواه اختلاطاً واسع النطاق

تعرّب الامم المغلوبة

من هذه الامم من تعرّب تعرباً جزئياً وقتياً كفارس والاندلس مثلاً ، ومنها من تعرّب تعرباً كلياً دائماً كعصر والشام والعراق وشالي افريقيا . وقد حدث هذا التعرّب فيها تدريجياً : بدأ منذ الفتوح الاولى وقبلها بهجرة العرب واشتد بنشر الاسلام ، ثم بتحويل دواوين الحكومة ايام الامويين ، وبما كان للعرب او للمسلمين من امتيازات في المملكة الاسلامية . واخذت حركة التعرّب تتقدم مع الايام حتى استقرت العربية في هذه الاقطار . والمشاهد ان ذلك جرى في الاقطار السامية الاصل او التي تمت الى الساميين بنسب متين ، اما في سواها فلم يكن الاً جزئياً كما ذكرنا ولوقت معين . فلما زالت شوكة العرب زالت الصبغة العربية عنهم وبقي اثرها في لسانهم ومدنيتهم . وهكذا نشأ في الاقطار الاسلامية العربية (ما نسميه اليوم بالشرق العربي) قوميات شتى ، تجمعها جامعة معنوية قوية هي جامعة اللغة والثقافة . وليس من نسميهم اليوم ابناء العرب (خارج الجزيرة العربية) الاً مزيجاً من عناصر شتى اصطبغت بالصبغة العربية وارتبطت بتاريخ العرب وميراثهم الادبي . وهذا الامتاج القومي اللغوي التاريخي اثر في الادب العربي تأثيراً بيناً ، فكثرت فيه المقبسات الاجنبية ، واختمرت فيه الحياة الفكرية اختماراً ادى الى نشوء الحضارة العربية المعروفة في القرون الوسطى

(١) عن الجاحظ (راجع رسائل الجاحظ مطبعة السعادة مصر ص ٥٤)

(٢) تاريخ التمدن الاسلامي (لزيدان) ١٥٣-٤

حضارة بغداد عاصمة العباسيين

كانت بغداد في أيام الفرس قرية يقوم بها سوق لهم ، فاغار عليها المثنى فانفسها^(١) ، ثم لم تلبث بعد ان اختارها المنصور العباسي مركزاً لدولته وبنى فيها مدينته ، حتى زخرت بالعمران واصبحت من اعظم العواصم في القرون الوسطى . وانما نحن نذكرها هنا ذكراً خاصاً لعلاقتها الكبيرة بالشعراء الذين ندرس حياتهم وشعرهم ، ولأنه فيها تتجلى الحضارة العربية في ابهى ظواهرها

وقد مرّ بنا في عرض كلامنا عن « العوامل السياسية في الدولة العباسية » ما كان من تنازع العناصر المختلفة في بغداد ، وان اهمها ثلاثة (١) العرب— ويمثلهم البيت المالك وبعض الامراء والعمال (٢) الفرس — ويمثلهم الوزراء. والكتبة ومعظم رجال العلم ثم امراء الديلم المتغلبون (٣) الاتراك — وكان منهم امراء الجند ثم السلاجقة ورجالهم . ففي بغداد التقت عناصر شتى واجناس كثيرة تتنافس على السيادة والرزق وكان لهذا التنافس اثره في احوالها الاجتماعية . ولما كانت هذه المدينة عاصمة الخلافة والدولة ، ولا سيما في القرنين الاولين من العصر العباسي كان من الطبيعي ان تتدفق فيها اموال الاقاليم عن طرق شتى اهمها — الجباية والمصادرة والتجارة والزراعة . ولتناول كلاً منا بقليل من الاسباب .

الجباية والمصادرة

بلغت رقعة المملكة العباسية في ابان قوتها حدّاً عظيماً من الاتساع فكان يُجبى اليها مما وراء النهر الى المغرب الاقصى . قيل وقد حسب خراج الروم للمعتصم فبلغ اقل من ثلاثة آلاف الف . فكتب الى ملك الروم ان احس نأحية ، عليها احس عبيدي ، خراجها اكثر من خراج ارضك^(٢) . واذا صحت هذه الرواية لم يكن المعتصم مبالغاً ، فقد ترك لنا قدامة بن جعفر قائمة مسببة في الخراج لعهد المعتصم يبلغ مجموعها اكثر من ٣٨٨ مليون درهم^(٣) . واحصى ابن خلدون الخراج ايام المأمون وفضله اقلية اقلية فاذا مجموعهُ يزيد على الاربعمئة مليون درهم^(٤) . وكان الخلفاء في صدر الدولة العباسية مطلقاً التصرف بالاموال

(١) مرصد الاطلاع ١٦٣-١

(٢) احسن التنايم للمقدسي ٦٣

(٤) المندمة ١٧٩-١٨١

(٣) تاريخ التمدن الاسلامي ٥٦-٢

والارواح، نجح اليهم الاموال الطائلة فينفقونها في رجالهم وحاشيتهم وملاهيهم، ويختزنون منها ما يرونه حين الحاجة . فان المنصور خلف لابنه المهدي ما يزيد على ٦٠٠ مليون درهم و١٤ مليون دينار^(١)، وخلف الرشيد نحو ٩٠٠ مليون درهم^(٢). هذا مع كل ما اشتهر به من السخاء والاسراف، حتى قال الطبري عنه انه لم يُر خليفة اعطى منه^(٣). وكانت غلة امه الخيزران في العام ١٦٠ مليون درهم. اما عمال الخلفاء ووزراؤهم فكانوا يَحْضِرُونَ الاموال الطائلة ويتبارون في انفاقها . فقد بلغت عمالة الفضل بن سهل ايام المأمون على ما رواه الطبري نحو ثلاثة ملايين درهم، ووهب الفضل بن يحيى البرمكي الف الف درهم لمحمد بن ابراهيم العباسي^(٤). والبرامكة مشهورون بكرمهم ورخائهم، وكانوا اصحاب الدولة والمجد حتى نكسبهم الرشيد واستصنى اموالهم، على ان الكرم والغنى لم ينحصرا فيهم . ومن يراجع اخبار الوزراء والعمال يدهش لكثرة ما كان يصلهم من المال، وما كانوا ينفقونه في سبيل مآربهم وملذاتهم . جاء في سراج الملوك للطرطوشي ان العامل ايام عمر بن الخطاب كان راتبه ٦٠٠ درهم في الشهر، فصار العمال ايام الامويين يتقاضون الرواتب الكبيرة . على انهم لم يبلغوا عموماً مبلغ زملائهم في العصر العباسي .

ولم يكن هذا المال عن طريق الجباية المشروعة فقط بل كان للمصادرة شأن كبير في العصر العباسي . والمصادرة مال يقبضه السلطان من الوزير وهذا من العمال والعمال من الرعية . وقد بلغت في الدولة العباسية ان انشأوا لها ديواناً خاصاً . واخبار بني العباس حافلة بذكر المصادرات، وكذلك اخبار وزراءهم وعمالهم . من امثلة ذلك قائمة با قبضه ابن الفرات وهي انموذج لانواع المصادرة ومقاديرها ويبلغ مجموعها ملايين الدراهم^(٥). وقد نال ابن الفرات من ذلك ما نال سائر الكبراء . فقد قال عن نفسه تأملت ما صار الى السلطان من مالي فوجدته عشرة آلاف الف دينار، وحسبت ما اخذته من الحسين بن عبدالله الجوهري بن الجصاص فكان مثل ذلك . واليك امثلة اخرى مما يرويها يعقوبي : سخط المتوكل على الفضل بن مروان وقبض ضياعه وامواله ونفاه، ثم رضي عليه ورده، وسخط على احمد بن خالد المعروف بابي الوزير فاستصنى ماله ثم رضي عليه . ولما سخط على الكتاب قال لاسحق بن ابراهيم انظر لي رجلين احدهما لديوان الخراج، والآخر لديوان الضياع (المصادرة)، ثم يذكر ما فعله هذا الخليفة بايتاخ التركي وهزيمة عامل مصر، ويقول : ووجه الى فارس

(١) المسعودي ٦-٢٣٣ (٢) ابن الاثير ٦-٧٦ والطبري جم ٣-٢٦٦ (٣) الطبري

جم ٣-٧٦١ (٤) الفخري ١٥١ (٥) راجع عصر المأمون للرفاعي ١-٣٣١

بالحسين بن اسماعيل مكان عمه محمد بن ابراهيم ، وامره ان يعذبه حتى يستخرج الاموال التي صارت اليه ، فعذب حتى مات . وفي مكان آخر يذكر قبضه ضياع ابن ابي دؤاد وامواله ، وانه احضر الى بغداد فلم يقيم قليلاً حتى مات ^(١) . وفي الفخري امثلة كثيرة على هذه المصادر ، منها مصادرة المعتد للوزير ابي الصقر بن بلبل ، وام المقتدر لكتابها ابن الخصيب ، وابن الفرات لابن مقلة على مئة الف . قال وفي ايام المقتدر وايام وزيره ابي القاسم كثرت المصادر ولم ينج الوزير نفسه منها فصادره الخليفة وابعده . واعجب من ذلك ما فعله القاهر بامهات اولاد المقتدر ، وخاصة بام المقتدر ، فقد عذبا وصادر منها مئة وثلاثين الف دينار ^(٢) . هذا عدا ما صادره الاتراك والديلم وكثير من الوزراء وكبار العمال مما لا يسعه هذا المقام ^(٣)

وكانت هذه الاموال الوفيرة ينفق اكثرها في بغداد فليس من الغرابة ان نسبع عن كثرة البذخ والسفاه في دوائر الخلفاء والامراء ^(٤) . وقد تناول زيدان في تاريخ التمدن الاسلامي ^(٥) نفقات الدولة العباسية ، وبعد ان بحث فيها باسهاب ونقل ما نشره فون كيرمر عن احمد بن محمد الطائي ، وما اشترطه هذا على نفسه ان يقدمه من ضمانات لبيت المال (وفيه ما كان ينفقه بيت المال ايام المعتضد) ، وجد ان مجموع النفقات كانت نحو مليونين ونصف مليون دينار في السنة ، باعتبار سبعة آلاف دينار لكل يوم : فاذا حسبنا ان النفقات كانت متقاربة ايام المأمون والمعتضد ، واخرجنا ذلك من معدل ارتفاع الجباية كما اوردها ابن خلدون وقدامة ، استنتجنا ان نحواً من ٣٠٠ مليون درهم كانت تبقى في بيت المال يتصرف بها الخليفة كما يشاء . فهل يستغرب او ينكر بعد هذا دفعهم (حتى في ايام ضعفهم) الوف الدنانير للشعراء والمغنين والعلماء ، او في سيل الجواري وسائر الملاهي التي اشتهروا بها ، وراجت سوقها في زمانهم ؟ وايضاحاً لذلك ننقل بعض امثلة من بذخهم

مدبسي الموفو والكففي

اشتهر هذان الخليفان بكثرة ما جمعا من الاثواب وبكثرة التأنق في الملابس حتى كان

(١) تاريخ يعقوبي ج ٢ من ٥٩٢ - ٥٩٧ (٢) كتاب الفخري من ١٨٨ - ٢٠٣

(٣) راجع امثلة ذلك في تجارب الامم لسكويه في اخبار سنة ٣٥٠ و ٣٦١

(٤) راجع مثلاً لذلك بذخ المتوكل - المسعودي ٧ - ٢٧٦ (٥) ج ٢ ص ٦٥ - ٧٢

للموفق ستة الاف ثوب من جنس واحد^(١)، وكان للمكتفي من الاثواب ما يبلغ عشرات الالوف^(٢)

جواهر المقدر واسرافه

كانت خزانة الدولة في ايامه مترعة بالجواهر ، من جملةها حجر الياقوت الذي اشتراه الرشيد بثلاثمئة الف دينار ، والدرة اليتيمة التي كان وزنها ثلاثة مثاقيل الى غير ذلك من الجواهر النفيسة ، ففرقه جميعه واتلفه في ايسر مدة^(٣) . ولا عجب فقد كان له احد عشر الف خادم من الروم والسودان وهم بمثابة حاشيته وحرسه .

بذخ ام جعفر وام المستعين

ذكر المؤرخون ، انه كان لام المستعين بساط فيه نقوش على اشكال الحيوانات والطيور اجسامها من الذهب وعيونها من الجواهر ، وقد قدروا قيمته بنحو ١٣٠ الف الف دينار^(٤) . وذكر ابن خلكان ان ام جعفر البرمكي كانت في ايام عزها تشي ووراها اربعمئة وصيفة ، وقد يكون في ما ذكره مبالغة ولكنه يشير الى غنى وافر وبذخ عظيم

الهادي والرئبم والوائى ومطربوهم

قيل ان الهادي اعطى ابرهيم الموصلى في يوم واحد ١٥٠ الف دينار^(٥) وغنى ابن محرز في حضرة الرشيد بابيات مطلعها « واذكر ايام الحمى ثم انثني الخ » فاستخف الرشيد الطرب وامر له بئمة الف درهم ، وفعل مثل ذلك لدحمان الاشقر^(٦) . وهبات هذا الخليفة لندمائه وشعرائه اكثر من ان تحصى هنا . واقتدى الواثق بجده فوهب اسحق وقد غنى في حضرته مئة الف درهم^(٧)

(١) الفخري ١٨٦

(٢) راجع تفصيل ذلك في تاريخ التمدن الاسلامي ٥-١٠٧

(٣) الفخري ١٩١ (٤) المستطرف ١-١٩١

(٥) الاغانى ٥-٦ (٦) المستطرف ٣ ص ١٨٢-١٨٤ (٧) المستطرف ٢-١٨٥

الولائم والافراح والمساكن

ذكروا ان المال الذي انفق يوم زفاف بوران الى المامون على القواد فقط بلغ نحواً من خمسين الف درهم^(١)

وذكر صاحب التكملة ان ابا الفضل الشيرازي عمل دعوة انفق فيها الف درهم ووهب فيها جواري وغلماً وضياعاً الخ

وفي يوم زفاف ابنة القاسم بن عبيد الله الى احمد بن المكتفي انفق ما يزيد على عشرين الف دينار^(٢)

اما المساكن فنكتفي منها هنا بذكر دار الوزير ابن الفرات التي انفق عليها مئتي الف دينار ، ومثلاً دار ابن مقلة^(٣)

وانما هذه امثلة قليلة سقناها لنوضح ما نحن بصده من توفر المال لدى الخاصة ولا سيما قبل انحلال الدولة . وفي اخبار العباسيين ورجالهم مما تجده في تضاعيف كتب الادب والتاريخ ما يملأ صفحات عديدة . ولم يكونوا يستطيعوا القيام بهذه النفقات الطائلة وهذه الابية العظيمة (مها كان مبالغاً فيها) لولا تدفق الاموال عليهم من الاقاليم المختلفة ، حتى في ايام ضعفهم وخروج السلطة من ايديهم بقي لهم حظ وافر من المال : فان البويهيين لما استولوا على الامر ببغداد عينوا راتباً للخليفة خمسة آلاف درهم كل يوم^(٤) . وفي سنة ٥٣٣٤ هـ عين للمطيع ٢٠٠٠ درهم^(٥) ، وهو مبلغ كبير اذا قيس برواتب الحكام اليوم . ولم يكن ما يقبضه الخليفة المستضعف يومئذ الا شيئاً يسيراً بالنسبة الى ما كان يتقاضاه صاحب الامر وعماله . وهذه الاموال الطائلة كان ينفق اكثرها في بغداد ، وكان نصيب الادب منها وافراً ، ولما تجزأت المملكة الى امارات مستقلة لم يتغير الحال كثيراً على الادباء والعلماء وارباب الفنون ، اذ اصبحت حواضر هذه الامارات تنافس بغداد في الغنى والبذخ والانفاق على العلم والادب ، وان لم تبلغ ما بلغته العاصمة الكبرى في ابان مجدها

(١) الطبري جم ٣ - ١٠٨٣ وتريين الاسواق ٢ - ١١٧

(٢) صلة الطبري آخر اخبار سنة ٣٠٦ (٣) صلة الطبري اخبار سنة ٣١٨

(٤) ابن الاثير اخبار سنة ٣٣٤ (٥) تجارب الامم اخبار ٣٣٤

العمران التجاري والزراعي

لم تكن بغداد مركزاً للخلافة والسلطنة فحسب بل كانت مركزاً كبيراً للتجارة أيضاً ، ساعدها على ذلك مركزها الجغرافي على نهر كبير صالح للملاحة وانها في نقطة وسطى بين الشرق والغرب . والمعروف ان المسلمين كانوا في العصر العباسي سلاطين البحار تختر سفنهم البحور الى سومطره وزنجبار وكلكتا وجزائر الهند والصين ومدغسقر ، وتجوب البحر المتوسط الى الاندلس وسواها . وقد تركوا اثر تفوقهم التجاري في المصطلحات التي اقتبستها لغات الغرب عنهم — مثل

Garracca	حرّاقة	Cable	جبل السفينة
Tarif	تعريفة	Amiral	امير البحر
Musaline	موصلين	Arsenal	دار الصناعة
Damask	دمقس		

وما اشبه من الالفاظ التي دخلت اوربا عن طريق التجارة (١) ويوازي اساطيلهم التجارية في الاهمية قوافلهم البرية التي كانت تحمل المتاجر من كل الجهات وقد ذكر المقدسي في احسن التقاسيم انواع التجارات من الاقاليم المختلفة واهمها —

الياقوت والاماس والعقاير والارز	من الهند
الؤلؤ	من البحرين
المنسوجات	من ايران
الحصر والقباطي والقراطيس	من مصر
الزجاج والحرف	من البصرة
المسك والكافور	من الصين
الرقيق الابيض	من تركستان والاندلس وبلاد الصقالبة وسواها
الرقيق الاسود	من السودان

وغير ذلك من المتاجر الواسعة التي لا يتسع المقام لذكرها . ولا شك انه كان لبعضهم يد

(١) راجع كتاب فون كيرمر 362 Tr. Bnkhsh The Orient Under The Caliphs .

كبرى في التجارة ، فان جوهرياً من الكرخ ساومه يحيى البرمكي على سفظ من الجواهر ببلغ سبعة ملايين درهم^(١) . وقد عرف من كبار التجار آل الجصاص (مر ذكرهم في باب المصادرة) ، والشريف عمر : ذكر ابن الاثير ان دخله السنوي كان النبي الف وخمسمئة الف درهم . وكانت ثروات بعض تجار المراكب في البصرة تقدر بالملايين . وقد دفعت التجارة بعضهم الى اقصى البلاد : ذكر المقرئ ان علي بن بغداد البرمكي قدم الاندلس تاجراً سنة ٣٣٧^(٢) . وامثال هذا التاجر كثيرون ممن كانوا يرحلون من الشرق الى الغرب وبالعكس . وكان لبغداد نصيب وافر من ذلك تعكسه لنا قصص الف ليلة وليلة ، فهي وان تكن اساطير لا صحة لها تمثل روح العصر الذي بلغت فيه بغداد والبصرة اوج حضارتها التجارية

اما الزراعة فقد كانت ايام العباسيين على درجة عظيمة من الارتقاء : فانهم على ما يستدل من اخبارهم جعلوا مهمهم احتقار الانهر وانشاء الجسور والترع ، حتى جعلوا ما بين دجلة والكوفة سواداً مشتبكاً غير مميّز تحترقه انهار الفرات^(٣) . وقد ذكر المؤرخ مسكويه في عرض كلامه عن عضد الدولة تلافيه بغداد بالعمارة ، بعد ان خربت لكثرة الفتن والمصادرات والاضطرابات . قال « وكان ببغداد انهار كثيرة (ذكر منها نحو عشرة بعضها من دجلة وبعضها من الدجيل) فاندفنت مجاريها وعفت رسوما الخ ، ثم ذكر مصالح السواد وتعمير القناطر على انهاره وحماية مزارعه وما بلغ بهمة عضد الدولة من العمران بعد الخراب^(٤) » . وفي كل ذلك اشارة الى عهد زراعي راق عرفته بغداد والعراق عموماً ايام زهو الخلافة . ومثل ذلك في كتاب القاضي ابي يوسف الى هارون الرشيد كما نقله فون كيرير في كتابه الشرق تحت حكم الخلفاء^(٥) . فان ابا يوسف يذكر من واجبات الحاكم تعمير الاقنية للري وتنظيف الانهر التي تحمل المياه من الفرات والدجلة الى السواد ، وما الى ذلك من الجسور والسدود والقناطر والملاحة . ويؤيد ما ذكرناه من هذا العمران الزراعي ان ارتفاع الخراج من السواد ايام المعتصم (كما في قائمة قدامة بن جعفر) بلغ من القمح والشعير نحو ثلث ارتفاع الاقاليم كلها اي حوالي ١٥ مليون درهم ، وبتي على هذه النسبة الى اواسط القرن الثالث الهجري (راجع قائمة ابن خرداذبه) . وليس ذلك دليلاً على ثقل الجبايات

(١) راجع المتصرف ديسمبر ١٩٣٠ ص ٥٣١ (٢) تنح الطيب ٢-٨٢

(٣) الاصلخري ٨٥ (٤) تجارب الامم اخبار سنة ٣٦٩

(٥) النسخة الاكلينزية ٢٣٨ (ترجمة Bukhsh)

فقط ، ولكن على عمارة الارض ايضاً وتمكن الناس من القيام بما يتطلب منهم للدولة . ولم ينحصر هذا العمران الزراعي في السواد ، بل نراه ايام عزّ العباسيين في اقاليم اخرى كخراسان ومصر وسواها

فبالتجارة والزراعة ، وبما كان يجبي الى بغداد ايام عزّها ، توفرت فيها اسباب العمران حتى فاقت سواها واصبحت عروس الحواضر في القرون الوسطى ، او كما قالت دائرة المعارف الاسلامية (في كلامها عن بغداد) انها بلغت في ايام زهوها المقام الاول بين المدن في العالم المتمدن يومئذ . وقد زارها ايام المستنجد السائح اليهودي بنيامين الطليطلي وقال عنها (ولم تكن يومئذ في ابان مجدها) « انها انخر مدن العالم لا يقابلها الا القسطنطينية^(١) ، وزارها الرحالة ابن جبير الاندلسي سنة ٥٨٠ هـ اي في اواخر العصر العباسي وقال عنها « واما حماماتها فلا تحصى عدّة : ذكر لنا احد اشياخ البلد انها بين الشرقية والغربية نحو الاثني حمام وكذلك مساجد لا يأخذها التقدير ، والمدارس فيها نحو الثلاثين وما فيها من مدرسة الا ويقصر القصر البديع عنها ، واعظمها واشهرها النظامية » . الى ان يقول « فشان هذه البلدة اعظم من ان يوصف واين هي مما كانت عليه — هي اليوم داخلة تحت قول حبيب (ابي تمام)

لا انت انت ولا الديار ديار خف الهوى وتولت الاوطار^(٢)

ويحق لابن جبير ان يقول ذلك متأسفاً نادباً عمران بغداد . فقد ذكر الخطيب البغدادي بغداد في ايام المأمون وقال كان فيها خمسة وستون الف حمام^(٣) . ويظهر لنا في ذلك بعض المبالغة ، ولكنه مهما كان ، فهو يدل على عظمة المدينة واتساع عمرانها حتى لقد قدّرت مساحتها بنحو ستة عشر الف فدان ، وعدد سكانها بنحو مليون ونصف او اكثر^(٤)

ولم ترتق هذا الارتقاء العظيم في مدة لا تتجاوز الستين سنة الا لانها كانت مركز دولة تسيطر على اقاليم وشعوب تضارع ما كانت عليه الدولة الرومانية في عنفوان قوتها . ويؤيد ذلك ما نجده من وصف اقاليمها في كتب الاضطخوري وابن حوقل والمقدسي وابن جبير وابن خردادبه وقدامة وسواهم من ارباب الرحلات وكتاب الخراج

(١) Coke — Bagdad the City of Peace ١٣٢ (٢) رحلة ابن جبير (مصر) ٢٠٧

٢٠٨ و (٣) نقل ذلك زيدان عن ابن خلدون وعن سير الملوك (راجع تاريخ التمدن

الاسلامي ج ٢-١٩٠) (٤) تاريخ التمدن الاسلامي ٢-١٩٠

بعض صور اجتماعية بعكسها الادب العباسي

١ - كثرة الجواري والعلمان - من نتائج المال والترف في العصر العباسي اقتناء الجواري والعلمان. وكان في بغداد - كما كان في البصرة وسواها من الحواضر الكبرى - سوق لبيع الرقيق من عبيد واماء : حكى عن ابي دلامة الشاعر انه مر بنخاس يبيع الرقيق فرأى عنده من كل شيء حسن فانصرف مهموماً ودخل الى المهدي فانشده قصيدة منها - ان كنت تبغي العيش حلوّاً صافياً فالشعر أعزبه وكن نحاساً^(١)

وذكر الاصفهاني انه كان للرشيذ زهاء النبي جارية^(٢)، وعن المسعودي كان للمتوكل اربعة الاف جارية^(٣). ولم يقصر الفاطميون في مصر عن العباسيين في بغداد . فقد كان في قصر اخت الحاكم بامر الله ثمانية آلاف جارية^(٤). ومثل هؤلاء ملوك الاندلس وسواهم ، على ان ذلك لم ينحصر في قصور الملوك والامراء ، بل تعداهم الى منازل الخاصة وارباب اليسار من تجار وملاكين وعلماء ، ومن يليهم من طبقات الشعب . وكانت ائمان الجواري تختلف من عشرات الدنانير الى الالف . وقد يبلغ الشغف ببعض الامراء ان يدفع مئاة الالف من الدراهم في سبيل احدها . وكانوا يتهادون الجواري ، فقد اهدى طاهر الى المتوكل هدية فيها ٢٠٠ صيفة ووصيف^(٥) ، بل كانت الامراة احياناً تهدي زوجها بعض الجواري كما فعلت زبيدة مع الرشيد^(٦). وقد بلغ اهتمامهم بتثقيف الجواري والعلمان وتعليمهم مبلغاً عظيماً اذ كان ذلك يزيد ائمانهم ويأتي بالريح الى المتجربين بهم

ومع اننا نجد في العصر العباسي بضعاً من النساء الرقيقات علماً وثقافة ، واننا نجد في كتب التاريخ شواهد على انه كان يتاح للفتاة ان تتعلم كالفتى ، لا نجد الادب العباسي يعكس لنا من حالة المرأة ما يجعلها في مقام رفيع : خذ الشعر مثلاً تجده من هذا القبيل نوعين - الهزلي والجدلي . فالهزلي كشعر ابي نواس واضرابه اكثره مقرون بحياة الجواري اللواتي كن يشترين ويتهادين ، وهو يصور لنا عبث الشباب الماجن . اما الجدلي كشعر المعري فتشأم ينظر الى المرأة في المنزل نظرة سوداء ، ولعله متأثر مما بلغته من التأخر

(١) الاغاني ٩-١٢٢ (٢) الاغاني ٩-٨٤ (في اخبار عليّة) (٣) مروج الذهب ٧-٢٧٦

(٤) خطط المقرئ ج ٢-٣٣٣ (٥) المسعودي ٧-٢٨١

(٦) الاغاني ١٦-١٣٢ (في اخبار دنابير)

الاخلاقي بعد ان زاحتها الجارية فاعتقلت وحيل بينها وبين الرقي العلمي والادبي . ويظهر ذلك في الادب المنثور كما يظهر من الشعر ، ولا يستثنى من هذا الحكم الا قلائل لا يبنى عليهم حكم عام .

ومما يذكر هنا ما بلغه بعضهم من التهلك والانحطاط الاخلاقي الاجتماعي ، حتى صاروا يستخدمون العلماء كالجواري ، ومن ذلك نشأ نزل المذكر كما نراه في شعر بعض من متبكي ذلك العصر

٢ - مجالس الشرب والغناء . توقرت في الحواضر ولا سيما بين الخاصة في بغداد مجالس الشرب ، ولم تكن تخلو منها قصور الحكام . وكان بعضهم يتذرع الى ذلك - على مناقضته لاوامر الدين - بان الشرع حله نبيذ الخمر . وعليه بنى ابن خلدون دفاعه عن الرشيد اذ قال « وانما كان الرشيد يشرب نبيذ الخمر على مذهب اهل العراق ، وفتاويهم فيها معروفة . واما الخمر الصرفة فلا سبيل الى اتهامة بها ولا تقليد الاخبار الواهية فيها » . الى ان يقول « وحال ابن اكثم والمأمون في ذلك حال الرشيد ، شرابهم انما كان النبيذ ، ولم يكن محظوراً عندهم »^(١) . على ان شرب الخمر على انواعها كان شائعاً كما يتبين من درس الشعر العباسي ، وكذلك مجالسة الندماء والمغنين والقيينات . ولم يكن ذلك بدعة في الدولة العباسية ، فقد سبقهم الى ذلك الامويون ، واخبار يزيد والوليد وسليان وغيرهم كافية للدلالة على ما ذكرناه . فبعد ان كان المسلمون ايام الراشدين يتحرجون من الخمر ويعاقبون شاربها ، اصبحوا بعد ذلك يرون في بعض خلفائهم وزعمائهم ما يسهل لديهم معاقرتها : نعم ظلت الشريعة نافذة في حد السكارى ، ولكن ذلك لم يمنع الناس من تعاطي المسكر وارتياح الحانات . ومهما كان من المبالغة في ما يناقونه عن الهادي والرشيد والامين والواثق والمتوكل ، ومن جرى مجراهم من الملوكة او نادهم من الشعراء والمغنين ، فاجماع اكثر المؤرخين على شربهم الخمر وبلوغ بعضهم من ذلك درجة التهلك ، حتى روى الابشيهي ان الواثق كان يرقد في المكان الذي يشرب فيه ، ويرقد معه ندماءه^(٢) . وكان الشراب عادة مقروناً بالغناء ، فني كل مجلس طرب عند الخاصة يحضر اولو الفن فيغنون او يرقصون ، ويشرب الحاضرون ، ويقضون وقتهم على ذلك . ومن امثلة ذلك ما نقله ابن الاثير عن الامين انه امر يوماً قيمة جواريه ان تهني له مئة جارية فتصعد اليه عشراً عشراً بايديهن

(٢) المستطرف ٢-١٨٧

(١) المقدمة (بيروت) ١٨

العيذان يغنين بصوت واحد^(١). وكتب الادب ملأى باخبار المغنين والمغنيات ، وما كان يبذل لهم من الاموال الطائلة ، وسنلم بشيء من ذلك في كلامنا عن الشعراء .

٣ - نشوء حركة زهدية مضادة لترف العصر ، وستكلم عليها في غير هذا المقام

٤ - التألق في الفنون الحضرية . ويدخل تحتها تشييد المنازل ونسج الثياب والمفروشات ، وطهي الطعام وبناء المراكب وصنع الآلات الموسيقية ، وما الى ذلك من اسباب الحضارة . وقد بلغت البلدان الاسلامية من ذلك في العصر العباسي مبلغاً عظيماً : يدل ذلك على ذلك وصف القصور والمساجد التي كان يبنيها الملوكة والامراء في الحواضر الكبرى ، مما يعكسه لنا الشعر العربي في ذلك العصر كما سترى عند كلامنا عن الشعراء . وكذلك وصف الولايم والرياش وسائر اسباب الحضارة الصناعية : ذكر ابن خلدون انه كان للملوك دور في قصورهم لنسج اثوابهم تسمى دور الطراز ، وكان القائم عليها ينظر في امور الصناعات فيها وتسهيل آلتهم واجراء ارزاقهم^(٢) . ولما احتك الصليبيون بالشرقين وجدوا في رقي الشرق الصناعي والاجتماعي والزراعي ما حداهم الى اقتباس كثير من فنونه وعوائده ، وقد رجعوا الى اوربا يحملون معهم من الشرق ما كان له تأثير في نهضة اوربا الاجتماعية في القرون الوسطى - كتربية دود الحرير وصناعة النسيج والسجاد والسكر والزجاج والحرف والبارود ، وما الى ذلك مما نجده مفصلاً في المباحث الخاصة عن الحروب الصليبية^(٣)

٥ - انتشار المدارس والعلوم ذكرنا قبلاً ان الامية كانت سائدة في العرب قبل الاسلام ، وانهم اخذوا بعد ذلك يخطون في سبل الثقافة ، وما عثموا ان انشأوا حلقات العاوم الدينية والفقوية في المساجد والكتاتيب البسيطة في القرى . ولما استقر الامر للعباسيين زادت حركة التعليم والتثقيف وتنظمت دور العلم في الامصار المختلفة ، ولا سيما في بغداد ومصر : قال المقرئ « والمدارس مما حدث في الاسلام ولم تكن تعرف في زمن الصحابة ولا التابعين وانما حدث عملها بعد الاربعمئة من سني الهجرة »^(٤) ، ثم يذكر بعض المدارس المهمة ويتناول مدارس مصر خاصة فيصفها مدرسة مدرسة . ولا شك ان المقرئ يعني بالمدارس هنا مؤسسات تعليمية خاصة توقف لها الاوقاف والاموال ، وتجري على نظم معينة كالنظامية في بغداد ، ودار العلم والازهر في مصر ، والآن فان التعليم سابق للدولة العباسية ،

(١) ابن الاثير ٦-١٠٠ (٢) المقدمة ٢٦٧

(٤) المقرئ ج ٢-٣٦٣

(٣) راجع دائرة المعارف البريطانية تحت Crusades

ولكنه لم ينتظم إلا ما بعد القرن الرابع الهجري . واهم مراكز التعليم في العصر العباسي بغداد ودمشق ومصر والكوفة والبصرة وقرطبة والقدس ، ويليها حلب وطرابلس ومدائن كثيرة من امصار مختلفة^(١)

ومن اسباب الرقي العلمي في هذا العصر تلك الحركة الكبيرة - اعني حركة النقل العلمي عن اليونان والفرس والهنود التي عرفت اهل العربية بالعلوم الكونية القديمة واخرجت منهم بعدئذ مشاهير في الطب والفلسفة والفلك والرياضيات والجغرافيا وسواها ولما كنا قد خصصنا الفصل التالي للبحث في هذه الحركة الفكرية فاننا نجتزئ هنا بالاشارة اليها وبذكر ظواهرها العامة وهي -

١ - تنافس الامراء في العالم الاسلامي على بناء المدارس والكليات والسخاء عليها .

٢ - نمو حركة النسخ والتدوين وازدياد عدد الكتب وانتشارها^(٢)

٣ - انشاء المكاتب العامة والخاصة

٤ - حظوة العلماء والادباء لدى الملوك والامراء .

٥ - الرحلات العلمية من الاندلس الى الشرق وبالعكس

٦ - المذاهب الفكرية المختلفة ونشاط اربابها في الدفاع عنها

٧ - اختار العقلية العربية بالعلوم الطبيعية والفلسفية

كل ذلك احدث في العصر العباسي تجديداً ظاهر الاثر في الشعر الذي يمثل تاثر الامة بما يحيط بها من اسباب العمران



(١) راجع هنا القائمة التي نظمها خليل طوطح في كتابه The Contribution of the Arabs to Education 23

(٢) راجع مقدمة ابن خلدون في صناعة الوراقة

مجاري الحركة الفكرية

ليس للحركة الفكرية في امة من الامم منبثق خاص تتدفق منه تدفق ينباع من جوانب التلال . بل هي كسيول الاودية تمدّها المياه القليلة المتحدرة من هنا ومن هناك فلا تلبث ان تصير عجاّجة شديدة الشكيمة . كذلك حياة العرب الفكرية كثيرة الاصول متشعبة الروافد ، وهيبات ان نحاول الآن البحث عن كل اصل وكل رافد منها فانها متصلة بظلمات يقيه فيها الاستقرار العلمي والقياس المنطقي . فما تاريخها الذي نبسطه هنا الا وصف اجمالي للمجاري الكبرى التي تمثل لنا طور البلوغ في حياة الناطقين بالعربية على اننا لا نرى مندوحة عن القاء نظرة الى الماضي العريق في القدم لتطلع على بعض العوامل الرئيسية التي كان لها يد في ترقية هذه الحركة الفكرية العربية ، فتربط الماضي بالحاضر ربطاً يسهل لنا فهم مبادئها والنظر في رجالها ، ما اخذوا وما اعطوا . وذلك ما حدانا الى ان نجعل كلامنا في مبحثين رئيسيين

- ١ - المصادر الرئيسية التي استمدت منها العربية مجاريها الفكرية
- ٢ - وصف بعض المجاري الكبرى مما له اثر يذكر في الادب العربي

في المصادر الرئيسية

وهو يتناول ما استمدته العرب من فلسفة اليونان ومن الحركات الفكرية في الهند وايران وهو بحث واسع نلخصه لطلاب الادب فيما يلي استناداً الى مراجع تذكر في حينها

المصدر اليوناني

كان الجو الذي ظهرت فيه النهضة العربية (الاسلامية) مشعباً بالنظريات اليونانية . فنذ اغار الاسكندر على آسيا زاحفاً الى الهند ، اخذت العلوم اليونانية تنتشر في الشرق (١) ، وتحمّر عقول المفكرين ببيادى الفلاسفة الذين انجبتهم بلاد اليونان ولما نهض الرومان

ومدّوا رواقهم على شاطئ البحر المتوسط — على البلدان التي ورثها خلفاء الاسكندر —
 قضاوا على سيادة العنصر اليوناني السياسية ، لكنهم لم يقضوا على مدينة اليونان لان الرومان
 انفسهم كانوا يعدّون اليونان اساتذة لهم في العلم والحضارة . فكان في العالم الروماني
 مركزان كبيران للحركات الفكرية اثينا في الغرب ، ومجرى الفلسفة فيها ادبي اجتماعي ،
 والاسكندرية في الشرق ومجرى الفلسفة فيها ديني روحي^(١) . وكان طلاب العلم يقصدون
 هذين المركزين للتبحر في العلوم والفلسفة ، حتى الرومان انفسهم كانوا يؤمنونها لهذه الغاية^(٢)
 وفي اوائل القرن السادس للميلاد اشتد اضطهاد الحكومة الرومانية على مفكري اثينا
 الذين كانوا يتشيعون لتعاليم اليونانية القديمة (الوثنية) ، فاضطر هؤلاء الى هجرة الاوطان
 والضرب في رحاب الارض ، ولسان حالهم ينشد

وفي الارض منأى للكريم عن الاذى وفيها لمن خاف القلى متعزلاً

فساقتهم الاقدار على بلاط كسرى انو شروان ، ذلك العاهل الفارسي المحب للعلم
 والفلسفة ، فانزلهم على الرحب والسعة ، ولم يعتنوا ان احدثوا في بلاده حركة فكرية
 جديدة ظهر آذيتها في مدرستي نصيين وجنديسابور^(٣) . ولكنها لم تلبث ان ضعفت لرجوع
 هؤلاء المفكرين الى بلادهم

وكانما قدّر لغير فارس ان تكون الصلة الادبية بين الشرق والغرب ، وهذا الفخر
 الذي فات العنصر الفارسي انقلب الى العنصر السرياني (السوري) الذي عرف الشرقين
 بفلسفة اليونان وعلومهم . ففي اوائل القرن السابع للميلاد كانت بلاد العرب تتمحّص
 ببولود جديد ، بمدينة دينية مركزها الحجاز ، حتى اذا ترعرعت وامتد سلطانها واستولت
 على سوريا ومصر وسواها من بلدان البحر المتوسط ، استقرت تطلب غير الفتح المادي من
 اسباب التقدم والحضارة ، فانصرفت الى تحصيل العلم والفلسفة واتخذت ادتها في ذلك
 واساتذتها مفكري اليونان الذين كانت تعاليمهم كما ذكرنا قد ملأت العالم المتمدن شرقاً
 وغرباً ، ولا سيما تعاليم فيثاغورس وافلاطون وارسطو . ذكر ابن القفطي ان خمسة هم
 اساطين الحكمة ، وهم ابيدقليس وفيثاغورس وسقراط وافلاطون وارسطوطاليس^(٤) ، ولا

(١) Alexander ' Short Hist . of philasophy 117

(٢) Mosheim, Ecclesiastical Hist . 1-78

(٣) Arab thought 42 — Les penseurs de l'Islam 111 - 7

(٤) اخبار الحكماء ١٢

شك ان الاخيرين اشد هم علاقة ب حياة العرب الفكرية

قلنا انه كان في العالم القديم قبل الاسلام مركزان رئيسيان للعلم والفلسفة اثينا والاسكندرية ، على انها لم يكونا الوحيدين . ففي القرن الخامس للميلاد كان للعلم والفلسفة بضعة مراكز اهمها ، عدا اثينا والاسكندرية ، القسطنطينية وبيروت ورومية والرُّها (اورفا وهي في القسم الشمالي الغربي من الجزيرة) ونصيبين في شمالي الجزيرة وجنديسابور في بلاد فارس وحران . وكان للفلسفة اليونانية الحظ الاوفر في هذه المراكز العلمية ، اذ على فلاسفة اليونان كان المعول في الطبيعيات والالهيات والرياضيات . قال موسيم في كلامه عن العلم والفلسفة في القرن الخامس بعد الميلاد^(١) . « كان طلاب الشرائع يؤمنون ببيروت وطلاب الطبيعيات والكيمياء يؤمنون الاسكندرية . وقد اشتهر معلمو القسطنطينية والرُّها والاسكندرية في فن التعليم على ان اساتذة البيان والشعر والفلسفة وسواها من الفنون لم ينحصروا في هذين المركزين بل انتشروا في كل الجهات وانشأوا لانفسهم نوادي ومدارس . فالتشرق الادنى قبل الدعوة الاسلامية كان تحت تأثير الروح اليونانية الفلسفية ، نعم ان تلك الروح كانت تتباين مظاهرها بالنسبة الى اماكن ظهورها ، ففي مدارس القسطنطينية المسيحية ، وفي مدرسة حران الصابئية ، ومدرسة جنديسابور الفارسية ، والرُّها السريانية ، وفي مدرسة الاسكندرية اليونانية الوثنية كان الفكر اليوناني سائداً ولكن سيادته كانت على درجات متفاوتة

في هذا الجو اليوناني نشأت حياة العرب الفكرية مستمدة من الشرق روحها وعواطفها الدينية التي يعكسها لنا الشيخ السجستاني بقوله « ان الشريعة مأخوذة عن الله عز وجل بواسطة السفير بينه وبين الخلق من طريق الوحي وباب المناجاة وشهادة الآيات وظهور المعجزات . وفي اثنائها ما لا سبيل الى البحث عنه والغوص فيه ، ولا بد من التسليم المدعو اليه ، وهناك يسقط لم ويبطل كيف الخ^(٢) — ومن الغرب نظرياتها الفلسفية ومبادئها العلمية المبنية على المنطق والنواميس الطبيعية . وقد دخلت هذه النظريات الى الآداب العربية عن طريق النقل او الترجمة وكان لها في حياة العرب الفكرية تأثير بعيد المدى . ومن المعلوم ان نقل العلوم او الفلسفة بدأ منذ العصر الاموي^(٣) . على ان العصر الاموي لم يتسع لتقدم هذه الحركة ، فلما انتقلت الخلافة الى بغداد اخذت حركة النقل تنمو نمواً سريعاً وزادها

(١) Ecc. Hist. 1-381 (٢) الفقهني اخبار الحكماء ٦٠ (٣) الفهرست (ل) ٣٢٢

نشاطاً تنظم بيت الحكمة في بغداد والاهتمام بطلب الكتب العلمية من بلاد الروم^(١)، وبرعاية الخلفاء ولا سيما المأمون اخذ جماعة من نصارى الشام يترجمونها الى العربية، وقد اشتهر منهم جماعة كانوا من اركان النهضة العلمية في ذلك الحين، وتبعهم سواهم حتى بلغت الترجمة اوجها في القرن الرابع الهجري. ومن اراد الاطلاع على اسماء النقلة والكتب التي نقلوها فليراجع كتاب الفهرست لابن النديم فانه جمع فاعى. وقد تناول النقل الطب والرياضيات والفلك واصناف العلوم الفلسفية.

ولم تقف النهضة عند هذا الحد بل اخذ العلماء من الناطقين بالعربية يدرسون هذه المنقولات ويشرحونها ويصتفون الكتب في موضوعاتها، وتوسعوا في بعض الفروع الى درجة بعيدة جأءوا بما يذكر لهم في تاريخ الفكر العام.

ومع ان اكثر الناقلين عن اليونانية والسريانية كانوا من السريان واكثر المصنفين يمتون بانسابهم الى غير العرب، فان اللسان العربي كان الاداة التي استعملت في النقل والتصنيف، فاصبح لغة العلم والثقافة في ظلمات القرون الوسطى، وتسرب اليه كثير من الالفاظ الجديدة والمعاني الجديدة مما يعكسه لنا الشعر والنثر في العصر العباسي

ولعلنا لا نخطئ اذا قلنا ان الذين تأثروا من ابناء العربية بالفكر اليوناني كانوا فرقتين، فرقة اعتمدت فلاسفة اليونان ولا سيما ارسطو فشرحت اقوالهم وانصرفت الى درس نظرياتهم استكشافاً لاسرار الحكمة وسعياً وراء البحث العلمي. وهؤلاء هم المعروفون بالفلاسفة كالفارابي وابن سينا وابن رشد واضرابهم، وفرقة اعتمدت نظرياتهم واساليبهم في النضال الروحي او الكلامي وهم المتكلمون الذين سيمر بنا شيء من اقوالهم وآرائهم فلنتقدم من هنا الى ذكر شيء من المصادر الشرقية التي استمد منها العرب كثيراً من حركاتهم الفكرية

المصدر الفارسي

قال الاستاذ جاكسون استاذ اللغات الايرانية الهندية في جامعة كولومبيا « ان فتح المسلمين لفارس اشبه بفتح النورمان لانكلترا. وما معركة القادسية ونهاوند الامثال لمعركة هاستنغس»^(٢). وكأنه بذلك يعني ان العرب، وان كانوا اخضعوا فارس وحكموا

(١) الفهرست (ل) ٢٤٣ و اخبار الحكماء ١١٩

(٢) Jackson, Early Persian Poetry 14

العنصر الفارسي ، لم يستطيعوا ان يقتلوا الروح الفارسية الفكرية فبقيت متقدمة في صدور الشعب تظهر كلما سنحت لها فرصة . ولا شك ان الاداب العربية ربحت شيئاً كثيراً من الفرس يدل ذلك العدد الكبير من رجالها الذين هم من اصل فارسي . قال ابن خلدون في مقدمته^(١) — « ان حملة العلم في الملة الاسلامية اكثرهم العجم ٠٠٠ وكان صاحب النحو سيويه ، والفارسي ، والزجاج من بعدها ، وكلهم عجم في انسابهم ، وكذا حملة الحديث . وكان علماء اصول الفقه كلهم عجم كما يعرف ، وكذا حملة علم الكلام ، وكذا اكثر المفسرين . ولم يبق بحفظ العلم وتدوينه الا الاعاجم ، وظهر مصداق قوله صلى الله عليه وسلم لو تعاقب العلم باكتاف السماء لناله قوم من اهل فارس . ولم يزل ذلك في الامصار (اي حمل العجم للعلم) ما دامت الحضارة في العجم وبلادهم من العراق وخراسان وما وراء النهر فلما خربت تلك الامصار وذهبت منها الحضارة ذهب العلم من العجم » آه والذي يحقق النظر في علاقة العجم بالعرب سياسياً ودينياً وفكرياً لا يستطيع الا ان يرى ان التيار الفكري من قبل العجم كان قوياً في حياة العرب ، واطهر ما يكون ذلك فيما يلي

١ - في ان الاقطار العجمية هي الحقل الذي نمت فيه بذور الشيعة وبانتشار الشيعة بين العجم اكتسبت اللغة العربية كثيراً من العواطف والافكار الفارسية . قال الدكتور مور استاذ التاريخ الديني في جامعة هارفرد^(٢) ان ما نراه من الغلو والتعصب عند بعض الطوائف الشيعية ناشى بلا ريب عن ان كثيراً من اتباع زرادشت انضوا الى الاسلام تحت لواء الشيعة . وفي ذلك اشارة الى ما تسرب الى اللغة العربية من ديانة العجم القديمة بانضمام المحوس الى الاسلام وتعريبهم

٢ - في ان زعماء الحركة الفكرية العربية اكثرهم من العجم ، وقد تقدمت الاشارة الى ما ذكره ابن خلدون من ذلك ، وتزيد هنا ان ماوك بني ساسان ولا سيما كسرى انوشروان الذي سبق الدعوة الاسلامية بقليل من الزمن كانوا قد اهتموا جداً باحياء العلوم والاداب الايرانية ، وان العرب انفسهم كانوا ينظرون الى العجم نظرهم الى قوم متقدمين عليهم في الحضارة والعلم ، وعندهم لكسرى المذكور مقام فريد وكان في البلاد العجمية قبل الاسلام مراكز مهمة للعلم اهمها جنديسابور حيث التقت تحت رعاية العرش الفارسي

(١) المقدمة ٤٩٧-٤٩٩

(٢) Moore , Hist . of Religion 438

الفلسفة الهندية بالفلسفة اليونانية ، وقد مر الكلام على هذه المدرسة في كلامنا عن المصدر اليوناني

٣ - في الكتب التي نقلت عن الفارسية ذكر ابن النديم^(١) ما يزيد على اربعين كتاباً اكثرها يرجع الى اصل فارسي والباقي كتب تحت رعاية الفرس . ومن اهم ما تسرب من الفرس الى حياة العرب الادبية الرسائل او الكتب التي تبحت في الفلسفة الادبية ككتاب مسكويه « ادب العرب والفرس » . جاء في كتاب العلامة الروسي انو ستراتف « تأثير ايران في آداب العرب »^(٢) ان هذا الكتاب يرجع الى اصل فارسي وكذلك كتاب الادب لابن المقفع وكتب اخرى في هذا الباب من اراد مراجعة اسمائها فليراجعها في هذا الكتاب الفريد^(٣)

وقد ذكر الفهرست اسماء الذين نقلوا من الفارسية الى العربية نخس منهم هنا ابن المقفع المشهور وآل نوبخت - موسى - ويوسف ابنا خالد - ابو الحسن علي بن يزيد التميمي - حسن بن سهل الفلكي - البلاذري - جبلة بن سالب كاتب هشام - اسحق بن زيد - عمر بن فرخان وسواهم^(٤) . ولو ان المقام يقتضي الاسهاب في ذكر اعمالهم وشرح ما نقلوه اذكرنا هنا الكتب التي نقلوها كتاباً كتاباً ولكن ذلك ليس غرضنا هنا

٤ - في العلاقة الجغرافية والتاريخية التي نزاها بين الفرس والجاهلية . من ذلك ان مملكة الحيرة العربية كانت مركز النفوذ الفارسي بين عرب الجزيرة ، وان ذلك اقتضى ان يكون بين الجنسين احتكاك اديني اجتماعي . ومما يشير الى هذا الاحتكاك ما ذكره القفطي^(٥) عن الحارث بن كلدة طيب العرب ان اصله من ثقيف من اهل الطائف وقد رحل الى فارس واخذ الطب عن اهل تلك الديار من اهل جنديسابور وغيرها ومن يدري انه لم يكن غير الحارث من عرب الجاهلية الذين رحلوا الى فارس في طلب العلم . وهذه الصلة الادبية لم تنقطع بظهور الاسلام فان انتشار العرب بالفتح في الاقطار الفارسية جعل احتكاكهم بالفرس اشد مما كان قبلاً . ومع ان القسم الكبير من كتب الفرس ذهب بعد انحلال دولتهم فقد حافظ المجوس على عدد مهم منها بقي الى الدولة العباسية الى ايام

(١) الفهرست (ل) ٣١٣-٣١٦ (٢) نقله الى الانكليزية الاديب الفارسي نورمان

Iranian Influence on Moslem lit. 53 (٣)

(٤) الفهرست (ل) ٣٢٤ (٥) اخبار الحكماء ١١٣

عبدالله بن طاهر الذي اطلق يد التلغف فيها^(٢) والذي يدقق في تاريخ فارس يرى ان الآداب والعلوم والتقاليد الوطنية الفارسية بقيت سالمة بعد الفتح الاسلامي في الولايات الشرقية والجنوبية كخراسان وفارس ويدلنا على ذلك ان خراسان كانت بؤرة الحركات السياسية التي ادت الى اسقاط الامويين

اما ولاية فارس (وهي في جنوبي ايران) فقد كانت حصن المجوس هناك حفظت كتبهم ومعتقداتهم الدينية والفلسفية وكان بعض مؤرخي العرب يرجعون اليهم^(١)، وقد وصف جغرافيو العرب كالاخطري وابن حوقل والمقدسي وياقوت واليعقوبي تلك البلاد وصفاً يدل على ان المجوس (اتباع زرادشت) كانوا يتمتعون بالحرية الدينية في ولاية فارس ، وانهم كانوا لا يزالون محافظين على الشيء الكثير من الكتب الفارسية القديمة وهنا لا يسعنا الا ان نذكر « الشعوية » وهي فرقة من اصل عجمي كانت طبعاً تتعصب للعجم وتفضلهم على العرب . ولا شك انها كانت من حملة الروح الفارسية الى اللغة العربية ، وكذلك كان الزنادقة الذين كان يتهم بذهبيهم بعض من اكابر الادباء والشعراء كبشار وابن المقفع وسواهما . وكانت الزندقة تطلق بالاكثـر على المجوس او الثنوية^(٢) اي على اتباع زرادشت او اتباع ماني الحكيم وكلاهما فارسيان^(٣)

المصدر الهندي

يصعب تعيين السبيل الذي جرى فيه الفكر الهندي الى نفوس الناطقين بالعربية ولكن مما لا ريب فيه انه كان للفلسفة والعلوم الهندية تأثير شديد في تكوين الفلسفة العربية . وقد تقدم معنا ان مدرسة جنديسابور كانت قبل الاسلام ، ولا سيما في ايام كسرى انوشروان مركزاً علمياً التقت فيه علوم الهند بعلوم اليونان ، ومنه حمل الشيء الكثير الى العرب . ونلمح شيئاً من العلاقة الفكرية بين الهند وامم الشرق الادنى قديماً في ما لقيه سكرتير المتحف التجاري في فيلادلفيا على الجمعية الفلسفية الاميركية حيث يقول ان الهنود كانوا يوسلون سفراء الى سلوقية وانطاكية واسكندرية وغيرها ، وكان هؤلاء السفراء

(٣) Browne, Lit. Hist. of Persia 1 — 347

(١) Iranian Influence 21, 25-26

(٢)

عن لسان العرب والقاموس

(٣) من اراد الاطلاع على مذهب هذين الحكيمين فليراجع ذلك في دائرة المعارف البريطانية ،

وفي كتاب Zoroaster لجاكسون ، وفي الفهرست لابن النديم

ايضاً دعاة دينيين^(١) . على ان احتكاك العربية بالعقلية الهندية لم يبلغ كماله الاً بعد الاسلام، فان امتداد العرب بالفتح قرّب العناصر الهندية من العناصر السامية العربية وجعل بينها علاقة كبيرة في التجارة والعلم والدين .

من ايام بني امية الى ايام محمود بن سبكتكين (اواخر القرن الرابع للهجرة) كان الفتح الاسلامي باباً لتسرّب المبادئ الفلسفية الهندية الى نفوس العرب ، وقوام الفلسفة الهندية التي ظهر اثرها في تاريخ الفكر العربي الزهد والفناء الروحي ، وقد انتشرت هذه المبادئ الروحية بانتشار البوذية في ولايات ايران الشرقية واحتكاكها هناك بالاسلام بعد الفتح^(٢) . واذا اعتبرنا ما اخذه افلاطون وفيثاغورس من فلسفة الهنود فيقول لنا ان نقول ان شيئاً من فلسفة الهنود وتعاليمهم وصلت الى العرب عن طريق اليونان ايضاً

وفي الفهرست لابن النديم^(٣) ذكر الكتب الهندية المشهورة والذين نقلوا منها الى العربية ، ومنها كتب الطب والخرافات والاسرار والاحاديث والتوهم او السحر والمواعظ والحكم ، ومنها كتاب ملل الهند واديانها . وجاء فيه نقلاً عن الكندي « حكى بعض المتكلمين بان يمي بن خالد البرمكي بعث برجل الى الهند ليأتيه بعقاقير موجودة في بلادهم وان يكتب له اديانهم فكتب له هذا الكتاب . قال محمد ابن اسحق الذي عني بامر الهند في دولة العرب يمي بن خالد وجماعة البرامكة واهتمامها بامر الهند واحضارها علماء طيها وحكامها^(٤) . اه ويذكر الجاحظ عن لسان ابني الاشعث ان يمي بن خالد اجتلب اطباء الهند مثل منكه وبازيكر وقلبرقل وسندبار وفلان وفلان^(٥) »

والخلاصة ان مجرى الفكر العربي له روافد ثلاثة كبرى ، اليونان وهو اهمها ثم الفرس ، والهند ، وان ما اكتسبه العقل السامي العربي من هذه المصادر غير السامية يقظ فيه حركة قوية ظهرت ثمارها الفلسفية والعلمية في ابان التمدن الاسلامي ، وسنشير الى كل من هذه المصادر في سياق كلامنا على المجاري الرئيسية في حياة العرب الفكرية

(١) Early Communication Between China and the Medit. 1921

(٣) الفهرست (ل) ٣٠٥ و ٣١٥-١٧

(٢) Moore - Hist. of Religion 447

(٤) الفهرست (ل) ٣٦٥

(٥) البيان والتبيين (ع) ١-٦٠

المجاري الفكرية العامة

للحركة الفكرية عند العرب ثلاثة مجاري كبرى - الفلسفة والكلام والتصوف. وغاية الفلسفة التوصل الى المبادئ الاولى عن طريق العلم، واصحابها في الغالب اتباع اليونان وتجد لهم في الشعر العربي نفثات تم على آرائهم كقصيدة ابن سينا في النفس التي يقول فيها^(١)

هبطت اليك من المحل الارفع	ورقاء ذات تعزُّزٍ وتمتُّعٍ
محبوبة عن كل مقلّة عارفة	وهي التي سفرت ولم تتبرقع
وصلت على كره اليك وربّما	كرهت فراقك وهي ذات توجع
أُنفت وما أُنفت فلماً واصلت	الفت مجاورة الخراب البلقع
واظنها نسيت عهداً بالحمي	ومنازلاً بفراقها لم تقنع

ومنها -

فلاي شيء أهبطت من شاعر	سامر الى قعر الخضيض الاوضع
ان كان اهبطها الاله لحكمة	طويت عن الفطن اللبيب الاروع
اذ عاقبا الشرك الكثيف فصدّها	قفص عن الأوج الفسيح الارفع
فكأنها برق تألق بالحمي	ثم انطوى فكأنه لم يلمع

وفي الشعر العربي كثير من الاشارات الفلسفية والاوزاع العلمية التي كانت شائعة في

العصر العباسي

كقول ابي القاسم الاصفهاني يصف حماماً في دار صديق له^(٢)

ودخلت جنته وزرت جسيمه	وشكرت رضواناً ورافة مالك
والبشر في وجه الغلام نتيجة	لمقدمات ضياء وجه المالك

وقول ابي علي المهندس^(٣)

تقسّم قلبي في محبة معشر	بكل فتى منهم هواي منوط
كان فؤادي مركز وهم له	محيط واهوائي لديه خطوط

(١) راجعها في دائرة المعارف للبستاني تحت ابن سينا

(٢) القفطي ٢٣٤ (٣) القفطي ٢٦٧

ولم ينحصر ذلك في اقوال العلماء والفلاسفة بل تعدّاهم الى اهل الادب ، كقول المتنبي مشيراً الى اختلاف المفكرين في مصير النفس

تخالف الناس حتى لا اتفاق لهم
ف قيل تخلص نفس المرء سالمة
الأعلى شجب والخلف في الشجب
وقيل تشرك جسم المرء في العطب

وقوله ذاكرةً فلاسفة الاقدمين

من مبالغ الأعراب اني بعدها
وسمعت بطليموس دارس كتبه
و لقيت كل الفاضلين كأننا
جالست رسطاليس والاسكندرا
متملكاً متبدياً متحضراً
ردّ الاله نفوسهم والاعصرا

وقول المعري في عالم الافلاك

العالم العالي برأي معاشر
زعت رجال ان سياراته
وقوله - اركان دنيانا اعراتر اربع
وقوله - في مصير الروح
كالعالم الهاوي يحس ويعلم
تثق العقول وانها تتكلم
جعلت لمن هي فوقنا اركانا

قد قيل ان الروح تأسف بعدما
ان كان يصحبها الحجب فلعلها
اولا فكهم هذيان قوم غابر

وللمعري كثير من النفثات الفلسفية وسترى ذلك في حينه

ولو تحريتنا جميع ما دخل الشعر العربي من هذا الباب لعرفنا ما كان للفلسفة والعلوم الطبيعية من التأثير في الادب . وقد كنا نودّ ان نثبت هنا زبدة الآراء الفلسفية التي اقتبسها العرب عن سواهم ولا سيما عن افلاطون وارسطو والافلاطونية الجديدة . ولكننا نكتفي هنا بالإشارة اليها ونحيل المتعمق الى مصادرها الرئيسية
اما الكلام فجاري شتى نخص منها بالذكر المعتزلة والاشعرية

المعتزلة

ظهر الاسلام فاعتنقه العرب وامتد بالفتوح الاولى الى غير العرب ، ولم يكن كل الذين اعتنقوه وقاموا بفروضة ونوافله في درجة واحدة من خلوص الايمان والاعتقاد ، بل كان

شأنهم في ذلك شأن المسيحيين أيام قسطنطين الكبير : فان انقلاب الدولة الرومانية بفتة من الوثنية الى المسيحية ليس بدليل على ان كل الذين دانوا يومئذ بالدين الجديد استأصاوا من اعماق نفوسهم مبادئ مذهبهم الاولى ، بل بقي بعضهم محافظين باطناً على معتقدات غير مسيحية لم تلبث ان ظهرت في تاريخ المسيحية واشتد خطرهما على المبادئ الحقيقية ، حتى كان ما كان من الاصلاح ، وما نجم عنه من التطورات الجديدة

هكذا الاسلام اعتنقه كثيرون ممن بقي في نفوسهم اثر من غيره ، ولكن ذلك الاثر لم يظهر الا بعد ان صلح له الجو ، ولا سيما بعد ان خرجت الدولة العربية تدريجياً من بساطتها الاولى الى حياة الحضارة والعلم . هذه امور ليس بالهين اقامة الدليل التاريخي عليها لانها من قبيل العوامل الخفية التي ندرکها بالاجتهاد والاستنتاج ، ولكن لا بد من ذكرها قبل التبسط في الحقائق الراهنة . والذي لا جدال فيه انه في الدولة الاموية بدأت تبشیر حركة فكرية لم تعهد في أيام الراشدين ، وما ذلك الا لان العقل كان قد بدأ يستنير بانوار جديدة . وصحب هذه الاستنارة تطورات فكرية ، منها حركة المعتزلة التي نحن بصدها . واول معتزلي حسب النص التاريخي هو واصل بن عطاء . وكان من اتباع الحسن البصري ، ثم اخذ مذهبه في الانتشار حتى بلغ ابانه في أيام المأمون العباسي ، ولكنه عاد الى التقفر والضعف حتى قضى عليه ، ولم يعد الى الظهور كذهب خاص

والمعتزلة ، على اضطراب كثير من نظرياتها ، تحاول اخضاع النظريات الدينية لحكم العقل ، وهي بلا ريب نتيجة منطقية لاحتكاك الفلاسفة بالدين : فقد جاء الاسلام وتعاليمه واضحة ونصوصه محدودة ، وهي مبنية كسائر النصوص الدينية على التسليم لله والايان بوحيه المنزل . ولم يخامر قلوب المؤمنين الاولين شك فيها ولا شغلهم بحث عن اسرارها ، فلم يهجم ازاء تقواهم البسيطة الخالصة من شوائب الريب ان يحكموا النقد العقلي في كل ما آمنت به قلوبهم واطمأنت اليه نفوسهم . وتلك مزية الايمان الحقيقي .

وانك اذا استقصيت اخبار الدعوات الدينية لتجد من الصفات الملازمة للدعاة الاول . فلما لعبت في الجو الاسلامي رياح الفلسفة ، وتسرب الى العقول شي من نظريات الحكمة اليونانية^(١) ولا سيما المشائية (الارسطوية) ، شرع المفكرون يبحثون ويقيسون ويقولون علام

(١) راجع الكلام عن النظام في كتاب الفرق بين الفرق للبدادي ١١٣ . وعن الجاحظ في الملل والنحل للشهرستاني

ولم ؟ فقادهم ذلك الى مسائل ابعدهم عن بساطة المعتقد المبني على التنزيل^(١) . من هذه المسائل مسألة خلق القرآن ، ومسألة صفات الله ، وحرية الارادة ، وقدمية الكون وكيفية المعاد وما شاكل

وقد رفض المعتزلة ازالة القرآن وجعلوه مخلوقاً^(٢) ، وكان من اهم انصارهم في ذلك المؤمن وامره مشهور

واما الصفات الالهية وهي العلم والحياة والقدرة والارادة والسمع والبصر والكلام فقد نفوها : قال ابن خلدون في كلامه عن المعتزلة « ققضوا بنبي صفات المعاني لما يلزم على ذلك من تعدد القديم بزعمهم (راجع مقدمة ابن خلدون تحت علم الكلام) ذلك لانهم نظروا الى الصفات كموجودات يلزم عنها تحديد وجود الله المطلق وهذا عندهم مناف للاحكام العقلية » . على ان منهم من لم ينكر صفات الله وانها سرمدية بل ذهب مذهب ابن العلاف (المتوفى ٥٢٢٨ هـ) ان صفات الله ليست بشي . خارج عن جوهر الله بل هي اشكال يتشكل فيها ذلك الجوهر . وكان يقول ان علم الله هو الله ، وان قدرة الله هي الله^(٣) . فالارادة مثلاً ليست صفة خارجية يتصف بها الخالق بل هي صورة اخرى لعلمه وهكذا جميع الصفات مظاهر مختلفة لجوهر واحد . وقد زاد على ذلك احد ائمتهم سيار النظام المتوفى ٥٢٣١ هـ ، فقال ان الله لعلمه السرمدى بالخير لا يريد غيره ، اي ان ارادة الله هي علمه . فالمطلق عندهم (الله) لا يوصف بنبي ولا اثبات ، فلا يقال هو واحد او اكثر ، ولا يوصف بالقدم عندهم غير الله . ومع ان بعضهم اثبتوا الله احوالاً اربعة هي العالمية والقادرية والحئية والموجدية ، فقد فرقوا بين الثبوت والوجود بالذات وقالوا انها موجودات غير موجودة^(٤) : فكأنهم يعنون بذلك ان هذه الصفات حالات تظهر فيها الذات لا صفات زائدة عليها . وهذا قريب من مذهب ابي هاشم ابن الجبائي المتوفى ٥٣٢١ هـ ، اذ جعل لجوهر الله احوالاً شتى يظهر فيها . ومع ان هذه الاحوال لا توجد بنفسها ولا تتصور بدون الجوهر فهي تمتاز عنه وبها يعرف الجوهر^(٥) . ومنهم من يذهب الى ان الله يعلم جملة الاشياء . ولا يعلم تفاصيلها وانه لا يقدر ان يخلق الذات ، وانما هو قادر ان يخرجها من العدم الى الوجود^(٦)

(١) نقد العلم والعلما ٩٠ والبغدادي ٩٤

(٢) مقدمة ابن خلدون ٤٠٦

وفلسفة ابن رشد ٥٧ (٣) نقد العلم والعلما ٨٨ (٤) شرح تحذيب الكلام ١١١

(٥) الملل والنحل للشهرستاني هامش ابن حزم ١-١٠٢ (٦) نقد العلم والعلما ٨٨

فالمعتزلة في ذلك تحالف الصفاتية ، اي التي تثبت الصفات لله . والارادة عندهم حرة وقد فسر الجاحظ (وهو معتزلي) الارادة بانها حال من احوال المعرفة ، وحرية العمل او الارادة ان يعرف العمل من فاعله . فالانسان عند المعتزلة مخير لا مسير ، وهو مسئول عن اعماله ، وانه على اكتسابه يترتب العقاب والثواب (١)

ويضادهم في ذلك الجبرية . وهم يقولون لا علة ولا معاول في الاشياء التي نراها او نشعر بها ، لان كل شيء مسبب مباشرة عن الله . فاذا نعست فالنعاس وضع في بعمل خاص من الله ، واذا كتبت فتحرريك القلم وارادة الكتابة وما يتعلق بهما قد اتصلت بي رأساً من الله . فلا دافع لما يريد الله ، وما الانسان الا واسطة لتنفيذ ارادة الله (٢) . وعلى ذلك الاشاعرة الذين يذهبون الى ان الله يخلق كل عمل . وزاد عليهم الباقلاني تطرفاً بقوله بل الله يحدد كل شيء (حتى اللون مثلاً) كل لحظة . فما يفعل الله الآن وما يخلق قد يجيء في اللحظة التالية ما يناقضه : كل شيء ، كل عمل ، كل حركة في الكائنات متوقف مباشرة على ارادة الله

هذه التعاليم التي ترجع كل شيء الى ارادة الله مباشرة تعزز لنا شريعة القضاء والقدر في اعظم مظاهرها . وليست المعتزلة على ذلك ، لان القول بجبرية الارادة وبمسؤولية الانسان يناقضه . وحجتهم انه لو كان العبد غير خالق لافعله الاختيارية لكان القول بالثواب والعقاب لغواً

قدمية الكون

وهذه المسألة نراها في كل نظام فلسفي ، فالفلسفة المادية مثلاً تجعل الكون قديماً (اي ازلياً لا بداية له) والروحية تجعله محدثاً . وواضح ان الدين والكلام يذهبان الى حدوث الكون بقوة الخالق المبدع المريد . فما قول المعتزلة في هذا الشأن ؟ قال ابن رشد في كلامه عن المعتزلة (٣) . « واما المعتزلة فانه لم يصل اليها من كتبهم في هذه الجزيرة (الاندلس) شيء . نقف منه على طريقهم في هذا المعنى ويشبه ان يكون طريقهم من جنس طرق الاشعرية . فكانه يقول ان المعتزلة والاشعرية سيان في نظرها الى قدم الكون . وهو على

(٢) الشهرستاني هاشم ابن حزم ١١٠-١١٠

(١) فلسفة ابن رشد ١٠٥ والبغدادي ٩٤

(٣) فلسفته ٤٥

ما ارى غاية ما يصل اليه الباحث عن معتقدتهم . فانهم وسائر المتكلمين سواء في هذا الصدد ، الا ان نظرهم الى الله غير نظر اهل السنة ، فهم اميل الى جعله مصدراً للعقل الفعال الذي تفيض منه عوالم النفس والطبيعة . وهذا يجعل الجنة والخلود والجحيم في نظرهم غير الاحوال المحسوسة التي يصورها الدين . ولا ريب ان للفلسفة اليونانية تأثيراً ظاهراً في مبادئهم ، فالقول في ازلية صفات الله وتفسيرهم تلك الصفات بانها هي نفس جوهر الله او انها اعراض لجوهر واحد ، وقول شيخهم النظام ان النفس بجسم الجسد وعلى شكله تتخلل دقائقه كما تتخلل الزبدة دقائق اللبن ، مأخوذ من قول ارسطو في المادة وصورتها . وقول معمر السلمي في صفات الله ومطلقيته يقود الى الرأي الاتحادي (اي ان الله والكون واحد) الذي هو اثر من آثار الافلاطونية الجديدة مصبوغ بالصبغة الهندية . واما نظرية بعضهم ان الله لمعرفته الكلية بالخير لا يستطيع ان يريد غيره لعباده فيقرب ان يكون نفس ما علم به الرواقيون ^(١) . وللنظام راي في الخلق يكاد يكون نفس الافلاطونية الجديدة

والخلاصة ان الاعتزال مبدأ فكري يحاول ان يستدير بالعقل وينضغ كل شي . لاحكامه ، لكنه اراد ان يجعل بين العقل والنقل متمسكاً بكليهما فلم يوفق تماماً ، ولذلك كثرت اضراده ومنتقدوه

الاشعرية

وهم ينتسبون الى ابي الحسن الاشعري المتوفى في ٩٥٣ م ، وكان من تلاميذ المعتزلة في بغداد ، ولكنه لم يبق كذلك بل انقلب عليهم واصبحت فرقته اشد الفرق في منازلتهم ^(٢) ، واليك بعض اوجه النضال بين الفرقتين

في ماهية الله

كان الجمهور من المؤمنين ينظرون الى ما ذكره الكتاب المنزل عن اعضاء الله الجسدية كاليد والعين والاذن الخ نظراً حرفياً . اما المعتزلة فاتخذت ذلك من قبيل التأويل ، فقالوا لا يد حقيقة لله وانما هي اشارة الى قوته وبسطته ، وهكذا فسروا سائر الاعضاء . فقام

(١) راجع النظامية في الفرق بين الفرق ١١٦ واليهشية ١٨٨

(٢) ابن خلكان ١-٣٢٦

الاشعري وعلم ان الله يمكن رؤيته في الآخرة وان له سمعاً وبصراً ويدين ووجهاً الخ ، ولكن ماهية تلك الاعضاء خارجة عن معقول الانسان او هي وراء العلم^(١)

المعاد

ذهبت المعتزلة الى ان الدليل العقلي هو الهادي الذي يهديننا الى معرفة ما وراء الطبيعة^(٢) ، وان حالة النفس من عذاب او نعم انما هي حالة عقلية لا جسدية . فقال الاشعري بل العقل لا يستطيع الهداية ، فما علينا الا التصديق والايان بالوحي المستزل وان الامور التي ذكرها الكتاب كجلوس الله على العرش والحوض والموقف والفردوس والملائكين المنكر والنكير وما شاكل - كل ذلك حقيقة راهنة لا صور خيالية كما يدعي المعتزلة

صفات الله

في هذا الباب يسلك الاشعري مسلكاً وسطاً بين السنة والمعتزلة فهو يقول بصفات الله وقدميتها على ان تلك الصفات اشكال او تكيّفات لجوهره ، فلا هي عين ذاته ولا هي غيرها^(٣)

رأيه في القرآن

سلك في ذلك مسلكاً اصبح معول اهل الكلام ، وهو ان القرآن كلام نفسي قديم غير مخلوق ، وانما المخلق هو الصور اللفظية لذلك الكلام النفسي

الجبر والاختيار

(القضاء والقدر وحرية الارادة) . ليس عند الاشاعرة من ارادة حرة . فانه (التقديم الازلي) عندهم هو المطلق المدبر لكل حركة - خالق الانسان واعماله وما الانسان الا آلة في يد الله ، مسير عقلاً وجسماً بارادته الالهية ، وليس له من عمل الا الكسب . وهو

(١) الشهرستاني هامش ابن حزم ١-١٣١ و١٣٢

(٢) راجع مناقشات ابن تيمية في ذيل فلسفة ابن رشد ٨

(٣) او كما يقولون هي منه بنسبة الواحد الى العشرة فهو ليس بالعشرة ولا غيرها

كما في القاموس «تعلق قدرة العبد و ارادته بالفعل المقدور» اي تطبيق ارادة الله على العمل . وهذا طبعاً يقود الى الاعتقاد بان الله خالق الخير والشر وهو مخالف لمبدأ الاعتزال القائل بان الله لا يستطيع ان يريد غير الخير ، وان الخير والشر يدركهما الانسان بالعقل وعلى ذلك فهو مشغول عن اعماله

ومبدأ الاشعرية ينني من الطبيعة نظام العلة والمعلول ، لانه يجعل الله علة كل شي . ، صغيراً كان ام كبيراً ، جسدياً ام عقلياً . فاذا مسست النار مثلاً لم تحرق النار لان الحرق من طبيعتها ، بل لان الله يخلق عند مسك اياها . وعليه لا يستغرب او لا يستحيل ان يجعلك تشعر بالبرودة عند مسك النار ، لان نوع الحس راجع رأساً الى ارادته . فما العجائب اذن بخوارق لنظام الكون ، بل هي من اعمال الله غير المألوفة عندنا قلنا ان المبدأ الاشعري معول اهل الكلام . والنضال الذي احتدم بين الاشعرية والمعتزلة انتهى بانتصار الاولى . ولم ينقض القرن الرابع للهجرة حتى انقضى معها عصر المعتزلة

التصوف

تباينت الاراء في اصل هذه الكلمة فذهب بعضهم الى انها من صفاء النفس ، وهو قول المتصوفة . وقال غيرهم بل هي من اصل يوناني معناه الحكمة . على ان ابن خلدون يرى كما يرى كثيرون غيره ان اشتقاق اسمهم من الصوف^(١) كان المؤمنون الاولون من الصحابة والتابعين معروفين بالقناعة عاكفين على الصلاة والعبادة معرضين عن زخرف الدنيا وزينتها ، فلما تقدم المسلمون في الحضارة ومالوا الى الترف في العصر الاموي وما بعده ، نشأت بين اهل الدين حركة مرماها الرجوع الى بساطة الايمان الاولى ونبد الشبهات العالمية . على ان هذه الحركة لم تكن الاً توطئة للتصوف الحقيقي الذي عرف بعدئذ . فاننا نراه في ابانه نظاماً روحياً خاصاً يمت بشي . من القرابة الى انظمة روحية سابقة . فها هي هذه الانظمة ؟ قال المستشرق فون كريبير^(٢) ان اصل الصوفية عربي يرجع الى نظام الزهد والتنسك الذي كان شائعاً في المسيحية قبل الاسلام .

(١) راجع المقدمة الصوفية لابن الوردى ومقدمة ابن خلدون ٤٦٧ ودائرة المعارف البريطانية تحت Sufism . ويظهر ان لبس الصوف قدم في الاسلام فقد ذكره ابن قتيبة في عيون الاخبار وارجعه الى زمن الحسن البصري

Arabic Thought 185 (٢)

والدليل على ان عرب الجاهلية احتكوا بزهاد المسيحيين وعرفوهم، ما ورد في اشعارهم عنهم والذي يظهر لنا ان في كلام فون كزير بعض الحقيقة لا كلها . فقد يكون نساك المسيحية المثال الذي تحدها متصوفو الاسلام، ولكن النظام اللاهوتي الصوفي لا يقف عند ذلك ، بل يرجع الى مصادر يونانية وهندية وفارسية . فالافلاطونية الجديدة التي مر ذكرها آنفاً كانت قد خمرت الفكرية الشرقية بكثير من المبادئ اللاهوتية ، ومنها التجسد ، وعودة النفس الى اصلها (العقل الفعال او الله) . اما الاثر الهندي في التصوف فتراه واضحاً في فكرة الاتحاد الروحي فالفلسفة الهندية تُعلم ان الروح الاعظم والعالم المادي واحد (وحدة الوجود) ، وكل ما في العالم يجري من ذلك الروح واليه يعود — هو الموجود الساطع الذي يرى في قرص الشمس كما يرى في عين الانسان . هو النور الرضاء الذي يضيء في السماء وفي الارض وفي نفس الانسان . هو الذات العاقلة الخالدة السعيدة

على ان الرجوع الى الروح الاعظم يقتضي فهم اسفاره المقدسة (الفيدا) وممارسة الطقوس والعبادات الخاصة ، ولا سيما مراسيم التقوى والتوبة . وانا يطهر العقل من كل فساد بممارسة الفضيلة لنفسها دون النظر الى ثواب . ولا يستحق الاتحاد بالروح الاعظم (برهما) الا الذي يتصف بالصفات التالية —

١ — التمييز بين ما يبقى وما يفنى ٢ — عدم الاكتراث لثواب او مسرة

٣ — الحصول على السكوت التام وضبط النفس ٤ — الرغبة في الخلاص

فهنالك شبه بين الاتحاد الصوفي والفناء الهندي « الزفانا » ، ولكن الاختلاف بينهما بين ، لان الاول يقضى باستقلال ذاتية النفس في الوجود الاعظم ، وان يكن قد توغل بعضهم في القول بالوحدة^(١) ، والثاني يقول بتلاشياً . وسترى في شرح الصوفية بعد ان فيها اثر كبيراً من التعاليم الهندية التي كانت منتشرة في العجم والهند قبل الاسلام ، والتي جعلت للتصوف صبغة غير الصبغة الزهدية التي عرف بها اتقياء المسلمين الاولين : هؤلاء لم يؤسسوا لاهوتاً جديداً ولا خرجوا عن نصوص القرآن في ماهية الله ، وحالة النفس بعد الموت

اما الاثر الفارسي فقد ذهب بعضهم الى انه يرجع الى المانوية والمزدكية اللتين كان

(١) راجع مقدمة ابن خلدون ٤٧٢ و ٤٧٣

للزهد فيها شأن يذكر^(١). ولعل أهم اثر فارسي في الصوفية وفي سواها من الحركات الفكرية في الاسلام ان الذين قاموا بهذه الحركات اكثرهم من اهل فارس ، فهم ورثة العقلية الفارسية التي كانت قد تأثرت من تعاليم الهند ومن تعاليم الزعماء الروحيين ، كما في الحكيم وسواه . وماني ثنوي ، وخلاصة تعليسه كما شرحه ابن النديم^(٢) : ان للكون مبدئين النور والظلمة ، ولكل من هذين المبدئين اجزاء ، وباشتباك الاجزاء النورانية بالاخري حدث الكون . فالخلاص (او السعادة) قائم على تطهير العالم من اجزاء الظلمة المشتبكة باجزاء النور . وسيظهر اثر ذلك في الصوفية

يؤخذ من تعاليم ائمة المتصوفين ان نقطة الدائرة في نظامهم هي الوحدة^(٣) اي اتحاد النفس بالله . وهذا المبدأ يوافق المبدأ الهندي كما مر معنا ، والمبدأ اليوناني (الافلاطونية الجديدة) ، الا أنه يختلف عن هذا بان الحصول على الوحدة لا يتوقف بالاكثر على العقل بل على التقوى وقمع الشهوات . قال الجنيد البغدادي : التوحيد معنى تضمحل فيه الرسوم وتندرج العلوم ويكون فيه الله كما لم يزل^(٤) ، واخذ عنه الخلاج المتوفى ٣٠٩ وذهب مذهب الغلاة من الشيعة ، وقال بالحلول اي حلول الله في الاجسام ، وبالتناسخ وقد قتل بافتاء اكثر علماء عصره^(٥)

وفكرة الحلول ظاهرة تماماً في كلام ابي يزيد السطامي وهو اول من قال بالفناء^(٦) ، او الذي خطا الخطوة الاولى من التصوف الى الحلول^(٧) . ومن مبادئهم ان الله هو الموجود الحقيقي — لا وجود حقيقي سواه (افلاطونية) ، ولكن في الانسان نفساً عاقلة هي صورة معكوسة عن نفس الله ، وهي قادرة ان تقترب من الحقيقة الالهية . وبما انه لا وجود حقيقي لغير الله فعرفة الله لا تحصل بواسطة مادية (بالكسب او الدليل) ، بل بالهام روحي ، وان هذا الالهام يحصل في حالة التجرد عن الدنيا^(٨) . ومع انه لا وجود حقيقي لغير الله نجد هذا الوجود ممتزجاً بالغير الحقيقي . وهذا الامتزاج اساس العالم المادي (قابل ذلك بالمانوية) . فالشر نتيجة لازمة لامتزاج هذين الوجودين ، وغاية النفس الاتحاد بالله ،

(١) Arabic Thought 190 (٢) انهرست (ل) ٣٢٧-٣٣٨ (٣) ابن خلدون ٤١٣

(٤) الرسالة التشريعية ١٣٥ (٥) ابن خلكان ١-٢٠٦ وابن النديم ١٩٠

(٦) دائرة المعارف البريطانية تحت Sufism (٧) Nicholson, Lit. Hist. of Arabs 390

(٨) فلسفة ابن رشد ٤٤٤ ، ومقدمة ابن خلدون (التصوف)

وكل ما يساعد على بلوغ هذه الغاية فهو صالح ، وكل ما يحول دونها فهو شرير (وبهذا تتفق جميع الاديان والمذاهب) . وهذا الشوق الى الاتحاد بالحقيقة الالهية هو الحب الذي يتغنى به الصوفيون ، ويجعلونه اساس ايمانهم (راجع اشعار ابن الفارض اكبر شاعر متصوف عند العرب)

ومن اكابر المتصوفين في العرب محي الدين بن العربي المتوفى ٦٣٨ هـ . كان اولاً من اتباع ابن حزم المشهور . وفي تعاليمه يظهر مبدأ الحلول والوحدة تام الظهور فن اقواله في الله « فلذلك قال تعالى انا عند ظن عبدي بي - اي لا اظهر له الا في صورة معتقده فان شاء اطلق وان شاء قيد . قاله المعتقدات تأخذه الحدود وهو الاله الذي وسعه قلب عبده ، فان الاله المطلق لا يسعه شيء ، لانه عين الاشياء وعين نفسه . والشئ لا يقال فيه يسع نفسه ولا يسعها » اه (١)

ومن شراح ابن العربي عبد الرزاق المتوفى ٧٣٠ هـ ، وهو يقول بجرية الارادة لان النفس البشرية عنده فيض من روح الله ، فهي تشارك الله في القدرة على الاختيار وان العالم على احسن ما يمكن ان يكون ، وان الاشياء ستفنى اخيراً في وجود الله الكائن الحقيقي الوحيد . ويقسم البشر الى ثلاثة اصناف وهم

العالميون - اي محبو الذات الذين تدور حياتهم حول نفوسهم وهؤلاء لا يكثرثون للمدين والمبادئ الروحية

العقليون - وهم اهل الفكر الذين يرون الله بنور العقل في مظاهر الوجود

الروهبون - وهم الذين يرون الله بالكشف اي بالهام روحي يوافيهم من الحضرة الربانية

والخلاصة ان الصوفية بدأت مظهرأ من مظاهر الورع الديني ، ولكنها انتهت في غلاتها بتعاليم بعيدة عن تعاليم السنة . ومحور مذهبهم الكشف الرباني بالتجرد عن العالم

(١) خاتمة كتاب فصوص الحكم لابن العربي

والحب الالهي . وقد علق عليهم من تعاليم الهند والروم الوحدة والحلول والفناء في وجود الله ، على انهم تبادوا في مسألة الكشف والكرامات الى حد ان بعضهم صار يستعمل لذلك طرق الشعوذة والسحر والتدليس

من اراد التوسع في درس الحركة الفكرية في هذا العصر فليراجع

Lit. Hist. of Persia برون

Le Dogme et la Loi كولدزبير

Arabic Thought اوليري

Les Penseurs de l'Islam كارا دي فو

The Mystics of Islam نكلسون

الملل والنحل — ابن حزم

" " — الشهرستاني

الفرق بين الفرق — البغدادي

تقد العلم والعلماء — ابن الجوزي

المقدمة — ابن خلدون

دوائر المعارف المختلفة



القسم الثاني

الشعر في العصر العباسي

مزياه - امرأه (دراسات نخبينة و انتقادية) - المختار من دواوينهم

بحث تمهيدي

في

خصائص الشعر العباسي

إذا وازنت بين الشعر القديم والشعر المولد فلا شك أنك تجد في الأخير اثر التقدم ظاهراً للعيان ، على ان ذلك لم يبلغ به مبلغاً يخرجُه عن المناهج التي اختطها الاقدمون . خذ الوصف مثلاً فانك تجده عريقاً في الشعر يرجع الى ما قبل الاسلام . على انه بينما كان قديماً ينحصر في البداوة وما يشاكلها ، صار—بعد ان اتسع الافق العمراني لدى المسلمين، وبعد ان طامح بحر الرفه على بغداد وسواها من حواضر العصر العباسي — يتفنن في نعت اسباب الحضارة كالقصور والبرك والجنائن والولائم والحيوش والمراكب . ومثل ذلك تفتنه في الخمر وانواع الغزل والمديح ، وما الى ذلك من ضروب النظم . ولا ينكر ان المولدين فاتقوا الاقدمين في ذلك ، ولكنهم لم يبتدعوا اساليب جديدة او مواضيع جديدة تجرّز لنا ان نقول ان الشعر طرأ عليه في زمانهم تطور كبير .

والشعر نوعان رئيسيان وجدائي وموضوعي . فالوجداني يدور على نفس الشاعر — على تأثره من امرٍ ما ، واطهار ذلك التأثر بالكلام المنظوم . ومن ذلك مدحه لاميره ، او تغزله بفتاته ، او هجاؤه لعدوه ، او وصفه لما تقع على عينه ، او تحريضه على ما يشعر بصلاحه

اما الموضوعي فيدور على شيء خارج عن نفسه — على صفات يتخيلها او يراها فيما حوله من ظواهر الطبيعة او النظر في حياة الانسان ، وما الى ذلك من المواضيع الاخلاقية والادبية التي تمثل للجمهور ما يشعرون به في الحياة ، او تحملهم على اجنحة الخيال الى ما وراء المحسوسات ، فتستفز فيهم حب الجمال وتدفعهم في سبل الكمال

وانت اذا رجعت الى معظم دواوين الشعر في العصر العباسي ، ثم دقت في المقاييس الادبية التي وضعها علماء البلاغة ونقده الشعر امثال قدامة والاصفهاني والامدي والعسكري

والشعالي والجرجاني وابن الاثير واضرابهم ، رايت ان التجدد الشعري في العصر العباسي لم يتعد في الاغلب صناعة الشعر ، وانه منحصر في الوجداني منه . وهو يظهر لنا في ثلاثة مظاهر

(١) رقة العبارة (٢) التفنن في المعاني (٣) التوفيق على البديع اللفظي

وقد يضاف اليها التوسع في المصطلحات اللفظية

على انه من الانصاف ان نقول ان الشعر المولد يمثل لنا ايضاً تجدداً في الناحية الروحية من الشعر ، ناحية الزهد والورع والاصلاح : وتلك حركة خاصة ستتناولها في غير هذا المقام

رقة العبارة

وحكسنا من هذا القبيل اجمالي لا حصر فيه . فلا العهد القديم يتفرد بجشونة الاسلوب وضخامة الالفاظ ، ولا المولد بالنعومة والسلامة وعدوبة العبارة . ومن البين ان العبارة كثيراً ما تتوقف على الموضوع . فالشاعر القديم (بدوياً كان ام حضرياً) اذا تغزل او رثى او تأمل جاء بالرقيق الناعم ، كقول عروة يصف ما فعل به الوجد

جعلتُ لعرّاف اليمامة حكمه	وعرّاف نجد انهما شفياني
فقللاً نعم نشني من الداء كله	وقاما مع العوَاد بيتدران
فما تركا من رقية يعلمانها	ولا سلوة الا وقد سقياني
فما شفياء الداء الذي بي كله	ولا ذخرا نصحاً ولا الواني

وقول عمر بن ابي ربيعة من قصيدته المشهورة في فتاته نعم

وبتُ اناجي النفس اين خباؤها	وكيف لما آتني من الامر مصدرُ
فدلّ عليها القلب رياً عرفتها	لها وهوى النفس الذي كاد يظهرُ

وقول ابي ذؤيب في رثاء بنيه

والنفس راغبة اذا رَغبتُها	واذا 'تردُّ الى قليل تقنع
واذا المنية انشبت اظفارها	الفيت كل تميمة لا تنفع

الى ما يجري مجراه من الشعر العذب الذي لا يمكن حصره هنا . فاذا تعديت ذلك الى ما يختص بعبشة الاعراب ووصف منازلهم وادواتهم ، اصبح الشعر خشناً متوعراً ، كالذي

تجده في صفات الطاول والجلال والقسى واوابد القفر ، وما الى ذلك مما يعجُّ به الشعر القديم وكذلك الشعر المولد تجده في ادوار تختلف باختلاف مواضعه واحوال قائله . فنه الذي يسيل عذوبة ويبلغ الدرجة العليا من الاناقة ، وسيمر بنا كثير منه .
ومنه ما يمتُّ بنسب متين الى العهد القديم ، تقرأه فتجد فيه عنجوية البداوة وتوعرها كقول ابن دريد يصف حصانه

ومشرف الاقطار خاطٍ نخضه حايي القصيري جرشعُ عرد النسا
سامي التليل في دسيع مفعم رجب اللبان في امينات العجى
رگبن في حواشب مكنته الى نسور مثل ملفوظ النوى
ومنها في وصف حاله -

ما خلت ان الدهر يثبيني على ضراء لا يرضى بها ضب الكدى
ارمق العيش على برضٍ فان رمت ارتشافاً رمت صب المرتقى
في كل يوم منزل مستوبل يشف ماء مهجتي او مجتوى
وقول المعري في سقط الزند

لعل نواها ان تريع شطونها وان يتجلى عن شمس شطونها
اذا ما انخنا حرة فوق حرة بكى رحمة الوجناء فيها وجينها

ولمعري ولا سياً في شعر شبابه كثير من هذا الضرب
ومثله ابو تمام ، وستناول ذلك في دراسته وتحليل شاعريته ، واننا نكتفي هنا بآياته
التالية في وصف قتال حدث في الشتاء

ولعمر القنصا الشوارع قمري من تلّاع الضلّاء نجيعاً صيبيا
لقد انصعتَ والشتاء له وجهه يراه الرجال جهما قطوبا
سبّرات اذا الحروب ابيخت هاج صنبّها فكانت حروبا
فضربتَ الشتاء في أخدعيه ضربة عاودته قوداً ركوبا

وهذا ابو نواس وهو في طبيعة المولدين دياجة ورونقاً لا يخلو شعره احياناً من التزعة
الأعرابية كقوله -

إنّا اليك من الصليق فداسم طلع النجاد بنا وجيف الأينق
يتبعن مائة الملاط كلنما ترنو بعيني مقلت لم تفرق

وسترى ذلك في درس شعره

فنحن اذن في نعتنا الشعر المولد بالرقعة لا ننفي الحُسونة الاعرابية من بعضه ، ولا نحصر النعومة والسلاسة فيه . على اننا برغم ذلك نجد ان التطور الاجتماعي قد انشأ في العصر العباسي جواً حضرياً رائعاً ، ففضى على الفاظ وتعبير ، وانشأ عوضها ما هو اشد ملائمة لروح العصر . ومن ذلك ميل الادباء عن اسلوب النظم القديم . وهو كما وصفه ابن قتيبة « ان يبتدىء الناظم بذكر الديار والدمن والآثار فيشكو ويبكي ويحاطب الربع ويستوقف الرفيق ثم يصل ذلك بالنسب فيشكو شدة الشوق والم الوجد والفراق ثم يرحل ويشكو النصب والسهو وسري الليل وانضاء الراحلة الخ » .^(١) ومع ان هذا الميل الى التجدد لم يكن شاملاً ، فان له اثرأ بيناً في المباحث النقدية التي عني بها علماء الشعر في ذلك العصر . ويوضح لنا ذلك ما ذكره ابن رشيق يصف الحالة الشعرية في زمانه ، اي في القرن الخامس الهجري (وقد سبقه الى ذلك نقدة الشعر منذ القرن الثالث) — قال « وليس بالمحدث من الحاجة الى اوصاف الابل ونعوتها ، والقفار ومياها ، وحر الوحش والبقر والظلمات والوعول ، ما بالاعراب واهل البادية ، لرغبة الناس في الوقت عن تلك الصفات ، وعلمهم ان الشاعر انما يتكلفها تكلفاً ليجري على سنن الشعراء قديماً . . . الى ان يقول «والاولى بنا في هذا الوقت صفات الحمر والقيان وما شاكلهما وما كان مناسباً لها ، كالكووس والقناني والاباريق وتفأح التحيات وباقات الزهر ، الى ما لا بد منه من صفات الحدود والقودود . . . ثم صفات الرياض والبرك والقصور وما شاكل المولدين »^(٢) . وله في العمدة مقابلة جيدة بين طريقة القدماء وطريقة المولدين في « باب المسدا والخروج والنهاية » فلترجع هناك^(٣)

ومن دلائل التجدد اللفظي في العصر العباسي ظهور « النقد البياني » الذي جعل اساس البلاغة في الالفاظ السهولة والحلاوة والجزالة . وامثلة ذلك ما جاء لابي هلال العسكري في كتابه «الصناعتين » اذ قال — « فاذا كان الكلام قد جمع العذوبة والجزالة ، والسهولة والرصانة ، مع السلاسة والنضاعة ، واشتمل على الرونق والطلاوة ، وسلم من حيف التأليف ، وبعد عن سماجة التركيب ، وورد على الفهم الثاقب ، قبله ولم يردّه ، وعلى السمع المصيب استوعبه ولم يعجبه . والنفس تقبل اللطيف وتنبو عن الغليظ وتقلق من الجاسي البشع »

(١) الشعر والشعراء (م) ص ٧ (٢) العمدة ٢-٢٢٧ (٣) العمدة ١ ص ١٢٥-١٦١

والفهم يأنس من الكلام بالمعروف ويسكن الى المألوف» الى آخر كلامه^(١). ومثل ذلك قول الجرجاني « واما رجوع الاستحسان الى اللفظ فلا يكاد يعدو نمطاً واحداً وهو ان تكون اللفظة مما يتعارفه الناس في استعمالهم ويتداولونه في زمانهم ، ولا يكون وحشياً غريباً او عامياً سخيفاً»^(٢)

ولا ينكر ان « النقد البياني » لم يصبح فناً ذا قواعد مرعية الا في القرن الرابع الهجري وما بعده ، بيد ان الروح النقدية التي تمثل التطور الصناعي في الشعر قديمة ترجع الى اوائل العصر العباسي

المنهني في المعاني

ويعنون بالمعاني الشعرية ضروب التمثيل والتشبيه والاستعارة اما التمثيل فيراد به ان يعمد الشاعر الى حكمة عقلية ادركها الناس بالفطرة او عرفوها بالاختبار ، ويسبكها في قالب لفظي جميل ، كقول المتنبي

على قدر اهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام المكارم
وتعظم في عين الصغير صغارها وتصغر في عين العظيم العظام

والمثل في الشعر العربي كثير ، وقد تفننوا فيه في العصر العباسي فتركوا لنا من اقوالهم جواهر غالية . ويكثر ذلك في شعر ابي العتاهية واي تمام وابن الرومي والمتنبي والمعري واضرابهم وسنم بالكثير منها عند درسنا هؤلاء الشعراء ، وهو داخل عند الجرجاني في قسم المعاني المعقولة . . . ويقابله عند ذلك الامام القسم التخيلي وهو كما قال مفتن المذاهب كثير المسالك لا يكاد يحصر الا تقريباً ولا يحاط به تقسيماً وتبويباً ، ثم انه يجي طبقات وياتي على درجات فنه ما يجي . مصنوعاً قد تلطف فيه واستعين عليه بالرفق والحذق حتى اعطي شها من الحق وغشي رونقاً من الصدق^(٣) . . . الى ان يقول وجملة الحديث الذي اريد به بالتخييل ههنا ما يثبت فيه الشاعر امرأ هو غير ثابت اصلاً ويدعي دعوى لا طريق الى تحصيلها ويقول قولاً يندع فيه نفسه ويربها ما لا يرى^(٤) ومع انه يخرج الاستعارة من هذا الحد ترى معظم امثله تدور على ضروب من التشبيه والاستعارة والمجاز ولاين الاثير في المثل السائر بحث ضاف في توليد المعاني بسط فيه المراد بسطاً وافياً ،

(٢) اسرار البلاغة ٣

(١) كتاب الصناعتين ٤١

(٤) اسرار البلاغة ٢٢٣

(٣) راجع اسرار البلاغة ٢١٦

وخلصته^(١) : ان المعاني على ضربين ، ما ينتزع من شاهد الحال ، وما ينشأ من غير شاهد الحال ، واليك امثلة ذلك : فمن القسم الاول

بكروا واسروا في متون ضوامر قيدت لهم من مربط النجار
لا يبرحون ومن رآهم خالهم ابدأ على سفر من الاسفار
وهذا المعنى (اي تشبيه المصاويين بالفوارس الراكبين ولا يبرحون مكانهم)
استخلصه ابو تمام من رؤية بعض القائمين على الخليفة المعتصم مصاويين على اخشاب عالية
مثال ٢ -

وزائرتي كأنَّ بها حياءَ فليس ترور الآ في الظلام
بذلت لها المطارف والحشايا فعاقتها وباتت في عظامي
كأنَّ الصبح يطردها فتجري مدامعها باربعة سجام

شعر المتنبي بالحمى ، وشاهد كيف كانت تروره ليلاً وتدبُّ في جسمه وكيف كانت تهبط صباحاً ويبتل جسمه بالعرق من جراء ذلك ، فوصفها كزائرة ذات حياء لا ترور حبيها الآ ليلاً ، وتحيل الصبح يطردها فتطير لذلك مدامعها .

مثال ٣ -

ضربت لسيف الدولة خيمة عظيمة ، فهبت ريح شديدة فسقطت ، وكان المتنبي حاضراً فقال في ذلك

أيقده في الخيمة العُدلُ وتشمّل من دهرها يشملُ
الى ان يقول

رأت لونَ نورك في لونها كلون الغزالة لا يُغسلُ
وان لها شرفاً باذخاً وان الخيام بها تحجلُ
فلا تنكرون لها صرعة فمن فرح النفس ما يقتلُ

فانظر كيف جعل سقوطها مسيئاً عن شدة ما نالها من الفخار والزهر ثم ساق الكلام الى قوله

ولما امرت بتطنيبها أشيع بأنك لا ترحل
فما اعتمد الله تقويضها ولكن اشار بما تفعل

فجعل تقويض الله لها تكديماً لما اشيع عند تطنيبها من انك لا تنوي غزواً لعدو. وقد
اجاد المتنبّي في انتزاع هذا المعنى والباسه ثوب المجاز والخيال
ومن القسم الثاني (اي المعاني المتكررة من غير شاهد حال) . قول علي بن جبلة مادحاً
تكفل ساكن الدنيا حميدٌ فقد اضحت له الدنيا عيالاً
كأنّ اياه آدم كان اوصى اليه ان يعولهم فعالاً
اراد ان ينعت بمدوحه بالكرم العظيم الشامل ، فجعل العالم عياله وتخيّل ان آدم ابا البشر
اوصاه باعالتهم ففعل

وقول ابي تمام يمدح اميراً اقام على بابه حاجباً يمنع الناس
يا ايها الملك النائي برؤيته وجوده لمراعي جوده كسبُ
ليس الحجاب بقصّ عنك لي املاً ان السماء ترّجى حين تحتجبُ

وقوله في الحاسد والمحسود

واذا اراد الله نشر فضيلة طويت ، اتاح لها لسان حسود
لولا اشتعال النار فيما جاورت ما كان يعرف طيب عرف العود

ومثل ذلك في الحسن قول ابن الرومي

كل امرئ مدح امرءاً لنواله واطال فيه فقد اساء هجاء
لو لم يقدر كمّ بعد المستقي عند الورود لما اطال رشاه

ومن لطيف المعاني قول ابن بيتي الاندلسي

بابي غزلاً غازلته مقلتي بين العذيب وبين شطبي بارق
حتى اذا مالت به سنة الكرى زحزحته شيئاً وكان معانتي
ابعدته عن اضلع تشاقه كي لا ينسام علي وساد خافق

وامثلة ذلك كثيرة في الشعر المولّد . واذا تأملتها تجد اكثرها او كلها من قبيل التفنن
في المجاز والتشبيه ، ولعلّ للاخير النصيب الاوفر مما يدخل في باب المعاني . وقد خصه ابن
رشيق بالذكر اذ قال : « ان المعاني انا اتسعت لاتساع الناس في الدنيا وانتشار العرب بالاسلام

في اقطار الارض، فصرّوا الامصار وحضروا الحواضر وتأنقوا في الملابس والمطاعم، وعرفوا بالعيان عاقبة ما دلّتهم عليه بداهة العقول من فضل التشبيه وغيره . وانما خصصت التشبيه لانه اصعب انواع الشعر وابعدها متعاطي^(١) وقال في موضوع آخر يقابل المحدثين بالقدماء « واذا تأملت ذلك تبين لك ما في اشعار جرير والفرزدق واصحابهما من التوليدات والابداعات العجيبة ، تم اتى بشار بن برد واصحابه فزادوا معاني ما مرّت قط بخاطر جاهلي ولا مخضرم ولا اسلامي . والمعاني ابدأ تتردد وتتولد ، والكلام يفتح بعضه بعضاً »^(٢) . ولم يرد ابن رشيّق بالمعنى الشعري غير ما ذكرنا من التصرف في وجوه الصناعة المعنوية واهمّها عنده التشبيه . والذي يطالع دواوين كبار الشعراء في العصر العباسي ، ويقابلها بما نظم في العهد الاموي وما قبله ، يجد صحة ما ذهب اليه ابن رشيّق وسواه من تفوق المولدين في ذلك . ولا نظن الا ان هذه المعاني التخيلية اخذت تتضاءل بعد عصر الشعر الذهبي ، وقد ضعفت جداً بعد القرنين الثالث عشر والرابع للميلاد وبقيت كذلك الى اواخر القرن التاسع عشر ، ثم اخذت بالانتعاش على يد شعراء القرن العشرين

النوفر على البديع اللفظي

وما يقال عن رقة العبارة واختراع المعاني ، من حيث ان المولدين فاقوا بها الاقدمين ، يقال عن البديع اللفظي : فقد جعلوا الاخير فناً معروفاً وجروا فيه الى الغاية . وانواع البديع كثيرة وقد الفت فيها كتب تدارسها الطلاب في كل جيل واول من صنّف فيها عبدالله بن المعتز الشاعر المشهور (في القرن الثالث الهجري) فجعل منها بضعة عشر نوعاً ، ثم جعفر بن قدامة فجمع منها نحو عشرين ، وجاء العسكري في القرن الرابع فجعلها خمسة وثلاثين . ثم اخذ البيهقيون والبديعيون يتفننون فيها حتى بلغت ما يزيد على المئة والخمسين ، واصبح للبديع في اواخر القرن العباسي سيطرة كبيرة لا على الشعر فقط بل على النثر ايضاً ، كما يتضح من الرسائل الديوانية والادبية في القرنين السادس والسابع على ان المولدين لم يبتكروا البديع ابتكاراً بل توسّعوا فيه حتى بزّوا سواهم : قال العسكري في كتاب الصناعتين ردّاً على الذين يعزون فضل ابتكاره للمحدثين (اي ادباء العصر العباسي) « فهذه انواع البديع التي ادعى من لا روية ولا رواية عنده ان المحدثين

ابتكروها وان القدماء لم يعرفوها ، وذلك لما اراد ان يفخّم امر المحدثين ، لان هذا النوع اذا سلم من التكلف وبرئ من العيوب كان في غاية الحسن ونهاية الجودة ^(١) . والعسكري كما مر بنا من اهل القرن الرابع الهجري ، وكان الشائع في زمانه على ما يفهم من دفاعه ، ان ادباء العصر العباسي هم الذين ابتكروا انواع البديع فبنى ذلك وقال بوجودها في الشعر القديم . وذلك معلوم ، ولكنه لا يبنى ان هذا الفن الكلامي لم ينظّم ولم ينضج الا في العصر العباسي . ولا نعرف عصرأ بلغ فيه ولوع المنشئين والشعراء بالبديع اللفظي كذلك العصر : فنذ ايام مسلم واي قام الى ايام ابن الفارض وصفي الدين الحلبي تجدد ولع الناس بالبديع يزيد مع الاجيال . وبقي كذلك الى ايام ابن معنوق ثم الى مستهل النهضة الاخيرة ، لم يقض عليه غير ما اصاب الادب في اواخر القرن التاسع عشر للميلاد وفي القرن العشرين من التطور اللفظي والخيالي

ولا يتسع المقام لذكر كل انواع البديع اللفظي والتشليل عليها ، بيد انه لا بد من القول ان الطباق والجناس هما الركنان الاساسيان وعليهما يحوم اكثر الشعراء ، ويليهما رد العجز على الصدر ، والعكس ، والترصيع فسائر الانواع وقد تناول ابن رشيق امر المقابلة بين القدماء والمحدثين فقال « ان المحدثين اكثر ابتداءً لان الملك الاسلامي عظم في ايامهم » . واكثر النقاد يقولون ذلك ، ويعنون به ان اتساع الحضارة فتح للشعراء ابواباً جديدة للمعاني ، كواصف الحجر والنساء والغلمان والغناء ، وسائر اسباب اللهو والقصف ، وان ذلك انشأ في نفوس البعض شعوراً معاكساً مال بهم الى الزهد والتصوف وانكار المذات — وفي ذلك ما فيه

على اننا عند التحقيق نجد ان هذا التجدد في المعاني انحصر بالاكثري في مجاري البديع لم يتعدّها الى الفنون الخيالية العليا المبنية على معرفة اوسع في الكون والانسان ، وعلى نظرات ادق في الطبيعة وال عمران . ولم تكن الاشعار الروحية والادبية عموماً تأملات فلسفية في الحياة ، بل خطرات تأتي في سياق وعظ او انتقاد ، او لغير ذلك من المناسبات

الوسع في المصطلحات اللفظية

وهذا باب واسع يعسر الخوض فيه هنا ، وهو يباحث تاريخ اللغة وتطورها اولى .

على ان الناظر في تطور الشعر المولد لا يسهه الا ان يقف قليلاً عند هذه الظاهرة الادبية العامة ، وهي تمثل لنا امرين - (١) اختلاط العرب بالاعاجم (٢) الميل الى التحرر من بعض القيود اللغوية . اما الاول فقد مرّ معنا في الكلام عن تطور الحياة الاجتماعية ، فلا لزوم لاعادته . ويكفي هنا ان نقول ان هذا الاختلاط كان له اثره في الالفاظ الشعرية : قال الجرجاني في الوساطة ، ان المحدثين قد اتسعوا فيه حتى جاوزوا الحد لما احتاجوا الى الافهام وكانت تلك الالفاظ اغلب على اهل زمانهم واقرب من افهام من يقصدون وقد افرد ابو نواس حتى استعمل زغرده - ويازبنده - وباريكنده الخ .^(١)

ومن ذلك لابن الرومي شير وهي الاسد في الفارسية - زرياب اي ماء الذهب - الدوشاب وهو النبيذ الاسود - الكوش اي الاذن . وللمعري فرزان وفرازين وبياذق من اسماء الشطرنج - والزريج والاسطرلاب من ادوات الفلك - وبعض الفاظ عامية مثل آرا بمعنى نعم وامثالها .

وقد كان القدماء يستعملون الفاظ العجم عند الحاجة ولكنهم لم يبلغوا من ذلك ما بلغه المولدون^(٢) . وعن الجاحظ كان الشاعر يتملح بها على عادة بعض الشعراء في ذلك الزمان^(٣)

واما الخروج عن نصوص اللغة فما يلفت النظر وقد اشتهر بذلك بعضهم كالمتنبي وابن الرومي فمن كلام الاول قوله

ادلت له بدل ادلته من
 اخاطره في روجي = اراهنه
 فريض جمع فرائض
 يتفارسن اي كل يطلب اقتراس الآخر
 فرد رجل اي رجل واحدة
 الجذور والجلوب والتروك وما يشاكل هذه الصيغ
 العلم المبرح (وهو اول من وصف العلم بالتبريح)
 النطق اي اللسن

(٢) الوساطة ٣٤٧-٣٤٨

(١) الوساطة ٣٤٧ - ٣٤٨

(٣) البيان والتبيين ١-٦١

وعشرات مثلها تجدها في تضايف ديوانه^(١)

ومن امثلة الثاني

مفاتش - يزندقون - الاشربات - الأذهاب - ههيج - نهارك انهر - الايام
الاطاول - العلاجم - اللعاء جمع لاءب ، وكثير غيرها

وليست هذه الظاهرة شاملة ولكنها تكاد تكون عامة في العصر العباسي ، ولها اسباب لا تدخل في بحثنا الان . ويدخل فيها المصطلحات والمسئيات الجديدة التي نشأت بتقدم الحضارة . ولا شك ان هذا التجدد اللفظي بدأ في اللغة منذ اقدم عهودها وجرى منها مع الزمن ، حتى كانت النهضة العلمية الاجتماعية في العصر العباسي ، فظهر فيها بظهور كبير ، كما ظهر في نهضتنا العلمية الحديثة . ومع تخرج الشعر في المحافظة على الاوضاع اللغوية الصرفة لم يستطع التخلص من تأثير الاوضاع العربية ، كما تشهد بذلك النصوص الشعرية في كل زمان



(١) راجع ما انكره العلماء من شعره في كتاب الوساطة للجرجاني ٣٢٩ - ٣٦١

امراء الشعر المولد

ابو نواس - ابو العتاهية - ابو تمام - البحري - ابن الرومي - المتني - المعري - ابن الفارض

يختلف الباحثون في من المقدم من شعراء العصر العباسي . ولا سبيل الآن الى البحث في اختلافاتهم والنظر في اسبابها فلكل نظره الخاص ، ولكل اراء يدعمها بحجج مقبولة . على اننا قد اخترنا منها لدراساتنا التحليلية هؤلاء الثمانية ، وهم بلا جدال من الطبقة الاولى بين المولدين .

وقد كان معولنا في اختيارهم شهرتهم ، وانهم اعلم اثرأ من سواهم في تاريخ الشعر العباسي . ولا نقصد بذلك انه لا يوجد بين سائر الشعراء من يرتفع الى درجتهم او يفوقهم في بعض المناحي ، بل انهم يمثلون العصر العباسي افضل تمثيل ، وفي درسهم درس لذلك العصر وللروح الشعرية العامة فيه

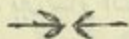
أبو نواس

أحسن بن هاني

ولد بين (١٤١ و ١٤٥) هـ - وتوفي بين (١٩٦ و ٢٠٠)

حوالي (٧٦٠ - ٨١٦) م

مصادر دراسته - بيئته - ميله الشعري - مقامه الادبي - شخصيته الشعرية



مصادر دراسة

- ١- ابن قتيبة توفي سنة ٢٧٦ هـ ٨٩٥ م الشعر والشعراء المطبعة العمومية مصر ١٨٩٨
ليدن ١٩٠٢
- ٢- الطبري توفي سنة ٣١٠ هـ ٩٢٢ م تاريخ الرسل والملوك ليدين ١٨٧٩-١٩٠١
- ٣- الاصفهاني توفي سنة ٣٥٦ هـ ٩٦٧ م الاغاني بولاق ج ١٨ ومتفرقات في ج ١٦ و١٦
- ٤- المجراني توفي ٣٦٦ هـ ٩٧٦ م الوساطة صيدا ١٣٣١
- ٥- المرزباني توفي سنة ٣٨٤ هـ ٩٩٤ م الموشح مصر ١٣٤٣ من ص ٢٦٢
- ٦- ابن النديم توفي سنة ٣٨٥ هـ ٩٩٥ م الفهرست ليبسك ص ١٦٠
- ٧- الخطيب البغدادي توفي سنة ٤٦٣ هـ ١٠٧١ م تأريخ بغداد مج ٧ من ص ٤٣٦
- ٨- الانباري توفي سنة ٥٧٧ هـ ١١٨١ م طبقات الادباء من ص ٩٦
- ٩- ابن خلكان توفي سنة ٦٨١ هـ ١٢٨١ م وفيات الاعيان (ميري) ج ١ ص ١٨٩-١٩٢
- ١٠- ابن منظور توفي سنة ٧١١ هـ ١٣١١ م اخبار ابي نواس
- ١١- النويري توفي سنة ٧٣٣ هـ ١٣٣٣ م نهاية الارب (دار الكتب المصرية ١٩٢٥)
٤ - ص ١١٩ - ١٢٣
- ١٢- طاش كوبري زاده توفي سنة ٩٦٨ هـ ١٥٦١ م مفتاح السعادة
- ١٣- البغدادي توفي سنة ١٠٩٣ هـ ١٦٨٢ م خزانة الادب (بولاق) ١-١٦٨

وفي مواضيع شتى من الكامل للمبرد ، والعمدة لابن رشيق ، والفخري لابن الطقطقي ،
وزهر الآداب للحصري ، ومختصر مقدمة الشعر لابن منقذ ، ومعاهد التنخيص للعباسي
(تجد زبدة الاخيرين في ذيل ديوان مسلم لغويجي Goezj)
وقد ترجم له مؤرخو الادب المتأخرون كالبستاني في دائرة المعارف ، وزيدان في تاريخ
آداب اللغة وسواها

ومن تناوله في دراسات نقدية الاساتذة - طه حسين في حديث الاربعا ، وعباس مصطفى
عمار في كتابه (ابو نواس حياته وشعره ١٩٢٩-١٩٣٠) وعمر فروخ في كتابه (ابو نواس)

يُسنة وعصره

ولد شاعرنا في خوزستان من بلاد العجم، وانتقل به والداه وهو طفل الى البصرة فنشأ فيها . ويظهر ان اياه مات وتركه صغيراً في كفالة امه ، فسلمته الى عطّار ليتعلم تلك المهنة . ولا نعرف شيئاً كثيراً عن عهده « العطّاري » ، فان التاريخ يتخطى ذلك سريعاً ويبرزه لنا في صحبة الشاعر والبة بن الحباب . ثم لا نلبث ان نزاه حوالى الثلاثين من عمره ، وقد استقرّ في بغداد ومدح الرشيد واتصل ببلاطه . ويقول ابن رشيّق انه كان نديم الامين طول خلافته .^(١) اما كتاب الفخري فينقل لنا انه كان من شعراء الفضل بن الربيع المنقطعين اليه .^(٢) وليس من تناقض بين القولين : فان الفضل كان حاجب الرشيد ومن رجال دولته والوزير المقرب في دولة الامين ، فقد يكون اتصل به اولاً ثم نادى الامين ومدحه . وتوفي في الفتنة قبل قدوم المأمون من خراسان

نشأ ابو نواس في العصر الذهبي للخلافة العباسية - عصر القوة والرخاء . وقد راينا في كلامنا عن تطور الحياة الاجتماعية كيف كانت بغداد في ذلك العصر ، من حيث غناها وعمرانها وبذخ المترفين فيها . ومن يطالع اخبار الامراء والوزراء ومن اليهم من ارباب الغنى ، وكيف كانوا يتمتعون باسباب الحضارة من عبيد وجوار وقصور ، ويسترسلون في سبل اللهو من شرب وغناء ورقص ، يعرف شيئاً عن الجو الذي وجد فيه شاعرنا والذي اثر في اخلاقه ايماً تأثير .

طبع ابو نواس على الظرف والمجون ، وواقفته الاقدار في صحبة ابن الحباب ، فاخذ عنه مذهبه في الشعر والحياة . وكان الشعر آتئذ في ايدي عصابة من اهل الاسراف والخلاعة ، نذكر منهم - مطيع بن اياس - حماد عجرد - مسلم بن الوليد - داود بن رزين - الواسطي - الحسين بن الضحّاك - الفضل الرقاشي - عمر الوراق - الحسين الحياط - علي بن الخليل - اسماعيل القراطيسي و امثالهم . وفي القراطيسي يقول الاصفهاني « كان مألفاً للشعراء فكان ابو نواس وابو العتاهية (طبعاً قبل تردهه) ومسلم وطبقتهم يجتمعون عنده ويقصفون ويدعو لهم القيان وغيرهن من الغلمان^(٣)

في عصابة كهذه العصابة وقع شاعرنا . وليس شعره لدى التحقيق الا مرآة لحياته واحوال معاصره . ولقد بلغ من التّادي في عبثه وتهتكه ان صار مثلاً في ذلك

(١) الممددة ج ١ ص ٢٢ (٢) الفخري ١٥٧ (٣) الاغانى ج ٢٠ ص ٨٨

روى الحضري « انه لما خلع المأمون اخاه الامين ووجه بطاهر بن الحسين لمحاربتة كان يعمل كتباً بعيوب اخيه تقرأ على المنابر بخراسان . فكان مما عابه به ان قال انه استخلص رجلاً شاعراً ماجناً كافراً يقال له الحسن بن هاني ، استخلصه لي شرب معه الخمر ويرتكب المآثم ويهتك المحارم » . ثم يقول . . . « ويقوم بين يديه رجل فينشد اشعار ابي نواس في المجون » .^(١) واننا لنظلم ابا نواس اذا حصرنا حياته وادبه في هذه الدائرة التي وضعته فيها كتب المأمون . فقد كان غير ذلك (كما سنذكر في كلامنا عن مقدرته اللغوية) ولكن المجون غلب عليه ، وفي سبيله صرف مواهبه
قال ابو عبدالله الجعازي يصف ابا نواس^(٢)

« كان اظرف الناس منطقاً ، واغزرم ادباً ، واقدرهم على الكلام ، واسرعهم جواباً ، واكثرهم حياءً » . وبعد ان يصف شكله ولونه يقول -

« وكان فصيح اللسان ، جيد البيان ، عذب الالفاظ ، حلو الشائل ، كثير النوادر ، واعلم الناس كيف تكلمت العرب ، راويةً للشعار ، علامةً بالاجبار ، كأن كلامه شعر موزون » .

كان الرجل واسع المعرفة - متصلاً بحياة عصره السياسية والفكرية ولكن انصرافه الى الخمر واسترساله في الموبقات حالاً دون ان يترك لنا اثرأ ادبياً كبيراً في غير سخائف الحياة

مبله في ادبه الى الشعوية

قد تعجب من هذا الزعم بعد ان عرفت انه كان يلازم الفضل بن الربيع والامين بن الرشيد ، وهما معقد العصية العربية في ذلك الوقت . ولكن لا عجب فابو نواس كما مر معنا من ام فارسية وقد ولد في بلاد فارس ، ونشأ لا تعرف له عصية واضحة في العرب . وهم ينسبونه الى قبيلة حكم اليمنية فيقولون الحكمي ، ولكن ابن منظور صاحب اخباره يقول : « كان ابو نواس دعياً يخلط في دعوته »^(٣) اي انه لم يكن ثابت الانتساب الى اصل من الاصول ، فهو تارة يدعي النسب الياني ، كقوله في حديث له مع الجعازي

(٢) زهر الآداب ١ - ٢٠٤

(١) زهر الآداب ج ٢ - ١١١

(٣) اخبار ابي نواس ١٦

فلما ان رأى زقي امامي تكلم غير مذعور اللسان
وقال امن تميم؟ قلت كلا ولكني من الحمي الجاني

وتارة يهجو اليمينية ، كقوله في هجاء هاشم بن حديج وهو كندي من صميم اليمن
يا هاشم بن حديج لو عددت ابا مثل القلمس لم يعلق بك الدنس

والقلمس احد رؤساء كنانة وهي من غير اليمن كما هو معروف . وفي هذه القصيدة
يعدد كرماء نزار الذين يفتخر بهم ، ويستغرب ذلك ممن له عصبية شديدة في اليمن . ونقل
ابن منظور « انه كان يتنزه ويدعي للفرزدق ، ثم انقلب على الترابية وادعى انه من حاء
وحكم فزجره يزيد بن منصور الحميري خال المهدي وقال له انت خوزي (اي من خوزستان)
فمالك وحاء وحكم ، فقال انا مولى لهم فتركوه . وقال بعضهم لبعض انه ظريف اللسان
غزير العلوم فدعوه ، وبهذا الولاء يتعصب لنا ويكايدها ويهجو الترابية ، فكان كما
قالوا . وكان يكنى اولاً بابي فراس فعدل عن ذلك واكتفى بابي نواس تشبهاً بكنية ذي
نواس ، كما كانت اليمن تكنى وقيل غير ذلك .^(١) ويذكر في محل آخر انه كان في دعاويه
يتأجن ويعبث ويخني اسمه واسم امه لئلا يهجي ، وذلك مشهور عنه . والمذكور من امره انه
كان مولى الحكميين يفتخر باليمن ويمدحهم لذلك ، ويمدح العجم ويذكرهم لانه منهم^(٢)

فما ذكر آنفاً نستدل ان ابا نواس كان من اصل وضيع وانه كان ينتسب الى الحكميين
بالولاء . والامر الراهن انه فارسي الضلع ياخذ اخذ الشعوبية في الاستخفاف بالحياة
العربية . ويزيدنا ثقة بذلك انه كان ياخذ العلم عن ابي عبيدة ويمدحه ويذم الاصمعي^(٣) .
والى ذلك يذهب ابن رشيقي اذ يقول « وكان شعوبي اللسان وما ادري ما وراء ذلك وان
في اللسان وكثرة ولوعه بالشيء . لشاهداً عدلاً لا ترد شهادته » .^(٤) ويروي له ابن عبد ربه
ابياتاً ويقول انه قالها على مذهب الشعوبية .^(٥) ونقل الطبري ان الرشيد حبسه لهجائه قريش^(٦) .
وانك لتلمس في شعره استهزاء بالعرب كقوله

(١) اخبار ابي نواس لابن منظور ١-٣٧ وخزانة الادب ١-١٦٨

(٢) " " " " " " ٤٧ . وقد عده الجاحظ (في كتاب الموالي) من الموالي راجع

العقد ٣٦٩-٣٢٦ (٣) مفتاح السعادة ١-٩٣ (٤) العمدة ج ١-١٥٥

(٥) راجع العقد ٢-٨٧ (٦) الطبري (ليدن) ج ٣-٩٥٩

عاج الشقي على رسم يسانله
يبكي على طلل الماضين من اسد
ومن تميم ومن قيس ولأفهما
سخرية اليمة تظهر فيها شعوبيته الشعرية . وهو يكثر من هجائه الاعراب والاعرابيات ،
ولا سيما اذا قابل حالهم بحضارة الفرس الغابرة كقوله

دع الرسم الذي دثرا
وكن رجلاً اضاع العلم
الم تر ما بنى كسرى
منازه بين دجلة
لارض باعد الرحمن
ولم يجعل مصايدها
ولكن حود غزلان
فذاك العيش لا سيد
اذا ما كنت بالاشياء
فانك أيتماً رجل
يقاسي الريح والمطرا
في اللذات والخطرا
وسابور لمن غبرا
والفرات اخضا الشجرا
عنها الطلح والعشرا (١)
يرايها ولا وحرا (٢)
تراعي بالملا بقرا
بقفرتها ولا وبرا (٣)
في الاعراب معتبرا
وردت فلم تجد صدرا

ويأخذ من هنا بزم اهل البادية رجالاً ونساء . وشعره يعج بما يدل على شغفه بتاريخ
الفرس وناقاة الحضرة ، ونفوره من الحياة البدوية التي كان يتغنى بها الاقدمون . ومن ذلك
ايضاً قوله

دع المعلى يبكي على طلله
وقل لكثوم (٤) المفضل بالشعر يطيل الاعراض عن جلله
واغد على اللهو غير متشد
اما ترى جدّة الزمان وما
وافى وجوه الزمان غادية
فاشرب على جدّة الزمان فقد
من قهوة تذكر السرور وتُنسي الهم عند اعتراض مشكله
وخل عوقاً يقول في جملة

(١) من اشجار الفرس (٢) الوحر من العطاء (كالجراذين وسام ابرص) (٣) السيد الذئب والوبر حيوان اصفر من السنور (٤) هو العنابي الشاعر المشهور

وقوله

لقدُ جنَّ من يبيكي على رسم منزل ويندب اطلالاً عفون بجرول
فان قيل ما يبكيك قال حمامة تنوحُ على فرخٍ باصواتٍ معل
تذكّرني حياً حلالاً بقفرةٍ وآخيةً سُجّت بفهر وجندل^(١)

ومما يشعر ببيله الى الفرس والمخرافه عن مذاهب العرب قوله من قصيدة
دع الاطلال تسفيها الجنوب وتبكي عهد جدتها الحطوب
وخلِّ لراكب الوجناء ارضاً تحثُّ بها النجبية والنجيب
ولا تأخذ عن الاعراب لهواً ولا عيشاً فعيثهم جديب
ثم يصف خشونة عيشتهم ويقابل ذلك بصفاة العيش في الحضارة والتمتع بالحجر ، الى ان
يقول

فهذا العيش لا عيش البوادي وهذا العيش لا اللبن الحليب
فاين البدو من ايوان كسرى واين من الميادين الزروب

كان النضال في عصره مستجراً بين المحافظين والمجددين - بين الذين يرون التمسك
بمقاييس الشعر القديمة ، وبين الذين يرومون استبدالها بمقاييس اخرى فوقف الى جانب هؤلاء .
على انه لم يفعل ذلك في كل شعره ، وسنرى انه تابع المحافظين حيناً وجرى معهم في بعض
سبلهم المعهودة

قلنا ان ابا نواس كان ياخذ في شعره اخذ الشعوبية . وعلى ذكر الشعوبية نقول انها
حركة قام بها في صدر الدولة العباسية جماعة من المنتمين الى اصل فارسي ، وغايتهم تعظيم
الفرس وحضارتهم ومقاومة ما كان قد نشأ في نفوس العرب (ولا سيما ايام الامويين) من
روح التفوق والاستئثار بالمجد . وقد قام من الفريقين جماعة يناضلون عن مذهبهم ويرمون
خصومهم باليم ساهمهم . نذكر من الفريق العربي ابن قتيبة والجاحظ ، ومن الفريق الشعوبي
ابا عبيدة وسهل بن هرون . ولقد كان لهذه الحركة السياسية الاجتماعية تأثير ملموس في
الادب ، وقد اشرنا الى تأثيرها على ابي نواس

(١) آخية اي عود دقيق يوضع بين حجارة الخائط لتشدّ اليه السداية والفهر الحجر وكذلك
الجنندل

مقامه الادبي واسلوبه الشعري

ذكرنا سابقاً انه كان واسع المعرفة متصلاً بجياة عصره الفكرية . وفي شعره ما يشعر باطلاعه على آراء الفلاسفة والمتكلمين . على ان اهم ما يذكر له هنا تبخره في العلوم اللغوية والاسلامية ، حتى قال الجاحظ « ما رأيت رجلاً اعلم باللغة من ابي نواس وافصح لهجة مع مجانبه الاستكراه »^(١) . وقال بعض الرواة « كان اقل ما في ابي نواس قول الشعر وكان خفلاً راويةً عالماً »^(٢) . وقال عن نفسه « ما قلت الشعر حتى رويت لستين امرأةً من العرب غير الحنساء ، فما ظنك بالرجال ؟ واني لأروي سبعة ارجوزة لا تعرف »^(٣) . ولقد تزول دهشتنا واستكارتنا ذلك اذا عرفنا ان اساتذته كانوا من مشاهير العلماء والمحدثين منهم ابو زيد الانصاري وابو عبيدة ابن المثني وعبد الواحد بن زياد وازهر السمان ويحيى القطان . ومنهم خلف الاحمر الذي لزمه مدة غير يسيرة^(٤) . ولم يكف بذلك بل قصد بادية بني اسد واخذ اللغة عن اعرابها^(٥) . وقد روى عنه جماعة من ادباء ذلك العصر وعلمائه

اما النظم فيشهد بعاهو كعبه فيه كبار اهل العربية . حدث الآمدي عن المبرد قال ما تعاطى الشعر احد من المحدثين احذق من ابي نواس . وحكى ابن الجراح عن ابن عكرمة عامر الضبي عن ابن السكيت ان ابا عمرو الشيباني قال : لولا ما اخذ فيه ابو نواس من الارفات لاحتججت بشعره لانه كان يحكم القول ولا يخلطه^(٦) . ولابن الاعرابي وابي عبيدة وابن خالويه شهادة كهذه الشهادة^(٧) . واذا علمت ان الرواة وعلماء اللغة لم يكونوا يحتجون بما بعد العصر الاموي علمت منزلة شاعرنا في نفوسهم .

وقد نقل عن العتابي قوله : والله لو ادرك هذا الخبيث الجاهلية لما فضلت عليه احداً .^(٨) ولكي تعرف شيئاً عن نفسية اللغويين في ذلك العصر ونظرهم الى المحدثين نقل لك عن الحصري القصة التالية^(٩)

كان ابو عبدالله محمد بن زياد الاعرابي يطعن على ابي نواس ويعيب شعره ويضعفه

(١) اخبار ابي نواس لابن منظور ٦ (٢) اخبار ابي نواس لابن منظور ٥٣

(٣) " " " " " " ٥٤ (٤) ابن منظور ٢٣ و ٢٧

(٥) ابن منظور ١٣ (٦) " " " " " " ص ٢ و ٥٨

(٧) راجع هذه الشهادات ايضاً لحمزة الاصفهاني في مقدمة ديوان ابي نواس (مصر)

(٨) ابن منظور ٥٧ (٩) زهر الآداب ١-٢١٨

ويستلينه . فجمعه مع بعض رواة شعر ابي نواس فجلس ، والشيخ لا يعرفه . فقال له صاحب ابي نواس اتعرف اعزك الله احسن من هذا ، وانشده شعراً . فقال لا والله . فلمن هو ؟ قال للذي يقول

رسم الكرى بين الجفون محيلُ عمى عليه بكأ عليك طويل
يا ناظراً ما اقلعت نظراته حتى تشحط بينهن قتييل

فطرب الشيخ وقال : ويحك لمن هذا ؟ فوالله ما سمعت اجود منه لتقديم ولا لمحدث ا فقال لا اخبرك او تكتبه ، فكتبه . فقال للذي يقول

ركب تساقوا على الاكوار بينهم كاس الكرى فانثى المسقى والساقى
ساروا فلم يقطعوا عقداً لراحلة حتى اناخوا اليكم قبل اشراق
من كل جانلة الطرفين ناجية مشتاقة حملت اوصال مشتاق

فقال لمن هذا ، وكتبه . فقال للذي تدمه وتعيب شعره ابي علي الحكمي . فقال الشيخ اكتبتم علي ، فوالله لا اعود لذلك ابداً وهذه القصة اذ صحت تدل على تعصب «الأعرابيين» (اي الميالين الى شعر الاعراب) على المحدثين كابي نواس واضرابه .

وكان اسحق بن ابرهيم الموصلي يتعصب على ابي نواس ويقول : هو يخطى . وكان اسحق في كل احواله ينصر الاوائل ، فكنت انشده جيد قول ابي نواس ، فلم يحفل به ، لما في نفسه . فانشدته

وخيمة ناطور برأس منيفة تهم يدا من رامها بزليل

فكان على امره . فقلت : والله لو كانت لبعض اعراب هذيل لجعلتها افضل شي . سمعته قط (١) .

والغريب ان ما اصاب ابا نواس من تعصب اسحق اصاب اسحق نفسه من تعصب اهل اللغة (٢) . وهذا التعصب تجده في كل عصر وفي كل جيل فن كل ما ذكر يؤخذ ان ابا نواس كان من كبار اهل اللغة ، وما منعهم من الاحتجاج لقوله الا ارفائه وانه من المحدثين . وقد وصف اسلوبه الفني بالسلاسة وبعده عن التكلف .

(٢) راجع حديثه مع الاصمعي في ابن عساکر ٢-٢٢٢

(١) الموشح ص ٢٦٣

قال محمد بن داود الجراح كان ابو نواس اجود الناس بديهةً وارْقَمَ حاشيةً ، لسناً بالشعر يقوله في كل حال ، والرديء من شعره ما حفظ عنه في سكره^(١) . ومثل ذلك قول ابن رشيق « لم يكن يؤثر التصنع ولا يراه فضيلة لما فيه من الكلفة وانما يجي بالشعر على سجيته^(٢) . وقد انحى ابن عبد ربه على المبرد باللائمة لسوء ما اختاره من شعر ابي نواس ، وقال قلما يأتي له بيت ضعيف لركة فطنته ، وسبوبة بنيته ، وعذوبة الفاظه . وكل اشعاره الحمريات بديعة لا نظير لها : ونقل ما ذكره الجاحظ في كتاب الموالى من ان ابا نواس اقدر الناس على الشعر واطبعم فيه :^(٣)

ومع ما في اقوال هؤلاء العلماء مما يهيننا في درس شاعرنا لا نستطيع ان نعتمد عليها كل الاعتماد ، لانهم كثيراً ما يكيون الكلام جزافاً ، وكثيراً ما يدفعهم الى القول نكسة في شعر او جمال رصف في عبارة . ولسنا نرى اراءهم - على صحة الكثير منها - مستندة الى دراسة نقدية يصح قبولها . فلا بد اذن من الرجوع الى ديوان الشاعر والتحقيق فيه . وقد ظهر لنا منه ان ابا نواس يقف في شعره موقفين متناقضين - موقف المقلد وموقف المجدد . ففي فئة من قصائده يسير على سنن القدماء ، حتى كأنه احدهم . وفي فئة اخرى يتزع الى التجدد ، فينكر الاساليب القديمة ، ويدمها ويحاول القضاء عليها . ولنتقدم الى تأييد ذلك بادلة من ديوانه

الموقف الاول

وفيه (كما ترى في اكثر شعره المدحي والرثائي) يتكلف الاسلوب الاعرابي ، فيقف في مدحه على الطاول ، ويركب النياق ، ويقطع الهواجل ، ويأتي بمتوعر الالفاظ ، مما يدل على سعة معرفته باوابد اللغة وانه متأثر من محفوظاته الواسعة . وربما كان موقفه هذا هو الذي حمل الشيباني وسواه من علماء اللغة على التنويه بمقدرته اللغوية واحلاله المحل الرفيع بين اربابها . قال من قصيدة يمدح الرشيد

يا جبذا سفوان من مترَّبَعٍ ولربما جمع الهوى سفوان
واذا مررت على الديار مسلماً فلغير دار اميمة المهجران

(١) عن حمزة الاصفهاني مقدمة الديوان (مصر ١٨٩٨)

(٢) العمدة ١-٢٠٠

(٣) راجع تفصيل ذلك في العقد ٣-٢٦٨ و ٢٦٩

أنا نسبنا والمناسب ظنة حتى رُميت بنا وانت حصان^(١)
 لما تزعتُ عن الغواية والصبأ وخذتُ بي الشدنية المذعان^(٢)
 سبطٌ مشافرها دقيق خطمها وكان سائر خلقها بنيان
 واحتازها لون جرى في جلدها يققُ كققراس الوليد هجان

ثم يصل على هذه الناقه الى المدوح ويعدد فضائله
 وله من قصيدة يمدح الامين

اقول والعيس تعروري الفلاة بنا صعر الاعنة من مثني ووحدان
 لذات لوثِ عفناة عذافة كأن تضبيرها تضبير بنيان^(٣)
 ياتاق لا تسألني او تبغني ملكاً تقبيل راحته والركن سيان

وقال يمدح العباس بن عبدالله بن ابي جعفر المنصور من قصيدة مطلعها - « ايها المنتاب
 من عُفْره »

ذا ومنعبرٌ مخارمه تحسر الابصار عن قُطره^(٤)
 لا ترى عين البصير به ما خلا الاجال من بقره
 خاض بي لحيه ذو جرز يُفعم الفضلين من ضفْره^(٥)
 يكتسي عشونه زبداً فنصيلاه الى نخره^(٦)
 ثم يعمُ الحجاج به كاءتام الفوف في عُشره^(٧)
 كل حاجاتي تناولها وهو لم تنقص قوى أشره
 ثم ادناني الى ملك يامن الجاني لدى حُجره

ومثل ذلك ارجوزته في الفضل بن الربيع واولها « وبلدة فيها زور »

(١) نسبنا اي تغزلنا في الشعر
 (٢) الشدنية المذعان اي الناقه السلسه الرأس
 (٣) ذات لوث اي ذات شدة عفناة شديدة كالاسد . تضبيرها اي اكتناز اللحم فيها
 (٤) يصف اتساع الصحراء ويريد بمنعبر المخارم اي قفر كالح الطرق تكمل الابصار دونه
 (٥) ذو جرز اي جل مكتنر اللحم شديد . الضفر جمع ضفار وهو حزام الرجل . العثون
 الذقن . النصيل . الخنك

(٧) الحجاج ما حول العين والفوف القشر . والعشر شجر ومعنى الايات : قطعت الى المدوح
 صحراء واسعة لا يسكنها غير البقر الوحشي وكنت ممتطياً جملًا لقي من المشاق والحر ما لقي وهو مع
 ذلك لم يزل في نشاطه حتى بلغت به الى ملك . . . الخ

وهي طويلة يصف ركوبه ورحيله الى المدوح في عدة ابيات . منها

عسقتها على خطر	وغور من الغر
ببازل حين فطر	يهزه جن الأشر ^(١)
لامتشك من سدر	ولا قريب من خور ^(٢)
كأنه بعد الضمر	وبعدما جال الضفر
وانسج في فخر ^(٣)	جأب رباغ المعفر ^(٤)

وكلها على هذا المنوال

فانت ترى في كل هذه القصائد محاكاة للشعراء الاعراب من وصف ناقة او فرس يركبها توصلاً الى اميره . وربما كان يقصد ذلك احياناً تعزيزاً لمركزه الادبي بين ابناء ذلك العصر . قال ابن رشيق بعد ان ذكر ان المولد كان يتكلف ذلك ليجري على سنن الاقدمين « وقد صنع ابن المعتز وابو نواس قبله ، ومرت معها في تلك الطرائق ما هو مشهور في اشعارهم^(٥) »

ويظهر ذلك في رثائه لاساتذه خلف الاحمر ، ولراويته ابي البيداء الرباحي . فمن مرثاته

للأول -

لا تتل العصم في المضاب ولا	شغواء تغدو فرخين في لجف ^(٦)
تحنو بجوشوشها على ضرم	كقعدة المنحني من الحرف ^(٧)
ولا شبوب باتت تورقه النثرة منها	بوابل قصف ^(٨)
غدا ، كوقف الهلوك ، ينهت الققطط	عن منبتيه والكتف ^(٩)

وفي مرثاته لابي البيداء يقول -

هل مخطى حنقه عفر بشاهقة
رعى باخياها شئاً وطباًقا^(١٠)

(١) البازل الجمل الذي طلع نابه . جن الاشر عنفوان البطر

(٢) السدر تحير النظر من شدة الحر . والخور الضعف (٣) اي جري فاعيا

(٤) حمار وحش فني

(٥) العمدة ٢-٢٢٧

(٦-٩) الشغواء العقاب . الجوشوش الصدر . الضرم فرخ العقاب . الشبوب الثور . النثرة اسم

لثلاثة كواكب . الققطط المطر . وقف الهلوك اي اسوار الغانية شبه به ملاسته

(١٠) عفر اي وعل . والشث والطبأت نباتان

او لقوة أم انهمين في لجف	شبهتها شفا خطم وأماقا ^(١)
او ذو شياه اغن الصوت ارقه	وبلسرى ماخض الودقين عيدا
او ذو نحائض اشباه اذا نسقت	مناسجاً وثنت ملطاً وأطباقا
شتون حتى اذا ما صفن ذكرها	من منهل موردأ فاشتقن واشتاقا
يؤم عينا بها زرقاء طامية	يرى عليها لجين الماء أطراقا ^(٢)
زار الحمام ابا البيداء محترماً	ولم يغادر له في الناس مطراقا ^(٣)

الى آخر هذه الابيات وهذا الكلام الاعرابي القح^(٤). تأمل ذكره في الرثاء للعفر ترعى الشث والطباق، والقوة أم الانهمين في لجف عال، والوبل الغيداق الماخض الودقين والشغواء تحنو بجوشوشها على ضرم، والشبوب (الثور) ينهت التلطق عن كفه، فتري ان شاعرنا الظريف خرج هنا عن «حضارته البغدادية» الى خشونة البداوة، ولم يكتف بمجراة الاولين في الفاظهم بل اخذ اخذهم في تشابيههم وصورهم الشعرية. ولا نرى تعليلاً منطقياً لذلك الا ان نقول ان ابا نواس، على ميله الى الاسلوب الحضري الجديد وعلى كرهه للاعراب وحياتهم، لم يتحرر حالاً من اسلوبهم إما لشدة ما علق في ذهنه من محفوظات الشعر القديم، او ليشب للرواة واللغويين مقدرته في اللغة. والذي يطالع ديوانه بتدقيق ويعارض ذلك باراء العلماء فيه يرى متانة النظم وحسن الصناعة في مدائمه ومراثيه، ولكنه لا يراه هناك ذا شخصية شعرية مستقلة - في هذا الموقف من شعره يظهر لنا الشاعر مقيداً بقيود الزمان خاضعاً لاحكام العادة سائراً في مجرى «التقليد» العام. وانما ابو نواس ابو نواس في موقفه الثاني

الموقف الثاني

وهو مجلى عواطفه الطبيعية ووجدانه الحقيقي. واكثر ما يكون ذلك في مجالس اللهو والسرور. وقد صدق اذ قال عن نفسه. «لا اكاد اقول شعراً جيداً حتى تكون نفسي طيبة واكون في بستان مؤنق وعلى حال ارتضيها من صلة او وصل او وعد بصلة. وقد قلت

(١) لقوة عقاب أم اخيمين ام فرخين. اللجف مرة الوادي. وما يلي وصف لبعض حيوانات الغفر

(٢) مركبا بعضه فوق بعض (٣) مطراق نظير

(٤) وفي العمدة ٢-١٢١ يعزو القصيدتين لابي ايوب

وانا على غير هذه الحال ابياتاً لا ارضاها^(١).

فالشاعر الذي يجيء بالوصف الشائق والظرف الساحر، فيجري الكلام من قلمه بلا
كلفة ولا تصنع، انما يتجلى لنا عند ما يجاري طبيعته، كما يتجلى ابو نواس في خمرياته
وملاهيته. هنا يترك التحذلق والتنطس ويرسل عواطفه عبارات رائقة كقوله

اترك الاطلال لا تعباً بها انها من كل بؤس دانيه
واشرب الخمر على تحريمها انما دنياك دار فانيه
من عقار من رآها قال لي صيدت الشمس لنا في باطيه

وقوله

وخمر انخت اليه رحلي اناخة قاطن والليل داج
فقلت له اسقني صهاً صرفاً اذا مزجت توّقد كالسراج
فقال فانّ عندي بنت عشر فقلت له مقالة من يناجي
اذقنيها لاعلم ذاك منها فابرز قهوة ذات ارتجاج
كان بنان ممسكها اشيمت خضاباً حين تلمع في الزجاج

فشاعرنا في هذا الموقف يخرج عن الطريقة القديمة طريقة الوقوف على الطول وقطع
المفاوز وتجوّث الأحوال توّصلاً الى مدح المقصود، وعلى ذلك قوله

صفة الطاول بلاغة التدم فاجعل صفاتك لابنة الكرم

ولما سجنه الخليفة على اشتهاره بالخمر واخذ عليه ان لا يذكرها في شعره قال —
أعر شعرك الاطلال والمزل القفرا فقد طالما ازرى به نعتك الخمرا
دعاني الى نعت الطاول مسأط تضيق ذراعي ان اردّ له امرا
فسمعا امير المؤمنين وطاعة وان كنت قد جسمتي مركباً وعرا
« فهو يجاهر بان وصفه الاطلال والقفرا انما هو من خشية الامام والآ فهو عنده فراغ
وجهل »^(٢)

ولم يكن ابو نواس على عاو كعبه في وصف الخمر ومجالسها نسيج وحده في ذلك .
فقد تقدمه في الجاهلية والاسلام من وصف الخمر واحوال شاربيها . نذكر منهم الاعشى .

(١) ابن منظور ٥٥

(٢) العدة ١-١٥٥

وعدي بن زيد ، ثم الاخطل والوليد بن يزيد . والذي يراجع اشعار الوليد يرى بينها وبين اشعار ابي نواس من اوجه الشبه ما يحملنا على الحكم بان شاعرنا تأثر بطريقة الوليد . بل قد ذهب ابو الفرج الاصفهاني الى ابعد من ذلك ، فقال « انه سُلخ معاني الوليد فجعلها في شعره وكرها في عدة مواضع »^(١) . ولتبيان ما نذهب اليه من تأثر ابي نواس بطريقة الوليد ننقل للاخير الايات التالية ، ونترك للقارىء مقابلتها بالشعر النواسي ، وهي على حد قول الاصفهاني تنبئ عن نفسها^(٢) — قال

اصدع شجيَّ الموم بالطَّربِ	وانعم على الدهر بابنة العنبِ
واستقبل العيش في غضارتهِ	لا تقفُ منه آثارُ مُعتقبِ
من قهوةٍ زانها تقادُمها	فهي عجوزٌ تعلو على الحقبِ
اشهى الى الشرب يوم جلوتها	من القفاة الكريمة النسبِ
فقد تجت ورق جوهرها	حتى تبدت في منظر عجبِ
فهي بغير الزجاج من شررِ	وهي لدى المزج سائل الذهبِ

وللوليد اشعار كثيرة في الحمر والغزل تتلصص فيها روح شاعرنا وطبقته من مولدي العصر
العباسي^(٢)

ومع انصراف ابي نواس للعبث النسائي والغلماني لا نجد له في ذلك من جمال الشعر ما يضارع شعره الحمري : فغزله ، على عذوبته احيانا وظرفه ، متخنت ضعيف . ولعله في الغزل الغلماني اصدق عاطفة منه في النسائي ، على انه في كايهما لا يجاؤ لنا غير الغرائز الحيوانية السفلى التي تنم عن تحرق شهواني يصل الى درجة الاسفاف احيانا . وشتان ما بينه في ذلك وبين كبار شعراء الغزل من عذريين وغير عذريين . ففي اشعار هؤلاء قد تجد ما يثير فيك عواطف النفس ، ويريك جمال الحب ، ويصور لك المرأة تصويراً يروقك او يستهويك . اما في غزل شاعرنا النواسي فلا ترى غير جوار متهتكات ، وغلمان فاسدين ، واوصاف تدل على ما بلغه بعض القوم يومئذ من الانحطاط الاجتماعي .

(٢٠١) الاغاني ٦-١٠٧

(٣) راجع الاغاني ٦ س ٩٨-١٣٦

اما خمرياته فبرغم ما يشوبها احياناً من سوء المحون - تدل على خفة روح عرف بها ابو نواس في عصره . وقد وصفه بعض معاصريه بقوله « بانه كان اضرف الناس منطلقاً . . . ملبح الكلمة حسن الاشارة فصيح اللسان عذب الالفاظ حاو الثمائل »^(١) . حتى قيل ولم يكن شاعر في عصره الا وهو يحسده لميل الناس اليه وشهوتهم معاشرته . ويقرن هذه الخفة الروحية بجمال فني يستهوي القارى . ، ويستثير فيه حاسة الطرب والاعجاب .

اتبعه الى حانة وانظر كيف يدخلها مع رفاقه خفية . (والحانات عادة في ضاحية مزوية واصحابها من اليهود والنصارى) . ها هو يلاطف صاحبها ، وقد تكون من اسمع النساء ، فيداعبها ويسترق منها قبلة او يربت على ظهرها ، وفي يده الدنانير يضعها امامها ، ويستخفيها الى تقديم افضل الخمر المعتقة . ثم انظر كيف يقودك معه الى قبو قديم تحت الحانة فيريك نسيج العنكبوت على الدنان ، ثم يريك الخمار وقد ضرب بالمبزل بعضها فخرجت الخمر صباء مشرقة تطرد الظلام

فجاء بها زيتية ذهبية فلم نستطع دون السجود لها صبرا

ولست اشك ان الشاعر يصف حوادث واقعية في غرآته الخمرية ، وان اكن اميل الى الاعتقاد انه احياناً يمتزج الحديث ابهاجاً لزملائه . وفي كلتا الحالين ترى شعر ابي نواس الحقيقي وترى تدفق شعوره الصريح . واليك تلخيص خمرية اخرى توضح ما نقصد اليه و ليلة مظلمة قصدت ورفاقاً لي الى بيت خمار ، فاخذنا نسير من زقاق الى زقاق حتى وصلنا اليه وقد هجع هو واهل بيته . قرعنا الباب فاستيقظ مذعوراً وتوجس شراً من ادلاجنا في مثل تلك الساعة ، فلم يشأ ان يجيبنا بل

تناوم خوفاً ان تكون سعاية وعاوده بعد الرقاد وجيب
ولما دعونا باسمه طار خوفه وايقن ان الرحل منه خصيب
وبادر نحو الباب سعياً ملتياً له طرب بالزائر عجيب

ثم فتحه هاشماً منحنيماً امامنا ، وهو يقول مرحباً بالكرام . وجاء بالمصباح فقلنا له اسرع لم يبق من الليل الا بقية قليلة . هات لنا خمر ك الطيبة

فابدى لنا صباء تمَّ شبابها لها مرح في كلسها ووثوب
فلما اجتلاها للندامى بدا لها نسيم عبيرٍ ساطع وهيب

ثم جاءت جارية بيدها مزهر فآخذت تغني لنا ونحن نشرب. وما زلنا على هذي الحال :
كاس تذهب وكاس تجي ، حتى غنت لنا « سرى البرق غريباً فحنَّ غريب » ففاضت مدامع
العشاق منا وامسينا ما بين مسرور بنشوة الخمر وبالك من شدة الهوى ، حتى لاح الصباح

وقد غابت الشعرى العبور واقبلت نجوم الثريا بالصباح تؤوب

ولنسمعه يقص علينا بلسانه الخاص حديث زيارة اخرى الى بعض هذه الخانات ، ويصف
لنا الخمار وامراته وميزانها الغشوم وخرها المعتقة ، وكيف حمل الخمر الى رفاق كانوا ينتظرونه
في بستان ، فاقاموا رداً من الزمن يمتعون النفس بين الرياحين بعيدين عن اعين الرقباء.
والحاسدين . قال -

اذا خطرت منك الموم فداوها بكأسك حتى لا تكون هموم

الى قوله

فشمرت اثوابي وهولت مسرعاً
الى بيت خمار افاد زحامه
وفي بيته زقٌ ودنٌ ودورق
ودهقانة ميزانها نصب عينها
فاعطيتها صفراً وقبّلت راسها
وقلت لها هزي الدنان قديمة
وقلبي من شوق يكاد يهيم
له ثروة والوجه منه بهيم
وباطية تروي الفتى وتنيم
وميزانها للمشتري غشوم
على اني فيما اتيت ملّم
فقلت نعم اني بذاك زعيم

وبعد ان تحضر له الخمر من قبو قديم عتقت فيه يقول

فرحت بها من زورق قد كتمتها
الى فتية نادمتهم فخدمتهم
فتمت نفسي والندامى بشربها
لعمرى لئن لم يغفر الله ذنبها
ومن اين للمسك الزكي كتوم
وما في ندامي ما علمت لئيم
فان عذابي في الحساب أليم

ولو سألت نفسك ما الذي يستخفك في حديث كهذا - حديث الخمر والعبث والمجون
لصعب عليك الجواب ، ولكنه في الحقيقة مستتر في تضاعيف الايات - هو هذه الخفة

الروحية في الشاعر — هذا الظرف الادبي الذي كان يجيبه الى الناس . ولو انه كان غير ذلك ، لو كان سمح الروح واللسان ، لاستنقلته ولاشتمأزت نفسك من استماع احاديثه

شخصيته في شعره

ليس لابي نواس في غير شعره الطبيعي (الغزلي والطردي والحمري) شخصية خاصة . وقد مرت بنا صورته في غزله ، وانه هناك يجلو لنا ضعف النفس والتزعزعات البيهيمية السافلة . اما طردياته فاراجيز تصف الكلاب والفهود وطيور الباز ، وما الى ذلك من اسباب الصيد والطرود . وهو فيها شاب مرح يتنعم بقوة الشباب وعشرة اهل الرخاء ، ويقرن ذلك بجمال في الوصف ورشاقة في التعبير . واليك مثالين من طردياته — قال

لما تجلّى الليل وبيض الافق وانجابت ستر الليل عن وجه الطرق^(١)
باكرني سهل المحيا والخلق ندب اذا استندبته شهم لبق^(٢)
يدعو الى الصيد الا — قلت انطلق باكلب غضف صحيجات الحدق^(٣)
من اصفر اللون ومبيض يقق كأنما اذناه من بعض الغرق
لو يلصق الخد باذن لالتصق

وقال ينعت كلباً اسمه خلّاب لسعته حية فهاث

يا بؤس كلبي سيد الكلاب قد كان اغشاني عن العقاب
وكان قد اجزى عن القصاب وعن شراني جلب الجلاب^(١)
يا عين جودي لي على « خلّاب » من للظباء العفر والذئاب ؟
خرجت والدنيا الى تباب به وكان عدتي وناني
اصفر قد خرج بالملاب كأنما يدهن بالزرياب^(٢)
فبينما نحن به في الغاب اذ برزت كالحة الانياب
رقشاء جرداء من الثياب لم ترع لي حقاً ولم تحايي
غفر وانصاعت بلا ارتياب كأنما تنفخ من جواب
لأبت ان أبت بلا عقاب حتى تذوقني اوجع العذاب

(١) اي بدا النهار على الطرق

(٢) باكرني صديق شهم الخ

(٣) الغضب المسترخية الاذان من الكلاب

(٤) جلب الجلاب اي العميد

(٥) الزرياب ماء الذهب . والملاب طيب يشبه الزعفران

وكل طردياته على هذا النمط ، يصف فيها ما كان يتسلى به اهل الرخاء من صيد الغزلان وسواها . وهي صور رشيقة للبيئة التي كان يعيش بها الشاعر

قلنا انه في غزل ابي نواس تتجلى لنا « بهيمته » ، وفي طردياته مرحة وترفه . على ان في شخصيته شيئاً اعمق من ذلك ننفذ اليه من خلال اقداحه ومجالس سكره . ففي شعره الحمري يقرون البهيمية والمرح بتشاؤم قائم يذهب باناقة الحياة ويجردّها من كل قيمة وجمال . وانك اذ دقت في تحليل شعره لتتعرّف به الى نفسيته الحقيقية تجده - على حبه للحياة - مستخفاً بها . فهو من طلاب اللذة السائحة ينصرف الى الملاهي ليخدر اعصابه فلا يرى الام الحياة ومتاعها قال :

غدوت الى اللذات منهتك الستر	وافضت بنات السرمني الى الجهر
وهان عليّ الناس فيما اريده	بما جئت فاستغنيت عن طلب العذر
رايت الليالي مرصداً لمديتي	فبادرت لذاتي بمبادرة الدهر

وقد نقل المرزباني القصة التالية عن الجمّاز قال -

كنت عند ابي نواس . قال (ابو نواس) اسمع ابياتاً حضرت ، قلت هات ، فانشدني	وملحة باللوم تحسب اني
بالجهل اوثر صحبة الشطار ^(١)	بكرت عليّ تلومني فاجبتها
اني لأعرف مذهب الابرار	فدعي الملام فقد اطعت غوايتي
وصرفت معرفتي الى الانكار	ورايت اتيابي اللذاذة والهوى
وتعجلاً من طيب هذي الدار	احرى واحزم من تنظر آجل
علمي به رجم من الاخبار	ما جاءنا احدٌ يخبر انه
في جنّة من مات او في نار	

فلما بلغ الى هذا البيت قلت له : يا هذا ان لك اعداء ، وهم ينتظرون مثل هذه السقطات : فاتق الله في نفسك ، ودع الافراط في الخجون ، واكسبها ، قال : لا والله لا اكسبها خوفاً ، وان قضي شيء كان . فسمي الخبز الى الفضل بن الربيع ، ثم الى الرشيد ، فما كان بعد هذا الا اسبوع حتى حُبس^(٢) .

(١) اهل الحبث والدماة .

(٢) الموشح ٢٧٨

ومن قوله -

أعاذلَ أقصري عن بعض لومي
تعيّرتني الذنوب وأيُّ حرٍ
فراجي توبتي عندي ينجيب
من الفتيان ليس له ذنوب
غرّبت بتوبتي ولججت فيها
فشقي الآن جيبك لا اتوب

هذي هي روح ابي نواس يرى الدهر واقفاً له بالمرصاد - يرى الموت نهاية كل شيء .
فيقول . لنفسه وما نفع الحياة وماذا نجد فيها غير الشقاء ؟ ويشعر بقوته وشبابه فيثب الى
غمار المسرات الزائلة وينحوض فيها وهو يقول

طربت الى الصنح والمزهر
والقيت عني ثياب الهدى
واقبلت اسحب ذيل المجون
وامشي الى القصف في مآثر
ولا يقف عند الاستخفاف بقيمة الحياة بل يقف باستخفاف بنواهي الادب والشريعة

كقوله

ولاح لحاني كي يجي . ببدعة
لحاني كي لا اشرب الخمر انسا
فما زادني اللاحون الا لاجابة
أرفضها والله لم يرفض اسمها
فنحن وان لم نسكن الخلد عاجلاً

وتلك لعمرى خطة لا اطيقها
تورث وزراً فادحاً من يذوقها
عليها لاني ما حيت رفيقها
وهذا امير المؤمنين صديقها
فما خلدنا في الدهر الا رحيقها

وقوله :

بكيت وما ابكي على دمن قفر
ولكن حديثاً جامنا عن نبينا
بتحريم شرب الخمر والنهي جاءنا
فاشربها صرفاً واعلم انني
وما لي من عشق فابكي على الهجر
فذاك الذي اجرى دموعي على النحر
فلما نهى عنها بكيت على الخمر
اعزّر فيها بالثمانين في ظهري

ولم يقلل هذه الاستخفاف فيه تقدمه نحو المشيب ، فثله لا يقف عن اعتبار او نظر في
العواقب بل عن ضعف او كلال . اسمه يذكر ايام الشباب ، وكانك تشعر باسفه ان الدهر
لم يبق له غير القوة على معاورة الخمر -

كان الشباب مطية الجهل ومحيّن الضحكات والمزل

كان الجمال اذا ارتديت به
ومشيت اخطر صيت النعل^(١)
كان المشفع في مآربه
عند الفتاة ومدرك التبل^(٢)
والباعثي والناس قد رقدوا
حتى ابنت خليفة البعل
والامري حتى اذا عزمتم
نفسى اعان يدي بالفعل
فالآن صرت الى مقاربة^(٣)
وحططت عن ظهر الصبارحلي^(٤)
والراح اهواها وان رزأت
بلغ المعاش وقللت فضلي
الى ان يقول
فاعذر اخاك فانه رجل
مرنت مسامعه على العذل

ولكن هل ادرك الشاعر ما يتوخاه من الدنيا ؟ نحن هنا امام مسالة عقلية لا يسعنا
الاعضاء عنها . والجواب عليها يتناول احد امرين
١ - ان الحيا اثن ما في ايدينا ، وان سعادتها قائمة على تفهم قيمتها الحقيقية والسعي
لادراكها

٢ - او ان الحياة مهزلة لا قيمة لها ، وما على العاقل الا ان يتناساها بالانغماس في
المذات الدنيوية

ولسنا الان في مقام يمكننا من تحليل هاتين النظريتين تحليلاً فلسفياً وافياً ، على انه
لا بد من القول ان الاولى منها نظرة جدية الى الحياة - نظرة الى جمالها الحقيقي وفرصها
الشمينة ، وان الثانية نظرة استخفاف اليها وانصراف الى سخائفها
في الاولى يحاول الانسان ان يسعى نحو مرمى عال قد لا يحصل عليه ، ولكن السعادة
كل السعادة في هذا السعي المتواصل ، وبعبارة اخرى في شعور الانسان بالتقدم نحو المثل
العليا . وفي الثانية يتملك الانسان خوار العزيمة فيقف فشلاً ويجاول ان يستر فشله بمخدرات
الحياة الباطلة . ومن افضل الامثلة على ذلك ما نراه في رباعيات عمر الخيام من ميل الشاعر
المفكر الى نسيان الوجود وآلامه بالخمير . ولعل الخيام تأثر بشعر ابي نواس ومذهبه ، وجرفه
تيار التشاؤم الى هذه الحالة السلبية . وانك لتجالس ابا نواس في مجالس لهو فتسمع قهقهته
ونكاتته ، ويطربك ظرفه وجمال حديثه ، وتعجبك خفة روحه بين اقتداحه وندمانه ،
ولكنك تستشف من وراء ذلك مرارة وتشاؤماً ، ربما كانا سبب عبثه بحقائق الحياة
(١) الضيت شديد الصوت (٢) التبل اي البثار (٣) المقاربة ترك الغلو وقصد السداد

واسترساله في اسباب الملاهي . ولا يظهر ذلك في آبان قوته وريعان شبابه ظهوره بعد ان اضعفه الدهر وحط عن ظهر الصبا رحله كما قال . ذلك الاستخفاف الذي عرف به وهو في نشاط العمر، تحول ايام الضعف الى اسف مؤلم ، لا عن تقوى ولكن عن شعور بالفشل . كان يشرب الخمر ويقول غير مبال

الراح شي عجيب انت شاربه
يا من يالوم على حمراء صافية
ثم حمدت فيه قوة الشباب وفارقته ايام
ضائعة ونفساً شائبة بالمعاصي فصاح أسفاً

واراني اموت عضواً فعضوا
نقصتني برها بي جزوا
وتذكرت طاعة الله نضوا
تقليتهن لعباً وهوا

دب في الفناء سفلاً وعلوا
ليس من ساعة مضت لي الا
ذهبت جدتي بطاعة نفسي
لهف نفسي على ليال وايام

قد اسأنا كل الاساءة فاللهم صفحاً عنا وغفراً وعفوا

قابل هذه الايات بما ذكرناه سالفاً وقابلها بقوله

لا تديران الكاس ما تجدي
وكخيفتيه رجاؤه عندي
في غفلة عن كنه ما تسدي
خوف العقاب شربتها وحدي

رداً علي الكاس انكما
خوفتاني الله ربكما
لا تعذلا في الراح انكما
ان كنتما لا تهربان معي

وقوله من قصيدة

وعض مراشف الظبي المليح
مسافة بين جثماني وروحي

ألم ترني ابحت الراح عرضي
واني عالم ان سوف تنأي

وانظر كيف تحول اشره الى ضعف واستخفافه الى شعور بالفشل . وقد ذهب بعضهم

انه كان يعترف ما يعترف اتكالا على الله ، ويستشهدون على ذلك بقوله

لا تحظر العفوان كنت امرأ حرجا
فان حطركه بالدين ازراء

وقوله

حتى اذا الشيب فاجاني بطلعته
عند الغواني اذا ابصرن طلعته

اقبح بطلعة شيب غير مبخوت
اذن بالصرم من ود وتشتيت

فقد ندمت على ما كان من خطل
ادعوك سبجانك اللهم فاعف كما
ومن اضاءة مكتوب المواقيت
غفوت يا ذا العلى عن صاحب الحوت

او قوله من قصيدة

بادر شبابك قبل الشيب والعار
الى قوله
وحشحت الكاس من بكر لابكار

فذاك قبل نزول الشيب عادتنا

الى آخر ما نراه من كلامه الزهدي . وليس ذلك بادل على التوبة وحب الترهه والتجدد
مما هو على الشعور بالضعف والخور والخوف

جاء في الاغانى عن محمد بن ابراهيم الصوفي قال :

دخلنا على ابي نواس نعوده في علة التي مات فيها ، فقال له علي بن صالح الهاشمي :
يا ابا علي انت في اول يوم من ايام الآخرة وآخر يوم من ايام الدنيا ، وبينك وبين الله هنات ،
قرب الى الله عز وجل . فبكى ساعة ثم قال ساندوني ساندوني . ثم قال اخوف بالله
عز وجل ، وقد حدثني حماد بن مسلم عن زيد الرقاشي عن انس بن مالك ، قال : قال
رسول الله (صلعم) لكل نبي شفاعة ، واني اختبأت شفاعتي لاهل الكباثر من امتي يوم
القيامة . افتراي لا اكون منهم ؟

هذا الشعور بفشل الاباطيل هو الذي كان يدفع شاعرنا في اواخر ايامه الى الندم
والتحسر . وقد صدق الجرجاني اذ قال « فلو كانت الديانة عاراً على الشعر ، وكان سوء
الاعتقاد سبباً لتأخر الشاعر ، لوجب ان يمحي اسم ابي نواس من الدواوين ويحذف ذكره اذا
عدت الطبقات (١)

على انه لا يجوز ان نحصر الحكم على فن الشاعر في منطقة الشرائع الروحية
والاجتماعية ، التي اتفق عليها المصلحون والمهذبون . فالشعر لا يتقيد بذلك ، وما جماله
قاناً فقط على ما فيه من عبر وارشاد ، بل على ما يتجلى فيه من شعور وحياة . الادب فن
تتجلى فيه خوالج النفس ، وعلى هذا التجلي تتوقف منزلة الشاعر الفنية
نعم ان ابا نواس لم يزهده لتجدد في طبيعته ، بل مات كما عاش . وقد ترك لنا شعراً يحفظ
لا لسوء عواطفه ، ولكن لحنة روحه ، وجمال صنعته ، ولتشيئه الخلاب لحياته وحياة بيئته .

المختار من شعر ابي نواس

١ - خرياته ومجالس لهوه

وداوي بالني

دع عنك لومي فان السوم اغراء وداوي بالني كانت هي الداء
صفراء لا تتزل الاحزان ساحتها لو ممتها حجر ممتة سراء

...

قامت بابريقها والليل معتكر
فارسلت من فم الابريق صافية
رقت عن الماء حتى ما يلائها
فلو مزجت بها نوراً لمازجها
دارت على قنية دار الزمان بهم
تلك ابكي ولا ابكي لمزلة
حاشي لدرة ان تُبنى الحيام لها
فقل لمن يدعي في العلم فلسفة
لا تحظر الغفوان كنت امرء احرجا
فلاح من وجهها في البيت لألاء^(١)
كأنما اخذها بالعين اغفاء
لطافة وجفا عن شكلها الماء
حتى تولد انوار واضواء
فما يصيهم الا بما شاءوا
كانت تحل بها هند واسماء^(٢)
وان تروح عليها الابل والشاء^(٣)
حفظت شيئاً وغابت عنك اشياء^(٤)
فان حطر كره في الدين ازرء

لها مرع في كاسها

دع الربيع ما للربيع فيك نصيب وما إن سبتني زينب وكعبوب

(١) قبل هذا البيت بيت محذوف به فتاة ساقية

(٢) اي انا ابكي عليها لا على الطلول البالية (٣) درة كناية عن الحبيبة

(٤) تعريض بالنظام احد رؤساء المعتزلة المتوفى ٢٣١ والمعتزلة تشدد النكير على مرتكبي

ولكن سبنتي البابية انها
 جفا الماء عنها في المزاج لانها
 اذا ذاقها من ذاقها حلقت به
 وليلة دجن قد سررت بفتية
 الى بيت خمّار ودون محله
 فنزّع من ادلاجنا بعد هجعة
 تناوم خوفاً ان تكون سعاية
 ولما دعونا باسمه طار ذعره
 وبادر نحو الباب سعياً ملتياً
 فاطلق عن ناييه وانكب ساجداً
 وقال ادخلو حيتيم من عصابة
 وجاء بصباح له فأناره
 قفلنا أرحنا هات ان كنت بائعاً
 فابدى لنا صباه تم شبانيا
 فلما اجتلاها للندامي بدا لها
 فخا بها تحدو بها ذات رمزهر
 فما زال يستقينا بكأس مجدة
 وغنى لنا صوتاً بحسن ترجع
 فمن كان منا عاشقاً فاض دمه
 فمن بين مسرور وباك من الهوى
 وقد غابت الشعري العبور واقبلت

لمثلي في طول الزمان سلوب
 تحيال لها بين العظام ديب
 فليس له عقل يعد اديب (١)
 تنازعها نحو المدام قلوب
 قصور منيفات لنا ودروب (٢)
 وليس سوى ذي الكبرياء رقيب (٣)
 وعاوده بعد الرقاد وجيب
 وايقن ان الرحل منه خصيب
 له طرب باثاثرين عجيب
 لنا وهو فيما قد يظن مصيب
 فمزلكم سهل لدي رحيب
 وكل الذي يعني لديه قريب
 فان الدجى عن ملكه سيغيب
 لها مرح في كأسها ووثوب
 نسيم عبير ساطع ولهب (٤)
 يتوق اليها الناظرون ربيب (٥)
 تولى واخرى بعد ذلك تزوب
 « سرى البرق غريباً فحن غريب »
 وعاوده بعد السرور نجيب
 وقد لاح من ثوب الظلام غيوب
 نجوم الثريا بالصباح تثوب

ومسبك ضوها مصباحا

ذكر الصبح بسحرة فارتاحا وأمله ديك الصباح صياحا

(١) اديب نعت عقل اي ليس له عقل اديب يعد في العقول

(٢) ذو الكبرياء اي الله ذو

(٣) كانت الحانات عادة في محلات بعيدة عن اعين الناس

(٤) اي مغبة تحمل عوداً . والريب المطيبة او المنعمة

الكبر . والادلاج السبر ليلاً

اوفى على شرف الجدار بسدفة
 بادر صباحك بالصبح ولا تكن
 ان الصبح جلاء كل مخمر
 وخذين لذات معلى صاحب
 نهبته والليل ملتبس به
 قال ابغني المصباح قلت له اتند
 فسكبت منها في الزجاج شربة
 من قهوة (٢) جاءتك قبل مزاجها
 صباء تفتس النفوس فما ترى
 شك البزال (٣) فوادها فكأنما
 عمرت يكاتمك الزمان حديثها
 فاشاع من اسرارها مستودعاً
 فأتتك في صور تداخلها البلا
 فكأنها والكأس ساطعة بها

غرداً يصنق بالجناح جناحاً (١)
 كسوفين غدوا عليك شحاحا
 بدرت يديه بكأسه الاصباحا
 يقتات منه فكاهة ومزاحا
 وازحت عنه نقابه فاتراحا
 حسي وحسبك ضوؤها مصباحا
 كانت له حتى الصباح صباحا
 عطلاً فالبسها المزاج وشاحا
 منها بهن سوى الشبات جراحا
 اهدت اليك بريجها تفأحا
 حتى اذا بلغ السامة باحا
 لولا الملامة لم يكن ليباحا
 فازاهن واثبت الاشباحا
 صبح تقارب امره فانصاحا

روحان في جسد

ما زلت استل روح الدن في لطفه
 حتى انثيت ولي روحان في جسد
 واستتي دمه من جوف مجروح
 والدن منطرح جماً بلا روح

لا جف رمع الذي يكي على هجر

عاج الشقي على رسم يسائه
 يكي على طلل الماضين من اسد
 ومن تميم ومن قيس ولقهما؟
 وعجت اسأل عن خمارة البلد (٤)
 لا در درك قل لي من بنو اسد
 ليس الاغارب عند الله من احد

(١) سدفة اي قبيل الفجر
 (٢) القهوة من اسماء الخمر
 (٣) حديدية يفتح جا الدن
 (٤) يريد بالشقي هنا الشاعر الذي يكي على الطول

لا جفَّ دمع الذي يبكي على حجرٍ
 كم بين ناعت خمرٍ في دسآكرها
 دع ذا عدمتك واشربها معتقاً
 من كفٍ مضطمر الزنار معتدل
 أما رأيت وجوه الارض قد نضرت
 حاك الريع بها وشياً وجللها
 واستوتف الخمرُ احوالاً مجرّمةً
 فاشرب وجد بالذي تحوي يداك لها
 يا عاذلي قد اتني منك بادرةً
 لو كان لومك نصحاً كنت اقبله

تفتّر عن درّ

خفيت عليك محاسن الخمر
 فصرفت وجهك عن معتقة
 يسعى بها ذو غنة غنج
 ونسيت قولك حين كسرها
 « لا تحسبن عقار خايبة
 ام غيرتك نوايب الدهر
 تفتّر عن درّ وعن شذر^(٢)
 متكحل الأخطات بالسحر
 فتزول مثل كواكب النسر^(٤)
 والهملّ يبتعان في صدر »

افئنا برها

ودار ندامى عطّلوها وادخلوا
 مساحب من جر الزقاق على الثرى
 ولم ار منهم غير ما شهدت به

(١) ما اعظم الفرق بين من يصف الخمر ومواطنها وبين من يبكي على الاثار والنوحي الخفرة حول الحية والمنتضد المنام او ما نضد من متاع الحية
 (٢) ثرة الاسد اسم لثلاثة كواكب يريد بذلك ان مطرها البس الارض بسطاً من الازهار
 (٣) الشذر قطع الذهب (٤) كوكب النسر اسم نجم . اي فتنيب في النغم غياب ضوء النجم
 وراء الافق (٥) ساباط مكان بالمداين وهذه الايات قيلت في مجلس لحو هناك (زهر الاداب
 للحصري ١٧٥-٣)

حبستُ بها صبحي فجددتُ عهدهم
 اقننا بها يوماً ويومين بعده
 تدار علينا الراح في عسجدية
 قرارتها كسرى وفي جنباتها
 فللخمر ما زرتُ عليه جيوبها
 واتي على امثال تلك لحابس
 ويوماً له يومُ الترحل خامس
 حبتها بانواع التصاوير فارس^(١)
 مهى تدربها بالقسي الفوارس
 وللماء ما دارت عليه القلائس

اجدت ابا عمرو فجود لنا الحمرا

وفتيان صدق قد صرفت مطيهم
 فلما حكى الزنار ان ليس مسلماً
 فقلنا على دين المسيح بن مريم؟
 ولكن يهوديٌ يحبك ظاهراً
 فقلت له ما الاسم قال سمؤال^(٢)
 وما شرفنتي كنية عربية
 ولكنها خفت وقل حروفها
 فقلنا له عجباً بظرف لسانه
 فادبر كالمزور يقم طرفه
 وقال لعبري لو تولم بغيرنا
 خفاً بها زيتية ذهبية
 خرجنا على ان المقام ثلاثة
 عصابةً سوء لا ترى الدهر مثلهم
 اذا ما دنا وقت الصلاة رأيتهم
 الى بيت خمار نزلنا به ظهراً
 ظننا به خيراً فظن بناشراً
 فاعرض مزوراً وقال لنا هجراً
 ويضم في المكنون منه لك الغدرا
 ولكنني اكنى بعمرو ولا عمرا^(٣)
 ولا اكسبتني لا ثناء ولا فخراً
 وليس كاخرى انا جعلت وقرا^(٤)
 اجدت ابا عمرو فجود لنا الحمرا
 لارجلنا شطراً واوجهنا شطرا
 للمنام لكن سنوسعكم عذرا
 فلم نستطع دون السجود لها صبرا
 فطابت لنا حتى اقننا بها شهرا
 وان كنت منهم لا بريئاً ولا صفرا
 يحنونها حتى تفوتهم سكرها

رضبت من الدنيا بطس وسادن

غدوت على اللذات منتهك الستر
 وافضت بنات السر مني الى الجهر

(١) عسجدية اي كاس ذهبية (٢) اي ادعى ابا عمرو وليس لي ولد بهذا الاسم

(٣) وليست كالكنية الاخرى الثقيلة

وهان عليّ الناس فيما اريده
رايت الليالي مُرصداتٍ لمدّتي
رضيت من الدنيا بكأس وشادن
مُدام ربت في حجر نوح يديرها
صحيحٌ مريضُ الجفنِ مُدنٍ مباعدا
كأنّ ضياء الشمس نيط بوجهه
اذا ما بدت ازرار جيب قميصه
فاحسن من ركض الى حومة الوغى
فلا خير في قوم تدور عليهم
تحيّاتهم في كل يوم وليلة

بما جئت فاستغنيت عن طلب العذر
فبادرت لذاتي بمبادرة الدهر
تحيةً في تفصيله فطن الفكر
عليّ ثقيل الردف مطمر الخصر
يمت ويحيي بالوصال وبالهجر
وبدر الدجى بين الترائب والنحر
تطلّع منه صورة القمر البدر
واحسن عندي من خروج الى النحر^(١)
كؤوس المنايا بالمشقة السمر
طبي المشرفيات المزيرة للقدر

واهندي ساري الظلام بها

يا شقيق النفس من حكم-
فاسقتني البكر التي اختمرت
نُتت انصات الشباب لها
فهي لليوم التي بزلت
عُتقت حتى لو اتصلت
لاحتبت في القوم مائلة
فرعتها بالمزاج يد
في ندامى سادة زهر

نمت عن ليلى ولم أتم^(٢)
بجوار الشيب في الرحم^(٣)
بعد ما جازت مدى الهرم
وهي ترّب الدهر في القدم
بلسان ناطق وغم
ثم قصت قصة الامم^(٤)
خُلقت للسيف والقلم
اخذوا اللذات من أمم^(٥)

(١) ذاك عندي افضل من جهاد الحرب وافضل من ان اخرج الى نحر الذبائح

(٢) حكم اسم القبيلة التي كان ينتمي اليها

(٣) لهذا البيت عدة تناسير منها: ان نحر الشيب نسيج العنكبوت الذي حول الدن. وقد كنى عن الدن بالرحم . ومنها ان الشيب اشارة الى ما يطو الكرم من الورب الابيض والكرمة رحم الحمر على

المجاز (٤) اي جلست القرفصاء واخذت تقص عليهم اخبار الاقدمين

(٥) من امم اي من اقرب الطرق

فتمتت في مفاصلهم كتمتني البرء في السقم
 فعلت في البيت اذ مزجت مثل فعل الصبح في الظلم
 واهتدى ساري الظلام بها كاهتداء السفر بالعلم (١)

فهذا شقاء مرّ بي ونعيم

اذا خطرت منك الموم فداوها
 أدرها وخذها قهوةً بابليةً
 ولا عرفت ناراً ولا قدّر طابخ
 لها من ذكيّ المسك ريح زكيةً
 فشمّرت اثوابي وهولت مسرعاً
 الى بيت سخّار افاد زحامة (١)
 وفي بيته زقٌ ودنٌ ودورق
 فازقاه سود وحرٌّ دنانه
 ودهقانه ميزانها نصب عينها
 فاعطيتها صفراً وقبّلت راسها
 وقلت لها هزبي الدنان قديمةً
 الست تراها قد تعتت رسومها
 يحوم عليها العنكبوت بنسجها
 ذخيرةً دهقان حواها لنفسه
 فقلت بكم رطلٌ فقلت باصفر
 فرحت بها من زورق قد كتمتها
 الى فتية نادمتهم فحمدتهم
 فتمتت نفسي والتدامي بشربها
 لعمرى لئن لم يغفر الله ذنبا

(١) كما يتهدى المسافرون باعلام الطريق

(٢) افاده اي ارجعه مالا
 (٣) دهقانه اي سيدة قروية وهي البانعة هنا
 وانما كانت محنوظة لدهقان في دنان نسج عليها العنكبوت نسجها فاصبحت لا يميز احداهما من الآخر

فسلها بالراح والريحان

وادفع همومك بالشراب القاني	لا تحشعن لطارق الحدنان
حلل الثرى ببدايع الریحان	اوما ترى ايدي السجائب رقت
وبنفسج وشقائق النعمان	من سوسن غصن القطف واخزم
مثل الشموس طلعت من اغصان	وجني ورد يستبيك بحسنه
وملوتاً ببدايع الالوان	حمرأ وبيضاً يمتنين واصفراً
اوساطهن فرائد العقيان	كعقود ياقوت نظمن ولؤلؤ
سحطاً يلوح بجانب البستان	ومن الزبرجد حولهن ممثلاً
بالراح والريحان والندمان	فاذا هموم تعاورتك فسلها

دبني لنفسي ودين الناس للناس

ما مرّ مثل الهوى شيء على راسي	اني عشقت وما بالعشق من باس
ديني لنفسي ودين الناس للناس	مالي وللناس لم يلحوني سفهاً
كان اوجههم تطلى بانقاس ^(١)	ما للعادة اذا ما زرت مالكتي
الا مخافة اعدائي وحرّاسي	الله يعلم ما تركي زيارتكم
سعيّاً على الوجه او مشياً على الراس	ولو قدرت على الاتيان جتكم
لا يرحم الله الا راحم الناس	وقد قرأت كتاباً من صحائفكم

نشقى ويلند خيالانا

عاد لنا الوصل كما كانا	اذا التقي في النوم طيفانا
ويلتذ خيالانا	يا قرّة العين فما بالنا
اتمت احسانك يقظانا	لو شئت اذ احسنت لي نائمًا
فاصبغا غضبي وغضبانا	يا عاشقين التقيا في الكرى
وانما تصدق احياننا	لذلك الاحلام غرارة

(١) انقاس جمع تنس وهو الخبر الاسود

ومن اقواله في جنان

غضبت لمحو في الكتاب كثير
كتب الكتاب على خلاف ضميره
لا والذي ان شاء صيرنا معا
ما كان ذلك لما أتى من قولها
كتبت يميني والدموع سواكب
فالمحو من قبل الدموع وانما

وقال —

اين الجواب واين ردُّ رسائلي
فمدت كفي ثم قلت تصدقوا
ان كنت مسكيناً فجاوز بابنا
يا ناهر المسكين عند سؤاله

قالت ستنتظر ردّها من قابل
قالت نعم بججارة وحنادل
وارجع فالك عندنا من نائل
الله عاتب في انتهار السائل

مدائح واوصافه

وهو لا يخرج في معظمها عن مذاهب الشعراء المتقدمين

قال بمدح الامير

يا دار ما فعلت بك الايام؟
عزم الزمان على الذين عهدتهم
ايام لا اغشى لاهلك مثلاً
ولقد نهزت مع الغواة بدلومهم
وبلغت ما بلغ امره بشبابه
ضامتك والايام ليس تضام
بك قاطنين ، وللزمان عرام
الا مراقبة عليّ ظلام
واسمحتُ سرح اللهو حيث اساموا^(١)
فاذا عصارة كل ذلك إثم

(١) خبز بالدلو اي ضرب جابالماء لتستلوه . ومعنى البيت انه شارك الغواة في فوهم وماشاهم في ضلالم

وإذا المطيُّ بنا بلغن محمداً
 قرَّبنا من خير من وطىء الثرى
 رُفِعَ الحجاب لنا فلاح لناظر
 ملك إذا عقلت يدك بجبله
 ملك اغرُّ إذا شربت بوجهه
 فالهبو^(١) مشتمل بيدر خلافة
 ان الذي يُرضي الاله بهديه
 ملك إذا اعتسر الامور مضى به
 فسلمت للامر الذي ترجى له
 فظهورهن على الرجال حرام
 فلها علينا حرمة وذمام
 قمر تقطع دونه الاوهام
 لا يعتريك البؤس والاعدام
 لم يَعدك التبجيل والاعظام
 لبس الشباب بنوره الاسلام
 ملك تردى الملك وهو غلام
 راي يفلُ السيف وهو حسام
 وتقاعست عن يومك الايام

وقال بمصرح الفضل بن الربيع

وعظمتك واعظة القتير
 ورددت ما كنت استعير
 فالآن صرت الى النهي
 هذا وبجر تنائف
 للجن فيه حاضر
 قاربت من مبسوطه
 لأزور صفو الله في ال
 يا فضل جاوزت المدى
 أنت المعظم والمكبر في العيون وفي الصدور
 ونبتك أبهة الكبير^(٢)
 ت من الشباب الى المعير
 وبلوت عاقبة السرور^(٣)
 وعر الاجازة والعبور^(٤)
 جم المجالس والسمير^(٥)
 بالعنتريس العيسجور^(٦)
 دنيا من الكرم الخطير^(٧)
 تجلت عن شبه النظير
 أنت المعظم والمكبر في العيون وفي الصدور

(١) البهو البيت المقدم امام البيوت ويراد به هنا قصر الخلافة

(٢) القتير الشيب او اوله والاجمة العظمة والبهجة والكبر والنخوة قال بعضهم وغلط ابو

نواس في وصف الكبير بالاجمة وقيل اجمة الكبير وقاره وهينه اه

(٣) النهي العقل وقد يكون جمع نحية بمعنى العقل . وبلوت اخترت

(٤) التنائف جمع تنوفة وهي المنازة (٥) الحاضر من معانيه الحي العظم . والسمير المسامر

ولا يكون الا بالليل (٦) العنتريس الناقة الغليظة الوثيقة والميسجور الناقة السريعة

(٧) من الكرم متعلق بصفو . والخطير الرفيع

فاذا العقول تفاظنتك عرضن في كرم ورخير^(١)
 واذا العيون تأملتك صدرن عن طرف حدير
 ما زلت في عقل الكبيسر وأنت في سن الصغير
 حتى تعصرت الشيبه واكتسبت من القدير^(٢)
 عفّ المداخل والمخارج والفرزة والضمير
 والله خصّ بك الخليفة فاصطفاك على بصير
 فاذا ألث بك الامور ر كفيته فجم الامور^(٣)
 من قاس غيركم بكم قاس الثاد على البحور^(٤)
 اين القليل بنو القليل من الكثير بني الكثير
 قوم كفوا ابنا مكة نازل الخطب الكبير
 فتداركوا جزر الخلافة وهي شاسعة النصير^(٥)
 لولا مقامهم بها هوت الرواسي من ثبير

ومن لطائف قوله يصف بعض سفن الامين

سخر الله للامين مطايا لم تسخر لصاحب المحراب^(٦)
 فاذا ما ركابه سرن برأ سار في الماء راكباً ليس غاب^(٧)
 اسداً باسطاً ذراعيه يعدو اهرت الشدق كالح الانياب^(٨)
 لا يعانيه باللجام ولا السوط ولا غمز رجله في الركاب

(١) تفاظنتك تصورتك بفتنة. والخير بالكسر الكرم والشرف

(٢) تعصرت اي عصرت مرة بعد مرة. والقدير الشيب

(٣) الاث بك الامور استودعك اياها. والقجم جمع قجمة وهي المالك والمصاب

(٤) الثاد الماء القليل (٥) الجزر قطع الشاة المذبوحة

(٦) صاحب المحراب هو سليمان عليه السلام

(٧) كان للامين ثلاث من السفن المعروفة بالحراقات لركوبه خاصة وهي الليث والعقاب

والدلفين كما هو ظاهر في هذه الايات وفي الايات التوثية بعدها

(٨) اهرت الشدق أي واسعه

عجب الناس اذ راوه على صوت رة ليث ييراً مرّاً السحاب
 سبجوا اذ راوك سرت عليه كيف لو أبصروك فوق العُقاب
 ذات زور ومنسر وجناحين تشقُّ العُباب بعد العباب
 تسبق الطير في السماء اذا ما استعجلوها بجيشة وذهب
 بارك الله للأمين وأبقا ه وابقى له رداء الشباب
 ملك تقصّر المدائح عنه هاشمي موقت للصواب

وقوله مظارفاً بمخاطب الفضل

أنت يا ابن الربيع ألزمتني النُسك وعودتنيه وأخير عاده
 فارعوى باطلاً وأقصر حبلي وتبدلتُ عنة وزهاده
 لو تراني ذُكرتُ للحسن البصري في حسن سمته أو قتاده (١)
 المساييح في ذراعي والمصحف في لبتي مكان القلاده
 فادعُ بي لاعدمت تقويم مثلي وتفظن لموعد السجاده
 تر إثراً من الصلاة بوجهي تُوقن النفس انها من عباده
 لو رأها بعض المرائين يوماً لاشتراها يعدها للشهادة
 ولقد طال ما شقيت ولكن ادركتني على يديك السعاده

وله مدائح مشهورة في العباس بن عبيدالله ، وابن ابي جعفر المنصور ، وفي الخطيب بن عبد الحميد المرادي امير خراج مصر . فلتراجع في ديوانه .

من شعره الجدي

وهو يمثل شعوره وقد عجز وسم حياة الخلاعة والمجون

أذا اصمحن الدنيا ليب

ايا رُبَّ وجهٍ في التراب عتيق . ويا رُبَّ حسنٍ في التراب رقيق
 ويا رُبَّ حزمٍ في التراب ونجدة . ويا رُبَّ رأيٍ في التراب وثيق

(١) الحسن البصري وقادة إمامان معروفان من اهل القرن الاول

ارى كل حيٍّ هالكاً وابن هالك وذا حسب في الهالكين عريق
فقل لتقريب الدار انك ظاعن الى منزل نائي المحل سحيق
اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت له عن عن عدوٍ في ثياب صديق

وعليك القصد

خلّ جنبيك لرام وامنض عنه بسلام
مت بداء الصمت خير لك من داء الكلام
ربما استفتحت بالمرح مغاليتك الجمام
رب لفظٍ ساق آجا لَ نيامٍ وقيام
انما السالم من الجسم فاه بلجام
فالبس الناس على الصحة منهم والسقام
وعليك القصد ان القصد ابقى للجمام^(١)
سببت يا هذا وما ترك اخلاق الغلام
والمنايا آكلات شاربات للاثام

كأني لا اعود

الم تروني اجحت اللهو نفسي وديني واعتكفت على المعاصي
كأني لا اعود الى معاد ولا اخشى هنالك من قصاص

فاني قد سبعت^(٢)

ايا من بين باطية وزقَر وعودٍ في يدي غان مغني
اذا لم تنه نفسك عن هواها وتُحسن صوتها فاليك عني
فاني قد سبعت من المعاصي ومن إدمانها وشبعن مني
ومن اسوا واقبح من لبيب يرى متطرباً في مثل سني

(١) اي ان الاعتدال ابقى للقوة

(٢) وتروى هذه الايات أيضاً لابي العتاهية

وقال يرئى نفسه وقد سارف الموت

دب فيّ الفناء سفلًا وعلوا واراني اموتُ عُضوًّا فعضوا
 ليس من ساعة مضت لي الأ تقصتي بمرها بي جزوا
 ذهبت جدتي بطاعة نفسي وتذكرت طاعة الله رضوا^(١)
 لهف نفسي على ليال وايام تمليتهنَّ لعباً ولهوا
 قد اسأنا كل الاساءة فاللهم صفحاً عنا وغفرًا وعفوا



(١) النضو الثوب البالي اي بعد ان اصبحت عاجزاً

(٢) النضو الثوب البالي اي بعد ان اصبحت عاجزاً

أبو العتاهية

إسماعيل بن القاسم

١٣٠ - ٢١١ أو ٢١٢ هـ

(٧٤٨ - ٨٢٨ م)

مصادر دراسته — كلمة في نسبه واتهامه بالزندقة — حياته الادبية — رسالته الشعرية
مقابلته بابي نواس — شاعريته — حسناته وسيئاته الفنية



مصادر دراسته

- الشعر والشعراء لابن قتيبة (ليدن) ٤٩٧ - ٥٠١
 مروج الذهب للمسعودي ج ٢ في اخبار المهدي والرشيدي
 الاغانى (بولات) ج ٣ ص ١٢٦ - ١٨٣
 ج ٦ ١٨٦
 ج ٨ ٢٤
 ج ١٦ ١٤٩ - ١٥٠
 الموشح للمرزباني ص ٢٥٤ - ٢٦٣
 زهر الآداب للحصري ج ٢ ص ٣٥ - ٣٩
 العمدة (هندية) ٢ - ١٠٦
 تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (مصر) ج ٦ ص ٢٥٠ - ٢٦٠
 وفيات الاعيان ج ١ ١٠٠ - ١٠٣
 مقدمة ديوان ابي العتاهية رواية النمري (طبع الاباء اليسوعيين بيروت)
 واخبار متفرقة في الكامل والفهرست والعمدة وغيرها

كلمة في نسبة وزندقة

في كل عصر وفي كل قطر ، اذا كثرت اسباب الغنى والترف ، نشأ في المجتمع البشري مجريان متطرفان ، الاول مجرى العبث والخلاعة ، والثاني مجرى الحرص والتكشّف . في الاول ترى المسترسلين في الموبقات والشبهوات الجارين مع الالهواء الى اقصى الغايات ، وفي الثاني ترى الذين عافت نفوسهم ملذات الدنيا ، فنكبوا عنها الى زوايا الزهد ينعون الى الناس زخارفها ، ويدعونهم الى نبذها والنظر الى ما وراءها . وكما يمثّل ابو نواس في عصره الفئة الاولى ويعكس لنا حياتهم وعواطفهم ، يمثل زميله ومعاصره ابو العتاهية الفئة الثانية ويعكس لنا في ديوانه عواطف المتطرفين من الروحيين والاخلاقيين

نشأ شاعرنا في الكوفة ، حتى اذا نضجت صناعة الشعر فيه ، امّ بغداد فأتصل ببلاط العباسيين ومدح المهدي والهادي والرشيدي ، ومات في خلافة المأمون وقد بلغ الثمانين . وقبل البحث في شعره نذكر نقطتين لم يوضحهما مؤرخوه تمام الايضاح وهما نسبة وزندقته . فقد ذكر بعض المؤرخين وتبعهم المستشرقان نكلسون وهوار^(١) ان ابا العتاهية عربي الاصل . واذا راجعت ما اورده الاصفهاني وابن خلكان ومن نقل عنهما رايتهم يتفقون على نسبته الى عترة بالولاء . ففي الاغاني عن محمد بن موسى قوله «ولاء ابي العتاهية من قبل ابيه لعترة ، ومن قبل امه لبني زهرة»^(٢) ولعل في اسم بلدته التي ولد فيها ما حداهم الى ذلك القول ، فقد ولد في عين التمر وهي على ما ذكروا بلدة في الحجاز . والحقيقة ان في العراق بلدة تعرف بهذا الاسم^(٣) ، والاصح ان تكون هي مسقط رأس الشاعر . فانه نشأ في الكوفة والكوفة وعين التمر كلتاها من سعي الفرات . ومما قد يؤيد صحة هذا القول ان بعضهم كان يتّهمه بالزندقة^(٤) ، ولم يكن يتّهم بها عادة الا الذين يتّون بنسب الى الفرس . ولم يكن ابو العتاهية شديد التمسك بنسبه فكان طول حياة يزيد بن منصور الحميري يدعي انه مولى لليمن وينتمي من عترة . فلما مات يزيد رجع الى ولائه الاول^(٥) ، وما ذلك فعل من ينتسب نسباً صريحاً الى العرب .

(١) Nicholson Lit. Hist. 296 - Huart Hist. of Ar. Lit. 74

(٢) الاغاني ٣-١٢٧ (٣) ابن خلكان ١٠٠ ومعجم البلدان ياقوت

(٤) ابن قتيبة (ليدن) ٢٩٧ (٥) الاغاني ٣-١٤١

اما زندقته واتهامه بذهب الفلاسفة فليس في شعره ما يثبتها ، ولم يذكره ابن النديم في جملة الشعراء الزنادقة الذين عاصروا ابا العتاهية . وكل ما رأينا من هذا القبيل ان قوماً من اهل عصره كانوا ينسبونه الى القول بذهب الفلاسفة ويمتجون بان شعره انما هو في ذكر الموت دون الاخرة^(١) ، وهو ليس بصحيح . وقد توهم كولد زهير من البيت التالي

اذا اردت شريف الناس كلهم فانظر الى ملك في زي مسكين

ان الشاعر ينوه بفضل بوذا . والحق ما ذكره نكلسون من ان ذلك لا يراد به غير وصف التقى الزاهد ، دون الاشارة الى شخص خاص^(٢) ومما نسب فيه الى الزندقة الايات التالية^(٣)

اذا ما استجزت الشك في بعض ما ترى فما لا تراه الدهر امضى واجوز

•••

يا رب لو انسيثنيها بما في جنة الفردوس لم انسها

•••

ان المليك راك احسن حلقه ورأى جمالك

فحذا بقدرة نفسه حور الجنان على مشالك

وليس في هذه الايات عند التحقيق غير مبالغات خيالية قد تجري على لسان المؤمن لتقريب او ايضاح معنى شعري . ونقلوا عن الصولي قوله بالجوهريين المتضادين كالثنية ، وقوله بالجبر وما شاكل^(٤) . وقد جاراهم العلامة زيدان فقال في تاريخه وكان ابو العتاهية سوداوي المزاج كثير التردد في امر الدين فتقأب على اطوار شتى شأن الذين يحلون انفسهم من قيود الدين وينظرون فيه نظر الناقد^(٥) . على ان الناظر في شعره لا يجد فيه غير رجل متري يزري الفقراء متغنياً باناشيد الزهد . وليس فيه من اثر لنظر نقدي في الكون او لتزعة فلسفية في الدين

(١) الاغاني ٣-١٣٦ Lit . Hist . of the Arabs 297 (٢)

(٣) ابن قتيبة (ليدن) ٥٠١ (٤) الاغاني ٣-١٣٨

(٥) تاريخ اداب اللغة ٢-٦٨

هباته الادبية

تظهر لنا حياة ابي العتاهية في مظهرين - حياة الغزل والمنادمة ، وحياة الوعظ والتعسف . فقد اجمع المؤرخون ان شاعرنا كان في اول امره يجري مجرى المتخشين من شعراء عصره ^(١) ولكنه لم يكد يبلغ الخمسين حتى تحول عن سبيلهم . وكان ذلك على ما رواه صاحب الاغانى في خلافة الرشيد . قال « كان ابو العتاهية لا يفارق الرشيد في سفر ولا حضر الا في طريق الحج ، وكان يجري عليه في كل سنة خمسين الف درهم سوى الجواز والمعادن . فلما قدم الرشيد الرقة (وذلك سنة ١٨١ هـ) لبس الشاعر الصوف وترهد ، وترك حضور المنادمة والقول في الغزل . » ^(٢) فكان شاعرنا اذن في صباه وفي شبابه يجري مجرى اهل الظرف من شعراء زمانه ، حتى زعموا انه كتبي بابي العتاهية لانه كان يحب التهر والمجون والتعته ^(٣) . فما الذي دفعه الى ترك ما كان عليه الشعراء ، والتزام طريقة الزهد والتسك ؟ سؤال جدير بالنظر . ولا بد لنا قبل الاجابة عليه من ان ننظر فيما يلي -

- ١ - حالته النفسية واستعداده الفطري لذلك
- ٢ - تاثر نفسه بتهتك معاصره وتماديهم في اسباب الترف
- ٣ - فشله في حبه لفتاة من جواري المهدي
- ٤ - ميله الى الطريقة الزهدية في الشعر

اما استعداد الفطري فليس لنا من دليل صريح عليه . ولكننا نستنتج مما عرف عن ابي العتاهية من حب المال والحرص على الدنيا ، انه كان ذا نظر في العواقب وعلى شيء . - حتى في ابان شبابه - من ضبط النفس مما لا نراه عادة في متخني عصره . فلم يكن شديد الميل الى الانفاق في سبيل الشهوات ، وبكلمة اخرى لم تكن مشاركته لزملائه في مجونهم ايام شبابه لتقتل فيه ميله الى الحرص والزناة . جاراهم ولكن الى حين ، واندفع في تيار الحياة ولكنه لم يرخ لنفسه العنان . ولم يلبث ان رأيناه يتراجع عنه مشمئزاً ، مهيباً بالآخرين ان يسلكوا سبيل الرشاد ، وان يعتبروا بصروف الزمان . ولا نشك انه كان لعصره تاثير عليه ، وان ذلك التاثير تحول الى عاطفة شعرية مغايرة لعواطف زملائه يومئذ .

(١) راجع مجله مع ابي نواس وصريح الغواني في العقد ٣-١٦٤

(٢) الاغانى ٣-١٥٧ (٣) الاغانى ٣-١٢٧

فترك الغزل والمنادمة ، واختط لنفسه اسلوباً آخر احبّ ان ينفرد فيه . وانا لنلمح ذلك مما نقله لنا ابن منظور عن ابي مخلد الطائي قال « جاءني ابو العتاهية فقال لي ان ابانواس لا يخالفك ، وقد احببت ان تسأله الا يقول في الزهد شيئاً ، فاني قد تركت له المديح والهجاء والخمر والرقيق وما فيه الشعراء ، وللزهد شوقي . فبعثت الى ابانواس بخفا اليّ واخذنا في شأننا . فقلت لابي نواس ان ابا اسحق^(١) (ابا العتاهية) من قد عرفت جلالاته وتقدمه ، وقد احب انك لا تقول في الزهد شيئاً . فوجم ابو نواس عند ذلك وقال يا ابا مخلد قطعت عليّ ما كنت احب ان ابلغه من هذا ولا اخالف ابا اسحق فيما رغب اليه^(٢) . فابو العتاهية اذن اصطنع الزهد واتخذ طريقة فنية مندفعاً اليه بشوق نفسه الى هذا النوع من الشعر . واذا صح ما زعمناه لشاعرنا من الاستعداد الفطري ، وانه مجارة لهذا الاستعداد راي ان ينفرد بالزهد دون سائر ابواب الشعر ، بقي ان ننظر في المحرك المباشر الذي حرّك في نفسه شهوتها الزهدية وحبّ اليه ترك حياته الاولى . هذا المحرك هو على ما يقول المؤرخون فشله في حبه لعتبة جارية الخيزران ام الرشيد . وفي ذلك يقول المعري^(٣)

الله ينقل من شا ء رتبة بعد رتبة
ابدى العتاهي نسكاً وتب عن حب عتبه

وعن المسعودي ان ابا العتاهية لبس الصوف لياسه من عتبه^(٤) . وكان ذلك ايام الرشيد ، وقد آثر السجن على ان يرجع بعدها الى قول الغزل^(٥) . اما انه احب هذه الجارية حباً شديداً فذلك ما اجمع عليه المؤرخون واليك بعضاً من غزله فيها —

يا عتب سيدي اما لك دين حتى متى قلبي لديك رهين
وانا الذلول لكل ما حملتني وانا الشقي البائس المسكين
وانا الغداة لكل بك مسعد ولكل حب صاحب وخدين
لا بأس إن لذك عندي راحة للصب ان يلقي الحزين حزين
يا عتب اين افر منك اميرتي وعلي حصن من هواك حصين

(١) كنيته الحقيقية ابو اسحق وانا ابو العتاهية لقب له (٢) اخبار ابانواس ٧٠

(٣) اللزوميات ١-١١٨ (٤) المسعودي ج ٧-٣٣٦

(٥) الاغاني ٣-١٤٠

وقال من قصيدة

كأنها من حسنها درة اخرجها اليمُّ الى الساحل
 كأننا فيها وفي طرفها سواحرُّ اقبلن من بابل
 لم يبق مني حبُّها ما خلا حشاشةً في بدن ناحل

ويذكر الحصري ان ابا العتاهية ضرب مئة سوط ونفي الى الكوفة من اجل غزله بعبئة ، وان المهدي قال حين نفاه « ألي يتمرَّس ولحرمي يتعرَّض وبنسائي يعبث (١) ا » وجاء لابن قتيبة انه حبسه ، ثم تشبَّع له يزيد بن منصور خال المهدي فاطلقه (٢) . والظاهر انه خاف المهدي فانقطع عن ذكر الجارية . فلما مات عاد امله فطلبها من الرشيد كما روى المسعودي ولكنه باء بالفشل . وبين اول جبه لعتبة ويأسه من الحصول عليها نحو من عشرين سنة بقيت فيها شرارة الحب مشتعلة برغم كل الموانع ، وبرغم انه كان متزوجاً . وهو حب شديد وغريب في عصر كعصره ، يذكرنا بحب شاعر ايطاليا لفتاته بياتريس وما كان له من التأثير في نفسه كل حياته

من فشل دانتى نشأت الرواية الالهية . فهل من فشل ابي العتاهية نشأ شعره الزهدي ؟
 قد يكون ذلك

على ان في مسلكه الزهدي ما راب بعض اهل زمانه . وتحدر هذا الريب بصحة زهده الى الاجيال التالية . هذا ابو العلاء المعري يقول في البيتين الانفي الذكر « ابدى العتاهي نسكاً » . وفي العبارة ما فيها من الشك في ذلك النسك . وهناك حكايات لمعاصره تنم على روح الاستخفاف بزهده ، وتبهمه بالادعاء والتظاهر . من ذلك ما رواه الاصفهاني عن ثامة بن اشرس قال انشدني ابو العتاهية :

اذا المرء لم يُعتق من المال نفسه تملكه المال الذي هو مالكه
 الا انما مالي الذي انا منفق وليس لي المال الذي انا تاركه
 اذا كنت ذا مال فبادره بالذي يحقّ والا استهلكته مهالكه

فقلت له من اين قضيت بهذا ؟ فقال من قول رسول الله (ص) انما لك من مالك ما اكلت فافنيت ، او لبست فابليت ، او تصدقت فامضيت . فقلت له اتؤمن بان هذا قول

(١) زهر الاداب ٢ - ٢٦

(٢) الشعر والشعراء (ليدن) ٤٩٨

رسول الله (ص) وانه الحق؟ قال نعم . قلت فلم تجلس عندك سبعا وعشرين بكرة في دارك ، ولا تأكل منها ولا تشرب ولا ترخي ، ولا تقدمها ذخراً ليوم فقرك؟ فقال يا ابا معن والله ما قلت لهو الحق ، ولكنني اخاف الفقر والحاجة الى الناس . فقلت وبم تريد حال من افتقر على حالك ، وانت دائم الحرص ، دائم الجمع ، شحيح على نفسك لا تشتري اللحم الا من عيد الى عيد؟ فترك جوابي كلامي كله ، ثم قال لي والله لقد اشتريت في يوم عاشوراء لحمًا وتوابله وما يتبعه بخمسة دراهم . فلما قال هذا القول اضحكني حتى اذهلني عن جوابه ومعاتبته ، فامسكت عنه وعلمت انه ليس ممن شرح الله صدره للاسلام^(١)

وروى الحصري عنه الحديث التالي قال دخل ابو العتاهية على ابنه محمد وقد تصوف فقال ألم اكن قد نهيته عن هذا (اي عن التصوف) . فقال ابنه وما عليك ان اتعود الخير؟ فاخذ ابو العتاهية يؤنبه ويقرعه ثم قال له اقبل على سوقك فانها أعود عليك . وكان ابنه بزّازاً^(٢) . وامثال هذه الحكايات كثيرة تجدها في الاغاني وسواه . ولعل ذلك ما حمل سلم بن عمرو الملقب بالخاسر ان يغضب حين انشد ابو العتاهية قصيدته التي يقول فيها مخاطباً مسلماً يهذين البيتين :

تعلى الله يا سلم بن عمرو اذلّ الحرص اعناق الرجال
هب الدنيا تساق اليك عفواً ليس مصير ذلك الى الزوال

فقال سلم : « ويلي على الجرّار الزنديق جمع الاموال وكنزها وعبأ البدور في بيته ثم ترهد مرااة ونفاقاً فاحذ يهتف بي اذا تصدّيت للطلب . »^(٣) وقال الجّاز ابن اخت سلم ويرويها ياقوت لسلم نفسه

ما اقبح الترهيد من واعظ يزهد الناس ولا يزهد
لو كان في ترهيده صادقاً اضحى وامسى بيته المسجد
يخاف ان تنفذ ارزاقه والرزق عند الله لا ينفد

وانك اذا تحويت الحكايات الكثيرة التي ينقلونها عن ابي العتاهية تجد اساسها شك معاصره بصدق ترهده . وهذا الشك مبني عندهم على ما يلي - ١ سيرته الاولى ٢ - حرصه

(٢) زهر الاداب ٣ - ٢٢٥

(١) الاغاني ٣ - ١٣٢

(٣) معجم الادباء لياقوت ٦ - ٢٦٨

على المال ٣ - تبرؤ الناس من الوعظ والانذار . وجل ما يقال هنا ان الرجل صدف عن سيرته الاولى ، وانه لزم جانب التدين واتخذ الشعر الزهدي فناً فاجاد فيه ^(١) . ولم يكن زهده انقطاعاً عن الدنيا وترفعاً عن حطامها ، ولكن تقيحاً لمسلك مترفياً وانذاراً بسوء مصيرها ، واشباعاً لشهوة فنية لم يستطع الا اشباعها . وكان برغم ما يحكونه محترماً من معاصره حتى من ابي نواس ^(٢)

رسالة ابي العتاهية في شعره

لا يحمل شاعرنا في شعره رسالة جديدة ، ولا يضع مبادئ فلسفية خاصة . وانا هو يعكس لنا روح الشوق الدينية - احتقار الحياة الدنيا وتعظيم الآخرة . اقرأ كل ديوانه فلا ترى فيه الا دعوة الى ترك الجهاد في سبيل التقدم ، والتحرر من قيود المطامع

حتى متى يستغرتي الطمع	ليس لي بالكفاف منسع
ما افضل الصبر والقناعة	للناس جميعاً لو انهم قنعوا
واخذع الليل والنهار لاقوام	اراهم في الغني قد رتعوا
لله درّ الدنى فقد لعبت	قبلي يقوم فما ترى صنعوا
اثروا فلم يدخلوا قبورهم	شيئاً من الثروة التي جمعوا
وكان ما قدّموا لانفسهم	اعظم نفعاً من الذي ودعوا

وقال

طلبت الغنى في كل وجه فلم اجد	سبيل الغنى الا سبيل التعفف
خليلي ما اكفى اليسير من الذي	نحاول ان كنا بما عفا نكتفي
وما اكرم العبد الحريص على الندى	واشرف نفس الصابر المتعفف

فانت في ذلك وفي سائر شعره امام منبر واعظ يرشدك الى سبل القناعة ، سبل الخير كما ينص عليها الدين . ولكن في وعظه شاعرية جليلة وحنناً شجياً يخفف عليك مشقة الاصفاء .

(١) قال الخطيب البغدادي كان يقول في الغزل والمدبح والمجاء قديماً ثم تنسك وعدل عن ذلك الى الشعر في الزهد وطريقة الوعظ ٦- ٢٥١

(٢) راجع في المصدر نفسه حديث ابي نواس واجلاله لابي العتاهية حتى قال ما رأيته قط الا توهمت انه سهاوي وانا ارضي

الى الوعظ ، ولا سيما من واعظ يُعرف فيه الحرص وحب المال . هو واعظ الموت والظلام
ولكن في نبراته ما يجذبك اليه .

واي شيء . ادلُّ على شاعريته من انه يحملك الى المقابر فيقف بك هناك امام الجثث
البالية والعظام النخرة ، ثم يصف لك ظلام القبور واهوال الحمام ، ويندرد بطامع الانسان
واباطيل الحياة في شعر يثير شجونك ويزيل بهجة الدنيا من امامك . وانت مع كل ذلك
تسمع في اياته ايقاعاً يجلو لاذنيك ، فتصغي اليه مسروراً ، وتشعر منه بنشوة خفية تملأ
قلبك وتحرك عواطفك

لدوا للموت وابنوا للخراب فكلكم يصير الى تباب
لمن نبني ونحن الى تراب نصير كما خلقنا من تراب

صوت شجي تقف لديه معتبراً خاشعاً ، ولكنك لا تلبث ان تعيده لنفسك فتسنى
بجمله قتام الموت وعبوسة القبر . ثم تسمعه يقول

الا يا موت لم ار منك بدا اتيت وما تحيف وما تحايي
كانك قد هجمت على مشيبي كما هجم المشيب على الشباب
وانك يا زمان لذو صروف وانك يا زمان لذو انقلاب
اراك وان طليت بكل وجه كحلم النوم او ظل السحاب

فتنظر الى الموت نظرك الى صديق مؤاس ياتي ليخلصك من الزمان ، وينقلك الى
ظلال الجنان . ولماذا ترى الموت كذلك وهو الرهيب المخوف ؟ لان الشاعر يضرب على
وتر شجي يهيج فيك حاسة الاستحسان ، فيطربك ويلقي على ما حولك من فساد ورعب
مسحة من جمال الفن الشعري الذي يحول الظلام الى نور ، والرعب الى امن وطمأنينة

ولتثبت ذلك في نفسك اسمع الابيات التالية التي يصف بها طمع الانسان ووجوب
القناعة وزوال الدنيا — وما تلك بمواضيع تلذ الانسان عادة ، ثم شرح شعورك لدى سماعها

الم ترَ ريب الدهر في كل ساعة له عارض فيه المنية تلعب
ايا بائي الدنيا لغيرك تبتي ويا جامع الدنيا لغيرك تجمع
ارى المرء وثاباً على كل فرصة وللمرء يوماً لا محالة مصرع
تبارك من لا يملك الملك غيره متى تنقضي حاجات من ليس يشبع
واي امرئ في غاية ليس نفسه الى غاية اخرى سواها تطلع

وقوله

خليلي كم من ميت قد حضرته
ومن لم يزهده السن ما عاش عبدة
اصبت من الايام لين اعنة
متى دام للدنيا سرور لاهلها

وقوله

رجعت الى نفسي بفكري لعلها
فقلت لها يا نفس ما كنت آخذاً
فهل هي الا شعبة بعد جوعة
ارى لك نفساً تبغني ان تُعزها

تفارق ما قد غرّها واذهما
من الارض لو اصبحت املك كلها ؟
والآ منى قد حان لي ان امها
ولست تعز النفس حتى تذها

الى غير ذلك من العظات الروحية البالغة ، مما يستهوي النفس برغم ما يترامى فيه من
اهوال الموت وكلاحة الورع والزهد . وكل ديوانه على هذا النمط العالي ولا يعيبه الا انه
على وتيرة واحدة - موضوع واحد يردده في قصائد مختلفة الوزن والروي
ولا بد لنا في هذا المقام من ان نقف هنيئة نقابل الروح «النواسية» بالروح «العتاهية»
فاننا الشاعر روحه ، وما شعره الحقيقي الا مجلي لعواطفه الداخلية

ابو العتاهية وابو نواس

كلاهما متشائم - هذا في زهوه وسروره ، وذلك في ترهده وتقديره . ابو نواس لم
يدرك قيمة الحياة ولم يفهم مراميها العالية فانفق نفسه وقواه في سخائفها ، وابو العتاهية اخطأ
الغاية من وجود الفرد ومن علاقته بالمجتمع ، فعنى عليه ذلك ودعاه الى نبذ الدنيا والاهتمام
بالآخرة . وكلاهما مخطىء - ذلك لافراطه في اباطيلها ، وهذا لافراطه في الترهيد بها . ولو
اننا جارينا شاعرنا في اقواله وقننا بما يطلبه منا في عظاته لتحتم علينا ان نقف كل جهاد وكل
سعي ، ونعيش عيشة الخمول والقناعة . واين هذا من الرقي الاجتماعي الذي يتطلب من كل
فرد ان يسعى ويجتهد ليدرك اقصى ما يستطيع ادراكه .

ساقنق ما بقيت بقوت يوم
ولا ابغي مكاثرة بمال

تعالى الله يا سلم بن عمرو اذلّ الحوص اعناق الرجال
فما ترجو لشيء ليس يبقى وشيكاً ما تغيره الليالي

هي الروح الشرقية القديمة التي تحتقر الدنيا وتنظر اليها كمرّ زائل لحياة عليا . نظر
تعكسه لنا كتب الدين ، واقوال الانبياء والاتقياء وقادة الحياة الدينية في كل جيل .
وانا اذا فرنا القناعة (او الزهد) بانها الجام الشهوات الفاسدة والاطماع الثائرة والتعالي
عن الطبيعة الحيوانية التي تدعونا الى التعدي وحب الاثرة ، كانت القناعة حكمة اجتماعية
عالية ، بل صدق الداعون اليها انها باب السعادة الدنيوية . واما اذا كانت كما يصفونها الوقوف
عن الجهاد ، والبعد عن اسباب التقدم ، وطلب الراحة في زوايا المناسك ، والظهور بمظهر
الفقر والتصوف ، فهي الحمول الذي يزيد اكدار الانسان ويبعده عن سعادته المنشودة .
وهنا وجه الضعف في رسالة ابي العتاهية : انه قام ينشد لنا اناشيد الدين دون ان يتغن
في تطبيقها على الحياة العملية ، وكان في شعره يقلد الزهاد ورجال الدين تقليداً . والآ في
وسع من كان في مقدرته الشعرية ان يستخلص من حياة عصره صوراً اجتماعية عالية يصورها
فيرينا بها جمال الفضائل الدينية والآداب القومية ، او قباحة اضدادها ، على نحو ما يفعل
الاجتماعيون من شعراء وناثرين

علم

ولابي العتاهية في هذا الضرب من المنظوم مكانة عالية - فهو قدير بضرب الامثال ،
وعقد جوامع الحكمة في ابيات شعرية جميلة : واليك امثلة من ذلك

اخوك الذي من نفسه لك منصف اذا المرء لم ينصفك ليس اخاك

...

وليس امرؤ لم يرع منك بجهد جميع الذي ترعاه منه ينصف

...

هب الدنيا تساق اليك عفواً ليس مصير ذاك الى الزوال

...

وذقت مرارة الاشياء طراً فما طعم امرء من السؤال

...

اجلك قوم حين صرت الى الغنى وككل غنى في العيون جليل
وليس الغنى الا غنى زين الفتى عشية يقري او غداة ينيل
اذا مالت الدنيا الى المرء رغبته اليه ومال الناس حيث يميل

...

توق يداتكون عليك فضلاً فصانها اليك عليك عال

...

طلبت المستقر بكل ارض فلم ار لي بارض مستقراً
اطعت مطامعي فاستعبدتني ولو اني قنعت لكنت حراً

...

لقد حبلت الزمان اشطره فكان فيهن الصاب والسلع
مالي بما قد اتى به فرح ولا على ما ولي به جزع

...

صاحب البغي ليس يسلم منه وعلى نفسه بنى كل باغ

...

لله دنيا اناس دائبين لها قد ارتعوا في رياض الغي والفتن
كسائمات رتاع تبغني سمناً وحتفالو درت في ذلك السنن

...

واي امره في غاية ليس نفسه الى غاية اخرى سواها تطلع

...

وابلائي من دعاوي املر كلما قلت تداني بعدا
كم امنى بغير بعد غد ينفد العمر ولم الت غدا

...

الم تر أن الفقر يوجب له الغنى وأن الغنى يخشى عليه من الفقر

فَأَشَتْ ذِي الدنِيا فليس بها احد اراه لاَخرِ حامدٍ
حَتَّى كانَ الناسَ كَلِّهمُ قد افرغوا في قالب واحدٍ

...

ما اختلف الليل والنهار ولا دارت نجوم السماء في الفلكِ
الا لنقل السلطان عن ملك قد انقضى ملكه الى ملك

...

انت ما استغنيت عن صاحبك الدهرَ اخوه
فاذا احتجت اليه ساعةً مَبَّجك فوه

وله ارجوزة حكيمية جمع فيها كثيراً من الامثال البليغة
وقد ذكر صاحب الاغانى انها تبلغ نحو اربعة آلاف مثل ، على انه لم يثبت منها غير
بضعة وعشرين مثلاً . اما في ديوان ابي العتاهية فقد نقل منها ما يقارب الخمسين ولم نعثر
عليها كلها او على معظمها في كتاب ما ، ولعلها ضاعت في جملة ما ضاع من كتب الاولين
واكثر حكمها عادي على ان فيها كثيراً مما يبلغ الدرجة الاولى من الجمال

كقوله -

ان كان لا يغنيك ما يكفيك فكل ما في الارض لا يغنيك

وقوله

لن يصلح الناس وانت فاسدٌ هيات ما ابعد ما تكابد
وهو معنى في غاية الجمال يريد بذلك ان المجتمع لا يصلح ما لم يصلح كل فرد ذاته .

وقوله

من جعل النِّمامَ عيناً هلكا مُبلغك الشر كباغيه لك
وهو معنى متداول مالوف ولكنه جميل

ومن اجل معانيه قوله

يوسع الضيق الرضا بالضيق وانا الرشد من التوفيق

ولو اردنا التوسع في الشطر الاول من هذا البيت لضاق بنا المقام وهو من اثبت الحقائق العقلية والاجتماعية وهناك كثير من مثل هذه الابيات وهي تدل على مقدرة الشاعر على سبك الحقائق في قوالب شعرية جميلة. على ان حكمه عموماً محدوداً بمعنى ، فهو يحرصها في منحى واحد من مناحي الحياة ، ويظهر فيها مظهر المُرشد المُنذر ، والحكيم الواعظ. ولو قابلتها بحكم المتنبي مثلاً لوجدت هذه اوثق علاقةً بماجريات الحياة ، وبالتالي اكثر شيوعاً بين جميع الطبقات . وما الفرق بين ابي العتاهية والمتنبي في هذا الباب الا ان الاول بنى حكمه على ما تتطلبه حياة الزهد ، بغايات على حسن نظمها مقيدة بغايتها . واما الثاني فغاض غمار الحياة ، وعرف حلوها ومرها . وقد ترك لنا اختباراته في ابيات يستهوي القلوب جمالها ، لصدق ما ترسمه من احوال العمران ، ولشدة مماثلتها لما يشعر به كل انسان .

شاعريته وشعره

قال صاحب الاغاني « ويقال اطبع الناس بشار والسيد وابو العتاهية . وكان ابو العتاهية غزير البحر لطيف المعاني سهل الالفاظ كثير الاقتنان قليل التكلف الا انه كثير الساقط المرذول مع ذلك . واكثر شعره في الزهد والامثال . » على انه برغم ذلك كان من الطبقة الاولى في النظم

قال احمد بن زهير سمعت مصعب بن عبد الله يقول ابو العتاهية اشعر الناس فقلت باي شيء استحق ذلك عندك فقال بقوله

تعلَّقتُ بآمالٍ طوالِ ايِّ آمالٍ
واقبلت على الدنيا ملحاً ايِّ اقبالٍ
ايا هذا تجهَّز لفرأق ق الاهل والمال
فلا بدَّ من الموت على حال من الحال

ثم قال مصعب هذا كلام سهل حق لا حشوفيه ولا نقصان . يعرفه العاقل ويقرُّ به الجاهل . وقال ابن الاعرابي وقد اثاره رجل رمى ابا العتاهية بالضعف « فوالله ما رأيت شاعراً قط اطبع ولا اقدر على بيت منه ، وما احسب مذهبه الا ضرباً من السحر » (١)

(١) الاغاني (بولاق) ٣ - ١٣٠

وسمع الجاحظ مرةً من ينشد ارجوزة ابي العتاهية التي سماها ذوات الامثال حتى اتى على قوله

يا للشباب المرح التصابي روائح الجنة في الشباب

فقال للمشد قف . ثم قال انظر الى قوله « روائح الجنة في الشباب » ، فان له معنى كمعنى الطرب لا يقدر على معرفته الا القلوب ، وتعجز عن ترجمته الالسنة الا بعد التطويل وادامة التفكير . وخير المعاني ما كان القلب الى قبوله اسرع من اللسان الى وصفه^(١) وكان الاصمعي يقول شعر ابي العتاهية كساحة الملوك ، يقع فيها الجوهر والذهب والتراب والحرف والنوى

وفي الاغاني سئل ابن منذر عن شعر اهل الاسلام فقال : من اذا شئت هزل واذا شئت جد فمثل جرير ، ومن المحدثين هذا الحبيث (اي ابو العتاهية) الذي يتناول شعره من كمه^(٢)

وقال المبرد كان اسماعيل بن القاسم (ابو العتاهية) لا يكاد يخفي شعره مما تقدم من الاخبار والاثار ، فينظم ذلك الكلام المشهور ، ويتناوله اقرب متناول ، ويسرقه اخفى سرقة^(٣) .

والتأمل شعر ابي العتاهية يثبت لديه جل ما ذكرناه من وصف واصفيه . واهم خصائصه الفنية ثلاث :

١ - سهولة الالفاظ وهي مذهبه في جميع قصائده

نقل الاصفهاني قوله لابن ابي الابيض وقد جاء يستريده من شعره . « فالصواب ان تكون الفاظه مما لا تحفى على جمهور الناس مثل شعري ، ولا سيما الاشعار التي في الزهد . وهو مذهب اشغف الناس به الزهاد واصحاب الحديث والفقهاء واصحاب الرياء (كذا) والعامه ، واعجب الاشياء اليهم ما فهموه »^(٤) . وانشد مرة ابياتاً امام سلم الخاسر فقال سلم لقد جودتها ولم تكن سوقية . فقال ابو العتاهية والله ما يرغبني فيها الا الذي زهدت

(١) الاغاني ٣ - ١٢٣

(٢) " ٣ - ١٥٤

(٣) الكامل ١ - ٢٣٨

(٤) الاغاني ٣ - ١٦١

فيه^(١) . وقد عرف له نقدة الشعر ذلك . قال ابن رشيق : ومنهم من ذهب الى سهولة اللفظ واعتبر فيها الركافة واللين المفرط كابي العتاهية والعباس بن الاحنف ومن تابعهما^(٢) . وهم يرون الغاية قول ابي العتاهية

يا اخوتي ان الهوى قاتلي فسيروا الاكفان من عاجل
ولا تلوموا في اتباع الهوى فاني في شغل شاغل
عيني على عتبة منبهة . بدمعها المنسكب السائل
يا من راي قبلي قتيلاً بكى من شدة الوجه على القاتل
بسطت كني نحوكم سائلاً ماذا تُردُّون على السائل

وقد ذكر ان ابا العتاهية و ابا نواس والحسين بن الضحك اجتمعوا يوماً فقال ابو نواس لينشد كل واحد منكم قصيدة لنفسه في مراده من غير مدح ولا هجاء فانشد ابو العتاهية هذه القصيدة فسأها له وامتنعا من الانشاد بعده وقالوا اما مع سهولة هذه الالفاظ وملاحة هذا القصد وحسن هذه الاشارات فلا ننشد شيئاً

٢ - رساقاة التعبير . وهي من مزايا الشعراء المطبوعين ويراد بها البعد عن التكلف والتعقيد . تقرأ قصائد ابي العتاهية فتجدها رشيقة المبني تسيل عذوبة وطلاوة . وقد صدق الخطيب البغدادي اذ قال « وكان سهل القول قريب المأخذ بعيداً من التكلف متقدماً في الطبع »^(٣) . تأمل هذه الايات التي قالها امام المهدي يعزبه في بنت له ماتت فحزن عليها حزناً شديداً . قال شاعرنا فوافيته وقد سلا وضحك واكل وهو يقول ؟ لا بد من الصبر على ما لا بد منه . ولئن سلونا عن فقدنا ليساننً عنا من يقدنا . وما يأتي الليل والنهار على شيء الا ابلياه . فلما سمعت هذا منه قلت يا امير المؤمنين اتأذن لي ان انشدك . قال هات فانشدته -

ما للجديدين لا يبلى اختلافهما وكل غضٍ جديدٍ فيها بال
يا من سلا عن حبيب بعد موته كم بعد موتك ايضاً عنك من سال
كان كل نعيم انت ذاتقه من لذة العيش يحكى لمعة الآل

(١) الاغاني ٣-١٧٣

(٢) العمدة ١-٨١

(٣) تاريخ بغداد ٦-٢٥١

لا تلعبن بك الدنيا وانت ترى ما شئت من عبر فيها وامثال
 ما حيلة الموت الأكل صالحة او لا فها حيلة فيها لمحتال
 وروي ان ابا العتاهية مرّ بابي نواس في السكة ومعه بعض الرفاق ، فسلم ثم اوما
 برأسه الى ابي نواس وانشأ يقول

لا ترقدن - لعينك السهر - وانظر الى ما تصنع الغير
 واذا سألت فلم تجد احداً فسل الزمان فعنده الخبر
 انت الذي لا شيء تملكه واحق منك بمالك القدر

فنظر ابو نواس الى من حوله وقال : « افسح هذا ام انتم لا تبصرون » (١) .
 ومثل هذه الشهادة شهدها بشار يوم انشد شاعرنا قصيدته في المهدي
 الا ما لسيدي ما لها ادلاً فاحمل ادلالها

فقال انظروا الى امير المؤمنين هل طار عن اعواده . والقصة مشهورة وقد ذكرتها
 اكثر المصادر

وفي رشاقة شعره يقول ابن الاثير (٢) « وهذا ابو العتاهية كان في عزّ الدولة العباسية ،
 وشعراء العرب اذ ذلك موجودون كثيراً . واذا تأملت شعره وجدته كاملاً الجاري رقة
 الفاظ ولطافة سبك ، وليس بركيك ولا واد » وحكم ابن الاثير فيه حكم خبير الأ
 انه تغاضى عن بعض ركاكته كما سترى بعد .

٣ - سرعة الخاطر وما يقترن بذلك احياناً من الركاكة . قيل له كيف تقول الشعر .
 قال ما اردته قط الا مثل لي فاقول ما اريد واترك ما لا اريد . وكان يقول لو شئت ان
 اجعل كلامي كله شعراً لفعلت . (٣) ووصفه ابن قتيبة بقوله « وكان احد المطبوعين ومن
 يكاد يكون كلامه كله شعراً » .

فهو سريع الخاطر . واذا صح ما ذكرناه من وصف الاصمعي له لم يكن من الذين
 يعتنون بغرلة ابياتهم وطرح ما يجب طرحه وقد تناول المرزباني هذه الناحية من شعر

(١) تاريخ بغداد (مصر) ٦ - ٢٥٩

(٢) المثل السائر ١٠٥

(٣) الاغانى ٣ - ١٣١

ابي العتاهية وذكر اقوال الناس فيها واورد له بعض ما يعيونه من شعره كقوله في عُتْبَةَ -

الا يا عتبة الساعة أموت الساعة الساعة

وقوله في رثاء سعيد بن وهب

مات والله سعيد بن وهب رحم الله سعيد بن وهب
يا ابا عثمان ابكيت عيني يا ابا عثمان اوجعت قلبي

وغير ذلك من القول السخيف الذي تناقله الرواة من شعره (١)

فكان كثيراً ما تأتي الفاظه مكررة لا فائدة منها كقوله -

من أحس لي اهل القبور ومن رأى من أحسهم لي بين اطباق الثرى
من أحس لي من كنت آلفه ويألفني فقد انكرت بعد الملتقى
من أحس لي اذ يعالج غصة متشاغلاً بعلاجها عمّن دعا
من أحس لي فوق ظهر سريره يثني به نفر الى بيت البلى
يا ايها الحمي الذي هو ميت افنيت عمرك في التعلل والنمى

فلو ثبت فوق البيت الثالث والبيت الرابع، حتى وفوق الثاني ايضاً لكان الاتصال بين الاول والاخير اشد ولم يخسر المعنى شيئاً يذكر . ناهيك بركاكة الفعل احس واستعمال الوصل بدل القطع فيه . وكذلك قوله -

ابن الحماسة الصابرون حمية يوم الهياج حُرِّمَ مختلف القنا
وذوو المنابر والعساكر والديسا كوالحضاير والمدائن والقرى
وذوو المواكب والكتائب والنجايب والمراتب والمناصب في العلى ما منهم احد يحس ولا يرى
افنأهم ملك الملوك فاصبحوا هو لم يزل ملكاً على العرش استوى
وهو الخفي الظاهر الملك الذي وهو الذي في الملك ليس له سوى
وهو المقدر والمدبر خلقه فينا ولا يقضى عليه اذا قضى
وهو الذي يقضي بما هو اهله

(١) راجع ذلك في الموشح ٢٥٦ - ٢٦١

فانظر التكرار غير المفيد في البيت الثاني والثالث ، ثم تأمل تكريره لصفات الله في
الايات الثلاثة الاخيرة . وكله من قبل سرعة الخطر وتراحم الالفاظ على المعنى الواحد .

واقراء هذه الايات من قصيدته التي مطلعها « لمن طلل اسائله معطلة منازله » واحكم
لنفسك فيما نحن بصدده من ميله الى الاطالة والتكرير وعدم الغرابة

أيتها المقابر فيك	من كنا ننازله
ومن كنا نتاجر	ومن كنا نعامله
ومن كنا نعاشره	ومن كنا نداخله
ومن كنا نفاخره	ومن كنا نطاوله
ومن كنا نشاربه	ومن كنا نؤاكله
ومن كنا نرافقه	ومن كنا ننازله
ومن كنا نكارمه	ومن كنا نجامله
ومن كنا له إلفاً	قليلاً ما تراوله
ومن كنا له بالامس	اخواناً نواصله

وقوله يتعجب ممن لا يهتم بأخوته

سبحان ربك ما اراك تتوب	والراس منك بشية مخضوب
سبحان ربك ذي الجلال اما ترى	توب الزمان عليك كيف تنوب
سبحان ربك كيف يغلبك الهوى	سبحانه ان الهوى لغلوب
سبحان ربك ما ترال وفيك عن	اصلاح نفسك فترة ونكوب
سبحان ربك كيف يلتذ امرؤ	بالعيش وهو بنفسه مطلوب

ومن ذلك قصيدة يذكر فيها الانسان وموته ونسيان الناس له قال فيها

فاذا ما استودعوه	الارض رهنأ تركوه
خلفوه تحت رمس	او قروه اتقلوه
ابعدوه اسحقوه	او حده او فردوه
ودعوه فارقوه	اسلموه خلفوه
وانشوا عنه وخلوه	كان لم يعرفوه

وله مثل هذا كثير في ديوانه وهو راجع كما اسلفنا الى سرعة خاطره وتراحم الالفاظ حول المعنى الواحد من معانيه وعدم اهتمامه بطرح الغث منها

٤ — عدم التفنن في الخيال . ولا اريد بالخيال هنا اللطائف الشعرية فقط من تشبيه واستعارة وكناية وما شاكل ، بل اعني الخطأ او الصورة التي يتخيلها الشاعر فيحمل الناس عليها الى غرضه . فانت اذا طالعت ديوان ابي العتاهية لا تجد فيه الا موضوعاً واحداً يحوم حوله ويعرضه علينا عرضاً يكاد يكون واحداً — وصف القبور واهوالها — فناء الاعراض الدنيوية — فساد الانسان وعقاب الآخرة . ولقد تقرأ بضع قصائد منه فقتستغني بها عن سائر الديوان . واذا كان لك جلد الباحث وتحملت عناء قراءته الفيت نفسك امام موسيقي شرقي يكرر عليك لحناً واحداً يكتبه على « تقاسيم » شتى فيؤثر فيك ، ولكنك لا تلبث بعد مدة ان تشعر بتلل من ذلك التكرار ، وبرغبة في استماع شيء جديد على تلك الاوتار . ليس لابي العتاهية قلم الفنان الاجتماعي الذي يرى الحياة بطولها ويعرضها فيستخلص منها مواضيع شائقة يتفنن في عرضها على الجمهور . نعم ان العصور تختلف من حيث السياسة واسباب العمران ولكن الدوافع النفسية هي هي ، وما يحدث الآن كان يحدث في كل اوان لم يكن شاعرنا كثير الاقتنان في انشاده ، بل كان له وتر واحد ينقر عليه نغمت متجانسة مؤثرة ولكنها خالية من سعة التخيل والنفوذ الى مناطق الحياة الحقيقية

فاذا قرنت ذلك بزاياء الاخرى من سهولة المعنى وسلاسة المبنى تفهم لماذا يختلف النظر في حقيقته ، ولماذا يجمع في شعره بين السمو والاسفاف والبلاغة والركاكة

المختار من شعر ابي العتاهية

يقف على المقابر فينشد لنا نغمات الموت والآخرة . وبرغم انه يكررها ويرجعها على وتر واحد
نجد فيها ايقاعاً يلذ نفوسنا ويؤثر فيها

في غرور الدنيا

نصبت لنا دون التفكير يا دنيا
متى تنقضي حاجات من ليس واصلاً
اماني يفتني العمر من قبل ان تفتني
لكل امرئ فيما قضى الله خطته
من الامر فيها يستوي العبد والمولى
وإن امرءا يسعى لغير نهاية
لمنفس في لجة الفاقة الكبرى

في ذكرى الشباب

بكيت على الشباب بدمع عيني
فياً اسفاً اسفت على شبابي
فلم يغن البكاء ولا النحيب
عريت من الشباب وكان غضاً
نعاه الشيب والرأس الخضب
كما يعرى من الورق القضب

في زوال الدنيا

لدوا الموت وابنوا للخراب
لمن نبني ونحس الى تراب
فكلكم يصير الى تباب
ألا يا موت لم أر منك بدءاً
نصير كما خلقنا من تراب
كأنك قد هجمت على مشيبي
اتيت وما تحيف وما نحائي
ايا دنياي ما لي لا اراني
كما هجم المشيب على شبالي
وإنك يا زمان لذو صروف
اسومك مثلاً إلا نبا بي
فإني لست احب منك شطراً
وإنك يا زمان لذو صروف
وما لي لا ألح عليك إلا

اراك وإن طليت بكل وجه
 او الامس الذي ولّى ذهاباً
 وهذا الخلق منك على وفاة
 وموعد كل ذي عمل وسعي
 تقلدت العظام من الخطايا
 ومهما دمت في الدنيا حريصاً
 سأسال عن امور كنت فيها
 بأية حجة أحتج يوم الحساب
 اذا دُعيت الى الحساب
 هما امران يوضح عنهما لي
 كتابي حين أنظر في كتابي
 فإما أن أخلد في نعيم
 وإما أن أخلد في عذاب
 كخلم النوم او ظل السحاب
 وليس يعود او لمع السراب
 وارجلهم جميعاً في الركاب
 بما اسدى غداً دار الثواب
 كاني قد امنت من العقاب
 فاني لا أوثق للصواب
 فما عذري هناك وما جواني
 كاني حين أنظر في كتابي
 وإما أن أخلد في عذاب

في الحريرة الحقيقية

طلبت المستقرّ بكل ارض
 اطعت مطامعي فاستبعدتني
 فلم ار لي بارض مستقرّاً
 ولو اني قنعت لكنت حراً

في اهل القبور

اخويّ مرّاً بالقبور
 ثم ادعوا من عادها
 ومسوّد رحب الفناء
 يا من تضمّنه المقابر
 هل فيكم او منكم
 او ناطق او سامع
 اهل القبور احبّي
 بعد الغضارة والنضارة
 بعد المشاهد والمجا
 بعد الحسان المسمعا
 اصبحتم تحت الثرى
 رسماً قبل المسير
 من ماجد قرم نخور
 اغرّاً كالقمر المنير
 من كبير او صغير
 من مستجار او مجير
 يوماً بعرف او نكير
 بعد الجذالة والسرور
 والتنمّم والخبور
 لس والعساكر والقصور
 ت وبعد ربّات الحدور
 بين الصفائح والصخور

اهل القبور اليكم لا بد عاقبة الامور

في غرور الطامع

حتى متى يستغزني الطمعُ ليس لي بالكفاف مئسُ
 ما افضل الصبر والقناعة للناس جميعاً لو انهم قنعوا
 واخذع الليل والنهار لاقوام اراهم في النعي قد رتعوا
 اما المنايا فغير غافلة لكل حي من كأسها جرع
 اي ليبب تصفو الحياة له والموت ورد له ومنتجع
 يا نفس مالي اراك آمنة حيث يكون الروعات والفرع
 ما عدت للناس في تصرف حالاتهم من حوادث تقع
 لقد حابت الزمان اشطره فكان فيهن الصاب والسبع
 ما لي بما قد اتى به فرح ولا على ما ولى به جزع
 لله در الدنى لقد لعبت قبلي بقوم فما ترى صنعوا
 بادوا ووفتهم الالهة ما كان لهم والايام والجمع
 اثروا فلم يدخلوا قبورهم شيئاً من الثروة التي جمعوا
 وكان ما قدموا لانفسهم اعظم نفعاً من الذي ودعوا
 غداً ينادى من القبور الى هول حساب عليه يجمع
 غداً توفى النفوس ما كسبت ويحصد الزارعون ما زرعوا
 تبارك الله كيف قد لعبت بالناس هذي الاهواء والبدع
 شئت حب الدنى جماعتهم فيها فقد اصبحوا وهم شيع

في سرف العفاف والرضى

متى تتقضى حاجة المتكاف ولا سيما من مترق النفس مسرف
 طلبت الغنى في كل وجه فلم اجد سبيل الغنى إلا سبيل التعفف
 اذا كنت لا ترضى بشيء تناهت وكنت على ما فات جم التلهف
 فلست من المهم العريض بخارج ولست من العيظ الطويل بمشتف
 اراني بنفسي معجباً متعزراً كأنني على الآفات لست بشرف

وإني لأعينُ البائسَ الواهنَ القوي
 وليسَ امرؤهُ لم يرعَ منكُ بجهده
 خليليَ ما اكفيَ اليسيرَ من الذي
 وما أكرمَ العبدَ الحريصَ على الندى
 وعينَ الضعيفِ البائسِ المتطرفِ
 جميعَ الذي ترعاهُ منه بمنصفِ
 نحاولُ أنْ كُنَّا بما عَفَّ نكتني
 وأشرفَ نفسَ الصابرِ المتعففِ

في ضرورة النقي

بليتَ وما تبلى ثيابَ صباكا
 ألم ترَ أنَ الشيبَ قد قامَ ناعياً
 تسمعُ ودعَ من اغلقَ الغيَ سمعه
 ألا ليتَ شعري كيفَ أنتَ إذا القوي
 تموتُ كما ماتَ الذينَ نسيهم
 تمتيتَ حتى نلتَ ثم تركتها
 إذا لم تكنَ في متجرِ البرِ والتقي
 إذا أنتَ لم تعزمَ على الصبرِ للاذى
 إذا كنتَ تبغي البرَّ فكفِ عن الاذى
 أخوكَ الذي من نفسه لك منصفِ
 كفأكَ من اللهو المضرِّ كفاكا
 مقامَ الشبابِ الغضِّ ثم نعاكا
 كاني بداعٍ قد اتى فدعاكا
 وهتَ وإذا الكربُ الشديدُ علاكا
 وتُنسى وتَهوى العرسُ بعد سواكا
 تنقلُ بينَ الوارثينَ مناكا
 خسرتَ نجاةً واكتسبتَ هلاكاً
 رميتَ الذي منه الاذى ورماكاً
 وما البرُّ إلا أنْ تكفَّ إذاكا
 إذا المرءُ لم ينصفكَ ليس أخاكاً

في فناء الحياة ومرارة المرض

نعي نفسي اليَّ من الليلي (١)
 فإلي لست مشغولاً بنفسي
 لقد ايقنت اني غير باق
 أما لي عبرة في ذكر قوم
 كأن ممرضى قد قام يثبي
 وخفي نسوة يبكين شجواً
 ساقن ما بقيت بقوت يوم
 تصرّفنَ حالاً بعد حال
 ومالي لا أخاف الموت مالي
 ولكني اراني لا ابالي
 تفانوا ربما خطرنا ببالي
 بنعشي بين اربعة عجال
 كأن قلوبهن على مقال
 ولا ابغي مكافئةً بمال

(١) وفي رواية - الى مر الليلي

تعالى الله يا سلم بن عمرو
 هب الدنيا تساق اليك عفواً
 فما ترجو لشيء ليس يبقى
 وحقك كلُّ ذا يفنى سريعاً
 خبرت الناس قرناً بعد قرن
 وذقت مرارة الاشياء طراً
 اذلَّ الحرصُ اعناق الرجال^(١)
 ليس مصير ذلك الى الزوال
 وشيكاً ما تغيره الليالي
 ولا شيء يدوم مع الليالي
 فلم ار غير ختال وقال
 فما طعم امر من السؤال

في المنية وبطشها

لمن طلل اسائله معطلة منازله
 غداة رأته تنعى اعاليه اسافله
 وكنت اراه مأهولاً ولكن باد أهله
 وكلُّ لاعتساف الدهر معرضة مقاتله
 فيصرع من يصارعه وينضل من يناضله
 ينازل من يهه به واحياناً يخاتله
 واحياناً يؤخره وتارات يعاجله
 وم قد عز من ملك تحف به قنابله
 يخاف الناس صولته ويرجى منه نائله
 ويشني عطفه مرحاً وتعجبه شمائله
 فلما ان اتاه الحق والى عنه باطله
 فغمض عينه لله ت واسترخت مفاصله
 رأيت الحق لا يخفى ولا تخفى شواكله
 الا فانظر لنفسك اي زاد انت حامله
 لمزل وحدة بين المقابر انت نازله
 قصير السمك قدرتصت عليك به جنادله
 بعيد تراور الجيران ضيقة مداخله

(٥) يخاطب الشاعر المعروف بسلام الخاسر وقد مر ذكره

ألا إن المنية منهلٌ والخلقُ ناهله
 واخر من ترى تفنى كما فنيت اوائله
 لعمرك ما استوى في الامر عالمه وجاهله
 ليعلم كل ذي عمل بان الله سائله
 فاسرع فأتراً بالخير قائله وفاعله

في قصر العمر وعقبة الغنى

الا هل الى طول الحياة سنيلٌ
 واني وان اصبحت بالموت موقناً
 وللدهر الوانٌ تروح وتعتدي
 ومثلٌ حق لا معرج دونه
 ارى علل الدنيا علي كثيرة
 اذا انقطعت عني من العيش مدتي
 سيعرض عن ذكري وتُنسى مودتي
 وللحق احياناً لعمري مرارة
 ولم ار انساناً يرى عيب نفسه
 ومن ذا الذي ينجو من الناس سالماً
 اجلك قوم حين صرت الى الغنى
 وليس الغنى الا غنى زين الغنى
 ولم يفتقر يوماً وان كان معدماً
 اذا مالت الدنيا الى المره رغبتم

وأنتى وهذا الموت ليس يُقيلُ
 في امل دون اليقين طويلُ
 وإن نفوساً بينهن تسيلُ
 لكل امرئ يوماً اليه رحيلُ
 صاحبها حتى المات عليلُ
 فان غناء الباكيات قليلُ
 ويحدث بعدي للخليل خليلُ
 ويثقل على بعض الرجال ثقلُ
 وان كان لا يخفى عليه جميلُ
 وللناس قال بالظنون وقيلُ
 وكل غني في العيون جليلُ
 عشية يقري او غداة ينيلُ
 جواد ولم يستغن قط بخيلُ
 اليه ومال الناس حيث ميلُ

في ذل السوال

أتدري اي ذل في السوال
 يعز - على التتره - من رعاه
 اذا كان التوال بسذل وجهي
 وفي بسذل الوجوه الى الرجال
 ويستغني العفيف بغير مال
 فلا قربت من ذاك التوال

معاذَ الله من خَلقِ دنيّ
توقّ يداً تكونُ عليكِ فضلاً
يدٌ تَعلو يداً يَجْمِلُ فَعْلُ
اتنكرُ أن تكونَ اِخا نَعِيمِ
وانت ترومُ قوتك في عَفافِ
متى تُسمي وتُضِجُ مستريحاً
تكابِدُ جمعَ شيءٍ بعدَ شيءٍ
وقد يجري قليلُ المالِ مجرى
اذا كان القليلُ يسدُّ فقري
هي الدنيا رأيتُ الحبَّ فيها

يكونُ الفضلُ فيه عليّ لا لي
فصانها اليكِ عليكِ عال
كما علت اليمينُ على الشمالِ
وانت تصيفُ في نبيّ الظلالِ
وربّياً إن ظمئتَ من الزُّلالِ
وانت الدَّهْرَ لا ترضى بحالِ
وتبغني ان تكونَ رخيّاً بالِ
كثيرُ المالِ في سدِّ الخلالِ
ولم اجدِ الكثيرَ فلا أُبالي
عواقبُه التفرُّقُ عن يقالِ

عمر الزمان

نادت بوشك رحيلك الايامُ
ومضى أمامك من رأيتَ وانتَ
ما لي اراكِ كأن عينك لا ترى
تأتي الخطوبُ وانتَ منتهٍ لها
قد ودّعتك من الصِّباءِ تزاوةً
عَرَضَ^(١) المشيبُ من الشَّبابِ خليفةً
وكلاهما حجيجٌ عليكِ قوياً
أهلاً وسهلاً بالمشيبِ مؤدّبياً
ولقد غُشيتَ^(٢) من الشَّبابِ بغبطةٍ
للهِ ازمنةٌ عهدتُ رجاها
ايامَ اعطيةٍ الاكفرَ جزيلةً
فليبرةٌ أُخِرتَ للزَّمنِ الذي
زمنٌ مكاسبُ اهله مدخولةً

أفلسْتَ تسمعُ او بك استصمامُ
للباقينِ حتى يلحقوكِ إمامُ
عبراً تمرُّ كأنهنَّ سهامُ
فاذا مضت فكلَّنها احلامُ
فاحذر فها لك بعدهنَّ مُقامُ
وكلاهما لك حيلةٌ ونظامُ
وكلاهما نعمٌ عليكِ جسامُ
وعلى الشَّبابِ تحيةٌ وسلامُ
ولقد وقاكِ عثاره الإحكامُ
في النائباتِ وانهم لكرامُ
اذ لا يضيعُ لذي الذِّمامِ ذِمَامُ^(٣)
هناك الاراملُ فيه والايامُ
دخلاً فروعُ اصوله الآثامُ

(١) وفي نسخة: عوض (٢) وفي رواية: غنيت

(٣) وفي نسخة: افلا يضيع لدى الزمان ذمام

زمنٌ تحامى المكرماتِ سراته
 زمنٌ هوتِ اعلامه وتقطعت
 ولقد رأيت الطاعمين^(١) لما اشتها
 ما زخرفُ الدنيا وزبرجِ اهله
 ولربُّ اقوامٍ مضوا لسيلهم
 ولربُّ ذي فُرشٍ مُمهَّدةٍ له
 وعجبتُ اذ علل الختوف كثيرةً
 والغنيُّ مزدحمٌ عليه وعورةً
 والموتُ يعمل والعيون قريرةً
 والله يقضي في الامور بعلمه
 والخلق يقدّمُ بعضه بعضاً يقود الخلف منه الى البلى القدام
 كلُّ يدود على البقاء مؤتملاً وعلى الغناء تديره الأيام

في الذكر الطيب

سكنٌ بيتي له سكنٌ
 نحنُ في دارٍ يجبرنا
 دارٍ سوءٍ لم يدّمُ فرحٌ
 ما نرى من اهله احداً
 عجباً من معشرٍ سلفوا
 وقرّوا الدنيا لغيرهم
 تركوها بعد ما اشتبكت
 كلُّ حيٍّ عند ميتته
 إنّ مال المرء ليس له
 في سبيل الله انفسنا
 ما بهذا يؤذنُ الزمنُ
 عن بلاها ناطقٌ لسن
 لامرئٍ فيها ولا حزنٌ
 لم تغلّ فيها به الفتن
 اي غبنٍ بينٍ غبنوا
 وابتنوا فيها وما سكنوا
 بينهم في حيا الا حنٌ
 حظه من ماله الكفن
 منه الا ذكره الحسن
 كأننا بالموتِ مرتّهن

فراع الاماني

الدهرُ ذو دُولٍ والموتُ ذو عِللٍ
 ولم تزل رعبٌ فيهنَّ معتبرٌ
 والمبتلى فهو المهجورُ جانبه
 يبكي ويضحك ذو نفسٍ مصرفة
 يا بائعَ الدين بالدنيا وباطلها
 حتى متى انت في لهوٍ وفي لعبٍ
 ما كلُّ ما يتمنى المرء يدركه
 إنَّ المنى لغرورٌ ضلَّةٌ وهوى
 والناس في رقدةٍ عما يُراد بهم
 أنصفَ هُديت اذا ما كنت متصفاً
 يا ربَّ يوم اتت بشراه مقبلةً
 لا تحقنَّ من المعروف اصغره
 وكلُّ امرٍ له لا بُدَّ عاقبةٌ
 نلهو وللموت مُسانا ومصبحنا
 ما اقربَ الموت في الدنيا وابعدُه
 كم نافس المرء في شيء وكابر فيه
 بينا الشقيق على إفسرٍ يُسرُّ به
 يبكي عليه قليلاً ثم يُخرجه
 وكلّ ذي اجلٍ يوماً سيلغه

والمرء ذو املٍ والناس اشباهُ
 يجري بها قدرٌ والله اجراه
 والناسُ حيثُ يكون المال والجاه
 والله اضحكه والله ابكاه
 ترضى بدينك شيئاً ليس يسواه
 والموت نخوك يهوي فاغراً فاه
 ربَّ امرئٍ حتفه فيما تمنَّاه
 لعل حتف امرئٍ في الشيء يهواه
 وللحوادث تحريكٌ وإنباه
 لا ترضَ للناس شيئاً لست ترضاه
 ثم استحالت بصوت النعي بشراه
 أحسنُ فعاقبة الاحسان حسناه
 وخيرُ أمرٍ ما احدثت عُقباه
 من لم يصحَّه وجه الموت مسَّاه
 وما أمرٌ جنى الدنيا واحلاه
 الناس ثم مضى عنه وخلاه
 اذ صار اغمضه يوماً وسجَّاه
 فيمكن الارض منه ثم ينسَاه
 وكلّ ذي عملٍ يوماً سيلقاه



أبو تمام

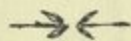
جبيب بن أوس الطائي

ولد بين ١٨٨ و ١٩٢ هـ وتوفي ٢٣٠ أو ٢٣١

حوالي ٨٠٤ م - ٨٤٥ م

توطئة تاريخية - ممدوحه - شخصيته في شعره - خصائصه الفنية

(التأنق البديعي - التفنن المعنوي - الشغف بالاغراب)



مصادر دراسته

- (مروج الذهب) للمعدي (اوروبا) ج ٧ ص ١٦٠ - ١٦٧
 الاغانى ج ١٥ ص ١٠٠ - ١٠٨
 وفي سيرة ديك الجن
 الوساطة للجرجاني ص ٢٢ - ٢٦ و ٥٩ - ٦٦ و ٣٦١
 الموازنة للامدي
 الموشح في مأخذ العلماء على الشعراء المرزباني (مصر ١٣٤٣) ص ٣٠٣ - ٣٢٩
 تهذيب التاريخ الكبير لابن عساکر ج ٤ ص ١٨ - ٢٦
 تزهة الالباء للانباري ص ٢١٣
 وفيات الاعيان ج ١ - تحت « حبيب » ص ١٦٩ - ١٧٣
 حسن المحاضرة للسيوطي ج ١ - ٢٤٠
 خزنة الادب للبغدادي (بولاق) ج ١ ص ١٧٠ - ١٧٢
 ديوان ابي تمام للخياط
 ديوان ابي تمام للدكتور ملحم الاسود
 ومواضع شتى في كتب الادب الحديثة كدائرة المعارف للبستاني ومجلة الكلية ومجلة
 المجمع العلمي ودائرة المعارف الاسلامية وسواها

نوطنة تاريخية

يؤخذ من المصادر التاريخية ان ابا تمام ولد حوالي ١٩١ هـ في قرية يقال لها جاسم . وهي على ما ذكر ياقوت قرية تبعد عن دمشق ثمانية فراسخ على عين الطريق الاعظم الى طبريا . ولا يعرف عن حدائته فيها شي . يذكر ، الا انه قد يلاحظ مما نقله ابن خلكان وابن عساكر انه كان في صفه يعمل عند حائك او قرزاز في دمشق (١) .

وكل ما يمكن استخلاصه من شتى الروايات ان والده رجل مسيحي اسمه تدوس العطار ، فخرّف بعد اسلام الشاعر الى اوس . ويرجعون نسبه الى قبيلة طي ولذلك لقب بالطائي . وفي ديوانه مواقف يفاخر فيها بهذا النسب نذكر منها هنا قصيدته التي مطلعها - « تصدّت وجبل البين مستحصد شرر » ومنها

وهل خاب من جذماه في اصل طيبي
لنا جوهر لو خالط الارض اصبحت
مقاماتنا وقف على العلم والحجى
فامر دنا كهل واشيينا حبر

ويأخذ فيها بذكر كرام الطائين وابطاهم وما كان لهم من غرر الوقائع ويختتمها بقوله :
مساع يضل الشعر في كنه وصفها
فما يتدي الا لاصغرها الشعر

والمجمع عليه انه انتقل وهو فتى الى مصر . وكان يلازم مسجدها يخدم فيه اهل العلم والادب ، فلشأ هناك . ثم جاب الاقطار فزار بغداد وخراسان ونيسابور وبلاد الجبل والحجاز وارمينيا والموصل وسواها . وشعره مفعم بما يدل على كثرة تجواله في الاقطار ، وتحمله للشاق والاختار

واذا دققنا في ديوانه وسيرته ترجح لدينا انه هبط مصر يافعاً . ففي قصيدته التي قالها في مصر مادحاً آل الرسول ومطلعها « اظبية حيث استنت الكشب العفر » ما يشير الى انه قالها وهو في السابعة عشرة . واليك هذه الابيات منها

وان نكيراً ان يضيّق بين له
وما لامرى . من قائل يوم عثرة
وان الذي احذاني الشيب للتي
رايت ولم تكمل له السبع والعشر

(١) وفيات الاعيان ١ - ١٥٣ وخذيب التاريخ الكبير ٦ - ١٨

فاذا تأملت البيت الاول شعرت ان قائله حديث العهد بمصر ، وانه انما أمها وسيلة
للارتاق . وبثبت لنا ذلك ما جاء في حسن المحاضرة للسيوطي من انه هبط مصر « وهو
في شيبته »^(١) ، وكذلك ما اشار اليه عرضاً ابن خلكان وابن عساكر انه كان في دمشق
يعمل عند حايك . ويقول المرزباني ان اول نبوغه كان بدمشق^(٢)
وفي شعره ما يدل على ان حياته في مصر لم تكن على ما يرام فاكثر شعره فيها نغثات
متبرم يستعمل الإقامة في وادي النيل . وهذه قصيدته اللامية شاهدة بذلك : نظماً وقد
مر عليه خمسة احوال في مصر فقال فيها -

بنفسي ارض الشام لا ايمن الحمي ولا ايسر الدهنا ولا اوسط الرمل
عدتني عنكم مكرهاً غربة النوى لها وطراً في ان تيراً ولا تحلي
الى ان يقول

أخسة احوالٍ مضت لمغيبه وشهران بل يومان نكل من الشكل
ويئعه من ان بيت زماعه على عجل ان القضاء على رسل
لقد طلعت في وجه مصر بوجهه بلا طالع سعد ولا طائر سهل
وساوس آمال ومذهب همة بخيمة بين المطبة والرحل
نأيت فلا مالاً حويت ولم أقم فامتع اذ فجعّت بالمال والاهل
وكان ورائي من صرمة طي . ومعن ووهب عن امامي ما يسلي
فلم يك ما جرعت نفسي من الاسى ولم يك ما جرعت قومي من الشكل

والذي يحصل من هذه الابيات انه كان قبل خمسة احوال ترك قومه وجاء مصر منتجعاً
الرزق ، فلم يلق ما كان يتوخاه ، ولم يحمله على البقاء فيها حتى الان الا القضاء المعاكس .
ويفهم من ذلك ضمناً انه ترك اهله وفيه مطامع . ولا تكون المطامع عادة قبل ان يشرف
المرء على البلوغ . فشاعرنا على ما يظهر حين اليه الاسلام وهو في الشام ففعل ذلك
مندفعاً بما فيه من الطموح وطلب العلي^(٣) ، وظن انه ينال غايته في مصر فأمها . ولضيق

(١) حسن المحاضرة ١-٢٦٠ (٢) الموشح ٣٢٤

(٣) وقد فعل ذلك بعض من كبار النصارى في عصره وبعده كآل النبط وآل ثوابة . وآل
وهب وكانوا من رؤساء الناس وكانت دولتهم ناضرة وابامهم مشرقة الفخري ١٨٢ و١٣٧
والفهرست ١٣٥

ذات يده وميله الى الادب لزم المسجد يخدم اهل العلم ويأخذ عنهم
وما زال كذلك حتى نبغ واشتهر فهجر مصر قاصداً كبار الرجال في العالم الاسلامي .
وبلغ المعتصم خبره فحمله اليه الى سامرا (سر من راي) فلزمه ومدحه ، وكان في زمانه
امير الشعراء وحامل رايتهم .

ثم عينه الحسن بن وهب على بريد الموصل ، فقضى في هذا المنصب الستين الاخيرتين
من حياته ، وتوفي هناك . وقد رأينا تمهيداً لدراسته ان ثبت هنا قائمة باهم ممدوحيه مرتبة
بحسب عدد القصائد التي قيلت فيهم

اهم ممدوحيه ابى تمام

ابو سعيد محمد بن يوسف الثغري وآله ٢٩ قصيدة (من طي) وكان من كبار القادة
آل وهب وزراء الدولة = ١٣ ينسبهم البعض في بني الحرث بن
كعب ولكن الصحيح انهم من
الموالي (١)

	المعتصم ٨	} الخلفاء العباسيون
١٢	المأمون ٢	
	الواثق ٢	
كان قاضي الدولة ومن اكبر المتنفذين فيها	١٢	القاضي احمد بن ابى دؤاد (الايادي الجمي) ١٢
من الامراء والقادة	١٢	خالد بن يزيد بن مزيد (الشيباني)
امير عرب الشام	١٠	مالك بن طوق (التعلبي)
من اهل مرو (من الموالي) (٢)	٨	محمد بن الهيثم بن شيانه
ومنهم محمد بن حميد وقد اشتهر في حرب بابل	٦	آل حميد الطوسي (طائي)
امير الشام	٥	ابو المغيث الرافعي وآله

(١) راجع قصيدة ابى تمام « هل اثر من ديارم دمس » ومختارات البارودي ٣٧٢ قول ابن
الرومي عن ابن وهب « وذو نسب من آل سامان شابك »

(٢) ديوان ابى تمام للاسود ١-٢٨٢

عبد الله بن طاهر بن الحسين	٤	فارسي الاصل (خزاعي الولا.)
ابو دلف القاسم بن عيسى (العجلي)	٤	قائد عربي كبير وصاحب الكرخ
محمد بن الزيات الكاتب المشهور	٤	وزير المعتصم
اسحق بن ابراهيم المصعبي (الخراعي)	٤	نائب بغداد
عبد الحميد بن غالب الصغدي	٤	
محمد بن حسان (الضبي)	٤	
آل سهل	٤	الوزراء والكتاب وهم من الفرس
الافشين	٢	القائد التركي الكبير
علي بن مر	٢	من كهلاء طي

شخصيته في شعره

لاي تمام مزيتان بارزتان ، صبره على المشاق لبوغ المنى وشدة عنفوانه واعجابه بنفسه .
يضاف الى ذلك ميله الى الاسراف في الميل والقوى . فاذا قرأت ديوانه رايتيه مفعلاً بما يدل
على انه نشأ مغامراً في سبيل الجاه والمال . وقد زادته كثرة اسفاره غزماً ومضاً ، فليس
اذن من الغريب ان تسمعه يقول

ذريني على اخلاقي الصمّ التي هي الوفر او سرب ترن نوادبه

اي دعيني - على ما في من خالق شديد - اخوض غمرات الحياة فاما الغنى او الموت .
وقوله من قصيدة اخرى

ولكنني لم احو وفرّاً مجعاً ففزت به الا بشمل مبدّد

ترعة في نفس الشاعر تعبّر لنا عمّا يتلجج في نفوس البسلام المغامرين الذين يابون حياة
الاحول ، فيقتحمون الاهوال وينحوضون الغمار طلباً للعلى والمجد . ومنها

ليس باكناف الجرير وفارس وقيم واصطخر قراراً لوّد

بلى ان ارض الله فيها ندوحة ومضطرب للغاتك المتجرّد

تلك روح قلقة كثيرة المطامع ، وهي التي حملت شاعرنا على ترك قومه في الشام ، ثم
على ترك مصر والضرب في اجواز الارض . وقد صدق في وصف حاله اذ قال
ذات الثنايا الغرّ لا تتعرّضي
عند الفراق بمقلتين وجيد
ما ابيض وجه المرم في طلب العلي
حتى يسودّ وجهه في البيد

وانك لتكاد تلمس صلابه نفسه في ابياته التالية -

لا أفقر الطرب القلاص ولا أرى
مع زير نسوان اشدّ قيودي
شوقٌ ضرحت قذاته عن مشربي
وهوى اطرت لحاه عن عودي
عامي وعام العيس بين وديقة
مسجورة وتنوفة صيخود
حتى اغادر كل يوم بالفلا
للطير عيداً من بنات العيد

وملخص هذه الابيات : انني لست من الذين يركبون العيس توصلًا الى طرب او
للمهي غرامي ، ولكنني رجل اسفار متمرس بقطع الغلوات المحرقة ، ولم تركت لطيورها
نصيلاً وافراً من نياقي . يشير بذلك الى صلابته واحتماله وشوقه الى العظام . والكثير في
شعره ينضح بهذه الروح المعامرة ، حتى شعره في مصر - وهو في اول عهده وقد قيده
الدهر بقيود الفقر - زاه برغم ذلك يتم على نفس مرة طاعة . ومن قوله في ذلك

وطال قطوني ارض مصر لحاجة
يقال لها أقبح بهاتي وأسمج
اقلب في اقطارها الطرف كي ارى
ولست براه ذاك عصمة ملتجي
فقتني بأسي واعلم انني
مقود بجبل المقادير مدمج

اما عنفوانه فظاهر مما رووه عنه يوم قصد عبدالله بن طاهر امير خراسان . قالوا لما فرغ
من انشاده بائته التي مطلعها « اهن عوادي يوسف وصواجه » نثر عليه الف درهم ، فاستقلها
الشاعر ولم يمس منها شيئاً ، بل تركها للعلمان يلتقطونها . فوجد عليه الامير وقال يترفع عن
بري ، ويتهاون بما اكرمه . فلم يبلغ ما اراده من بعد ذلك . واي عنفوان اشد من ان
يقصد شاعر اميراً جليلاً كابن طاهر فيمدحه ، ثم هو يرى هبة الامير اقل من قدره ،
فيترفع عن ان يمسا بيده . وهذه الظاهرة الخلقية في شاعرنا تتجلى لنا ايضاً في خلق ابي
الطيب المتنبي كما سنرى عند درسنا هذا الشاعر . وهي قد تهيب بالشاعر الى وزن نفسه
ببيران ممدوحيه ، او الى التفاخر والتعاضم على زملائه ومناوئيه . خذ قصيدة ابي تمام التي قالها
يدح قاضي الدولة العباسية احمد بن ابي دؤاد ويعتذر اليه عن اساءة ، واولها

ارابت اي سوانف وخدود عنت لنا بين اللوى فزرو
 وفيها يذكر فضل المدوح وفضل قومه (اياد) ويقرن ذلك بمدح طي (قبيلة الشاعر) ،
 ويجعل اياداً وطياً متساويين في المحامد فيقول
 كعب وحاتم اللذان تقاسما خطط العلى من طارف وتلبد
 هذا الذي خاف السحابومات ذا في الحمد مية خضرم صنديد
 ثم يتقدم الى الاعتذار بابيات تدل على شدة نفسه ومنها
 فاسمع مقالة زائر لم تشبهه آراؤه عند اشتباه البيد
 اسرى طريداً للحياء من التي زعموا وليس لهبة بطريد
 كنت الربيع امامه ، ووراه قمر القبائل خالد بن يزيد
 ما خالد لي دون ايوب ولا عبد العزيز ولست دون يزيد

والمأمل في هذه الابيات يعجب من هذه العواطف التي تلي عليه ان يقول لممدوح عظيم
 يعتذر اليه : لم آتك رهبة منك بل خجلاً مما اتهمت به ، وان مثلي في الاعتذار اليك مثل
 يزيد بن المهلب لما استجار من الوليد بايوب بن سليمان بن عبد الملك ، وبعد العزيز بن الوليد
 فشغله . وما خالد الذي يشفع لي باقل منهما ، ولا انا باقل من يزيد بن المهلب

ومثل ذلك قوله من قصيدة يدح بها محمد بن يوسف -

وكنت اذا ما زرت يوماً مسوداً سرحت رجائي في مسارح سؤدد
 فان يجزل النعمى تشبه قصائدي وان ياب لم اقنع باصوات مبعبد
 اليس باكناف الجرير وفارس وم واصطخر قرار لروء

فكانه يقول اني شاعر كبير النفس اقصد الامير العظيم فان كافاني با يستحق مقالي
 كافاته با يستحقه من القصائد ، والا فاني اتحول عنه الى الضرب في آفاق الارض

اما تعاضله بشعره فهو كثير في شعره كقوله يصف قصائده

وسيارة في الارض ليس بنازح على وخذها حزن سحيق ولا سهب
 تذر ذرور الشمس في كل بلدة وتسمي جوحاً ما يرد لها غرب
 اذا انشدت في القوم ظلت كأنها مسرة كبر او تداخلها عجب
 مفصلة باللؤلؤ المنتقى لها من الشعر الا انه اللؤلؤ الرطب

وقوله -

خذها مغرّبة في الارض آنسةً بكل فهم غريب حين تغترب
لا يستقى من حفير الكتب رونقها ولم ترل تستقى من بحرها الكتب
حسبية من صميم المدح منصبها اذ اكثر الشعر ملقى ما له حسب
وقس على ذلك ما لا يسعه هذا المقام

على ان ابا تمام كان - على صلابة نفسه - موصوفاً بكرم النفس وحسن الاخلاق. (١)
وكان محباً للشراب والغناء ، لا يكاد يحصل على المال حتى ينفقه في سبيل المسرات . فهو
في ذلك كالكثير شعراء عصره . ورغم ما تجده في شعره من الشدة الدينية (ولا سيما عند
ذكره للروم) لا تجده في سيرته او في شعره تمسكاً شديداً بفروض الدين . قال المسعودي
كان ابو تمام ماجناً خليعاً ، وربما اذاه ذلك الى ترك موجبات فرضه تماجناً لا اعتقاداً . (٢)
وبكلمة اخرى كان مستهتراً قليل المبالاة بما يتطلبه حسن الاعتقاد

خصائصه الفنية

قال ابن شيق القيرواني لا بد لكل شاعر من طريقة تغلب عليه كاي نواس في الحمز ،
وابي تمام في التصنيع ، والبحتري في الطيف الخ. (٣) وقال الجرجاني في الوساطة كانت
كانت الشعراء تجري على نهج من الاستعارة قريب من الاقتصاد حتى استرسل فيه ابو تمام
ومال الى الرخصة ، فاخرجه الى التعدي وتبعه اكثر المحذنين (٤) . وقال ابو الفرج الاصفهاني
« وله مذهب في المطابق هو كالسابق اليه جميع الشعراء وان كانوا قد فتحوه قبله وقالوا
القليل منه ، فان له فضل الاكثار والسلوك في جميع طرقه (٥) » . ووصفه الامدي بقوله
« وشعره لا يشبه اشعار الاوائل ولا على طريقتهم لما فيه من الاستعارات والمعاني المولدة » ،
ثم يقول « فان كنت تميل الى الصنعة والمعاني الغامضة التي تستخرج بالغوص والفكرة ولا
قلوي على غير ذلك فابو تمام اشعر (٦) »

هذا هو رأي جمهور العلماء النقادين في شعر ابي تمام . والذي يطالع ديوانه
ويدقق في تفهيم معانيه يرى فيه ثلاث مزايا بارزة وهي -

- (١) تزهة الالباء للاتباري ٢١٤ وابن عساكر ٤-١٨ الى ٢٦ (٢) مروج الذهب ٧-١٥١
(٣) العمدة ١-١٩٤ (٤) الوساطة ٣٢٠
(٥) الاغانى ١٥-١٠٢ (٦) الموازنة ٣

- ١ - تأنقه البديعي (واكثر ما يظهر ذلك في الاستعارة والطباق والجناس)
 ٢ - تفتنه المعنوي وهو ما يسميه البعض بالاختراع
 ٣ - شغفه بالاغراب - او الغوص على ما يستصعب من الالفاظ والمعاني
 ولنبتسط لك هذه المزايا واحدة واحدة

الناس البديعي

لم يخل الشعر العربي في عصر من العصور من الاخذ بأسباب البديع او الصناعة اللفظية والمعنوية . كان ذلك منذ ايام الجاهلية ، فقد عرف امرؤ القيس بسبقه الى الكثير من لطائف الوصف والتشبيه ، وعرف زهير بتثقيف قصائده وتكرير النظر فيها وتنقيحها « وربما رصد اوقات نشاطه فتباطأ عمله » . ولذلك سميت الحوليات مبالغة في تأنقه وتصنعه ، ومثلة الخطيئة

واذا راجعت شعر النابغة والاعشى وجرير والاخلطل والفرزدق وايي نواس وبشار ومروان ومسلم وسواهم من امراء الشعر الذي تقدموا ابا تمام ، تجد في جميعهم اثر الميل الى الصناعة يتفاوت فيهم بالنسبة الى الشاعر واحواله . قال ابن رشيق عن صناع الشعر القدماء « واستطرفوا ما جاء من الصنعة نحو البيت او البيتين في القصيدة بين القصائد ، يستدل بذلك على جودة شعر الرجل وصدق حسه وصفاء خاطره . فاما اذا كثرت ذلك فهو عيب يشهد بخلاف الطبع وايتار الكلفة . وليس يتجه البتة ان يتأتى من الشاعر قصيدة كلها او اكثرها متصنع من غير قصد ، كالذي ياتي من اشعار حبيب والبحري وغيرها ، وقد كانا يطلبان الصنعة ويولعان بها » (١)

وقد كادوا يجمعون على ان مسلم بن الوليد هو اول من توسع في البديع ، وتبعه فيه جماعة منهم ابو تمام : روى ذلك الاصفهاني في سيرة مسلم بن الوليد وقال ان ابا تمام جعل شعره كله مذهبا واحدا فيه . ونقل عن محمد بن يزيد قوله كان مسلم اول من عقد هذه المعاني الطريفة واستخرجها . وعن القاسم بن مهروي اول من افسد الشعر مسلم بن الوليد ، جاء بهذا الفن الذي سماه الناس البديع ، ثم جاء الطائي بعده ففتن فيه (٢)

(١) العمدة ١-٨٤

(٢) راجع الموازنة ص ٩ ووريجانة الالباء ٣٣٧

والحقيقة ما ذكرنا من ان انواع البديع منشورة متفرقة في اشعار المتقدمين ولكن مسلماً اكثر منها ، وكان يحنذي حذو العتابي ، وكان هذا يحنذي حذو بشار^(١) ، ثم قام ابو تمام فزاد على مسلم . وكان العصر الذي نشأ فيه شاعرنا (اعني صدر الدولة العباسية) عصر انتقال في الادب من الطريقة البدوية القديمة التي عرف بها صدر الاسلام الى الطريقة الحضرية المولدة طريقة التبسط والتائق . والظاهر ان ابا تمام كان من الشعراء الذين تأثروا بهذه الطريقة فجرى فيها شوطاً بعيداً وصار على ما يرى بعضهم امام هذه الصناعة . وفي شعره من الشواهد على ذلك ما لا يحتمل المقام الاسباب به فنكتفي هنا بالقليل منها - قال من قصيدة

تلومين ان لم اطو منشور همة
لبزتك اثواب البصائر عزّة
كانك لا تدرين طعم معيشة
فصوني قناع الصبر اني لواحل
امات حياة الوعد منه نوافل
وقال مادحاً احمد ابن ابي دؤاد

ما زلت ارقب تحت افياء المنى
لولاك عزّ لقاءه^(٢) فيا بقي
اوردتني العِدَّ الحُسيّف وقد ارى
اما القريض فقد جذبت بضعبه
احبته اذ كان فيك محبباً
قد كانت الحال اشتكت فاسوتها
ما عذرها ألاّ تفيق ولم ترل
وله متغزلاً

لا انت انت ولا الدير ديار خفّ الهوى وتولّت الاوطار

(١) البيان والنديين ١-٣٤ (٢) المزبد اللثيم (٣) الضمير يرجع الى الخليفة
(٤) العِد الحُسيّف اي النبع الوافر الماء . تبرّض الشمد البكي اي اطلب الماء القليل هنا وهناك

كانت مجاورة الطلول واهلها
 ايام تدمي عينه تلك الدمي
 اذ لا صدوف ولا كنود اسمها
 بيض فهن اذا رمقن سوافراً
 زمناً عذاب الورد فهي بحار
 فيها وتقمرب لبه الاقبار
 كالمعنيين ولا نوار نوار^(١)
 صوراً، وهن اذا رمقن صوار

وقال من قصيدة في ابي ذلف العجلي

تكداد مغانيه تهش عراسها
 اذا ما غدا اغدى كريمة مائه
 يرى اقبح الاشياء اوبه آمل
 واحسن من نور تفتحه الصبا
 اذا الجمت يوماً لجم وحولها
 فان المنايا والصوارم والقنا
 جحافل لا يتركن ذا جبرية
 يدون من ايد عواص عواصم
 فتركب من شوق الى كل راكب
 هدياً ولو زقت للأم خاطب
 كسته يد المأمول حلة خائب
 بياض العطايا في سواد المطالب
 بنو الحصن نجل المحصنات النجائب
 اقاربهم في الروع دون الاقارب
 سلياً ولا يحربن من لم يحارب
 تصول باسياف قواض قواضب

وامثال ذلك كثيرة في شعره بل هي مذهبه العام. وقد قاده شغفه بذلك الى الاسراف والخروج عن جادة المعقول، حتى رماه الكثيرون باسهم النقد الحادة. قال الجرجاني ان ابا تمام اسلم نفسه للتكلف، يرى انه ان مر على اسم موضع يحتاج الى ذكره او يتصل بقصة يذكرها في شعره من دون ان يشق منه تجنيساً او يعمل فيه بديعاً، فقد باه باشم واخلاً بفرض حتم.^(٢) وقال الامدي في الموازنة بعد ان ذكر آراء المنحرفين عن ابي تمام « كانهم يريدون اسرافه في طلب الطباق والتجنيس والاستعارات واسرافه في التماس هذه الابواب وتوشيح شعره بها، حتى صار كثير مما اتى من المعاني لا يعرف ولا يعلم غرضه فيها الا مع الكد والفكر وطول التأمل، ومنه ما لا يعرف معناه الا بالظن. ولو كان اخذ عفو هذه الاشياء ولم يوغل فيها ولم يجاذب الالفاظ والمعاني مجاذبة ويقسرها مكارهة، وتناول ما يسمح به خاطره وهو بجهامه غير متعب ولا مكدود، واورد من الاستعارات ما قرب في حسن ولم يفحش، واقتصر من القول على ما كان محذواً وحذو الشعراء المحسنين

(٢) اسرار البلاغة ١٠

(١) صدوف وكنود ونوار اسماء

ليسلم من هذه الاشياء التي تهجن الشعر وتذهب مائه ورونقه - ولعل ذلك ان يكون ثلث شعره او اكثر - لظننته كان يتقدم عند اهل العلم بالشعر اكثر الشعراء المتأخرين (١). وقال الباقلاني بعد ان ذكر بضعة امثال على تصنع ابي تمام « فهذا وما اشبه انما يحدث من غلوّه في الصنعة حتى يعيبه عن وجه الصواب ، وربما اسرف في المطابق والمجانس ووجوه البديع من الاستعارة وغيرها حتى استنقل نظمه واستوخم رصفه ، وكان التكلف بارداً والتصرف جامداً » (٢).

والذي يطالع ديوانه تحرياً لهذه التهم يتضح له ان اكثر ما ذكره حق وان ابا تمام كثيراً ما يأتي بالاستعارة او الكناية دون ان يراعي التناسب بين الحقيقة والمجاز كقوله -

وركب يساقون الركاب زجاجة من السير لم تقصد لها كنف قاطب

يقصد بذلك ان المسافرين يشاركون ركائبهم في السير الشديد الذي لا ين فيه ولا تؤدّه . فاستعار للسير الشديد الحمر التي لم تترج بيا . وجعل تشارك الركب والركائب فيه عبارة عن تساقبهم تلك الحمر الصرّف . وانت لا تحتاج الى تأمل كثير لترى شدة التعسف في هذه الاستعارة

ومثل ذلك قوله -

ضاحي الحياً للهجير وللقنا تحت العجاج تحاله محراثا

فالشطر الاول جميل ، جعل المدوح من ذوي الاقدام والتعرض للمشاق ، ولكنه احش في الشطر الثاني اذ جعله محراثا يشق غبار الحرب وافسد جمال البيت

وقوله -

آثري اذ جعلته سندا كل امرئ لاجي الى سنده

ايثار شزر القوي رأى جسد المعروف اولى بالطب من جسده

والشاهد في البيت الثاني وهو يريد ان يقول آثري ايثار القوي وقد غار للمعروف وقام يناصره . فتأمل استعارته اجسد للمعروف ، وايثار القوي له بالتطبيب ا

وقوله -

لعمري لقد حررت يوم لقيته لو ان القضاء وحده لم يبرد

وانك لتشعر بقشعريرة البرد في هذا البيت . وهو يقصد ان يقول ان حَمِيَّتِكَ قد ثارت
يوم لقيت العدو وكدت تفتك به لولا ان القضاء . حال دون ذلك : فكذلك نفسه حتى جاء
بالطباق ، ولكنه جاء غثاً بارداً
وانظر الى تعسفه اذ يقول

نوى كالتقضاء النجم كانت نتيجةً من الهزل يوماً ان هزل النوى جدُّ

اي ان النوى فاجأته مفاجأة فلم يصدق اولاً ، ولكن ألم وقوعها اراه الحقيقة وعلمه ان
هزل الجيب جد
وقوله —

فكان افئدة النوى مصدوعة حتى تصدع بالفراق فوادي
فاذا فضضت من الليالي فرجة خالفها فسددها ببعاد

ومعناها ان فؤاد النوى بقي مصدوعاً حتى صدع بفراق الاجبة فكلماً فتحت لنفسه
منفرجاً خالفته الايام ، فسدت ذلك المنفرج بالبعاد . فانظر كيف تكلف تصديع افئدة
النوى ، وكيف استعمل البعاد كحجر يسد به ثغرة الفرج
وقوله —

اهيسُ الئيسُ لجأء الى همم تغرق الاسد في آذيها اليلسا

انظر الى هذه الهمم التي ترى الاسود غرق في غارها . وكل ما يريد ان يقوله ان
الممدوح شجاع همته تفوق همه الاسود الشديدة
وقوله —

هدأت على تامل احمد همتي واطاف تقليدي به وقياسي

معناه رايت الناس يسعون الى الممدوح فقلدتهم ووجدته بالقياس افضلهم ، فهدأت
همتي المضطربة عنده . قابل هذا المعنى با استعاره له من هدوء الهممة وطواف التقليد
والقياس فتري شدة اسرافه في الصناعة
ومثل ذلك قوله —

لوم تفت مِّنَ المجد مذ زمن بالجوود والبأس كان المجد قد خرفا
ومعناه ان المجد قد هرم ، ولولا ان ارجعت اليه فتوته بجودك وبأسك لكان قد

ادركه الخرف .

ومن الاسراف الممقوت قوله

فلويت بالمعروف اعناق الوري وحطمت بالانجاز ظهر الموعد
وقوله -

قرت بقرآن عين الدين وانشرت بالأشترين عيون الشرك فاصطلمها
والاشتران قائدان للروم

قال العسكري وهذا مع غثائه لفظه وسوء التجنيس فيه يشتمل على عيب آخر وهو
ان انتشار العين لا يوجب الاصطلام

واليك هذه الابيات يصف سفينة حملته الى المدوح، وانظر كيف يتعسف في تشبيهها
بالجمال وكيف يخرج به التكلف عن حدود الجمال

حملت رجاي اليك بنت حديقة غلباء لم تلقح لفحل مقرف
فنجت وقد حوت الهنيدة وابتنت في شطرها وتبوعت في النيف

في البيت الاول يريد بابنة الحديقة الغلباء السفينة لانها تصنع من خشب الحديقة،
وشبه السماء بالفحل، ولم يلقحها اي لم يصبا بمطر. فتأمل هذه الساجة الصناعية. وفي
البيت الثاني - اسرعت هذه السفينة وهي بنت مئة ولكنها في نشاط الخمسين، وسارت
غايها في بحر كالصحراء.

الى ان يقول -

فاعتاها ذو خبرة بفحولها ندس بجيلة خلقها متلطف

اي فاخترها من فحول الشجر خبير حاذق بينائها

ثم اجنت شلوي فصرت جنينها متمكناً بقرار بطن مسدوف

اي ثم حملتني فكنت في بطنها كما يكون الجنين في بطن امه

واني ارجع القاري الى هذه القصيدة ليراجعها ويحكم بنفسه على هذه المجازات. وامثال
ذلك كثير في شعر ابي تمام، فانك لا تكاد تقرأ له قصيدة حتى تمر ببيت او بضعة ابيات
من هذا الشعر المكدود الذي ينفر منه الذوق السليم. لما فيه من تكلف الصناعة والاهتمام
بالعشور دون اللباب

نفسه المعنوي

على ان لا يني تمام مع كل اسرافه في الشعر الصناعي مكانة عالية في الشعر العربي. وما

ذلك الألدقة تصوره وحسن اختراعه . ففي شعره كثير من الصور البليغة التي تشهد له
بجودة الخيال وبعد مرامي النظر . والذي يراجع ديوانه بروية ويصبر على تحليل معانيه ،
يجد من بدائعه الشعرية ما يشغفه . ويراد بالبدائع الشعرية ما لطف من وصف او مجاز او
حكمة او لبس لباساً قشياً من البلاغة . واليك امثلة ذلك من شعره

وإذا اراد الله نشر فضيلة طويت اتاح لها لسان حسود
لولا اشتعال النار فيما جاورت ما كان يُعرف طيبُ عُرف العود

وجودة البيتين في جمال الصورة التي نرى فيها الحسود ناشراً فضلاً المحسود ، وفي التمثيل
على ذلك من العالم الطبيعي تمثيلاً يوضحها ويقررها في الذهن . وقد قرن كل ذلك بركة
العبارة وجودة الالفاظ . ومثل ذلك قوله متقرباً من امير اقام الحجاب على بابه وهو في غاية
البلاغة

ليس الحجاب بقصر عنك لي املاً ان السماء ترجى حين تحجب
وقوله يصف عدم اجتماع المال والكرم في شخصه

لا تنكري عطل الكرم من الغنى فالسيل حرب للمكان العالي

ومن اجمل صورته الشعرية قوله يرثي ولدين صغيرين لاحد الامراء والبلاغة ناطقة فيه

لمني على تلك الشواهد منها لو امهلت حتى تكون شائلا
لغدا سكوتها حجى وصباها حلماً وتلك الاريجية نائلا
ان الهلال اذا رأيت نموه ايقنت ان سيصير بدرًا كاملاً

وهذا البيت الاخير الذي اتى به تمثيلاً لما كان يرجى من ذينك الولدين هو من ابداع
الامثال وابلقها . ومثله بلاغة وجمالاً قوله المشهور يصف بلوغ الارب عن سبيل المشقات .

ولكنني لم احور وفراً مجعاً ففرت به الا بشمل مبدد
ولم تعطني الايام نوما مسكناً الذ به الا بنوم مشرد
وطول مقام المرء في الحلي مخلق لديباجتيه فاعترب تتجدد
فاني رايت الشمس زيدت محبة الى الناس ان ليست عليهم بسرمد

وقد اجاد في هذه الابيات كل الاجادة ، وابرز هذه المعاني البديعة بقالب ياخذ بجماع

القلوب . ومن حسن اختراعه قوله يصف مشيه الباكر

ستٌ وعشرون تدعوني فاتبعها الى المشيب فلم تظلم ولم تحب
فأصغري ان شيا لاح بي حدنا واكبري انني في المهدي لم اشب

يعذر المشيب ويقول ليس الغريب انني شبت في السادسة والعشرين ، ولكن الغريب
انني لم اشب وانا طفل : يشير بذلك الى ما في نفسه من عزم وهمة ، والى ما اصابه منذ
طفولته من مقارعة الاهوال والخطوب

وقال يصف كرم الممدوح وازدهام الشعراء على بابه

ولو كان يفنى الشعر افناه ما قرت حياضك منه في العصور الذواهب
ولكنه صوب العقول اذا انجلت سحائب منه اعقت بسحائب

والصور الشعرية في البيت الثاني خلابة ، لاحكام التشبيه فيها وجمال التركيب
ومن هذه الصور الخلابة قوله من مرثاته المشهورة

وقد كان فوت الموت سهلاً فردّه اليه الحفاظ المرء والحلق الوعر
ونفسٌ تحاف العار حتى كنا هو الكفر يوم الروع او دونه الكفر
فأثبت في مستنقع الموت رجله وقال لها من تحت أخمصك الحشر

وقوله يصف اميراً انعم الله عليه بنعم عظيمة ، ولكنه كفرها ونقض عهد الولاة والوفاء

كم نعمة لله كانت عنده فكانها في غربة واسار
كسيت سبائب لومه فتضالمت كضاول الحساء في الاطمار

وقد شهد البلغاء لابي تمام بالتقدم في ذلك . قال ابن الاثير في كلامه عن المعاني التي
تستخرج من غير شاهد الحال « ان لابتكارها سرّاً لا يهجم على مكانته الا جنان الشهم ،
ولا يفوز بجاسنه الا من دق فهمه حتى جل عن دقة الفهم » . ثم يقول « قد قيل ان ابا تمام
اكثر الشعراء المتأخرين ابتداءً للمعاني ، وقد عدت معانيه المبتدعة (اي التي لم يسبق اليها)
فوجدت ما يزيد عن عشرين معنى . واهل هذه الصناعة يكبرون ذلك ، وما هذا من مثل
ابي تمام بكبير » (١)

وقد اصاب الاستاذ ضومط اذ قال - « الحق يقال ان ابا تمام هو كما قال فيه واصفوه

شاعر واسع الخيال دقيق التصور بعيد مرامي النظر ، واقدّر انه لو عاش فوق الاربعين ، ولم ينعه الانهماك في الشهوات من ترتيب محفوظاته ومدركاته ، بل عاد عليها بالتهذيب والتشذيب ، فأطرح منها ما حقه ان يطرح وابقى منها ما هو جدير بالبقاء ، ثم جمع الاشباه والنظائر - لو عاش حتى فعل كل ذلك - لكان شعره بعدها لا يتعلق به متعلق ، ولبرز على الارجح الشعراء قاطبة حتى ابا الطيب المتنبي في كثير من حكمه وامثاله وبعده مطارح نظره» (١)

وكما اننا ننعي على ابي تمام ميله الى تكلف البديع غدحه لما نجد في شعره من نفس عال في النظم يؤثر في النفس فيجملها الى الطبقات العليا . اقرأ اياً شئت من عيون قصائده ، وانظر الى تلك الهزة التي تعزريك لقراءتها . فاذا حلتها وجدتها مزيجاً من جمال النظم ومثانة التركيب وسمو الفكر . ونجوى . هنا بثلين او ثلاثة من ذلك -

راجع قصيدته المشهورة في فتح عمورية وتأمل مقدمتها - تلك الوقفة الشعرية العالية التي يرينا فيها الشاعر « المذنب العربي » ويسمعا احاديث الجمهور عنه ، ثم يستخلص من كل ذلك تمهيداً ساحراً للتوصل الى الممدوح ، ووصف الواقعة العظيمة التي فتح فيها حصون الاعداء . كل ذلك باسلوب شديد الأسر بديع الخيال ، يملأ الاسماع ويحرك اوتار القلوب . واذا استئثيت بعض ما ذكرناه من تصّعه فان معظم القصيدة من هذا النمط العالي ، كقوله يصف فشل قائد الروم ومحاولته اغراء المنتصرين بالمال وترفع الخليفة عن ذلك -

لما رأى الحرب راى العين توفلس
غدا يصرف بالاموال جريتها
هيات زعزت الارض الوقور به
لم ينفق الذهب الثري بكثرتة
ان الاسود اسود الغاب همتها
ومن هذا النمط العالي قوله

ستصبح العيس في ذا الليل عند فتى
صدفت عنه فلم تصدف مودته
كالغيث ان جثته وافالك ريقه
كثير ذكر الرضى في ساعة الغضب
عني وعاوده ظني ولم ينجب
وان ترحلت عنه لرج في الطلب

كلنا هو في اخلاقه ابدًا وان ثوى وحده في جحفل لب
وقوله -

ويوم امام الموت دحض وقفته ولو خرّ فيه الدين لانهال كآبه
جلوت به وجه الخليفة والقنا قد اتسعت بين الضاوع مذاهبه
فلو نطقت حرب لقات محمّة الا هكذا فليسكب المجد كاسبه

فانت ترى في كل ذلك ترعته الفنية الشديدة ، ولو قأبت ديوانه لوجدتها في اكثر
شعره . وهذه التزعة وما فيها من عنف وشدة اسر هي التي حدثت بيريديه الى التغالي
بمدحه وعدّه امام هذه الصناعة ، حتى قال ابو الفرج الاصفهاني « وفي عصرنا هذا (القرن
الرابع الهجري) من تعصّب له فيفرط حتى يفضله على كل سالف وخالف » .^(١) بل هي
التي دفعت ابا دلف العجلي ان يصيح وقد انشده ابو تمام قصيدته التي مطلعها

على مثلها من اربع وملاعب اذيلت مصونات الدموع السواكب

يا معشر ربيعة ! ما مدحتم قط بمثل هذا الشعر ، فاعندكم لقائله ؟ فبادروه بطارفيهم
يرمون بها اليه . فقال ابو دلف قد قبلها منكم واعادكم لبسها ، وسانوب عنكم في ثوابه .
ثم امر له بنجسين الف درهم وقال والله ما هي بازاء استحفاك وقدرك فاعذرنا^(٢) . ولم
يكن ذلك مجرد اهتزاز للمديح ، ولكن الرجل تأثر بنفس الشاعر وجلال اسلوبه

ونلاحظ ذلك في مجلس عبدالله بن طاهر امير خراسان ، فانه لما قصده وانشده قصيدته
« اهنّ عوادي يوسف وصواجه » لم يتألك الشعراء الحاضرون من ان يصيحوا ما يستحق
هذا الشعر غير الامير حفظه الله . وبلغ التأثير باحدهم ان قال : لي عند الامير اعزّه الله جائزة
وعندي بها ، وقد جعلتها لهذا الرجل جزاء على قوله للامير^(٣) . ومثل ذلك ما جاء في الاغاني

عن محمد بن سعد كاتب الحسن بن رجا ان ابا تمام مدح الحسن بلاميته التي يقول فيها
انا من عرفت فان عرتك جهالة فانا المقيم قيامة العذال

فلما وصل الى قوله

لا تنكري عطل الكريم من الغنى فالسيل حرب للمكان العالي
وتنظري حيث الركاب ينصّها محي القريض الى ميّت المال

صاح الممدوح متأثراً . والله لا اتمتها الا وانا قائم . فلما انتهى من انشادها عانقه .
قال محمد بن سعد « واخذ منه على يدي عشرة آلاف درهم واخذ غير ذلك مما لم اعلم به
على بنجل كان في الحسن بن رجاء ^(١) »

ولا شك ان في شعر شاعرنا روعة خاصة ، فهو يجمع بين الفخامة اللفظية وجزالة المعنى
جمعا يهزُّ النفس ، ويفعل بها ما فعل بمعاصره ومناوئته دعبل يوم سمع بعضهم ينشد بيتي ابي تمام

شهدتُ لقد اقوت مغانيكمُ بعدي ومعتت كما محت وشتاع من برد
وانجدتم من بعد اتهام داركم فيا دمعُ أنجدني على ساكني نجد

فتأثر دعبل على كرهه لاني تمام وصاح احسن والله وجعل يردّد « فيا دمع أنجدني على
ساكني نجد » ^(٢)

ولولا كثرة تصنعه وما سنذكره له من التعقيد والاغراب لاحلته هذه الروعة الفنية
اعلى محل في الشعر العربي

سُفْهُ بِالْاِغْرَابِ

« يذهب الى حزنونة اللفظ وما يملأ الاسماع منه مع التصنيع المحكم طوعاً وكرهاً .
ياقي للاشياء من بعد ويطلبها بكلفة وياخذها بقوة » ^(٣) ذلك رأي ابن رشيق القيرواني فيه ،
وقد اصاب كل الاصابة ولا سياً في قوله « ياقي للاشياء من بعد » ، ويراد بذلك هيامه
بالغريب من المعاني التي يحتاج في تفهيمها الى تأمل ومشقة .

وتمن سبقه الى هذا النقد ابو الحسن الجرجاني اذ قال بعد ان ذكر اغرابه اللفظي
وتطلبه البدع ^(٤) « ولم يرض بهاتين الخلتين حتى اجتلب المعاني الغامضة ، وقصد الاغراض
الخفية ، فاحتمل فيها كل غث ثقيل ، وارصد لها الافكار بكل سبيل ، فصار هذا الجنس
من شعره اذا قرع السمع لم يصل الى القلب الا بعد اتعاب الفكر وكذب الخاطر والحمل
على القرينة » . فهو كما قال ، يغطي مقاصده بشيء من الابهام . ومن هنا هذه الصعوبة التي

(١) الاغاني ١٥-١٠٦

(٢) " " ١٠٧-

(٣) العمدة ١-٨٥

(٤) الوساطة ٢٢

يعانيها من يطالع ديوانه اذ يقف حائراً امام طلاسمه وغموض معانيه ، ولكن اذا راضت له بالدرس والتفكير راي فيها ما يذده من صور جميلة ومعان رشيقة . وقد وصف الشاعر قصائده بقوله —

فكأننا هي في السماع جنادل وكلنا هي في القلوب كواكب
وغرائب تأتيك الأأنها لصنيعك الحسن الجميل اقارب

تقبل على شعره فتصدمك وعورته ، فتحاول التغلب عليها ، وتكدر نفسك في تدليل عقباتها ، ولكنك لا تلبث ان تشعر بتعب قد يملكك على النكوص . على انك اذا صبرت وتابعت الشاعر في اساليبه وغرائبه ، واخذت تجلو لنفسك معانيه ، حمت عاقبة هذا العمل ، وشعرت بما يستهويك من بديع تخيلاتهِ وجزالة الفاظه . ولنضرب لك بعض الامثلة على ذلك . قال من مطلع قصيدة يمدح عبدالله بن طاهر

اهن عوادي يوسف وصواجه فعزماً فقيماً ادرك السؤل طالبه
اعاذلتي ما اخشن الليل مركبا واخشن منه في الملمات راكبه
دعيني على اخلاقي الصم للتي هي الوفير اوسرب ترن نوادبه
فان الحسام الهندواني انا خشوته ما لم تقلل مضاربه

ذكروا انه لما بدأ في انشاد هذه القصيدة في مجلس الامير قيل له لم تقول ما لا يفهم ؟ فاجاب السائل لم لا تفهم ما يقال ؟ نكتة جميلة تبين ما تقصد اليه . ومعنى هذه الابيات عموماً : هل تريد الغواني ان تشغلني وتشتي عزيمتي عن السفر ، وان تخدعني كما حاولت ان تخدع يوسف بن يعقوب ! فلا تذرعي بالعزم ، لا بد لكل طالب مواظب من ادراك طلبه . ويا ايها العاذلة ان الليل مركب خشن ، ولكن الذي يركبه اشد منه واخشن . فاتركيني على اخلاقي الشديدة اسعى في طلب العلي ، فاما ان اناها او اموت وتندبني النوادب . فان الحسام الهندواني القاطع انا خشوته (عدم مضائه) ما لم يستعمل (اي انا مضاء الرجل بالعمل والاقدام .)

وقوله يصف اماني الروم واعتمادهم على مناعة حصونهم —

وقال ذو امرهم لا مرتع صدد للسارحين وليس الورد من كسب
ان الحمامين من بيض ومن سمر دلوا الحياتين من ماء ومن عشب
اي قال قادتهم لانفسهم لا مرتع قريب للاعداء (اذا راموا الحصار) ولا ماء فلا

يكنهم البقاء طويلاً . على ان امانهم هذه قد فشلت لان السيوف والرماح (الحمامين) هي
سبيلنا الى الماء والعشب

وقوله يصف - كيد المدوح للاعداء وحسن رأيه -

قد رأوه وهو القريب بعيدا ورأوه وهو البعيد قريبا
سكن الكيد فيهم ان من اعظم ارب ان لا تكون اريبا
مكرهم عنده فصيح وان هم خاطبوا مكره رأوه جليا
لقد انصت والشتاء له وجه يراه الرجال جهما قطوبا
طاعناً منحرا الشمال متيحاً لبلاد العدو موتاً جنوبا
فضربت الشتاء في اخدعيه ضربة غادرته قوداً ركوبا

اي ان الاعداء رأوا المدوح على قربه منهم بعيداً بتناخته ، وراوه على بعده قريباً
منهم لعزومه وهجومه الشديد . وقد خفيت سياسته عليهم - وان من اعظم فنون
السياسة ان لا يظهر الدهاء للاعداء - فلم يدركوا خططه مع ان خططهم كانت لديه
واضحة . ولقد عدت اليهم والشتاء في ابانه فطعننت منحرا الشمال (يكنى بذلك عن العدو
لانه من جهة الشمال) حاملاً اليهم الموت من الجنوب ، وضربت الشتاء فاذلته ، حتى اصبح
لديك كالجمل الركوب

ومن هذا القبيل -

يقولون ان الليث ليث خفية نواجذه مطرورة ومخالبه
وما الليث كل الليث الا ابن عثر يعيش فواق ناقة وهو راهبه

ويجل هذا الطلم بقولنا : ليس الاسد سبع الغاب ولكن الاسد الحقيقي هو الذي يمتل
بأس المدوح ولو قليلاً (فواق ناقة)

وقوله للعاذل الخلي وهو بين الطلول

وما صار في ذا اليوم عذلك كله عدوي حتى صار جهلك صاحبي
وما بك اركابي من الرشد مركبا الا انما حاولت رشد الركائب

لم يصر عذلك عدواً لي ، حتى صار جهلك صاحبي : اي كرهتك لعذلك اياي ولكنني
ما لبثت ان رضيت عنك لجهلك لوعة الحب ، اذ انت بجهلك تستطيع مساعدتي قتمعني مثلاً

من شدة الوجد وكثرة البكاء. ولكن مالك تحملني على اتباع سبل الرشاد وترك الوقوف
بين الطاول - ليس ذلك رشادي بل رشاد ركائي التي ترغب في متابعة السير

...

ومن اسباب اغرابه وغموضه شغفه الزائد بالطباق والجناس كقوله
فالشمس طالعة من ذا وقد افلت والشمس واجبة في ذا ولم تجب

...

فهو مدنٍ للوجود وهو بغيض وهو مقص لللال وهو حبيب
فانت لديه حاضر غير حاضر بذكر وعنه غائب غير غائب

...

غربت خلائقه واغرب شاعر فيه فاحسن مغرب في مغرب
ومن طلامه في ذلك قوله -

وركب يساقون الركاب زجاجة من السير لم تقصد لها كف قاطب
فقد اكلوا منها الغوارب بالسرى وصارت لها اشباحهم كالغوارب
يصرف مسراها جذيل مشارق اذا آبه هم عذيق مغارب
يرى بالكعب الرود طلعة نائر وبالعرمس الوجناء غرة آيب

ومعناها - ورب ركب شاركوا نياقهم بالسير الشديد حتى اذابوا اسنمتها وكواهلها ،
ويقود هؤلاء الركب رجل خبير بالاسفار شرقاً وغرباً ، شغوف بالسفر على النياق حتى انه
يرى في وجه الناقة جمالاً ، ويكره المكوث في المنازل فلا يرى في وجوه الحسان ما يغيره
على ذلك

ومن دواعي غموضه اغراقه في استعمال الغريب من الالفاظ . جاء في كتاب الصناعتين -
« كان ابو تمام يتتبع وحشي الكلام ويتعمد ادخاله في شعره » .^(١) ولعل ذلك راجع بالاكثر
الى كثرة محفوظه ودرسه لاشعار الاقدمين . قال الامدي « كان ابو تمام مشغوقاً بالشعر
مشغولاً مدة عمره بتخميده ودراسته ، وله كتب اختيارات فيه مشهورة - منها الاختيار

القبائلي الأكبر، وقد مر على يدي هذا الاختيار . ومنها اختيار آخر ترجمته القبائلي ، ومنها الاختيار الذي تَلَقَّطَ فيه محاسن شعر الجاهلية والاسلام واخذ من كل قصيدة شيئاً حتى انتهى الى ابراهيم بن هرمة ، وهو اختيار مشهور معروف باختيار شعراء الفحول . ومنها اختيار تَلَقَّطَ فيه اشياء من الشعراء المقلين والشعراء المعمرين ويلقب بالحماسة ، وهو اشهر اختياراته . ومنها اختيارات المقطعات يذكر فيه اشعار المشهورين وغيرهم والمتقدمين والمتأخرين وهذه الاختيارات تدل على عنايته بالشعر ، وانه اشتغل به وجعله وكده ، واقتصر من كل الآداب والعلوم عليه : فانه ما من شيء كبير من شعر جاهلي ولا اسلامي ولا يحدث الا قرأه واطلع عليه «^(١)» . وقيل انه كان يحفظ اربع عشرة الف ارجوزة غير القصائد والمقاطع ، وقال هو عن نفسه لم انظم الشعر حتى حفظت سبعة عشر ديواناً للنساء خاصة ، دون الرجال^(٢) . ولا ريب ان للحفظ تأثيراً على اسلوب الشاعر او الناثر ، ولا سيما في اَبان قوة الحافظة . ويظهر ذلك في ميل شاعرنا الى استعمال غير المؤلف من الاوصاف والعبارات . انظر الى هذا البيت وقد ذكر قبلاً

اهيس اليسُ اجساء الى همم تغرق الاسد في آذيها اليسا
اي شجاع تغرق بجور همته الاسود الجريئة
وقوله

الواردين حياض الموت مُتَأَقَّةٌ ثُباً ثُباً وكراديسا كراديسا
ويريد بتأقّة مترعة . وثباً ثباً اي جماعات جماعات
وقوله وهو مطلع قصيدة

اما انه لولا الهوى ومعاهده مواعيسه قد افقرت واجالده
لاعطيت هذا الصبر مني طاعة ليعلم دهري اي قرن يكايده

اي لولا ان نأى الاجاب عن الديار قد افقدني صبري لعلمت الدهر بشباتي على مصائبه
اي رجل انا
وقوله

غلّ المرواة الصالح عزمه بالعيس ان قصدت وان لم تقصد

اي طوى السهول والقفار عزمه

وقوله

سهاد يرجحن الطرف منه
اي سهاد تثقل فيه الجفون

وقوله

تقلقل بي أدم المهاري وشؤمها
اي تضطرب بي النياق الرمادية والسوداء على كل فلاة سوداء الحجارة
وفي قوله

صَهَصَلَتْ في الصهيل تحسبه
يصف حصانه بشدة الصوت حتى كأنها حلقومه شد الى جرس
ومن هذا القبيل —

عططت على رغم العدى عزم بابك
الكلام استعارة معناه : شقت عزم « بابك » بعزمك عطاءً الاتحامي المرعب
وقوله

كأن بابك بالبذنين بعدهم
بكل منعرج من فارس بطل
نؤي اقام خلاف الحي او وتد
جناجن فُلِقَ فيها قنا قصد

والمعنى كأن بابك ، وقد فني جيشه ، اثر نؤي او وتد باق في الحي — فانت لا ترى
الا اشلاء جيشه مبعثرة ، وفي كل ناحية ومنعطف اثار الرماح المتكسرة
وقال —

مقابل في الجديل صلب القرا
لو حكَّ من عُجبه الى كنده

اي كريم النسب قوي الظهر لو امتحن من عجزه الى كنده لوجد كذلك
واراد مرة ان يطلب فرواً من ممدوحه فوصفه بهذه الايات الغريبة

ولا بدَّ من فرو اذا اجتابه امرؤ
اثيث اذا استعبت مصقعةً به
غدا وهو سامر في الصنابر اغلب
تملأت علماً انها سوف تعب
يراه الشفيف المرتعن فيثني
حسيراً فتغشاه الصبا فتنكب

اي اذا لبسه الانسان تغلب فيه على البرد وهو كثيف الشعر اذا استرضيت البرد به

رضي واذا راه المطر البارد المنهمر انشئ عنه كايلا ومالت عنه ريح الصبا
واختم هذه الامثلة على ميله لاستعمال المتوعر من الالفاظ بيتين من همزته المعروفة —
قال في مطلعها

قدك ائتب ارييت في الغلواء كم تعذلون وانتم سجراي
اي استحي يا لانمي يكفيك غلواً في تعينني . وكيف تاومونني وانتم مثي مصابون
بالغرام

ومنها يصف البيد والنياق
بيد لنسل الصيد في امليدها ما ارتيد من هيد ومن عدوا
اي قفاز قطعها على ناقة ذلول ، فيها كل ما يتطلبه الراكب من عزم ومضاء ومن
فرج للهموم

وامثال هذه الالفاظ في شعر ابي تمام كثيرة فاشية . وقد انكر المنتقدون الاقدمون
ذلك عليه ، وقالوا اذا جاز للاعرابي القح فهو مستهجن من المحدث الذي ليس هو لغته ،
ولا من كلامه الذي تجري عادته به .^(١) ولقد ذكرنا ان اكثر ذلك راجع الى شغفه بالقديم
وكثرة محفوظه منه . على ان هناك سبباً آخر وهو شدة اعجابه بشعره ، حتى لم يكن ليرضى
ان يسه بادنى تهذيب . قال ابو هلال العسكري كان ابو تمام يرضى باول خاطر فنعي عليه
عيب كثير . وعن الاغاني — روي عن بعض الشعراء ان ابا تمام انشده قصيدة له احسن في
جميعها الا في بيت واحد ، فقال له يا ابا تمام لو القيت هذا البيت ما كان في قصيدتك عيب .
فقال له انا والله اعلم منه مثل ما تعلم ولكن مثل شعر الرجل عنده مثل اولاده ، فيهم
الجميل والقبيح والرشيد والساقط وكلهم حلوا في نفسه^(٢) . فكان شاعرنا كما وصفه الامدي
شرها الى ايراد كل ما جاش به خاطره ، وجليجة فكره ، فخط الجيد بالردي . ، والعين
النادر بالردل الساقط ، والصواب بالخطا^(٣) . على ان شعره طابعاً من الجزالة او الفخامة
عرف فيه . وعليه قال ابن الاثير يصف الفاظه —

« كأنها رجال قد ركبوا خيولهم واستلأموا سلاحهم وتأهبوا للطراد »^(٤)

(١) الموازنة ١٢١ (٢) الاغاني ١٥—١٠٠ (٣) الموازنة ٥٦

(٤) المثل السائر ١٠٦

المختار من شعر ابي تمام

وادر بعيد الغور كثير الجنادل يرده الناهل فلا يبلغه الا بعد ان تكلّ قدماء وينقطع
نفسه، على انه اذا وصل وجد فيه ما ينسيه احوال الطريق ومتاعب الرحيل . ذلك هو ابو تمام
في شعره — هدارٌ كثير التائق ولوعٌ بساوك اغرب السبل الى المعاني

فتح عمورية^(١)

قيلت في المعتم سنة ٥٢٢٣ وكان الشاعر قد صحبه في هذه المعركة فشهد بنفسه وقائعا^(٢)

السيف اصدق انباء من الكتب
بيض الصفائح لا سود الصحائف في
والعلم في شهب الارماح لامعة
ابن الرواية بل ابن النجوم وما
تخرّصاً واحاديثاً مملّقة
عجائباً زعموا الايام مجفلة
وخوفوا الناس من دهياء مظلمة
وصيروا الابرج العليا مرتبة
يقضون بالامر عنها وهي غافلة
لو بيئت قطاً امراً قبل موقعه

في حدة الحدّ بين الجدِّ واللعب
مؤنهنّ جلاء الشكّ والريب
بين الخميسين^(٣) لا في السبعة الشهب
صاغوه من زخرف فيها ومن كذب
ليست بنبع اذا عدت ولا غرب^(٤)
عنهنّ في صفر الاصفار او رجب
اذا بدا الكوكب العربيّ ذو الذنب^(٥)
ما كان منقلباً او غير منقلب
ما دار في فلكٍ منها وفي قطب
لم يخفّ ما حلّ بالاوّثان والصلب^(٦)

...

(١) عمورية بلدة حصينة في الاناضول كانت بيد الروم (٢) الفخري ١٧١

(٣) الخميسين اي الخميسين (٤) النبع شجر صلب تعمل منه القسي . والغرب شجر
هش . والمعنى ان اقوالهم ليست من الحقيقة بشيء .

(٥) اشارة الى مذنب ظهر في تلك الايام ولعله مذنب « هالي » راجع المنتطف مج ٦٥ ج ٦

(٦) كنى بالاوّثان والصلب عن الروم . ويريد جذا البيت انه لو كان التنجيم يفيد لعرف الروم

ما سيحل جم فاتتوه

فتحُ الفتحِ تعالى ان يَيطَ به
 فتحُ تفتحُ ابواب السماء له
 يا يومَ وقعةِ عثوريةِ أنصرفت
 أبقيتَ جدَّ بني الاسلام في صُعدِ
 أم لهم لو رجوا ان تفتدى جعوا
 وبرزةِ الوجه قد اعيت رياضتها
 من عهد إسكندرٍ او قبل ذلك قد
 حتى اذا محض الله السنين لها

أتهمُ الكربةُ السوداء سادرةً
 كم بين حيطانها من فارس بطلٍ
 بسنةِ السيفِ والحطيرِ من دمه
 لقد تركتَ امير المؤمنين بها
 غادرت فيها بهم الليل وهو ضحى
 حتى كأنَّ جلايب الدُجى رغبت
 ضوءَ من النار والظلماء عاكفةً
 فالشمسُ طالعةٌ من ذا وقد أفلت
 تصرَّح الدهر تصريحَ الغمام لها
 لم تطلع الشمس فيه يوم ذلك على

نظمٌ من الشعر او نثرٌ من الخطب
 وتبرزُ الارض في اثوابها القُشب
 منك المنى حُفلاً معسولة الحلب^(١)
 والمشركين ودار الشرك في صَب
 فداءها كلُّ امرٍ برقرٍ وأب
 كسرى وصدت صدوداً عن ابي كرب^(٢)
 شابت نواصي الليالي وهي لم تشب
 محضُ البخيلة كانت زُبدة الحقب^(٣)

. . .

- (١) شبه ابو تمامي بجلب الضرع الملاكن بالخليب اللذيذ
 (٢) شبه المدينة بامرأة بارزة المحاسن رامها الملوك الفاتحون فامتعت عليهم
 (٣) اي كما ان المرأة الخريصة تمخض الحليب لتستخرج زبدته هكذا تمخضت الايام فكانت
 عمورية افضل ما خرج منها (٤) اتهم المصيبة من المدينة وكانوا يمنعونها بتوقعون الفرج منها
 (٥) اي كم من فارس قتل فيها فسال دمه قانياً حتى خضب شعره ولكن تخضب السيف لا التخضب
 الذي تنتضيه السنة الاسلامية
 (٦) في هذا البيت والايات الاربعة السابقة يذكر حريق المدينة وبتفنن في وصف الدخان واللييب
 (٧) جنب نجس . اي طاهر لنا نجس لاعدائنا او طاهر بالجهاد نجس باستباحة الاعراض
 (٨) بان باهل اي متزوج

ما ربعُ مئةَ معموراً يُطيفُ به
ولا الحدودُ وقد أدمين من خجلٍ
ساجدةٌ غنيتِ منا العيونُ بها
وحسنٌ منقلبٌ تبدو عواقبه

غيلان ابهى رُبى من ربعها الحرب^(١)
اشهى الى ناظري من خدّها الترب
عن كل حسنٍ بدا او منظرٍ عَجِب
جاءت بشاشته من سوء منقلب

...

لو يعلم الكفر كم من اعصر كفت
تدبير معتمٍ بالله منتقمٍ
ومُطعمٍ النصر لم تكهم أسنّته
لم يغزُ قوماً ولم ينهد^(٢) الى بلدٍ
لو لم يقُد جحفاً يوم الوغى لغزا
رمى بك الله بُرجياً فهدّها
من بعد ما أشبّوها واثقين بها
وقال ذو امرهم لا مرتع صدّ
امانياً سلبتهم نُجحٍ هاجسها
إنّ الجاهل من بيضٍ ومن سُمرٍ

له المنيّة بين السمر والقضب
لله مرتقب في الله مرتقب^(٣)
يوماً ولا حُجبت عن روح محتجب^(٤)
الا تقدّمه جيش من الرغب
من نفسه وحدها في جحفل لب
ولو رمى بك غير الله لم تُصب
والله فتّاح باب المعقل الأشب
للسارحين وليس الورد من كُتب^(٥)
ظبي السيوف واطراف القنا السلب
دلوا الحياتين من ماء ومن عشب

...

لما رأى الحرب رأي العين توفلس^(١)
غدا يصرف بالاموال جريتها
هيأت زُعزت الارض الوقور به

والحربُ مشتتة المعنى من الحرب
فغزاه البحر ذو التيار والحذب
عن غزوٍ محتسبٍ لا غزوٍ مكتسب^(٢)

(١) غيلان هو الشاعر ذو الرمة ومئة فتاته . وفي هذا البيت وما بعده يقول ان النصر اجمل
لدينا من كل الجمال وان خرب المدينة الدالة على ظفرنا ابهى من كل منظر حسن
(٢) وفي رواية مرتجب (٣) الضمير راجع الى الخليفة المعتم . وتكهم الاسنة اي تكلم عن
القطع (٤) تحد بمعنى تخض او ارتقع

(٥) في هذا البيت والبيتين التاليين يذكر ان الروم لما حصنوا المدينة وتباؤوا للحصار قال اولو
الامر منهم لن يستطيع المسلمون حصرنا اذ ليس لهم خارجها مراتع ولا مياه . ولكن تلك الاماني كذبها
سيوفنا ورماحنا فكانا (اي السيوف والرماح) الواسيتين للوصول الى الماء والعشب

(٦) يريد بجذا البيت وما سبقه ان قائد الروم « تيوفيلوس » لما رأى شدة الحرب عليه اراد ان
يجول مجراها عنه بارشاه الخليفة بالمال ولكن هيأت ذلك والخليفة انا يجارب حباً بالجهاد لا حباً بالمال

لم يُنْفَقِ الذَّهَبَ المرني بكثرة
 انَّ الاسودَّ اسودَّ الغاب همتها
 ولئى وقد أجمَ الخطيُّ منطقة
 موكلًا بيفاع الارض يشرفه
 تسعون ألفًا كآساد الشرى نضجت
 يا ربَّ حوباء (٢) لما اجتثَّ دابره
 ومغضبٍ رجعت بيض السيوف به
 والحرب قائمةٌ في مازقٍ لحج
 كم نيل تحت سناها من سنى قمر
 كم كان في قطع اسباب الرقاب بها
 كم احزنت قضبُ الهندي مصلته
 بيضٌ اذا انتضيت من حجبا رجعت

على الحصى وبه فقرٌ الى الذهب
 يوم الكريمة في المسلوب لا السلب
 بسكتة خلفها الاحشاء في صخب
 من خفة الخوف لا من خفة الطرب
 اعمارهم قبل نضج التين والعب (١)
 طابت ولو ضيخت بالمسك لم تطب
 حي الرضى من رداهم ميت الغضب
 تجشو الكفاة به صعراً على الركب
 وتحت عارضها من عارضٍ شنب (٣)
 الى المخدرة العذراء من سبب
 تهرت من قضبٍ تهرت في كُثب (٤)
 أحق بالبيض ابداناً من الحجب (٥)

...

خليفة الله جازى الله سعيك عن
 بصرت بالراحة الكبرى فلم ترها
 إن كان بين صروف الدهر من رحم
 فبين ايامك اللاتي نصرت بها
 أبقت بني الاصفر الممرض كاسهم

جروثة الدين والاسلام والحسب
 تنال الا على جسرٍ من التعب
 موصوله او ذمام غير منقضب
 وبين ايام بدر اقرب النسب (٦)
 صفر الوجوه وجلت أوجه العرب (٧)

- (١) يقصد جيش الروم وفيه اشارة الى ان منجمي الروم كانوا قد قالوا ان المدينة لا تؤخذ قبل الصيف ولكن المسلمين كذبوهم واخذوها قبل ذلك
- (٢) الحوباء النفس . اي كم من نفس لم تكن تطيب بالمسك طابت الآن بفناء الاعداء
- (٣) يكتنى بسنى قمر وبالعارض الشنب عن الحسان اللواتي سبوهن . وبالغضب التي خترت في الكُثب عن قامات اولئك الحسان
- (٤) اي سيوف اذا سلَّت من اغمادها كانت احق بان تحتفظ بالحسان من خدورهن
- (٥) اي اذا كان من قرابة بين الايام فيومك هذا اشدها قرابة يوم بدر الذي اتصرت فيه النبي على المشركين
- (٦) بنو الاصفر اي الروم

وقال في الجي سعبد محمد بن يوسف النعري

يذكر بعض وقائعه في الشمال

من سجايا الطلول ألا تحييا فصوابٌ من مقلتي أن تصوبا
 فاسألنها واجعل بكالك جواباً تجدِ الشوقَ سائلاً ومحيا
 قد عهدنا الرسوم وهي عكاظٌ للصبأ تردهيك حسناً وطيباً^(١)
 أكثرُ الارض زائراً ومزوراً وصعوداً من الهوى وصبوبا
 وكهاباً كأنما ألبستها غفلاتُ الشباب برداً قشياً
 بينَ البين فقدَها قلماً تمه رف فقدأ للشمس حتى تغيبا
 لعبَ الشيب بالمفارق بل جدٌ فابكي مُماضراً ولعوباً^(٢)
 خضبتُ خدَّها الى لؤلؤ العقه بدردماً أن رأيت شواقي خضيباً^(٣)
 كل داه يرجى الدواء له إلا الفظيعين ميتةً ومشيبا
 يا نسيبَ الثغام ذنبك أبقى حسناي عند الغواني ذنوباً^(٤)
 ولئن عينَ ما رأين لقد أنكرن مستنكراً وعين معيبا
 او تصدعن عن قلى لكني بالشيب بيني وبينهنَّ حسيبا
 لو رأى الله ان للشيب خيراً جاورته الابرار في الخلد شيبا
 كل يوم تبدي صروف الليالي خلقاً من أبي سعيد عجيبا
 طاب فيه المديح والتذت حتى فاق وصف الديار والتشيبا
 غرَبته العلى على كثرة الاهسل فاضحى في الاقربين جنيبا
 فليطل عمره فلو مات ببر ومقياً بها لمات غريباً^(٥)
 سبقَ الدهرَ بالبلاد ولم يذ تظنر النائبات حتى تنوبا^(٦)

(١) يريد جدا البيت وما بعده ان هذه الرسوم قد كانت قبلاً سوق الصبا يرتادها العشاق من

كل جانب (٢) قماضر ولعوب فتانان

(٣) اي بكت دماً اذ رأيت شعري مخضيباً لظهور الشيب فيه

(٤) الثغام نبات يبيض اذا يس . ويريد بنسيب الثغام الشيب

(٥) مرو حاضرة خراسان وهي بلدة المدوح (٦) اي سبق نواب الدهر بمكارمه

واذا ما الخطوب أغمته كانت راحتاهُ حوادثاً وخطوباً
 وعبرُ الدين بالجلادِ ولكنَّ وعور العدوَّ صارت سهوباً
 فدروب الاشراك تدعى فضاءً وفضاء الاسلام يدعى دروباً
 قد رأوه وهو القريب بعيداً ورأوه وهو البعيد قريباً
 سكن الكيد فيهم إن من أعظم إربٍ أن لا تسمى اريباً (١)
 مكرهم عنده فصيح وانهم خاطبوا مكره رأوه جايياً (٢)
 ولعبر القنا الشوارع قري من تلاع الطلي نجيعاً صيباً
 في مكرٍ للروع كنت اكيلاً للنايا في ظله وشرباً
 لقد انصعت والشتاء له وجهه يراه الرجال جهماً قطوباً
 طاعناً منجرَ الشمال متيحاً لبلاد العدو موتاً جنوباً (٣)
 في ليالٍ تكاد تُبقي بجدَّ الشمس من ريحها البليل شحوباً
 فضربت الشتاء في اخدعيه ضربة غادرته قوداً ركوباً (٤)
 لو اصخنا من بعدها لسمعنا لقاوب الايام منك وجيباً
 غزوة متبع ولو كان رأيي لم تفرِّد به لكنت ساوباً (٥)
 يوم فتح سقى سواد الضواحي كعب الموت رائباً وحايباً
 فاذا ما الايام اصبحن خرساً كظماً في الفخار قام خطيباً
 كان داء الاشراك سيفك واشتدت شكاة الهدى فكنت طيبياً
 انضرت أيكتي عطاياك حتى صار ساقاً عودي وكان قضيياً
 ممطراً لي بالجاه والمال ما ألقاك إلا مستوهباً او وهوباً
 باسطقاً بالندى سحائب كعب بنداهها أمسى حيب حيباً (٦)

- (١) اي ان كيدهم لم يظهر لهم . واعظم الدهاء ان لا يعرف صاحبه به
 (٢) الجليب الغريب . ويريد بالبيت ان مكرهم ظاهر اما مكره فغير مفهوم لشدة دهائه . فشبه
 مكرهم بفصيح المنطق ومكره بمن لا يفهم كلامه
 (٣) اشارة انه غزا العدو (في الشمال) يعيش من الجنوب
 (٤) هنا جعل الشتاء كالجمل وقال ضربته فانقاد لك
 (٥) الغزوة المتبع التي تبعا سواها والسلوب عكس ذلك
 (٦) حيب الاولى اسم الشاعر . اي صرت محبوباً محترماً

وقال بمرح الفاسم ابا دلف العجلي

واصفاً جوده وحسن رايه في الحرب

على مثلها من اربع وملاعب
اقول لفرحان من البين لم يضيف
اعني افرق شمل دمعي فاني
وما صار يوم الدار عدلك كنه
وما بك اركابي من الرشد مركباً
فكلني الى شوقي وسر يسر الهوى

أذيلت مصونات الدموع السواكب^(١)
رسيس الهوى بين الحشا والترائب^(٢)
ارى الشمل منهم ليس بالمتقارب
عدوي حتى صار جهلك صاحبي^(٣)
الا انما حاولت رشد الركائب
الى حرقاتي بالدموع السوارب

...

أميدان لهوي من اتاح لك البلى
اصابتك ابكار الخطوب فشئت
اذا العيس لاقت بي ابا دلفم فقد
هنالك تلقى المجد حيث تقطعت
تكاد عطاياه يجن جنونها
اذا حركته هزة المجد غيرت
تكاد مغانيه تهش عراضها
اذا ما غدا اغدى كريمة ماله
يرى اقبح الاشياء اوية امل
واحسن من نور تفتحه الصبا

فاصبحت ميدان الصبا والجنائب
هواي بابتكار الظباء الكواعب
تقطع ما بيني وبين النوائب
تائمه والجود مرخي النوائب^(٤)
اذا لم يعوذها بنعمة طاب
عطاياه اسماء الاماني الكواذب
فتركب من شوق الى كل راكب
هدياً ولو زقت لالام خاطب
كسته يد المأمول حلة خائب
بياض العطايا في سواد المطالب

...

(١) اي على مثل هذه الربوع تان الدموع فتسكب من المآقي

(٢) اقول لمن خلا قلبه من الم بعد وحرقة الهوى في الصدر (٣) وفي نسخة وما صار

في ذا اليوم . وقد مر تفسير هذا البيت والذي بعده في الكلام عن الشاعر راجع ص ١٦٦

(٤) يريد بتقطيع التائم وارتخاء الذوائب ان الجود والمجد قد نشأ وبلغا اشدهما عنده

إذا أُلجئت يوماً أُجيمٌ وحولها
فانّ المنايا والصوارم والقنا
جحافل لا يتركنَ ذا جَبْرِيَّةٍ
يُدثون من أيدي عواصٍ عواصمٍ
إذا الخيلُ جابت قسطل الحرب صدّعوا
إذا افتخرت يوماً تميمٌ بقوسها
فانتم بذني قار امالت سيوفكم
محاسنٌ من مجدٍ متى تقرنوا بها
معالي تادت في العلوّ كأنما

وقد علمَ الافشينُ وهو الذي به
بانك لما استخذلَ النصر واكتسى
تجلّتهُ بالرأي حتى اريتهُ
بأرشقٍ اذ سالت عليهم غمامةُ
سللت لهم سيفين رأياً ومُنصلاً
وكنت متى نُهزِرَ حُطْبِ نَعْيِهِ
فذكرك في قلب الخليفة بعدها
فان تنس يذكرك، او يقل فيك حاسدُ
فانت لديه حاضرٌ غير حاضر

يسانُ رداء الملك عن كل جاذب^(١)
أهائيَ تسفي في وجوه التجارب^(٢)
به ملء عينيه مكان العواقب
جرت بالعوالي والعناق الشواذب^(٣)
وكلُّ كنجهم في الدجّةِ ناقب
ضرائب امضى من رفاق المضارب
خليفتك المعني باعلى المراتب
يُقلّ قوله او، تنأ دارٌ يصاقب^(٤)
بذكر وعنه غائب غير غائب

(١) في هذا البيت وما بعده يقول اذا ركبت قوم الممدوح (لجيم وبنو الحصن) لعمل عظيم فان المنايا والسيوف هي اقاربهم التي تحارب حريمهم
(٢) اشارة الى قوس حاجب بن زرارة التي استرهنها ملك الفرس والى وفاء حاجب وما ناله من الفخر بذلك . يقول اذا افتخرت تميم مجاجب فان سيوفكم في يوم ذي قار قد غلبت الفرس الذين استرهنوا قوس حاجب

(٣) الافشين قائد تركي كبير كان المعتم قد عقد له لواء الحرب ضد بابك

(٤) لما اخذل النصر واكتسى بما افسد عليه التجارب اي اظلمت في وجهه الامور

(٥) ارشق اسم مكان . وقوله سالت عليهم غمامة الخ معناه غمرتهم الحرب بالرماح والخيول الكريمة

(٦) فبملك هذا انت مذكور دائماً عند الخليفة وبه تقرب منه مما ابتعدت وبهلك قول حسادك

اليك ارحنا عازب الشعر بعد ما
غرائب لاقت في فنائك أنسها
ولو كان يفتي الشعر افناه ما قرت
ولكنه صوب العقول اذا انجالت
أقول لاصحابي هو القاسم الذي
واني لارجو عاجلاً ان تردني

تمهل في روض المعاني العجائب
من المجد فهي الآن غير غرائب
حياضك منه في العصور الذواهب
سحائب منه أعقت بسحائب
به شرح الجود التباس المذاهب
مواهبه مجراً ترجى مواهي

وقال بمرح عبد الله بن طاهر

وكان قد قصده الى خراسان

أهن عوادي يوسف وصواحيبه
اذا المرء لم تستخلص الحزم نفسه
أعاذاتي ما اخشن الليل مركباً
ذريني واهوال الزمان أفانها
لم تعلمي ان الزماع على السرى
دعيني على اخلاقي الصم التي
فان الحسام الهندواني إنما
فغزماً فقيماً ادرك السؤل طالبه^(١)
فذروته للحادثات وغاربه
واخشن منه في الملمات راصبه^(٢)
فاهواله العظمى تليها رغائبه
اخو التوجع عند الحادثات وصاحبه
هي الوفرة او سرب ترن نوادبه^(٣)
خشوته ما لم تقلل مضاربه^(٤)

وقلقل ناس من خراسان جاشها
وركب كاطراف الاسنة عرسوا
لامر عليهم ان تتم صدوره
الى ملك لم يلق كلكل بأسه
الى سالب الجيار بيضة ملكه
سما للعلي من جانبها كليها
فقلت اطمني انضر الروض عازبه
على مثلها والليل تسطو غياهبه^(٥)
وليس عليهم ان تتم عواقبه
على ملك الأ للذل جانبه
وأماه غادر عليه فسالبه
سحائب الماء جاشت غواربه

(١) و٢٠٣٠٢) راجع تفسير هذه الايات ص ١٦١

(٥) وركب كاطراف الرماح مضاء اقاموا ليالهم على نياق مثلها مضاء وعزماً

فَنَوَّلَ حَتَّى لَمْ يَجِدْ مِنْ يَنْبِئُهُ
 وَذُو يَقْظَاتٍ مُسْتَمِرٍّ مَرِيرَهَا
 فَوَاللَّهِ لَوْ لَمْ يُبْلِسِ الدَّهْرَ فَعَلَهُ
 فَيَا أَيُّهَا السَّارِي أَسْرٍ غَيْرِ مَحَازِرٍ
 فَقَدْ بَثَّ عَبْدُ اللَّهِ خَوْفَ انْتِقَامِهِ
 وَيَوْمَ إِمَامِ الْمَوْتِ دَحْضِ وَقْفَتِهِ
 جَلَوْتَ بِهِ وَجْهَ الْحَلِيفَةِ وَالْقَنَا
 سَقَيْتَ صَدَاهُ وَالصَّفِيحُ مِنْ الطَّلِي
 فَاوْ نَطَقَتْ حَرْبٌ لَقَالَتْ مَحْتَمَّةٌ
 وَيَا أَيُّهَا السَّاعِي لِيَدْرِكَ شَأْوَهُ
 خُسْبِكَ مِنْ نَيْلِ الْمَرَاتِبِ أَنْ تُرَى
 إِذَا مَا امْرُوءٌ لَتَى بِرَبْعِكَ رَحْلَهُ
 وَحَارِبَ حَتَّى لَمْ يَجِدْ مِنْ يَحَارِبِهِ
 إِذَا الْخُطْبُ لَاقَاهُ أَضْمَحَّتْ نَوَائِبُهُ (١)
 لَافْسَدَتْ الْمَاءَ الْقِرَاحَ مَعَابِيهِ
 جَنَّانَ ظَلَامٍ أَوْ رَدَى أَنْتَ هَائِبِهِ
 عَلَى اللَّيْلِ حَتَّى مَا تَدْبُ عَقَارِبِهِ
 وَلَوْ خَرَّ فِيهِ الدِّينُ لِانْهَالِ كَاتِبِهِ
 قَدْ أَتَّعَتْ بَيْنَ الضَّالِّعِ مَذَاهِبِهِ
 رِوَاءُ نَوَاحِيهِ عَذَابٌ مُشَارِبِهِ (٢)
 أَلَا هَكَذَا فَلْيَكْسِبِ الْمَجْدَ كَلْسِبِهِ
 تَرَحُّنُ قَصِيًّا أَسْوَأَ الظَّنِّ كَاذِبِهِ
 عَلِيًّا بَانَ لَيْسَتْ تُتْنَالُ مَنَاقِبِهِ
 فَقَدْ طَالَبْتَهُ بِالنَّجَاحِ مَطَالِبِهِ

وقال بمرح محمد بن عبد الملك الزيات

دِيمَةٌ سَمِحَةٌ الْقِيَادِ سَكُوبٌ مُسْتَعِيثٌ بِهَا الثَّرَى الْمَكْرُوبُ
 لَوْ سَعَتْ بَقَعَةٌ لِأَعْظَامِ نَعْمَى لَسَعَى نَحْوَهَا الْمَكَانَ الْجَدِيدُ
 لَذَّ شَوْبُهَا وَطَابَ فَاوْ تَسْطِيعُ قَامَتْ فَعَانَقَهَا الْقَلُوبُ
 فَهِيَ مَاءٌ يَجْرِي وَمَاءٌ يَلِيهِ وَعِزَالِي تَنْشَأُ وَآخِرَى تَذُوبُ (٣)
 كَشَفَ الرُّوضُ رَأْسَهُ وَاسْتَسْرَّ الْمَحَلَّ مِنْهَا كَمَا اسْتَسْرَّ الْمَرِيْبُ (٤)
 فَإِذَا الرَّيُّ بَعْدَ مَحَلِّ وَجْرَجَا نٌ لَدَيْهَا يَبْرِينُ أَوْ مَلْحُوبُ (٥)

...

(١) مستمر مريرها اي مستمرة شديداً

(٢) اي سقيت القنا فاطفأت عطشه والسيف من الرقاب قد عذبت مشاربه وسالت نواحيه .

(٣) ويروي والصفوح من الطلي رواء نواحيه

(٤) اي كان من جراء هذه النغامة الماطرة ان سالت المياه مجرى بعد مجرى . والعزالي مصاب مياه

المطر (٥) استسر اختفى . اي اختفى المحل كما يحتجب صاحب التهمة عن اعين النظر

(٥) اصبحت جرجان وهي في الحصب كانها كيبيرين او ملحوب - وهما محلان في بلاد العرب

معروفان بوفرة مياههما وشجرهما

ايا الغيثُ حيَّ اهلًا بغيرنا كَ وعند السرى وحين توثوب (١)
 لابي جعفر خلائقُ تحكيهنَّ قد يشبه النجيبَ النجيب
 انتَ فينا في ذا الاوان غريبٌ وهو فينا في كل وقتٍ غريب
 ضاحكٌ في نوائبِ الدهر طلقٌ وملوكٌ يكونَ حين تنوب
 فاذا الخطبُ طال نالَ الندى والبذل منه ما لا تنالُ الخطوب
 خُلقٌ مشرقٌ ورأي حسامٌ وودادٌ عذبٌ وريحٌ جنوب
 كلُّ يومٍ له وكلُّ اوان خُلقٌ ضاحكٌ ومالٌ كتيب
 ان تقاربهُ او تباعدهُ ما لم تأتِ فشاء فهو منك قريب
 ما التقى وفره ونائه مذ كان الا ووفره المغلوب
 فهو مدنيٌ للوجود وهو بغيضٌ وهو مقص للمال وهو حبيب (٢)
 يأخذُ المعتفينَ قسراً ولو كف دعاهم اليه وادى خصيب
 غيرَ أن الرامي المسددَ يحاطُ مع العلم انه سيصيب (٣)

وقال في ابي سعيد محمد بن يوسف

ذاكراً بعض وقائمه في حروب بابك

غدت تستجيرُ الدمع خوفَ نوى غدٍ وعادَ قتاداً عندها كلُّ مرقدٍ
 وانقذها من غمرة الموت أنه صدودٌ فراق لا صدود تعثد
 فاجرى لها الاشفاقُ دمعاً مورداً من الدم يجري فوق خدي مورداً
 هي البدرُ يعنينا توددٌ وجهها الى كل من لاقته وان لم تودد
 ولكنتي لم أحو وفرأ مجعاً ففزتُ به إلا بشملٍ مبددٍ
 ولم تعطني الايامُ نوماً مسكناً ألدُّ به إلا بنومٍ مشردٍ

(١) ويروي حبيلاً وهي بمعنى اهلًا وسهلاً

(٢) يصف شدة كرمه ويقول فهو مدنيٌ للوجود والوجود بغيض من اصحاب المال. وهو مقص للمال

والمال محبوب من الجميع

(٣) يجر المعتفين الى نواله مع علمه بانهم سيقصدونه يفعل ذلك احتياطاً كما يحاط الرامي مع علمه

انه سيصيب

وطولُ مقامِ المرءِ في الحيِّ مخلوقُ
فاني رأيتُ الشمسَ زيدتْ محبةً
لدياجتيهِ فاغتربَ تتجددُ
الى الناسِ أنْ لستَ عليهمِ بسرمدِ

...

حلفتُ بربِّ البيضِ تدمي متونها
لقد كففَ سيفُ الصامتيِّ محمدُ
رمى الله منه بابكاً وولاته
باسمحَ من صوبِ الغمامِ سماحةً
وفي ارشقى الهيجاءِ والحيلُ ترتمي
عططت على رغمِ العدى عزمِ بابك
فان لم يكنِ ولئى بشاؤي مقدرُ
وقد كانت الارماحُ أبصرنَ قلبه
وموقانُ كانت دارَ هجرتهِ فقد
حططتْ بها يومَ العروبةِ عزه
راك سديدِ الرأيِ والرمحِ في الوغى
وليس يجلي الكربِ رمحِ مسددُ
فمرَّ مطيعاً للعوالي معوداً
وكان هو الجلدُ القوي فسلبتهُ
افادتك فيها المرهفاتُ مكارماً

وربَّ القنا المنادِ والمتقصدِ^(١)
تباريحِ نأرِ الصامتيِّ محمدِ^(٢)
بقاصمةِ الاصلابِ في كلِ مشهدِ
واشجعَ من صرفِ الزمانِ وانجدِ
بابطالها في جاحمِ متوقدِ
بعزمك عطى الاتحميِّ المعصدِ^(٣)
هناك فقد ولئى بعزمِ مقددِ
فارمدها سترُ القضاءِ الممددِ
توردتها بالحيلِ اي توردُ^(٤)
وكان مقيماً بين نسرِ وفرقدِ^(٥)
تأزرُ بالاقدامِ فيه وترتدي
اذا هو لم يؤنس برأيِ مسددِ
من الخوفِ والاحجامِ ما لم يعودِ
بجسنِ الجلادِ المحضِ حسنِ التجددِ
تعمرُ عمرَ الدهرِ ان لم تحلُدِ

...

وليلةً أبليتِ النياتِ بلاءه
فيا جولةً لا تجحديه وقاره
ويا ليلُ لو أني مكانك بعدها
من الصبرِ في وقتِ من الصبرِ محمدِ^(٦)
ويا سيف لا تكفر ويا ظلمة اشهدي
لما بت في الدنيا بيومِ مسهدِ

(١) حلفت برب السيوف الدامية والقنا الملتوي او المتكسر

(٢) اي لقد نأر محمد (الممدوح) لمحمد بن حميد الطوسي الذي قتل قبلاً والصامتي لقب

(٣) شغقت عزم بابك كما يشق الثوب المخطط

(٤) موقان اسم مكان كانت حصنه الحصين حتى دخلتها بالحيل^{٣٧}

(٥) يوم العروبة اي يوم الجمعة. يقول انزلت عزه ذلك اليوم وكان بين هذين النجمين سوءاً

(٦) محمد (ويروى خطأً بمجد) اي قليل الخبر .

وقائعُ أصلُ النصر فيها وفرَّعه
 فمها تكن من وقعةٍ بعدُ لا تكن
 محاسن اصناف المعين جمةً
 جالوت الدجى عن اذريجان بعدما
 وكانت وليس الصبحُ فيها بابيض
 رأى بابكُ منك التي طلعت له
 هزرت له سيفاً من الكيدِ انا
 يسرُ الذي يسطو به وهو مغمدُ
 تلافى جدك المجتدين فاصبحوا
 اذا مارحى دارت ادرت سماحةً
 اتيتك لم أفرع الى غير مفرع
 ومن يرجُ معروف البعيد فانما

اذا عُدَّ الاحسانُ او لم يعدد
 سوى حسنٍ مما فعلت مردد
 وما قصباتُ السبقِ الالمعد (١)
 تردت بلون كالعمامة اربد (٢)
 فامست وليس الليلُ فيها باسود
 بنجس وللدين الخيف باسعد
 تجذُّ به الاعناق ما لم تجرد (٣)
 ويفضح من يسطو به غير مغمد
 ولم يبق مذخورٌ ولم يبق مجتد
 رحي كل انجاز على كل موعد (٤)
 ولم أنشد الحاجات في غير منشد
 يدي عولت في الناثبات على يدي

وقال في العنصر وبطشه بالافشين

الحق ابلجُ والسيوفُ عوار
 ملكٌ غدا جارَ الخلافةِ منكم
 يا رب فتنة أمةٍ قد بزها
 جالت مجيدرَ جولةِ المقدار
 كم نعمةٍ لله كانت عنده
 كسيت سباب لؤمه فتضالمت
 موقورة طلب الاله بثارها
 فحذار من اسد العرين حذار
 والله قد اوصى بحفظ الجار
 جبارها في طاعة الجار
 فاحله الطغيان دار بوار (٥)
 فكأنها في غربة وإسار
 كتضاؤل الحسناء في الاطار (٦)
 وكفى برب الثائر مدرك ثار

(١) معبد اسم مفعول مشهور

(٢) اذريجان مقاطعة في بلاد فارس

(٣) اي هزرت سيفاً من المكر. والمكر انما ينفع اذا لم ينتضح - يشير الى درايته وحسن سياسته

(٤) سماحة مفعول لاجله. اي اذا رحي الشدائد دارت ادرت من ساحتك رحي الوفاء والكرم

(٥) حيدر بن كاوس هو الافشين (٦) سباب اللوم اي اثوابه. والاطار اكسية بالية

صاى امير المؤمنين بزبرج
مكراً بنى ركنيه إلا أنه
حتى اذا ما الله شق ضميره
ونحا لهذا الدين شفرته انثى
ما كان لولا فخش غدره حيدر
ما زال سر الكفر بين ضلوعه
ناراً يساور جسمه من حواها
طارت لها سعل يهدم لفتحها
لله من نار رأيت ضياها
مشوبة رفعت لاعظم مشركه
صلى لها حياً وكان وقودها
وكذلك اهل النار في الدنيا هم
يا مشهداً صدرت بفرحته الى
رمقوا أعالي جذعه فكأنما
واستنشقوا منه قناراً نشره
قد كان بؤاه الخليفة جانباً
فسقاه ماء الخفض غير مصرده
فاذا ابن كافرة يسر بسرهم
واذا تذكره بكاه كما بكى
دلّت زخارفه الخليفة أنه

في طيه حمة الشجاع الضاري^(١)
وطد الاساس على شفير هار
عن مستكن الكفر والاصرار
والحق منه قانيه الاظفار^(٢)
ليكون في الاسلام عام بخار^(٣)
حتى اصطلى سر الزناد الواري
لهب كما عصفت شق ازار^(٤)
اركانه هدماً بغير غبار
ضاق الفضاء به على النظار
ما كان يرفع ضوءها للساري
ميتاً ويدخلها مع الفجار^(٥)
يوم القيامة جل اهل النار
امصارها القصى بنو الامصار
وجدوا الهلال عشيّة الإفطار
من عنبر ذفر ومسك داري^(٦)
من قلبه حرماً على الاقدار
وانامه في الأمن غير غرار
وجدأ كوجد فرزدق بنوار^(٧)
كعب زمان رثى أبا المغوار^(٨)
ما كل عود ناضر بنضار

- (١) تظاهر بطاعة تحتها سم الحية القتال
(٢) اي بعد ان اعد شفرة الغدر للدين عاد الدين ففتك به
(٣) فجار من حروب الجاهلية سميت كذلك لاختا كانت في الاشهر الحرم
(٤) هذا البيت وما قبله اشارة الى احراق الافشين وهو مصلوب
(٥) يشير الى ان الافشين كان مجوسياً يعبد النار
(٦) نسبة الى دارين بلدة في الشام معروفة بعطرها
(٧) الضمير في بسرهم يرجع الى المجوس ونوار امرأة الفرزدق طلقها ثم ندم ووجد لذلك
(٨) كعب الفنوي شاعر قديم - يرثى اخاه ابا المغوار

يا قابضاً يدَ آلِ كاؤسٍ عادلاً
 أُلحِقَ جبيناً دامياً رَمَلتُهُ
 وأَعلمُ بانك إنفاً تلقِيهم
 كادوا النبوةَ والهدى فتَقَطَّعتْ
 جهلوا فلم يَستكثروا من طاعة
 فاشدُدْ بهارون الخِلافةَ إنهُ
 بفتى بني العباس والقمر الذي
 كرم الخِزولةَ والعمومةَ مَجَّه
 هوَ نوهُ يمن فيهم وسعادة
 فأقع شياطين النفاق بمُتدِرِ
 ليسيَرُ في الافاق سيرةَ رافِعِ
 فالصين منظوم باندلسِ الى
 ولقد علمتَ بان ذلك مِعصم
 فالارض دار اقفرت ما لم يكن
 سور القران الغرفيكم أنزلت

أتبع مينا منهمُ بيسار
 بقفاً وصدرأ خائناً بصدار^(١)
 في بعض ما حفروا من الآبار
 اعناقهم في ذلك المضار
 معروفة بعارة الاعمار
 سكن لوحشتها ودار قرار^(٢)
 حنَّته انجمُ يعرب ووزار
 سلفا قريش فيه والانصار
 وسراج ليل فيهم ونهار
 ترضى البريةُ هديه والباري
 ويسوسها بسكينة ووقار
 حيطان رومية فلك ذمار^(٣)
 ما كنتَ تتركه بغير سوار
 من هاشم ربُّ لتلك الدار
 ولكم تصاغ محاسن الاشعار

ومن مدائح في المعتم

أجلُ ايما الربعُ الذي خفَ آهلهُ
 وقفتُ واحشائي منازلُ للأسي
 اسائلكم ما باله حكمُ البلي
 دعا شوقه يا ناصرَ الشوقِ دعوةً
 بيومِ يريك الموت في صورة التوى

لقد ادركتُ فيك النوى ما تحاونه
 به وهو قفرٌ قد تعفَّتْ منازلُه
 عليه والأُ فاتركوني اسائلُه
 قلباهُ طلُّ الدمعِ يجري ووابله
 اواخرُه من حسرةٍ واولئه

(١) في هذا البيت وما قبله يقول ايما الخليفة قد قبضت على ايدي آل كاوس بقتله فاقتل من بقي منهم
 (٢) هارون هو الواثق بن المعتم
 (٣) يقصد بدمار اليمن . ويريد بما مرَّ من الايات ان الواثق خير ولي للهد فهو قد جمع شرف الخوزولة والعمومة وقرن في نفسه الهداية وحسن الراي

الى ان يقول

الى قطب الدنيا الذي لو فضلته
 من البأس والمعروف والدين والتقى
 جلاظلمات الظلم عن وجه أمة
 ولاذت بحقوقه الخلافة فالتقت
 بعتصم بالله قد عصمت به
 رعى الله فيه للرعية رافة
 وقام فقام العدل في كل بلدة
 بيمين ابي اسحق طالت يد الهدى
 هو البحر من اي النواحي اتيته
 تعود بسط الكف حتى لو أنه
 ولو لم يكن في كنهه غير روحه
 إمام الهدى وابن الهدى اي فرحة
 رجاؤك للباغي الغني عاجل الغني

مدحت بني الدنيا كفتهم فضائله
 عيال عليه رزقهن شمائله
 اضاء لها من كوكب الحق آفله
 على خدرها ارماحه ومناصله
 عرى الدين والتفت عليه وسائله
 ورحمته فيهم تفيض ونائله
 خطيباً واضحى الملك قد شق بازله (١)
 وقامت قناة الملك واشتد كاهله (٢)
 فاجتته المعروف والجلود ساحله
 ثناها لقبض لم تطعه انامله
 جاد بها فليثق الله سائله
 تعجلها منك القريض وقائله
 وأول يوم من لقائك آجله

مرثاته في محمد بن حميد الطوسي

وكان المرثي من كبار القادة وقد قتل في حرب بابك ٢١٤ هـ

كذا فليجل الخطب وليفدح الامر
 توفيت الآمال بعد محمد
 وما كان الا مال من قل ماله
 وما كان يدري مجتدي جود كنهه
 ألا في سيل الله من عطيت له
 فليس لعين لم يفيض ماؤها عذراً
 واصبح في شغل عن السفر السفر
 وذخراً لمن امسى وليس له ذخراً
 اذا ما استهت أنه خلق العسر
 فجاج سيل الله وانشر الشعر

(١) شق بازله اي طلع ناب جمله والكلام مجاز يراد به قد اكتمل

(٢) أبو اسحق كنية المعتصم . اشتد كاهله اي امتنع جانبه

فتى كلما فاضت عيون قبيلة
 فتى دهره شطران فيما ينوبه
 فتى مات بين الطعن والضرب ميتة
 وما مات حتى مات مضرب سيفه
 وقد كان فوت الموت سهلاً فردّه
 ونفس تعاف العار حتى كأنها
 فاثبت في مستنقع الموت رجله
 غدا غدوةً والحمد نسج ردائه
 تردى ثياب الموت حمراً فما دجى
 كأنّ بني نيهان يوم وفاته
 يعزّون عن نأو تعزى به العلى
 وأنى لهم صبر عليه وقد مضى
 فتى كان عذب الروح لا من غضاضة
 فتى سلبته الخيل وهو حمى لها
 وقد كانت البيض المآثر في الوغى
 أمن بعد طي الحاديات محمداً
 اذا شجرات العرف جذت اصولها
 آئن أبغض الدهر الخؤون لفقده
 لئن غدرت في الروع ايامه به
 كذلك ما تنفكُ تفقد هالكاً
 سقى العيث غيثاً وارت الارض شخصه
 دما ضحكت عنه الاحاديث والذكر
 فني باسه شطر وفي جوده شطر
 تقوم مقام النصر ان فاته النصر
 من الضرب واعتلت عليه القنا السمر
 اليه الحفاظ المرء والحلق الوعر
 هو الكفر يوم الروع او دونه الكفر
 وقال لها من تحت أخمصك الحشر
 فلم ينصرف الا واكفانه الاجر
 لها الليل الا وهي من سندس خضر^(١)
 نجوم سماء خرّ من بينها البدر
 ويكي عليه البأس والجلود والشعر
 الى الموت حتى استشهدا هو والصبر
 ولكن كبراً أن يقال به كبر
 وبزّته نار الحرب وهو لها جمر
 بوآثر فهي الان من بعده بُتر^(٢)
 يكون لآثواب الندى ابدأ نشر
 ففي اي فرع يوجد الورق النصر
 لهدي به ممن يُحب له الدهر^(٣)
 فما زالت الايام شيمتها الغدر
 يشاركننا في فقده البدو والحضر
 وان لم يكن فيه سحاب ولا قطر

(١) اي قتل في ساحة الجهاد فليس بعد الموت الثياب الحضر التي هي لباس اهل الجنة

(٢) في هذا البيت وما قبله يتول قتل في الحرب وقد كان هو الذي يثيرها فاصبحت السيوف القاطعة بعده مبتورة لا خير فيها

(٣) اذا ابغض الدهر اليوم لفقده فقد كان يحمد سابقاً لكرمه ومآثره

وكيف احتمالي للغيوث صنيعاً
مضى طاهر الاثواب لم تبق روضة
ثوى في الثرى من كان يجيا به الثرى
عليك سلام الله وقفاً فاني
باسقانها قبراً وفي لحده البحر^(١)
غداة ثوى الا اشتهد انها قبر
ويغير صرف الدهر نائله الغمر
رأيت الكريم الحرّ ليس له عمر

وقال يرثي ادريس بن بدر السامي من ولد سامة بن لوئي

دموع اجابت داعي الحزن همع
عفاء على الدنيا طويل فانها
تبدلت الأشياء حتى خلقتها
لها صيحة في كل روح ومهجة
أدريس ضاع المجد بعدك كله
واصبحت الأحزان لا لمبرّة
وضل بك المرتاد من حيث يهتدي
واضحت قريحات القلوب من الجوى
عيون حفظن الليل فيك محرماً
وقد كان يدعى لابس الصبر حازماً
وقالت عزاء ليس للموت مدفع
لادريس يوم ما ترال لذكره
ولما نضى ثوب الحياة ووقعت
غدا ليس يدري كيف يصنع معلّم
وماتت نفوس الغالبيين كلهم
توصل منا عن قلوب تقطع
تفرق من حيث ابتدت تتجمع
سكتني غروب الشمس من حيث تطلع
ولست بشيء ما خلا القلب تسمع
ورأي الذي يرجوه بعدك اضيع
تسلم شزراً والمعاني تودع
وضرت بك الأيام من حيث تنفع
تقاط ولكن المدامع تربع^(٢)
واعطينك الدمع الذي كان ينع
فاصبح يدعى حازماً حين يجزع
فقلت ولا للحزن إذ بات مدفع
دموعي وان سكتها تنفرع
به نائبات الدهر ما يتوقع
ذرى دمه من وجده كيف يصنع
والأ فصر الغالبيين اجمع^(٣)

(١) يطلب من الغيث (المطر) ان يسقي غيث الجود (المري) ثم يقول وكيف اطلب من المطر ان يسقي قبراً فيه بحر الجود والعلی

(٢) تقاط يشتد حرّها وتربع الدموع تسيل كما تشاء

(٣) يريد بالغالبيين عشرته اي ماتوا بؤته او مات صبرهم اجمع

غدوا في زوايا نعشه وكانما
 ولم انس سعي الجود خلف سريره
 وتكبيره خمساً عليه معالناً
 وما كنت ادري يعلم الله قبلها
 ألم تك ترعانا من الدهر ان سطا
 وتلبس اخلاقاً كراماً كأنها
 وتبسط كفاً في الحقوق كأنما
 وتربط جاشاً والكماة قلوبها
 ألا إن في ظفر المنيّة مهجة
 هي النفس ان تبك المكارم فقدّها

قريش قريش يوم مات مجمع
 باكسف بال يستقيم ويظلع
 وان كان تكبير المصلين اربع
 بأن الندي في اهله يتشيع (١)
 وتحفظ من اموالنا ما يضع
 على العريض من فرط الحصانة ادرع
 اناملها في البأس والجود اذرع
 ترعزع خوفاً من قناً ترعزع
 تظل لها عين العلى وهي تدمع
 فمن بين احشاء المكارم تنزع



(١) في هذا البيت وما قبله يقول ان الجود سار خلف نعشه كاسف البال وكبير عليه من شدة
 وجده خمساً لا اربعاً كما يفعل المصلون . وما كنت ادري قبل ذلك ان الجود يتحزب لفريق من اهله
 دون فريق

البحثري

ابو عبادة الوليد بن عميد الله

٥٢٠٥ - ٥٢٨٤

٨٢٢ م - ٨٩٨ م

مصادر دراسته - توطئة تاريخية - نظرة في ديوانه

مزيمته الفنية - شعره الغزلي

مصادر دراسته

الاغاني ج ١٨ ص ١٦٧-١٧٥

الموازنة بين ابي تمام والبحري (للأمدي)

الموشح للمرزباني ص ٣٣٠-٣٤٣

الفهرست ص ١٦٥

معجم الادباء لياقوت ج ٧ ص ٢٢٦-٢٣٢

وفيات الاعيان ج ٢ ص ٢٥٩-٢٦٥ (تحت اسم الوليد)

مفتاح السعادة ص ١-١٩٣

ومتفرقات في مروج الذهب وتاريخ ابن عساكر والعمدة وغيرها .

وتجد سيرته في كل الكتب الحديثة التي تتناول الآداب العربية وتاريخها نذكر منها

دائرة المعارف الاسلامية

مجلة الضياء المجلد السادس (ج ١-ج ١٥) سلسلة مقالات (لامين حداد)

شعراء الشام لمردم

اعلام النبلاء للطباخ ج ٤ ص ٦-١٤

قوطني مارنجية

يؤخذ من دراسة المصادر التاريخية ان البحتري ولد في منبج بجوار حلب ، (وعلى رأي احدهم في قرية قريبة منها تدعى زردفنه) وهناك نشأ وقال الشعر . وتقع حياته الشعرية في ثلاثة اطوار -

(الاول) طور نشأته الادبية ومعظمه كان في منبج ، على انه زار بعض المدن السورية كحلب وحمص والمعرّة . وفي حمص على ما يقال لبي ابا تمام واخذ عنه

(الثاني) طور العراق - وهو طور شهرته وفيه اتصل بالخلفاء وكبار رجال الخلافة فمدحهم ونال جوائزهم . وهذا الطور عهدان عهد المتوكل ووزيره الفتح بن خاقان ثم عهد من تبعه من الخلفاء . وبين العهدين فترة اقام فيها في منبج

(الثالث) طور الرجوع الى الوطن والاقامة فيه

فالبحتري نشأ في جوار حلب ، حتى اذا ادرك وحذق صناعة الشعر قصد العراق واتصل ببلاط المتوكل ولازمه . ولما حدث الفتنة التي قتل فيها المتوكل ووزيره الفتح وذلك ٢٤٧هـ كره البقاء فعاد الى وطنه . ولكنه على ما يظهر لم يقيم هناك طويلاً ، فستتج ذلك من قائمة ممدوحيه ومن قصائده فيهم . فعاد الى العراق والى سالف عهده من مدح الخلفاء والامراء هناك - ولا سيما المعتز - وبتى الى آخر حكم المعتضد^(١) ، ثم رجع الى سوريا واستقر في منبج حيث ادركته الوفاة وهو يناهز الثمانين

اتصل شاعرنا بسبعة من الخلفاء العباسيين وبعده وافر من رؤساء القوم فبلغ منزلة عالية ، ولم يكن مسرفاً فجمع مالاً وفيراً . قال ابن رشيق « وكان البحتري ملياً فاض كسبه من الشعر وكان يركب في موكب من عبيده »^(٢) . وفي شعره ما يشير الى انه كان ذا عقار واسع ، كقوله لاحد الرؤساء في امر ضيعة له - والظاهر ان بعضهم اعتدى عليها واغتصب غلتها فقال مستجيراً به -

(١) ومن مرثاته في غلامه قيصر يظهر انه كان لا يزال بعيداً عن وطنه وهو ابن ٦٦

(٢) العمدة ٢-١٥٠ - وفي ٦-١ يذكر انه كان له قهارة وكتاب

وقد غدت ضيعتي منوطة ببحيث نيظت للناظر الزُّهره
 اروم بالشعر ان تعود فما اقطع فيما ارومه سَعْره
 وفي بعض قصائده للمعتر يستأذنه في الذهاب الى الشام لينظر في املاكه قال
 هل اطلعن على الشَّام مَبْجَلا في عزّ دولتك الجديد الموفق
 فارمّ خلة ضيعة تصف اسمها والم ثم بصيعة لي دردق
 شهران ان يسّرت اذني فيهما كفلا بالفة شملي المتفرق
 ويذكر ابن خلكان انه كان يحتاج للترداد الى الوالي بسبب مصالح املاكه (١)

وفي ايام البحتري كانت الخلافة العباسية في حال انتقال من طور القوة الى طور الضعف، وكان المتوكل حلقة الاتصال بين هذين الطورين . وقد شهد الشاعر ايام عزه وبأسه كما شهد الفتنة عليه وما كان من مقتله واستبداد امراء الجند التركي بالذين جاءوا بعده ومن الظواهر التاريخية التي تتجلى في شعره وشعر معاصره (كما سنرى في كلامنا عن ابن الرومي) اعتلاء العناصر الاعجمية في الدولة على العنصر العربي ، حتى كان الشاعر ينوه بفضل الموالي كما قال البحتري من قصيدة للمعتر

يا من له اول العليا وآخرها ومن بجود يديه يُضرب المثل
 اما الموالي فجنّد الله حملهم ان ينصروك فقد قاموا بما احتملوا
 بقاؤهم عصمة الدنيا وعزّهم ستر على بيضة الاسلام منسدل

ومن قوله في ذلك يصف ما قام به قادة المعتر من قهر الاعداء والقائمين عليه
 سراة رجال من مواليك أكدوا عرى الدين احيانا وبثوا قوى الكفر
 اذا فتحوا ارضا اعدوا لمثلها كتابت تفري في اعاديك ما تفري
 في الشرق إفلاح موسى ومُفْلِح وفي الغرب نصر يرتجى لاي نصر (٢)
 واذا قابلت ممدوحيه (من غير الخلفاء) بممدوحى ابى تمام مثلاً ترى ان الاخير كانت
 مدائح في العرب تفوق مدائح في سواهم ، اما البحتري فعلى خلاف ذلك . وانك لتتثبت

(١) وفيات الاعيان ٢-٣٦٤

(٢) موسى ومفلح وابو نصر من قادة الاتراك

ذلك من مراجعة القائمة التالية ودرس رجالها واحداً واحداً . وقد اغفلنا فيها ذكر من لم تبلغ مداخه القصيدتين ، وجمعنا افراد الاسرة الواحدة تحت اسم واحد كآل سهل وال المدبر وسواهم . ومع ذكرنا للخلفاء لم ندخلهم في هذه الموازنة العنصرية

الخلفاء .

المتوكل	٣٥	قصيدة
المعتز	٣٠	="
المعتمد	٥	قصائد
المهتدي	٤	="
المستعين	٤	="
	٧٨	

من كبار العرب

ابو سعيد محمد بن يوسف الثغري وآله	٢٣	(طي)	من كبار القادة
آل حميد الطوسي	١٨	نهبان (طي)	" " "
احمد بن محمد الطائي	٧	طي	
ابو صالح بن عمار	٥		
محمد بن القمي	٥	طلحة	
الخضر بن احمد	٥		
ابو نوح عيسى بن ابراهيم	٤		
ابو الحسن الهاشمي	٤	هاشم	
علي بن مر	٤	طي	
مالك بن طوق	٢	تغلب امير عرب الشام	
محمد بن بدر	٢	من بني سعد على ان اخواله	
		من الموالي	

ومن كبار المدوحين الذي لم نثبتهم في احدى القائمتين اسماعيل بن بلبل ٢٠ قصيدة . ونسبه في شيان ولكن صاحب الفخري (١٨٧) يقول ان في نسبه ريباً واسحق بن ابراهيم المصعبي ٢ نائب بغداد وابن عم طاهر بن الحسين

من كبار الموالى

(من الاتراك)	وزير المتوكل	٢٦	الفتح بن خاقان واليه
(من الفرس) ^(١)	وزير المعتمد	٢٦	الحسن بن مخلد واليه
	من رجال الدولة ادباً وادارة	١٥	ابراهيم بن المدبر
(من الفرس) ^(٢)			
	وزراء	١٢	آل سهل
(من الاتراك)	من وزراء المتوكل	٩	علي وعبدالله بن يحيى بن خاقان
(من الفرس)	وزير المستعين	٨	أبو صالح بن يزيد
	من اعيان الامراء	٧	آل طاهر
(٢)	من الاعيان	٦	ابو العباس بن بسطام
	من امراء الفرس	٥	الشاه من ميكال
	من الوجهاء والرؤساء	٤	علي بن الفياض
(٤)	وزير وكاتب	٤	احمد بن ثوابه
	من امراء الترك	٤	وصيف وآله
	من الاتراك وهو الذي رد المعتمد الى سامرا وسمي ذا السيفين ^(٥)	٣	اسحق بن كنداج
	من اعيان القادة	٣	اسماعيل بن نوبخت
	روساء الفرس ^(٦)	٣	آل دينار

١٣٥

وكان البحتري ككثر شعراء عصر مولعاً بالخمر وفي الابيات التالية التي كتبها الى المبرد (اللغوي المشهور صاحب الكامل) ما يدل على شيء من احواله ونسق معيشته . قال

(١) راجع ديوان البحتري (عطيه) ٥٧٩-٥٨٢ و ٣٢٠ و ٣٢٥ و ٢٧٢ و ٥٢٩ و ٣١٨

(٢) الديوان ٥٨٠ و ٥٩٥ و ٥٩٩ وفي معجم الادباء انه كان يدعي انه من ضبه

(٣) ديوان القسطنطينية ١-١٢٨ و عطيه ٦٠٦

(٤) في معجم الادباء ان اصلهم نصارى (٥) راجع الطبري في اخبار ٢٦٩

(٦) ديوان البحتري (عطيه) ٤٠٠ و ٤٠٤

يوم سبت وعندنا ما كفى الحراً طعاماً والورد منا قريب
ولنا مجلس على النهر فيأح فسيح تراح فيه القلوب
ودوام المدام يدنيك ممن كنت تهوى وان جفاك الحبيب
فأتنا يا محمد بن يزيد في استنار كي لا يراك الرقيب
نطرد الهم باصطباح ثلاث مترعات تنفى بهن الكروب
ان في الراح راحة من جوى الحب وقلبي الى الاديب طروب
لا يرعك المشيب مني فاني ما ثنائي عن التصابي المشيب

وفي ديوانه مواطن كثيرة يذكر فيها ولعه بالخر والهبو تقتصر منها على ما يلي ، وفيه
يقترّب من روح ابي نواس

كل ماضٍ انساه غير ليالٍ ماضيات لنا يبارا وبناً^(١)
مغرم بالمدام اترع كاساً ساطعاً ضوها وانسف دناً
حيث لا اربح الزمان ولا التي الى العاذل المكثّر اذا
يزعم البرّ في التشدد والاسمح اولى بان يبرّ ويُدني

...

اما مذهبه السياسي فمن الطبيعي ان يكون عبّاسياً . وقد توهم الاستاذ مرغوليوث في
الايات التالية

يا ضيعة الدنيا وضیعة اهلها والمسلمين وضیعة الاسلام
هذا ابن يوسف في يدي اعدائه يجزى على الايام بالايام
نامت بنو العباس عنه ولم تكن عنه امية لو رعت بنيام

ان الشاعر يتمنى رجوع بني امية^(٢) . والحققة ان هذه الايات قيلت وقد سلّم محمد بن
يوسف الثعري لكاتب نصراني وأمر بتعذيبه ، فشق على الشاعر ان يرى مسلماً كبيراً تحت
يد كاتب نصراني ، وقال هذه الايات بدافع الغيرة محالاً ان يستغز شعور القوم لتخليص
الرجل ، وليس في هذه الايات ادنى صبغة سياسية .

(١) بارا وبناً مكانان (٢) راجع مقاله في دائرة المعارف الاسلامية

شعره في ديوانه

اجمع نقدة الشعر القديما علي وصف البحتري بسلاسة العبارة وحسن الديباجة واليك آراء بعض من كبار الاقدمين فيه -

قال الثعالبي « يضرب به المثل لان الاجماع واقع على انه في الشعر اطبع المحدثين والمولدين وان كلامه يجيع الجزالة والحلاوة والفضاحة والسلاسة . ويقال ان شعره كتابة معقودة بالقوافي »^(١) . وقال ابن رشيق « واما البحتري فكان املح صنعة (من ابني تمام) واحسن مذهبا في الكلام ، يسلك فيه دماثة وسهولة مع احكام الصنعة وقرب المأخذ لا يظهر عليه كلفة ولا مشقة »^(٢) . ووصفه ابن الاثير بقوله « فان مكانه من الشعراء لا يجهل . وشعره هو السهل المستنع الذي تراه كالشمس قريبا ضوؤها بعيدا مكانها ، وكالقناة لينا مسها خشنا سنانها . وهو على الحقيقة قينة الشعراء في الاطراب ، وعناقوهم في الاغراب »^(٣) ويصف الفاظه في موضع آخر فيقول

« وترى الفاظ البحتري كأنها نساء حسان عليهن غلائل مصبغات ، وقد تحآين باصناف الخلي »^(٤)

ومن اقوال الامدي في الصفحتين الاوليين من الموازنة « البحتري اعراي الشعر مطبوع ، وعلى مذهب الاوائل ، ما فارق عمود الشعر المعروف . وكان يتجنب التعقيد ومستكره الالفاظ ووحشي الكلام » . . الى ان يقول « فان كنت ممن يفضل سهل الكلام وقريبه ، ويؤثر صحة السبك وحسن العبارة وحلو اللفظ فالبحتري اشعر » . وعلى هذا يفسرون ما يروونه عن ابني العلاء « المتنبى وابو تمام حكيمان والشاعر البحتري » . ويذكره الباقلاني في « اعجازة » ويذكر تفضيله له ببديهة شعره على ابن الرومي وسواه ، وتقدمه بحسن عبارته وسلاسة كلامه وعدوبة الفاظه وقلة تعقد قوله^(٥)

ولا نكير ان الذي يرجع الى ديوانه فيدرسه يجد هذه الصفات العامة فيه . على انه لا يمتاز في ذلك عن بعض كبار الشعراء في العصر العباسي ، كابي نواس وابني العاتية ومسلم وعباس بن الاحنف واضراهم ، ممن اطاعتهم الالفاظ وسلست لهم المعاني . والذي زججه

(٢) الممددة ١-٨٥

(١) ثمار القلوب ١٧٩

(٤) المثل السائر ١٠٦

(٣) المثل السائر ٤٢٠

(٥) اعجاز القرآن ١١٣

ان البحتري لم يوصف بما ذكرناه له الا لمقابلته بالشاعرين الكبيرين ابي تمام والمتنبي . وذلك لما في شعره عموماً بالنسبة اليهما من السهولة والدمائة . فبينما هما يفوقانه بالغوص على المعاني وسداد الحكمة تراه يفوقهما في صوغ الالفاظ وطلاوة السبك . واذا لم تجد في شعره ذلك الاغراب الذي في شعر ابي تمام او تلك الفخامة التي عرف بها المتنبي ، تجد فيه رشاقة وصفه ودمائة اسلوب لا تجدهما عادة في شعريهما

...

اما ديوانه فلا يختلف من حيث مواضعه عن اكثر الدواوين الشعرية في زمانه . فهو ، كسواه من الشعراء ، قد صرف ادبه في التزلف الى رجال الدولة العباسية ، ولذلك كان جل شعره المديح . وليست طريقته غير الطريقة التي درج عليها الجمهور من مطلع غزلي يتخلص منه الشاعر الى المدوح ، فيصف اعماله ويمدح اخلاقه ومكارمه ويفتخر في ذلك ما شاء . فنه وادبه . وسنرى ذلك في مختاراته

...

وليس البحتري من المشهورين في الرثاء وان يكن له فيه ما يستطاب كمرثاته في طاهر بن عبدالله بن الحسين التي مطلعها

عذيري من صرف الليالي العوادر ووقع رزايا كالسيوف البواتر

ومرثاته في المتوكل يوم قتله الاتراك ، وقد وصفها ابو العباس ثعلب بقوله « ما قبلت هاشمية احسن منها ، وقد صرح بها تصريح من اذهلته المصائب عن تحوف العواقب » (١) . فقال فيها يصف شعوره بعد مقتل الخليفة ويشير الى ان ابنه المنتصر كان من المتأمرين عليه

صريع تقاضاه السيوف حشاشة	يجود بها والموت حمر اظافره
حرام عليّ الراح بعدك او ارى	دما بدم يجري على الارض مائره
وهل يرتجى ان يطلب الدم طاب	مدى الدهر والموتور بالدم واره
فلا ملبى الباقي تراث الذي مضى	ولا حملت ذاك الدعاء منابره
ولا وال المشكوك فيه ولا نجبا	من السيوف ناخي السيوف غدرأ وشاهره

...

ومن مرثيه التي قد تذكر له مرثاه في سليمان بن وهب ومطلعها
 أخي نهنه دمعاك المسفوكا ان الحوادث ينصرمن وشيكا
 ما اذكرتك بمترح صرف الجوى الا ننته بمفرح ينسيكا
 على انها ليست من الطبقة الاولى في هذا الباب وليس للبحثري فيه ما لصاحبه ابي تمام
 والمتنبي . ولقد تراه احيانا يسف الى درجة الغثاة كقوله لابي نهشل محمد بن حميد الطوسي
 يحاول ان يعزبه عن فقد ابنته ، فيذكر له انها غير جديرة بالبكا . لانها فتاة ، وطالما كانت
 الفتيات سببا في الشقاء ، ويضرب له على ذلك الامثال السمجة ومنها

قد ولدن الاعداء قدما وورثن التلاد الاقاصي البعداء
 لم يندكثهن قيس تميم غيلة بل حمة وابة
 واسترل الشيطان آدم في الجنة لما اغرى به حواء
 ولعمري ما العجز عندي الا ان تبيت الرجال تبكي النساء

واكثر القصيدة في هذه المعاني التي تدل على انحطاط المرأة يومئذ في نظر الرجل . ومثلها
 في الغثاة ابيات يعزبي فيها موسى بن عبد الملك عن ابنة له . قال

ابا حسن ان حسن العزاء عند المصيات والناثبات
 يضاعف فيه الاله الثواب للصابرين والصابرات
 ومن نعم الله لاشك فيه حياة البنين وموت البنات

.....

اما العتاب فله فيه يد طولى . ويرى ابن رشيق انه احسن الناس طريقا في عتاب
 الاشراف وراثبه بشيخ الصناعة الشعرية وسيد الجماعة^(١) . وقد اصاب ابن رشيق في عتابه
 نعومة حريرية قلما تجدها في سواه . ومن امثلة ذلك قصيدة يعتذر فيها الى يعقوب بن احمد
 بن صالح . وهي تبدأ كالعادة بالغزل ، ثم ينتقل من ذلك الى نفسه وذكر اخلاقه ومن هنا
 يتقدم الى المعتذر اليه فيقول بنعمة مغرية

ندمت على امر مضى لم يُشربه نصيح ولم يجمع قواه نظام
 وقد خبروا ان الندامة توبة يصلى لها ان تقتنى ويصام

وان ججودي سوء ظن بنعم
يبحر اقول الوشاة فريصتي
ولما نبت في الارض عدت اليكم
وما كل ما بلغم صدق قائل
ولا عذر الا ان بدء اساءة
وعدي معاذيري عليه خصام
واكثر اقول الوشاة سهام
امت بجبل الود وهو رمام
وفي البعض ازراء علي وذام
له من زيادات الوشاة تمام

وهذه النعممة لا تفارقه حتى عند معاتبته من اساءة اليه ، كالايات التالية من قصيدة يخاطب فيها ابا عبدالله بن حمدون ويعاتبه على محاولته ان يثير كراهة الخليفة له -

هل ابن حمدون مردود الى كرم
اخ شكرت له نعمي اخي ثقة
طاف الوشاة به بعدي وغيره
اصبحت ارفعه حمداً ويخفني
تدعو الامام الى شتمي ومنقصتي
اين الوداد الذي قد كنت تمنحني
ان كان ذنب فاهل الصفح انت وان
عهدته مرة عند ابن حمدون
زكت لدي ومناً غير ممنون
معاشر كلهم بالسوء يعنيني
ذماً وامدحه طوراً ويهجوني
بنس الجباء على مدحيك تحبوني
او الصفاء الذي قد كنت تصفوني
لم آت ذنبا ففيم اللوم يعرفوني

...

ومن بديع العتاب قوله للحسن بن وهب من قصيدة وقد جفاه الحسن واعرض عنه .
هل تصفين لآخ يقول بحاله
ما كان غرواً ان يضيع ذمامه
هذا وانت الحجة العليا في اكرامه من وافد وهوانه
ومتى رأك الناس تحرمه اقتدوا
بك غير مرتابين في حرمانه
فتكون اول مانع من نفسه
ما أمل العافي ومن جيرانه
والارض تبذل في الربيع نباتها
وكذلك بذل الحر في سلطانه
واعلم بان الغيث ليس بنافع
للناس ما لم يأت في ابانه
وفي ديوانه كثير من هذه الطرائف العتابية .

...

وله في الفجر بضاعة جيدة . على ان اهم خفره هو في مكارم قومه يعدد مناقبهم

ويذكر شرف اليمن وعزها مقابلاً ذلك بمحشونة عرب الشمال وسوء حالهم . وافضل ما له في ذلك دالية مطلعها

انما النغي ان يكون رشيدا فانقضا من كلامه او فزيدا

وهي طويلة تجد اكثرها في باب المختار من شعره . ومن قوله فيها

معشر امسكت حلومهم الارض وكادت من عزها ان تميدا

تزلوا كاهل الحجاز فاضحي لهم ساكنوه طراً عبيدا

ملكوا الارض قبل ان تملك الارض وقادوا في حافيتها الجنودا

فهم قوم تنع خير قوم لهم الله بالفخار شهيدا

ومن بين ابياتها يلمح الى ما كان في الصدور من كوامن العصية التي جعلت اليمنية والمضرية حزينين متعادين ، والتي كان لها في تاريخ العرب تأثير شديد .

ومن امثلة فخره قوله في معاتبة قوم من اهل بلده

ومعيري بالدهر يعلم في غده ان الحصاد وراء كل نبات

ابني لني قد نضوت بطالتي فتحسرت وصحوت من سكراتي

نظرت الي الاربعون فاصرخت شبي وهزت للحنو قناتي

ومن الاقارب من يسر بييتي سفها وعز حياتهم بجياتي

ان ابق او اهلك فقد نلت التي ملأت صدور اقاربي وعداتي

ثم يذكر فضله وسؤدد آبائه واجداده وما آثرهم في منبج وتقدمهم هناك على سائر الناس .

• • •

واقبل بضاعة البحثري في ديوانه المهجاء . وهنا يختلف صاحب الاغاني عن المرزباني .

فالاول يقص علينا سبباً لذلك القصة التالية^(١) نقلاً عن الاخفش عن ابي العوث (ابن البحثري) :

ان الشاعر لما حضرته الوفاة دعا ابنه وقال له اجمع كل شي . قلته في المهجاء . ففعل . فامرته

بحراقة ثم قال له يا بني هذا شي . قلته في وقت فشفيت به غيظي ، وكافأت به قبيحاً فعل

بي . وقد انقضى اربي في ذلك ، وان بقي روي . وللناس اعقاب يورثونهم العداوة والمودة

واخشى ان يعود عليك من هذا شي . في نفسك او معاشك لا فائدة لك فيه . قال فعلت

(١) راجع القصة في الاغاني ١٨-١٦٧

انه نصحني واشفقني علي فاحرقته . ويعقب علي ذلك الاصفهاني بان « اكثر هجائه ساقط ريك لا يشاكل طبعه ولا يليق بمذهبه ، ولا يعرف له هجاء جيد الا قصيدتين احدهما في ابن ابي قهاس والثانية في يعقوب بن الفرج » .

ولا نعلم مبلغ هذه القصة من الصحة ، ولكن الذي نعلمه ان الشاعر ترك لنا شيئاً من هجائه وما تركه يجوز لنا القول انه لم يكن فيه ميل ابن الرومي ودعبل واضرابهما الي الهجاء ، بل كان علي ما يظهر يتجنبه ما امكن . وانك لتلمح ذلك مما رواه ابن رشيق قال « هجا ابن الرومي البحتري - وابن الرومي من علمت - فاهدى اليه (البحتري) تحت متاع وكيس دراهم ، وكتب اليه بيتين ليريه ان الهدية ليست تقية ولكن رافة عليه وانه لم يحمله علي ما فعل الأ فقر والحسد المفرط^(١) .

واما المرزباني فينسب الي البحتري سوء العهد وخبث الطريقة في الهجاء . قال^(٢) « وكثير من اهل الادب ينكر خبث لسان علي بن العباس الرومي ويضربون عن اضافة البحتري اليه والحاقه به ، مع احسان ابن الرومي في اساءته ، وقصور البحتري عن مداه فيه ، وانه لم يبلغ في دقه معانيه وجودة الفاظه وبدائع اختراعاته ، اعني الهجاء خاصة » ثم يذكر قلة وفائه لانه هجا نحواً من اربعين رئيساً ممن مدحهم ، منهم خليفتان ومهما قلنا في مذهبه الهجائي فهو ولا شك ضئيل في ديوانه . ولا يتبع ذلك ان يكون الشاعر قد استعمل الهجاء لبعض مآربه من مقارعة شاعر او الانتقام من كبير ، ولكن هذا الضرب من الشعر لم يشتهر به ، والذي وصل الينا منه لا يدل علي علو كعب الشاعر فيه

مزبنة الفيضة

علي ان الناظر في شعر البحتري المدقق في فهم شاعريته يرى له مزبنة جديدة بالذکر ، هي رشاقة الوصف الذي طبع بها شعره فعرف بها وجعلت له بين الشعراء مقاماً عالياً . وقبل النظر في فن شاعرنا الوصفي نقول ان الوصف نوعان ، حسي وخيالي . ولتوضح الفرق بينهما ببعض الامثلة -

تقف الي نهر في واد كبير وترى تدفق المياه بين تلك الشواحق العظيمة فتأخذك روعة

ذلك المنظر ، وتستغزئ فيك الميل ان كنت شاعراً الى وصف ما تراه من جمال وجلال .
 فاذا انت تصف أسناد الوادي وما عليها من الاشجار والكروم ، وتصف تلك الصخور
 القائمة وانقضاء المياه من بينها ، وقد ترسم ما يتراءى لك في ذلك الوادي من الوان تلقيا
 عليه ظلال المساء او اشعة الفجر ، وربما تعديت ذلك الى ما تراه من حيوان هناك — بقرأ
 رابضاً تحت الشجر ، او غناً يرعى في المروج ، او ماعزأ منتشراً فوق المنحدرات . ولعلك
 ترى الفلاح يحرث الحقل ، او تنظر الى السماء من اعماق الوادي فتري « قطعان الغيم يسوقها
 راعي الريح » ، او قوافل الضباب تنبج فوق قمم الهضاب . يؤثر كل ذلك فيك ، فترسمه
 باشكال خالدة تستغزئ في القارىء . عواطف الطرب ، وتجبب اليه رؤية ذلك الجمال — كما
 فعل المنازي في وصف واد ظليل اذ قال

نزلنا دوحة فحنا علينا حنو المرضعات على الفطيم
 وارشفنا على ظلاً زلالاً الذئ من المدامة للنديم
 تروع حصاه حالية العذارى فتلمس جانب العقد النظيم

هذا هو الوصف الحسي الذي يتناول المحسوسات فيصورها بصور رائعة ، وهو عين ما
 يفعله الرسام الماهر الذي يقتنص بريشته جمال الطبيعة ويحسبها بالالوان على الورق ، فتبدو
 فتاة تميل اليها النفوس الحساسة ، ويتفانى في اقتنائها اهل الذوق والخبرة

...

وكذلك انت تفعل اذا وقفت مثلاً امام البحر العظيم ورأيت امواجه المتلاطمة وهي
 تتكسر مزبدة فوق الصخور ، او رايت في يوم رائق وهو رهو مستنيم وقد انتشرت فوقه
 قوارب الصيادين والقت ظلالتها فوق سطح الماء ، وخرج الناس مساء يتزهون على رمال
 الشاطئ . وفي وسط البحر باخرة عظيمة تشق الماء بجيئومها ويعقد البخار سرادقاً فوق
 مداخنها ، فتبه امامك محاذية للتلال المنحدرة نحو البحر ، وترى من ورائها القرى الجبلية
 تتغامز عيونها عند غروب الشمس .

ولو وقفت اليوم تنظر الى معركة التحمت فيها الابطال بالابطال ، وقد برقت الاسنة
 والسيوف ، وسالت الدماء من بين الصفوف ، او الى حرب بين الخنادق وقد قصفت المدافع
 قساقت قذائفها على الصعيد تنسف التراب والصخور ، وتطارت شظاياها تفتك بالثبات
 والالوف ، ثم ظهرت سحائب الغاز القتال تتقدم نحو مكامن العدو ، وتبع ذلك هجوم

عام. والطيارات تحوم فترشق العدو بالمتفجرات الجهنمية ، ثم لا تلبث ان ترى سرباً معادياً فتنهزم امامه او تصمد له في لوح الجو ، وهناك الهول الكبير. مناظر هائلة يأخذها الشاعر فيرسما كما يراها فتتحرك النفوس وتلعب بالعواطف. وقس على ما ذكرنا من الاوصاف وصف المدن والآثار والقصور والجنائن والصيد والحيوان والانسان وغير ذلك مما يقع تحت حسك ويؤثر في نفسك ، فتبرزه في حلة قشبية تحرك في سواك اوتار الطرب . وقد اجاد العرب في هذا الفن من الوصف الحسي فانصرف الاقدمون منهم الى ما له علاقة بجيئاتهم البدوية كالجمال والصحراء والسيف و آثار الحبيب الراحل وشكله وما الى ذلك ، وبالغوا في بعضها مبالغة عظيمة كما فعل طرفة في وصف ناقته. وامثال طرفة كثيرون بين الشعراء الاقدمين . وجاء العصر العباسي فتحول الوصف الى الرياض والقصور ومجالس اللهو والسرور وللمولدين في ذلك بدائع لا يتسع المقام لذكرها هنا .

...

اما الوصف الخيالي فنظر فني الى ما وراء المحسوسات . فاذا كان الشاعر واسع الخيال لا يقف عند ما يراه ، بل يتعداه الى مناطق يفتحها امامه الخيال الواسع ، فيجعل المراثيات اساساً لغير المراثيات ، ويؤلد من المحسوسات صوراً مجردة يرسمها للبشر تأملات وذكريات : يقف في قلب الوادي مثلاً فيسمع فيه نبضات الحياة ، وتقر امامه على صفحات الماء حوادث الايام، فيذكر الامم الغابرة والوقائع الماضية. وقد يحمله ذلك الى النظر في الحياة والانسان ، وم تفسح الحياة والانسان لخواطر يشعر بها لرؤيتنا بعض المشاهد الطبيعية. فالوصف الخيالي هو وصف تترك من النظر الحسبي وما يثيره فيك من وحي داخلي. قف امام البحر تتجسم لك عظمة الكون وجلال الطبيعة ، وقد يحملك المنظر الى ذكر الاسفار والهجرة في طلب العلى . ولعلك تذكر الامم التي كانت على شواطئ هذا البحر ، وكيف عظمت ثم سقطت ، وعلاقة ذلك بالبلاد التي انت فيها .

وفي الحرب مجال واسع للخيال ، هناك علاقة الانسان بالانسان وما يتفرع عنها من عوامل اساسية في بناء العمران. ومثله اذا وقفت امام الآثار كعبلبك وتدمر ، او امام الانهار التاريخية كالدجلة والفرات والنيل ، او امام تماثيل العظام وماثر العلماء. فانت في كل ذلك تستخدم الحس توصلاً الى صور الخيال البعيدة ، وهذا هو الوصف الخيالي العالى الذي تلجأ الشعر العربي قديماً عن الاهتمام به ، فلم يترك لنا السلف من آثارهم فيه الا التزر اليسير

وشاعرنا البحتري وصاف ماهر . وهو كسواه من شعراء العرب اميل الى الوصف الحبيبي : يتناول المحسوسات فيدقق في رسمها ، كقوله في دمشق يوم انتقل اليها المتوكل -

اما دمشق فقد ابدت محاسنها وقد وفي لك مطربها بنا وعدا
اذا اردت ملأت العين من بلد مستحسن وزمان يشبه البلدا
يمسي السحاب على اجبالها فرقا ويصبح النبات في صحرائها بددا
فليس تبصر الا واكفا خضلا او يانعا خضرا او طائرا غردا
كاننا القيظ ولئى بعد جيبته او الربيع دنا من بعد ما بعدا

على ان له احيانا ما يقرب ان يكون نظراً خيالياً . اهمته وقفته امام ايوان كسرى ففيها يقف الشاعر لدى قصور الفرس الدارسة يصفها وصفاً حسياً رائعاً ، ثم يحاول الانتقال الى المعنويات - الى تاريخهم وعظمتهم ، ولكنه لا يكاد يفعل ذلك الا المأمو . وهذه القصيدة من عيون الشعر العربي تقع في ٥٦ بيتاً ، عشرة منها في ذكر حاله وشكوى دهره ، وستة في السبب التاريخي لهذه الوقفة ، ثم خمسة او ستة في ذكر عظمة الفرس ، وستة في احوال خاصة . وما بقي فوصف للايوان وقد تفنن فيه الشاعر ما شاء . واليك شيئاً منها : قال في صورة معركة رسمت على احد جدران القصر

لو تراه علمت ان الليالي جعلت فيه مأتماً بعد عرس
وهو ينبيك عن عجائب قوم لا يشاب البيان فيهم بلبس
فاذا ما رايت صورة انطاكية ارتعت بين روم وفرس
والمنايا موائل وانو شروان يُزجي الصفوف تحت الدرفس
في اخضرار من اللباس على اصفر يخال في صنيعة ورس
وعراك الرجال بين يديه في خفوت منهم واغراض جرس
من مشيح يهوي بعامل رمح ومُليح من السنان بترس

ثم يلتفت الى القصر ويرى ما اصابه من الزمان فيقول

يتظننى من الكآبة ان يبدو لعيني مصبح او ممبي
عكست حظه الليالي وبات المشتري فيه وهو كوكب نحس
فهو بيدي تجلداً وعليه كل كل من كلا كل الدهر مرسي

فانظر الى هذا النمط النفيس الذي يشهد للبحثري بالبراعة الفائقة في تصوير المرئيات وعرضها بالالوان الخالابة ، ولا سيما وصفه لمعركة انطاكية وصورة كسرى يدفع صفوفه تحت العلم الكبير ، والرجال يتطاحنون امامه من مهاجم يهوي بسيفه على العدو ومدافع يتقي الضربات بترسه . وتأمل هذا التصور الدقيق اذ يقول

تصف العين انهم يجدّ احياء لهم بينهم اشارة خرس
يقتلي فيهم ارتياي حتى تتقرأهم يداي بلمس

ومن قصائده البديعة التي يقرن فيها الحس بالخيال قرناً جميلاً قصيدته الفخرية في وصف ذئب لقيه في القفر . وليست هذه القصيدة عند التحقيق الا وصف نفسه في سورة من سورات العزيمه : فقد ذكر فيها اعداءه وحرصهم على هلاكه ، فوقف امامهم وقفة الباسل يصور نفسه لهم تصويراً تكاد تلمس الشعور المتدفق فيه . ومن قوله

فقل لبني الضحّاك مهلاً فاني انا الافعوان الصلّ والضيغم الورد
متى هجتموه لا تهبجوا سوى الردى وان كان خرقاً ما يجلّ له عقد
مهيباً كنصل السيف لو ضربت به ذرى أجراً ظلت واعلامها وهد^(١)
يودّ رجال انني كنت بعض من طوته الليالي لا اروح ولا اغدو
ولولا احتمالي ثقل كل ملتمه تسوء الاعادي لم يودّوا الذي ودّوا

ثم ياخذ في وصف صرامته وسيفه ، ويتقدم من ذلك الى وصف الذئب وكيف هاجمه ، ثم يعود الى نفسه وجور الدهر عليه وان عزمه يدفعه الى ركوب المشاق في طلب الغنى . ويختم ذلك بقوله -

ساحل نفسي عند كل ملتمه على مثل حد السيف اخلصه المند
فان عشت محموداً فثلي بنى الغنى ليكسب مالاً او يُنثّ له حمد
وان مت لم اظفر فليس على امرى غدا طالبا الأ تقصيه والجهد

...

ومما يذكر للبحثري في دقة الرسم واناقة العبارة قصيدته التي يصف بها موكب المتوكل

(١) اجأ اسم جبل

وقد خرج في عيد الفطر الى المسجد ، وهي من افضل الامثلة على اسلوب البحري الرشيق
قال منها -

الظهرت عز الملك فيه بجفضل	لجب يحاط الدين فيه وينصر
خلنا الجبال تسير فيه وقد غدت	عدداً يسير بها العديد الاكثر
فالخيل تصهل والفوارس تدعي	والبيض تلعب والاسنة ترهر
والارض خاشعة تميد بثقلها	والجو معتكر الجوانب اغبر
والشمس ماتهة تؤقد بالضحي	طوراً وبطفنها العجاج الاكدر
حتى انتهت الى المصاى لابسا	نور الهدى يبدو عليك ويظهر
ومشيت مشية خاشع متواضع	لله لا يزهي ولا يتكبر
فلو ان مشتاقاً تكلف غير ما	في وسعه لسعى اليك المنبر

...

ومثل ذلك وصف القصر المعروف بالكامل : بناه الخليفة المعتز بالله ابن المتوكل
فقال البحري من قصيدة يمدح بها المعتز ويذكر بناءه للقصر -

ذعر الحمام وقد ترتم فوقه	من منظر خطر المزلّة هائل
رُفعت لمحترق الرياح سموكه	وزهت عجائب حسنه المتخايل
وكان حيطان الزجاج بجوه	لحجّ يجن على جنوب سواحل
وكان تفويف الرخام اذا التقى	تأليفه بالمنظر المتقابل
حُبك الغمام رصفن بين منمر	ومسيّر ومقارب ومشاكل
لبست من الذهب الصقيل سقوفه	نوراً يضي على الظلام الحافل
فترى العيون يجلن في ذي رونق	متلهب العالي انيسق السافل
وكاننا نشرت على بستانه	سيرا وشي اليسنة المتواصل
اغنته دجلة اذ تلاحق فيضها	عن صوب منسجم الرباب الهاطل
وتنفست فيه الصبا فتعطفّت	اشجاره من حيل وحوامل
مشي العذارى الغيد رحن عشيّة من بين	حالية اليدين واعطل

...

وكذلك وصفه الفرس من قصيدة في محمد بن علي القمي الكاتب ، والوصف يقع في

نحو عشرين بيتاً نذكر منها هنا

واغراً في زمن البهيم مجل	قد رحّت منه على اغراً مجل
كالهيكل المبني الا انه	في الحسن جاء كصورة في هيكل
يهوي كما تهوى العقاب وقد رأته	صيداً وينتصب انتصاب الاجدل
جدلان ينفض عذرة في غرة	يقتر تسيل حجولها في جندل
كالرائح النشوان اكثر مشيه	عرضاً على السنن البعيد الاطول
هزج الصهيل كأن في نغاته	نبرات معبد في التليل الاول ^(١)
ملك العيون فان بدا اعطينه	نظر المحب الى الحبيب الاول

الى غير ذلك من الوشي الجميل الذي عرف به البحثري . وسنرى في باب المختار له كثيراً من ذلك

غزل البحثري

اذا قلنا غزل البحثري فقولنا هذا يصدق على كل شاعر من مدّاحي العصر العباسي وهو على الغالب نوع من الفن الكلامي يصدر عن به قصائد هم تمهيداً لما يقصدون . ومع ما قد تجده فيه من رساقاة لا ينظم عادةً بشأ لوجد متقد او تصويراً لحواج شخصية صادقة ، على ان الشعراء يتفاوتون في ذلك . وفي غزل شاعرنا البحثري حلاوة ولفظ يجيبانه الى النفوس . كان الاقدمون يعملون لقصائدهم مقدمات من الوقوف على ديار الحبيب والبكاء على آثارها ، ثم الرحيل عنها الى حيث يقصدون ، فقول المولدون ذلك الى مقدمات غزلية يصفون بها الحبيب ويذكرون اشواقهم ، ثم يتخلصون الى المدح او سواه . وقد لا يكون بين المقدمة الغزلية وسائر القصيدة من رابطة فكرية او حسن تخلص . وعلى هذا كثير من شعر البحثري ، وفيه يقول ابن الاثير « انه لم يوفق في التخلص من الغزل الى المديح بل اقتضبه اقتضاباً ، ولقد حفظت شعره فلم اجد له من ذلك شيئاً مرضياً الا اليسير »^(١) .

وقد سبقه الى هذا النقد ابو بكر الباقلاني فقال^(٢) - « الاترى ان كثيراً من الشعراء قد وصف بالنعص عند التنقل من معنى الى غيره ، والخروج من باب الى سواه ، حتى ان

اهل الصنعة قد اتفقوا على تقصير البحتري ، مع جودة نظمه وحسن وصفه ، في الخروج من النسب الى المديح ، واطبقوا على انه لا يحسنه ولا ياتي فيه بشي . ، وانما اتفق له في مواضع معدودة خروج يرتضى ، وتثقل يستحسن »
ومن امثلة تقصيره قوله يخاطب الحبيب من قصيدة مطلعها « كنت الى وصل سعدي
جداً محتاج »

اسقى ديارك والسقيا تقل لها	إغزار كل ملث الودق شجاع
يلتي على الارض من حلبي ومن حل	ما يتبع العين من حسن واهياج
فصاغ ما صاغ من تبر ومن ورق	وحاك ما حاك من وشي وديياج
الى علي بن الفياض بلغني	سراي من حيث لا يسري وادلاجي
الى فتى يتبع النعسي نظائرها	كالبجر يتبع امواجاً بامواج

فانت ترى كيف ينتقل بفته الى المديح مما يدل على ان الغزل لم يكن الا لحاجة فنية متكلفة . ومثل ذلك غزله في قصيدة قالها في المتوكل واوها

عذيري فيك من لاجر اذا ما	شكوت الحب حرقني ملاما
يتقدم فيها الى الحبيب فيخطبه بابيات رقيقة ويذكر هيامه واشواقه الى ان يقول	
وقد علمت باني لم اضيع	لها عهداً ولم اخفر ذماما
لئن اضحت محللتنا عراقاً	مشرقة وحلتها شاماً
فلم احدث لها الآ ودادا	ولم ازدد بها الآ غراما

ثم يشب وثباً الى المديح فيقول

خلافة جعفر عدل وامن	وقس على ذلك كثيراً من قصائده .
وقس على ذلك كثيراً من قصائده .	

ويكثر في غزل البحتري ذكر الطيف او الخيال حتى عرف به بين الشعراء . قال الحصري « كان البحتري اكثر الناس ابداعاً في الخيال حتى صار لاشتهاره مثلاً فيقال له خيال البحتري »^(١) . واكثر تشبيهه في فتاة حلبية اسمها علوة ، عرفها يوم كان في حلب قبل خروجه الى العراق^(٢) .

(٢) ابن خلكان تحت سيرة البحتري ٢ - ٢٣٣

(١) زهر الآداب ٣ - ١٢٠

وكان على عادة الشعراء يتماجن في شعره ويشتب بالغلان . وكان له غلام اسمه نسيم يقول صاحب الاغاني انه جعله باباً من ابواب الحيل على الناس فاذا حصل في ملك بعض اهل المروات شتب به وتشوقه ومدح مولاه حتى يهبه له ، فلم يزل ذلك دأبه حتى مات نسيم (١) وفي شعر البحتري حنين الى البلاد الشامية والى احبابه وبلدته منبج كقوله من قصيدة مطلعها - خيال يعتريني في المنام

سلام الله كل صباح يوم	عليك ومن يبلغ لي سلامي
لقد غادرت في قلبي سقاماً	بنا في مقلتيك من السقام
لئن قلّ التواصل او تآدى	بنا المهجران عاماً بعد عام
فكم من نظرة لي من بعيدٍ	اليك وزورة لك اكتنام
اتخذ العراق هوى وداراً	ومن اهواه في ارض الشام

وهو يجيد في موقف الوداع والذكرى ومن ذلك قوله -

بنفسي ما ابدت لنا حين ودعت	وما كتمت في الاتحيمي المسير
ولما خطونا دجلة انصرم الهوى	فلم يبق الآ لفته المتذكر
وخطر شوق ما يزال يبيحنا	لبادين من اهل الشام وحضر

وقوله -

اراحلة ليلي وفي الصدر حاجة	اقام بها وجدٌ فما يترحل
وقفنا على دار البخيلة فانبرت	سواكبٌ قد كانت بها العين تبخل
على دارس الآيات عافر تعاقبت	عليه صباً ما تستفيق وشمال
فلم يدر رسم الدار كيف يجينا	ولا نحن من فرط البكا كيف نسأل
اجدك هل تنسى العهود فتنتوى	بها الدهر او ينسى الحبيب فيذهل
ارى حباً ليلي لا يبسد فينقضي	ولا تلتوى اسبابه فتحلّل

والغريب انه كان - برغم السنين الطوال التي اقامها في العراق يحسب نفسه غريباً هناك . واكبر ظننا انه كان صادقاً في حنينه الى الوطن فانه ، كما ذكرنا سابقاً عاد بعد هجرة طويلة وقضى بقية حياته في وطنه

المختار من شعر البحري

غدير في روض يجري فلا يعترضه جنادل يشب من فوقها هدّاراً الى الاعماق، ولا يتغلغل
في منعطفات تضل في شعابها الاوهام : ينشد فيسمعك خيراً ناعماً تالفه الآذان، ويصور
فيريك الواناً بسيطة ترتاح اليها النواظر

قال بمدح الفتح بن خاقان وبذكر مبارزته الاسد

اجدك ما ينفكُ يسري لزينبا	خيال اذا آب الظلام تاوَباً ^(١)
سرى من اعالي الشام يجلبه الكرى	هبوب نسيم الروض تجلبه الصبا
وما زارني الا ولمت صباية	اليه والّا قلت اهلاً ومرحبا
وليلتنا بالجزع بات مساعفاً	يريني اناة الخطو ناعمة الصبا ^(٢)
اضرت بضوء البدر والبدر طالع	وقامت مقام البدر لما تغيا
ولو كان حقاً ما اتته لأطفأت	غليلاً ولافتكت اسيراً معذباً ^(٣)
عامتك ان منيت منيت مورعداً	جهاماً وان ابرقت ابرقت خلباً
وكنت ارى ان الصدود الذي مضى	دلال فما ان كان الا تجنبا
فوااسني حتام اسال مانعاً	وآمن خوآنأ وأعتب مذنباً ^(٤)
سأثني فؤادي عنك او اتبع الهوى	ليك ان استعصى فؤادي او ابى

...

اقول لركب معتفين تدرعوا	على عجل قطعاً من الليل غيبها
ردوا نائل الفتح بن خاقان انه	اعم ندى فيكم واقرب مطلبها

(١) اجدك بمعنى بحفك للقسم او التأكيد . وتأوب وآب رجع

(٢) الاناة هنا المرأة الفاترة القيام دلالة

(٣) اي لو كانت زيارتها حقيقية لخلتني من عذاب الوجد

(٤) أعتبه اي ارجع الى ما يرضيه .

هو العارض الشجاع أخضل جوده
 اذا ما تلظى في وغى اصعق العدى
 رزين اذا ما القوم خفت حارمهم
 حياتك أن يلقاك بالوجود راضيا
 حرون اذا عاززته في ملة
 فتى لم يضيع وجهه حزم ولم بيت
 اذا هم لم يقعد به العجز مقعدا
 أعير مودات الصدور واعطيت
 فلم تخل من فضل يبلغك التي
 وما نقم الحساد الا أصالة
 وقد جرؤوا بالامس منك عزيزة
 غداة لقيت الليث والليث مخدر
 يحصنه من نهر نيزك معقل
 يرود مغاراً بالظواهر مكثبا
 يلاعب فيه الحواناً مفضضاً
 اذا شاء غادى عانة او غدا على
 يجر الى اشباله كل شارق
 ومن يبع ظلاماً في حريمك ينصرف
 شهدت لقد أنصفته يوم تنبري
 فلم ار ضرغامين اصدق منكما

وطارت حواشي برقه قتلها (١)
 وان خاض في أكرومة غمر الرئي
 وقور اذا ما حادث الدهر اجلبا (٢)
 وموتك أن يلقاك بالباس مغضبا
 فان جنته من جانب الذل اصعبا (٣)
 يلاحظ اعجاز الامور تعثبا
 وان كف لم يذهب به الخرق مذهبا
 يداه على الاعداء نصرأ مرهبا
 تحب ومن رأي يريك المغيا
 لديك وفعلاً اريجياً مهذباً
 فضلت بها السيف الحسام المجرباً
 يحدد نابا للقواء ومخلباً (٤)
 منيع تسمى روضه وتأنساً
 ويحتل روضاً بالاباطح معشبا (٥)
 يبص وحوذاناً على الماء مذهباً (٦)
 عقائل سرب او تقتص ررباً (٧)
 عبيطاً مدمي او رميلاً مخضباً (٨)
 الى تلف او يثني خزيان أخيبا
 له مصلتاً عضباً من البيض مقضباً (٩)
 عراقاً اذا الهيابة اليكس كذباً (١٠)

(١) هو كالغيم الماطر . يجمع بين ماء الجود ولهب البطش (٢) اجلب توقع بالشر

(٣) اصعب اي اتقاد . ومعناه شديد العناد اذا عوند ولكنه سهل الاتقياد اذا جاءه الطالب متواضعاً

(٤) اخدر الليث اقام في غايته (٥) الظواهر اعالي الاودية . والاباطح عكسها

(٦) الخوذان اسم نبات . ويبص اي يلعب

(٧) هكذا يرويه ابن الاثير . وفي الديوان ان تقتص ررباً ومنى البيتين - يقتص الحمر

او الظباء فيجر منها كل ذبيحة وقد تمخضت بالدماء وتلوثت بالرمال

(٩) العضب المتضب اي السيف الفاطم

(١٠) فلم ار اسدين اثبت منكما في موقف لا يثبت فيه الجبان

هزبرُ مشى بيني هزيراً واغلب
 ادلاً بشغب ثم هالته صولة
 فاحجهم لماً لم يجد فيك مطمعا
 فلم يغنه أن كراً نحوك مقبلاً
 حملت عليه السيف لا عزمك انثى
 وكنت متى تجمع ميميك^(١) تهتك الضريبة او لا تبق للسيف مضربا

...

ألت لي الأيام من بعد قسوة
 والبستني النعمى التي غيرت اخي
 فلا فزت من مرّ الليالي براحة
 على ان افواف القوافي ضوامن
 ثنا تقصى الارض نجداً وغائراً
 وعاتبتي لي دهري المسيء فاعتبا^(٢)
 علياً فامسى نازح الدار اجنبياً^(٣)
 اذا انا لم اصح بشكرك متعباً
 لشكرك ما ابدى دجى الليل كوكباً
 وسارت به الركبان شرقاً ومغرباً

وقال يصف حاله ويصف الذئب حين لقيه

سلامٌ عليكم لا وفاء ولا عهد
 أأجابنا قد الخبز البين وعده
 بنفسى من عذبت نفسي بجبه
 حبيب عن الاجاب شطت به النوى
 يود رجال أنني كنت بعض من
 ذريني واياهم نحسي صرامتي
 ولي صاحب غضب المضارب صارم
 وباكية تشكو الفراق بادمع
 أما لكم من هجر اجابكم بد
 وشيكاً ولم يُنجز لنا منكم وعد
 وان لم يكن منه وصال ولا ود
 واي حبيب ما اتى دونه البعد
 طوته الليالي لا اروح ولا اغدو^(٤)
 اذا الحرب لم يُقدح لمخدها زند
 طويل نجاد ما يفل له حد
 يبادرنها سحاً كما انتثر العقد

(١) ميميك اي ساعدك وسيفك

(٢) اعتب اي رضى

(٣) لا يقصد اخاه هنا ولكن يقصد ان نعم المدح عليه اوجبت حسد الناس

(٤) اي يود بعضهم اني ميت

رشادك لا يُجزئك بين ابن همة
فمن كان حراً فهو للعزم والسرى

وليل كان الصبح في أخرياته
تسربلته والذئب وسان هاجع
اثير القطا الكُدرى عن جَمَّاته
سما لي وبي من شدة الجوع ما به
كلانا بها ذئب يحدث نفسه
عوى ثم اقعى فارتجزت فهجته
فاوجرتة خرقاء تحب ريشها
فما ازداد الا جرأة وصرامة
فاتبعها اخرى فاضللت نصلها
نخراً وقد اوردته منهل الردى
وقت جُمعت الحصى فاشتويته

لقد حكمت فينا الليالي بجورها
أفي العدل ان يشقى الكريم بجورها
ذريني من ضرب القداح على السرى
سأحمل نفسي عند كل مُلئة
ليعلم من هاب السرى خشية الردى
فان عشت محموداً فثلي بغنى الغنى
وان مت لم اظفر فليس على امرى

وحكم بنات الدهر ليس له قصد
وياخذ منها صفوها التعداد الوغد
فعزمي لا يثنيه نحس ولا سعد^(٥)
على مثل حد السيف اخلصه الهند^(٦)
بان قضاء الله ليس له رد
ليكسب مالاً او ينث له حمد^(٧)
غدا طالباً الا تقصيه والجهد

(١) ابن الليل اللص

(٢) اي كل منا ذئب يماول البطش بالآخر وذو الحظ الاوفر سينتصر

(٣) شبه نضلة السهم بكوكب ينقض (٤) اي فاتبها سماً آخر اصاب القلب

(٥) كانوا قديماً يضربون القداح قبل السفر ليستطلعوا ما سيكون

(٦) اي احسنت صنه الهند (٧) ينث اي ينشر

وقال بفخر بقوم

انما النعي ان يكون رشيدا فانقصا من ملامه او فريدا
 خيابه وجدّة اللّهُ ما دا م رداء الشباب غضاً جديدا
 ان ايامه من البيض بيض^(١) ما رأين المفاوق السود سودا
 ايها الدهر هذا انت دهرأ قف حميدا ولا تولّ حميدا
 كلّ يوم ترداد حسنا فما تبعث يوماً الا حسبناه عدا
 ان في التّرب لو يساعدنا السر ب شمساً يمشين مشياً وثيدا^(٢)
 يتدافعن بالاكفّ ويعرضن علينا عوارضاً وخذودا
 يتبسّمن عن شئت اراه اخواناً مفضلاً او فريدا^(٣)
 رحن والليل قد اقام رواقا فاقن الصباح فيه عمودا
 بهاقه مثل المهابة ابت ان تصل الوصل او تصدّ الصدودا^(٤)
 ذات حسن لو استرادت من الحسن اليه لما اصابت مزيدا
 فهي الشمس بهجة والتضيب الغض لنا والرّم طرفاً وجيدا

...

يا ابنة العامري كيف يرى قو مك عدلاً ان تبخلي واجودا
 ان قومي قوم الشريف قديماً وحديثاً ابوة وجدودا
 لم ادع من مناقب المجد ما يقنع من هم ان يكون مجيدا
 معشر امسكت حلومهم الارض وكادت من عزهم ان تميدا
 مثلاً قارعوا عليه العماليق وعاداً في عزها وثودا
 فاذا المحل جاء جاؤا سيولاً واذا التقع ثار ثاروا اسودا
 يحسن الذكر عنهم والاحاديث اذا حدث الحديد الحديد^(٥)
 في مقام تحرّ من ضنكه البيض على البيض ركعاً وسجودا^(٦)

(١) البيض الاولى الحسان والثانية جمع ايض

(٢) كني بالشمس عن الحسان (٣) التبت الثغر الافلج

(٤) بهاقه متعلق بما قبله اي رحن مساء فجعلن الظلام مضيئاً بجمال مهابة ابت الا الفراق

(٥ و ٦) حدث الحديد الحديد اي عند تلاحم السيوف في الحرب . والبيض السيوف

يفرجون الوغى اذا ما اثار الضرب من مُصَمَّت الحديد صعيدا
 بوجوه تغشى السيوف ضياءً وسيوف تغشى الوجوه وقودا
 عدلوا الهضب من تهماة احلا ما ثقلاً ورملاً نجد عديداً (١)
 ملكوا الارض قبل ان تملك الارض وقادوا في حافتيها الجنودا
 وحروا قبل مولد الشيخ ابراهيم في المكرمات شأواً بعيداً (٢)
 فهم قوم تبع خير قوم لهم الله بالفخار شهيداً (٣)
 بساع منظومة البستن اللاتي قلائداً وعقودا
 سائل الدهر مذ عرفناه هل يعرف منا الا النعال الحميدا
 قد لعمرى رزناه كهلاً وشيخاً ورأيناه ناشئاً ووليداً
 وطوينا ايامه ولياليه على المكرمات بيضاً وسوداً
 لم نزل قط مذ ترعرع نكسو ه ندى لينا وبأساً شديداً
 فهو من مجدنا يروح ويفدو في على لا تبعد حتى يبيدا
 نحن ابنا يعرب اعرب النسا س لساناً وانصر الناس عودا

وقال في المنوكل وموكبه الفخم في عهد الفطر

أخني هوى لك في الضاوع وأظهر
 وارك خنت على التوى من لم يخن
 وطلبت منك مودة لم اعطها
 هل دين عاوة يستطاع فيقتضى
 بيضاء يعطيك القضيبي قوامها
 تمتي فتحكم في القلوب بدفاً
 وألام في كمد عليك وأعذر
 عهد الهوى وهجرت من لا يهجر
 ان المعنى طالب لا يظفر
 او ظلم عاوة يستفيق فيمصر (٤)
 ويريك عينيها الغزال الاحور
 وتميس في ظل الشباب وتخطر

(١) اي واذنوا الجبال بعقولهم والرمال بعددم

(٢) يريد بالشيخ ابراهيم الخليل اشارة الى قدم مجدم

(٣) شهيدا تمرب هنا حالاً من الله

(٤) هل لعوة مطالب يمكننا قضاؤها او هل يكف ظلمها فينتهي عنا

اني وان جانبت بعض بطالتي
ليشوقني سحر العيون المحتلي

وتوهم الواشون اني مُقصر
ويروقني ورد الحدود الاحمر

...

الله مَكَّن للخليفة جعفر
نعى من الله اصطفاه بفضله
فاسلم امير المؤمنين ولا تزل
عمّت فواضلك البرية فالتقى
بالبر صحت وانت افضل صائم
فانعم بيوم الفطر عيناً انه
اظهرت عز الملك فيه بجفيل
خلنا الجبال تسير فيه وقد غدت
فالحيل تصهل والفوارس تدعي (١)
والارض خاشعة تيمد بثقلها
والشمس ماعة توقد بالضحي
حتى طلعت بضوء وجهك فانجحت
وافتنّ فيك الناظرون فاصع
يجدون رؤيتك التي فازوا بها
ذكروا بطاعتك النبيّ فهلوا
حتى انتهت الى المصلّى لابساً
ومشيت مشية خاشع متواضع
فالو انّ مشتاقاً تكلف غير ما
أيدت من فصل الخطاب بحكمة
ووقفت في برد النبيّ مذمراً
ومواعظ شفت الصدور من الذي

ملكاً يحينه الخليفة جعفر
والله يرزق من يشاء ويقدر
تعطى الزيادة في البقاء وتشكر
فيها المقل على الغنى والمكث (١)
وبسنة الله الرضية ففطر
يوم اغر من الزمان مشهر
لجب يحاط الدين فيه وينصر
عدداً يسير بها العديد الاكثر
والبيض تلمع والاسنة ترهر
والجو معتكر الجوانب اغبر
طوراً ويطفئها العجاج الاكدر (٢)
تلك الدجى وانجاب ذاك العثير
يوما اليك بها وعين تنظر
من انعم الله التي لا تكفر
لما طلعت من الصفوف وكبروا
نور الهدى يبدو عليك ويظهر
لله لا يزهى ولا يتكبر
في وسعه لسعى اليك المنبر
تنبي عن الحق المبين وتخبّر
بالله تنذر تارة وتبشّر (٣)
يعتادها وشفاؤها متعذّر

(١) فواضلك التي عمّت الناس جعلت الففراء والاغنياء في حال واحدة من اليسار

(٢) ادعت الفوارس اي اعتروا بانساجم (٣) ماعة اي مرتفعة

(٤) كان الخلفاء في المواقف الرسمية يضعون على اكتافهم بردة النبي

حتى لقد علم الجهول واخلفت
صلوا وراءك آخذين بعصمة
فاسلم بمغفرة الاله فلم يزل
الله اعطاك المحبة في الورى
ولأنت املاً للعيون لديهم
نفس المروى واهتدى المتحير (١)
من ربهم وبذمة لا تخفر
يهب الذنوب لمن يشاء ويغفر
وحباك بالفضل الذي لا ينكر
واجلُ قدراً في الصدور واكبر

وقال بمدح احمد بن دينار

ويصف مركباً له غزا فيه بلاد الروم

ألم تر تغليسَ الربيع المبكر
وسرعاناً ما ولّى الشتاء ولم يقف
مررنا على بطياس وهي كأنها
كان سقوط القطر فيها اذا انثى
وفي ارجواني من التور احمر
اذا ما الندى وافاه صباحاً تأملت
اذا قابلته الشمس رد ضياءها
اذا عطفته الريح قلت التفاتة
بنفسي ما ابدت لنا حين ودعت
ولما خطونا دجلة انصرم الهوى
وخاطرُ شوق ما يزال يهيجنا
وما حاك من وشي الربيع المنشر (٢)
تسلل شخص الخائف المتنكر
سبائب عصب او زرايى عبقر (٣)
اليها سقوط اللؤلؤ المتحدر
يشاب بافرند من الروض اخضر
اعاليه من در نثير وجوهر
عليها صقال الاخوان المنور
لعاوة في جاديتها المتصفر (٤)
وما كتمت في الاتحمي المسير (٥)
فلم يبق الا لفتة المتذكر
لبادين من اهل الشام وحضر

- (١) بمواعظك التي شفت الصدور من امراضها تعلم الجاهل واهتدى المتحير واخلفت لله نفس
المفكر (٢) ألم تر ورود الربيع الباكر وما حاك من وشي الازهار الربيعية
(٣) بطياس مكان قرب حلب . اي مررنا على هذا المكان وهو كأنه شقق برود مصبوغة او
بسط عبقريه . وعبقر محل ينسبون اليه كل ما تعجبوا من حسن صنفته وقوته
(٤) اي اذا عطفت الريح الغصن او الزهرة قلت تلك التفاتة علوة في ثوبها الزعفراني
(٥) الاتحمي المسير اي الثوب المخطط

باحمد أحمداً الزمانَ واسهلت
 هو الغيث يجري من عطاء ونائل
 ولما تولّى البحر والجود صنوه
 اضافة الى التدبير فضل شجاعته
 غدوت على الميمون صباحاً ونا
 اطلّ يعطفيه ومرّاً كأننا
 اذا زجر النوتي فوق علاته
 اذا عصف فيه الجنوب اعلى له
 اذا ما انكفا في هبوة الماء خلته
 وحوالك ركأبون للهول عاقروا
 تميل المنايا حيث مالت اكفهم
 اذا رشقوا بالنار لم يك رشقهم
 صدمت بهم صهب العنانين دونهم
 يسوقون اسطولاً كأن سفينه
 كأن ضجيج البحر بين رماحهم
 فامرمت حتى اجلت الحرب عن طلي
 وكنت ابن كسرى قبل ذلك وبعده
 جدحت له الموت الذعاف فعافه
 مضى وهو مولى الريح يشكر فضلها
 لنا هضبات المطلب المتوَعّر
 عليك نخذ من صيب الغيث اوذر
 غدا البحر من اخلاقه بين البحر (١)
 ولا عزم الا للشجاع المدبر
 غدا المركب الميمون تحت المظفر (٢)
 كُسرّف من هادي حصان مشهراً (٣)
 رأيت خطيباً في ذؤابة منبر (٤)
 جناحا عقابٍ في السماء مهجّر
 تلتّع في اثناء بُرد محبّر
 كوس الردى من دارعين وحسّر
 اذا اصلتوا حدّ الحديد المذكّر
 ليقلع الأ عن سُواء مقتر (٥)
 ضراب كايقاد الظلي المتسعر (٦)
 سحائبُ صيف من جهام وممطر
 اذا ختلفت ترجيع عود مجرجر (٧)
 مقطّعة فيهم وهام مطير (٨)
 ملياً بان توهي صفاة ابن قيصر (٩)
 وطار على الواح شطب مستر (١٠)
 عليه ومن يولّ الصنيعة يشكر

(١) اي لما تولى البحر غدا البحر بين مجور من مكارمه

(٢) (٢٥٣ و٢٥٤) الميمون اسم مركب اي اطل علينا فكان مقدمه كمنق حصان مرفوع وكان النوتي

في اعلاه كانه خطيب على منبر

(٥) المنتر الساطع الرائحة (٦) صهب العنانين اي الروم لان لخاهم شقراء

(٧) عود مجرجر اي جمل تردد صوته

(٨) امرمت اي ما زلت . والظلي الاعناق

(٩) اشارة الى اصل الممدوح الفارسي . اي كنت قادراً ان يتقهر ملك الروم (ابن قيصر)

(١٠) اي تجنب الموت فهرب على مركب

إذا الموج لم يبلغه ادراك عينه ثنى في انحدار الموج لحظة اخزر
وكنامتي نصدع بجذرك ندرك المعالي ونستنصر ميمتك نُنصر

وصف ابوان كسرى

(وآثاره اليوم قرب بغداد وتعرف بطاق كسرى)

صنتُ نفسي عما يدبُّس نفسي وترفعت عن جداول جيبس^(١)
وتماسكت حين زعزعي الدهر التأساً منه لتعسي ونكسي
بلغ من صُبابة العيش عندي طففتها الايام تطيف بنجس
وبعيداً ما بين وارد رفه علل شربه ووارد خمس^(٢)
وكان الزمان اصبح محمو لا هواه مع الاخر الاخر
واشترائي العراق خطة غبنه بعد بيعي الشام بيعة وكس^(٣)
لا ترزني مزاولاً لاخباري عند هذي البلوى فتنكر متي
وقديماً عهدتني ذا هنات آيات على الدنيئات خمس
فلقد رايتني نبوء ابن عمي بعد لين من جانبيه وأنس
وإذا ما جفيت كنت حياً ان أرى غير مصبح حيث امسي

...

حضرت رحلي الهموم فوجهت الى ابيض المدائن عندي^(٤)
اتسأى عن الخطوط وآسى لمحل من آل ساسان درس
ذكرتنيهم الخطوب التوالي ولقد تذكر الخطوب وتلبي
وهم خافضون في ظل عال مشرف يحسر العيون ويخشي^(٥)
حل لم تكن كاطلال سعدي في قفار من البسابس ملس^(٦)

(١) وترفعت عن عطية كل ليم

(٢) وارد رفه اي برد الماء كل يوم متى شاء ووارد خمس اي برد مرة كل اربعة ايام

(٣) انه خسارة عظيمة ان اترك الشام واستوطن العراق

(٤) في هذا البيت وما بعده يقول حلت الهموم بساحتي فركبت جملي الى قصر المدائن الابيض

لا تسلى عن حظي واسى لما درس من قصور آل ساسان (وهم ملوك الفرس) (٥) خافضون نامحو العيش

(٦) اي هذه الاثار العظيمة ليست كاطلال البدو في القفار الخاوية

نقل الدهر عهدنً عن الجدة حتى غدون انضاء لبس (١)
 فكأن الجرماز من عدم الانس واخلاله بنيسة رمس (٢)
 لو تراه علمت ان الليالي جعلت فيه مائماً بعد عرس
 وهو ينيك عن عجائب قوم لا يُشاب البيان فيهم بلبس
 فاذا ما رأيت صورة انطا كية ارتعت بين روم وفرس (٣)
 والمنايا موائل وانوشر وان يزجي الصفوف تحت الدرّفس
 في اخضرار من اللباس على اصفر يُختال في صبيقة ورس
 وعراكُ الرجال بين يديه في خفوت منهم واغراض جرس
 من مُشبح يهوي بعامل سيف ومُليح من السنان بترس
 تصف العين أنهم جدُّ احياء لهم بينهم اشارة خرس
 يعتلي فيهم ارتياني حتى تتقرأهم يداي بلبس
 عكست حظّه الليالي وبات المشتري فيه وهو كوكب نحس
 فهو يدي تجلداً وعليه كلكل من كلاكل الدهر مرسي
 لم يعبه أن بزاً من بسط الديباج واستلّ من ستور الدّمقس (٤)
 مشخرٌ تعاو له شرفات رُفعت في رؤوس رضوى وقدس (٥)
 لابسات من البياض فما تبصر منها الا فلائل برس
 ليس يُدرى اصنع إنس لجن سكنوه ام صنع جن لانس
 عمرت للسرور دهرأ فصارت لتعزي رباعهم والتأسي
 فلها ان أعينها بدموع موقوفات على الصبابة حبس
 ذلك عندي وليست الدار داري باقتراب منها ولا الجنس جندي (٦)
 غير نعى لاهلها عند اهلي غرسوا من ذكاتها خير غرس

(١) انضاء لبس اي ثياب بالية (٢) الجرماز احد القصور في الايوان

(٣) في هذا والايات الستة التابعة يصف صورة على جدار القصر تمثل معركة دارت في انطاكية بين كسرى والروم والوصف دقيق وقد مرّ تفسيره في كلامنا عن الشاعر

(٤) لم ينقص من قيمته ان الدهر سلبه بسط الديباج وستور الدّمقس

(٥) رضوى وقدس جبلان

(٦) ففي جديرة ان ابكيها وان كنت غريباً لامتُ لاصحاحا بنسب جندي

أيدوا ملكنا وشدوا قواهُ بكماةٍ تحت السنورِ مُحسٍ (١)
 واعانوا على كتائب أرباطٍ بطعن على النحورِ ودعسٍ (٢)
 واراني من بعدُ اكلف بالاشراف طراً من كل سنخ وإسٍ (٣)

وقال بمدح المتوكل وبذكر وفد الروم

قل للسحاب اذا حدثه الشالُ وسرى بلبيل ركبته المتحمل
 عرج على حلبٍ حفي محلةً مانوسة فيها لعلوة منزل
 لغريزة ادنو وتبعد في الهوى واجود بالود المصون وتبخل
 وعليلة الاخطا ناعمة الصبي غري الوشاة بها ولج العذل
 لا تكذبن فانت اطف في الحشا عهداً واحسن في الضمير واجمل
 احنو اليك وفي فوادي لوعة واصد عنك ووجه ودي مقبل
 واعز ثم اذل ذلة عاشق والحب فيه تغزُّ وتذل

...

ان الرعية لم تزل في سيرة الله آثر بالخلافة جعفرأ
 هي افضل الرتب التي جعلت له دون البرية وهو منها افضل
 ملك اذا عاذ المسيء بفضوه غفر الاساءة قادراً لا يُعجل
 وعفا كما صفح السحاب ورعده قصف وبارقه حريق مشعل
 شرفٌ تُخصت به ومجد باذخ متمكن فوق النجوم موئل
 لا يعدمنك المساهون فانهم في ظل ملكك ادركوا ما أمأوا
 حصنت بيضتهم وحطت حريمهم وحملت من اعبانهم ما استقلوا

(١) الا اني اقل ذلك ليد كانت للفرس عند اهلي (اليمينيون) فهم ساعدوا ملكنا (سيف بن ذي يزن) بابطال تحت الدرود شجعان

(٢) واعانوه على جيوش قائد الحبش (ارباط) بطعن في نحور الاعداء

(٣) ولذا صرت مولعاً بمدح الاشراف واهل المروءة مها كان اصلهم

(٤) عمرية نسبة الى عمر بن الخطاب اي سيرة عدل وحزم

ورأيت وفد الروم بعد عنادهم
 لحظوك اول لحظة فاستصغروا
 احضرتهم حججاً لو اجتلبت بها
 ورأوك وضّاح الجبين كما يرى
 نظروا اليك فقدسوا ولو أنهم
 حضروا السباط فكلما راموا القري
 تهوي اكنفهم الى افواههم
 متعجبون فباهت متعجب
 ويود قومهم الاولى بعثوا بهم
 قد نafs الغيب الحضور على الذي
 اعجلت رفدهم فافضل نائل
 فانه اسأل ان تعمر صالحاً

عرفوا فضائلك التي لا تجهل^(١)
 من كان يعظم فيهم ويجهل
 عصم الجبال لا قبلت تتنزل
 قمر السماء السعد ليلة يكمل
 نطقوا الفصح كبروا ولهلوا
 مالت بايديهم عقول ذهل
 فتجيد عن قصد السيل وتعديل
 مما رأى او ناظر متأمل
 لو ضمهم بالامس ذاك المحفل
 شهدوا وقد حسد الرسول المرسل
 حبي الوفود به الهني المعجل
 فدوام عمرك خير شيء يسأل

مبلوا الى الدار من ليلي نجيبها

يصف فيها بركة بناها المتوكل

مباوا الى الدار من ليلي نجيبها
 يا دمنة جاذبتها الريح بهجتها
 لا زلت في حل للخير ضافية
 تروح بالوابل الداني رواحتها
 ان النجيلة لم تنعم لسائلها
 يا من رأى البركة الحسناء رويتها

نعم ونسأها من بعض اهليها
 تبيت تنشرها طوراً وتطويها
 ينيرها البرق احياناً ويسديها^(٢)
 على ربوعك او تغدو غواديا
 يوم الكتيب ولم تسمع لداعيا
 والانسات اذا لاحت مغانيها^(٣)

(١) اشارة الى وفد ارسله ملك الروم الى المتوكل وفي الايات التالية يصف دهشة الوفد لما راوه من عظمة الخليفة ومجده وما اعتراهم من الذهول عند ما حضروا للمأدبة (السباط)

(٢) انار الحلال واسداها نسج لحمتها وسداها والكلام مجازي معناه لازالت غيوم الحسب فوقك يتلأ فيها البرق

(٣) في زهر الآداب ١-٢٣٠ البركة الحسناء وروقتها. وفي نهاية الارب ١-٣٧٤ والآيات التي

بجسبها انها في فضل رتبها
 ما بال دجلة كالغيري تنافسها
 اما رأت كالى. الاسلام يكلأها
 كان جن سليمان الذين ولوا
 فلو تمرُّ بها بلقيس عن عرض
 تنصبُ فيها وفود الماء مُعجَلَةٌ
 كأنها الفضة البيضاء سائلة
 اذا علتها الصبا ابدت لها حُكماً
 فحاجب الشمس احياناً يضحكها
 اذا النجوم تراءت في جوانبها
 لا يبلغ السمك المحصور غايتها
 يُعْمَنُ فيها باوساط مُجَنَّة
 لهنَّ صحنٌ رحيب في اسافلها
 تغنى بساتينها القصى برؤيتها
 كأنها حين لَجَّت في تدفقها
 وزادها رتبة من بعد رتبها
 محفوفة برياض لا تزال ترى

تعدُّ واحدة والبحر ثانيها
 في الحسن طوراً واطواراً تباهاها
 من ان تعاب وباني المجد بينها^(١)
 ابداعها فادعوا في معانيها
 قالت هي الصرح تمثيلاً وتشبيهاً^(٢)
 كالخيل خارجة من جبل مجربها
 من السبائك تجري في مجاريها
 مثل الجواشن مصقولاً حواشياً^(٣)
 ورقيق الغيث احياناً يياكها
 ليلاً حسبت سماء ركبت فيها
 بعد ما بين قاصيا ودانها
 كالطير تنقض في جوف خوافها
 اذا انخططن وهبوا في اعاليها
 عن السحاب منحللاً عزاليها
 يد الخليفة لما سال وادها
 ان اسمه يوم يدعى من اسامها^(٤)
 ريش الطواويس تحكيه ويحكها

...

اذا مساعي امير المؤمنين بدت
 ان الخلافة لما اهترت منبرها
 ابدى التواضع لما نالها دعة
 اذا تجلت له الدنيا بجليتها
 للواصفين فلا وصف يدانها
 بجعفر أعطيت اقصى امانها
 عنها ونالته فاختالت به تيا
 رأت محاسنها الدنيا مساويا

(١) كالى. الاسلام اي حاميه ويقصد بذلك الخليفة

(٢) اشارة الى قصة النبي سليمان وبلقيس ملكة سبا وما شاهدته عنده من جلال صرحه العظيم

(٣) الجواشن الدروع

(٤) اسم المتوكل جعفر ومعنى جعفر النهر اي ان البركة واسم الخليفة متشاجان في المعنى

يا ابن الاباطح من ارض اباطحها
ما ضيع الله في بدو وفي حضر
واممة كان قبح الجور يسخطها
بثت فيها عطاء زاد في عدد ال
مازلت بجرأ لعافينا فكيف وقد
اعطاكها الله عن حق رآك له
في ذروة المجد اعلى من روايبها^(١)
رعية انت بالاحسان راعيا
دهراً فاصح حسن العدل يرضيها
عليا ونوّهت باسم المجد تنويها^(٢)
قابلتنا ولك الدنيا بنا فيها
اهلاً وانت بحق الله تعطيها

وقال بمرح ابا سعيد محمد بن يوسف

أفاق صب من هوى فأفقا
إن السلو كما تقول لراحة
هذا العقيق وفيه مرأى مونق
أشقيقة العلبين هل من نظرة
عل البخيلة أن تجود بها النوى
ماذا عليك لو اقتربت لموعده
أم خان عهداً أم أطاع شقيقا
لو راح قلبي للسلو مطبقا
للعين لو كان العقيق عقيقا^(٣)
قتبل قلباً للليل شقيقا
والدار تجمع شائقا ومشوقا
يُبنى الجوى وسقيتنا ترنيقا
...

غدت الجزيرة في جناب محمد
برقت مخايله لها وتحقرت
صفحت له عنها السنون وواجهت
رفع الامير ابو سعيد ذكرها
يستمتطرون يداً يفيض نوالها
يقظ إذا اعترض الخطوب برأيه
رياً الجناب مغاربا وشروقا
فيها عزالي جوده تحريقا^(٤)
أطرافها وجه الزمان طليقا
واقام فيها للمكارم سوقا
فينغرق المحروم والمرزوقا
ترك الجليل من الخطوب ديقا

(١) يا ابن اباطح قريش الذين اذا قيسوا بسوامم في الشرف فاقوهم كثيراً (كانت سهولهم اعلى من جبالهم) (٢) نوّه به رفع ذكره

(٣) العقيق اسم وادي في بلاد العرب يتغنى بذكره الشعراء

(٤) اي برقت سحب وعوده ففاضت سيول جوده . والمخايل هي السحب المنفردة بالمطر

هَلَا سَأَلَتْ مُحَمَّدٍ بِمُحَمَّدًا
 وَسَلِ الشَّرَاةَ فَانْهَمِ اسْتَقَى بِهِ
 جَاؤَا بِرَاعِيهِمْ لِيَتَّخِذُوا بِهِ
 طَرَحُوا عِبَاءَتَهُ وَالْقَوَا فَوْقَهُ
 عَقَدُوا عِمَامَتَهُ بِرَأْسِ قِنَاتِهِ
 وَأَقَامَ يَنْفِذُ فِي الْجَزِيرَةِ حُكْمَهُ
 حَتَّى إِذَا مَا الْحَيَّةُ الذَّكْرُ انْكَفَا
 غَضَبَانَ يَلْقَى الشَّمْسَ مِنْهُ بِهَامَتِهِ
 أَوْفَى عَلَيْهِ فَظَلَّ مِنْ دَهْشٍ
 غَدَرَتْ أَمَانِيهِ بِهِ وَتَمَزَّقَتْ
 طَلَعَتْ جِيَادِكَ مِنْ رَبِي الْجُودِيِّ قَدْ
 يَطْلُبُنَّ نَارَ اللَّهِ عِنْدَ عَصَابَةِ
 يَرْمُونَ خَالِقِهِمْ بِاقْبَحِ فَعَلِهِمْ
 فَدَعَا فَرِيقًا مِنْ سَيُوفِكَ حَتْمَهُمْ

....

يَا تَغْلِبُ ابْنَةَ تَغْلِبٍ حَتَّى مَتَى
 تَتَجَاوَبُونَ بِدَعْوَةٍ مَخْذُولَةٍ
 وَلَقَدْ نَظَرْنَا فِي الْكِتَابِ فَلَمْ نَجِدْ
 أَوْ مَا عَلِمْنَا أَنَّ سَيْفَ مُحَمَّدٍ
 لَا تَنْتَظِرُهُ بَانَ تَرَوَّمُوا خَطَّةً
 خَلُّوا الْخِلَافَةَ إِنْ دُونَ لِقَائِهَا

تَرِدُونَ كَفْرًا مَوْبِقًا وَمَرُوقًا (٧)
 دَعَاؤُ الْحَمِيدِ إِذَا أَرَدْنَا نَبِيْقًا
 لِمَقَالِكُمْ فِي آيَةٍ تَحْقِيقًا
 أَمْسَى عَذَابًا بِالطَّغَاةِ حَمِيقًا
 عَسْرًا تَعْبِي الطَّالِبِينَ لِحَوْقًا
 قَدَرًا بِأَخْذِ الظَّالِمِينَ خَلِيقًا

(١) سأل به اي سأل عنه

- (٢) في هذا البيت وما قبله يقول هل سألت عن الممدوح محمداً (وهو قائد آخر) فينبئك بالخبير الصحيح بل أسأل الخوارج (الشراة) فقد نالهم منه أكثر مما نال أهل موقان قبلاً - والموق الهلاك
 (٣) اي جعل الخوارج زعيمهم خليفة فالبسوه العباءة الجيدة النسيج
 (٤) ارزن اسم مكان ويراد بالحيئة الذكر هنا الداهية الفتاك (وهو الممدوح)
 (٥) الجودي اسم جبل (وهو الذي استقرت عليه سفينة نوح) (٦) القران المنسوق القرآن المنظم
 (٧) يا بني تغلب حتى متى تردون الكفر المهلك بمساعدتكم للخارجين على الامام

وقال بمدح مالك بن طوق

رحلوا فآيةً عبرةً لم تُسكب
 قد بينَ البينَ المفرقَ بيننا
 صدقَ الغرابُ لقد رأيتُ شمسهم
 لو كنتَ شاهدنا وما صنع الهوى
 سُغَلَ الرقيبُ واسعدتنا خلوةً
 فتلجلجتُ عبراتها ثم انبرتُ
 تشكو الفراقَ الى قتيلِ صبايةٍ
 أطيعُ فيك العاذلاتِ وكسوتي
 وإذا التفتُ الى سنيِّ رأيتها
 عشرونَ قدَّرها الصبي واطاها
 مالي ولأيامِ صرفٍ صرفها
 فأكونَ طوراً مشرقاً للمشرقِ الاقصى
 وإذا الزمانُ كساك حلة مُعدمٍ
 ولقد آيتُ مع الكواكبِ راكباً
 والليل في لونِ الغرابِ كأنه
 والعيس تنصلُ من دجاه كما انجلى
 يطلبنَ مجتمعَ العلى من وائلٍ
 وبقيةَ العربِ الذي شهدتُ له
 بالرحبة الحضراءِ ذاتِ المنهلِ العذبِ المشاربِ والجنابِ المُعشبِ

- (١) غراب اسم جبل (٢) الخالع المتصعب اي الجميل الضعيف
 (٣) العيس النياق البيض يخالطها شقرة وظلمة خفية . ومعنى البيت ان العيس تخرج من الليل كما
 يخرج الغزال الاثيب من سواد الشباب
 (٤) اد ويعرب من جدود العرب المعروفين
 (٥) الرحبة مكان الممدوح

عظنُ الوفودِ فنجدُ أو مُتهمُ
القوا بجانبها العصيَّ ووعولوا
ملكُ له في كل يوم كريمة
وتراه في ظلم الوغى فتخاله
يا مالكُ ابنَ المالكينِ الألى
اني أتيتك طالباً فبسطت من
وغدوت خيراً حياطةً مني على
أعطيتني حتى حسبت جزيل ما
فشبت من برِّ ليدك ونائل
قومٌ اذا قيلَ النجاء فإلهم
يشون تحت ظبي السيوفِ الى الردى
يتراكون على الاسنة في الوغى
ينسيك جودَ الغيثِ جودهم اذا
حتى لو انَّ الجودَ خيراً في الورى

أو وافدٌ من مشرقٍ أو مغربٍ (١)
فيها على ملك أعزَّ مذهب
اقدام ليشر واعتزام مجرب
قرأ يشدُّ على الرجالِ بكوكب (٢)
ما للمكارم عنهم من مذهب
أملي وأطلب جودك كفاً مطلي (٣)
نفسى وأزاف بي هنالك من أبي
أعطيتنيهِ ودبعة لم توهب
ورويت من أهل ليدك ومرحب
غير الحافظِ والردي من مهرب (٤)
مشي العطاش الى برودِ المشرب
كالصبح فاض على نجوم الغيب
عثرت أكتهم بعام مجذب
نسباً لأصح ينتمي في تغلب



- (١) أي هو وطن أو مقصد الوافدين من شتى الامصار
(٢) وتراه وسط غبار الحرب مشرقاً كالقمر وهو ينقض على الرجال بسيف او رمح متأنق
كالكوكب (٣) اطلبه اي اعطاء ما طلب
(٤) يريد بذلك قوم الممدوح بني تغلب. النجاء الحرب

ابن الرومي

ابو الحسن علي بن العباس

٥٢٢١ - ٥٢٨٣ هـ

٨٣٧ م - ٨٩٩ م

مصادر دراسته - منشأه و طرف من سيرته - ممدوحه

عقليته و اخلاقه - فنه و مزاياه الشعريه

مصادر دراسته

- الفهرست (المانيا) ١٦٥
 العمدة لابن رشيق ج ١ - ٤٢٤٠ و ١٩٤٠
 ج ٢ - ١٣٦ و ١٤٠ و ١٨٤ - ١٨٥ و ١٩٠
 زهر الآداب للحصري ج ١ - ٢٣٢ ذكر عمامته
 عتابه لابي الصقر ٢٤٨
 ١٧١
 تطيره وخوفه من ركوب البحر ج ٢ - ١٧٧
 ١٧٨
 ج ٢ - ٩ نهمة
 ج ٣ - ١٠٢ و ٩٩ داره وحنينه للوطن
 مواليه ١٠٥
 ج ٤ - ٤١ تسليه عن المهموم
 وفيات الاعيان ١ - ٤٩٩
 شرح شواهد التلخيص للعباسي ص ٣٨ - ٤٢
 وقد ذكر المعري في رسالة الغفران شيئاً عن تشيعه وذكره الجرجاني في الوساطة ص ٥٠
 وصفحات اخرى
 ومن المراجع الحديثة غير دوائر المعارف وغير كتب التاريخ الادبي العامة
 محتارات ابن الرومي (للكيلاني)
 (للبارودي)
 ديوان ابن الرومي ج ١ طبع محمد شريف سليم
 حصاد المهشم للمازني ٢٩٩ - ٤٢٧
 ابن الرومي للعقاد وهو احدث واوفى ما كتب عنه

نشأه و طرف من سيرته

نشأ ابن الرومي في بغداد ، وليس في شعره ما يدل على انه تركها طويلاً او جاب الاقطار ، كما فعل ابو تمام والمتنبي وسواهما من الشعراء . ويستدل من بعض اخباره انه سافر مرة الى سامرا وطال مقامه فيها ،^(١) فكان يتشوق الى ايام بغداد كقوله -

بلد صحبت به الشيبية والصباء ولبست ثوب العيش وهو جديد
فاذا تمثّل في الضمير رايته وعليه اغصان الشباب تميد

والارجح انه قصدها - وكانت يومئذ دار الخلافة - طلباً للرزق ولكنه لم يوفق في طلبه فلما ، وحمل على الغربة وطلب المال فقال

وفيم اجتهادي في محاولة الغنى وما للغنى عند الجواد به قدر
وما انا الا محرزُ المجد والعلو وذلك كثرني لا اللّجين ولا التبر
وان يقض لي الله الرجوع فانه علي له ان لا افارقكم نذر
ولا ابغني عنكم شخوصاً ورحلة يد الدهر ، الا ان يفرقنا الدهر

فلم يكن لشاعرنا تلك الطبيعة الغامرة المجازفة في سبيل الحصول على الاماني . وقد ترك لنا في ذلك قصيدة عصماء وصف فيها احوال السفر براً وبحراً ، وستناولها في غير هذا المقام .

وهو كما يتضح من لقبه ونسبه رومي الاصل واسم جدّه جريج الرومي (او جورججوس)^(٢) . ولا نعلم عن اسرته شيئاً يذكر ، الا ان في بعض شعره تلميحاً الى ان امه فارسية الاصل كقوله

كيف اغضي على الدنيا والفرس خؤولي والروم اعمامي

وكان جدّه ، كما ذكر ابن خلكان ، مولى عبید الله بن عيسى بن جعفر المنصور فنشأ والده ، كما يستدل من اسمه ، مسلماً وولد صاحب الترجمة كذلك ، وتثقف في بيئة اسلامية محضة . ولم يتصل بنا ان والده كان يتكلم الرومية او يعرفها ، او انه هو عرفها ، على

(١) زهر الآداب ج ٣ - ١٠٠

(٢) معجم الادباء ج ٦ - ٤٧٤ تحت سيرة محمد بن حبيب

اننا لا نشك في انه كان يعرف نسبه الى اليونان ويفخر به احياناً ، كقوله من قصيدة في
ابي سهل النونجتي

ونحن بنو اليونان قوم لنا حجباً
وما تترأى في المرايا وجوهنا
ومجد وعيدان صلاب المعاجم
بلى في صفاح المرهفات الصوامر

وقوله من قصيدة يذكر فيها بني العباس

انا منهم بقضاء من حُتمت
مولاهم وغذي نعمتهم
رُسل الاله به وهم اهلي
والروم - حين تنضي - اصلي

وقوله في رجل طعن بشعره والظاهر انه وصحه بروميته

قد تحسن الروم شعرا ما احسنه عريب
يا منكر المجد فيهم ليس منهم ضهيب

ويظهر ان شاعرنا لم يكن موفقاً في حياته العائلية فقد مات والده على الاربع وهو
صغير ، ولم يبق له غير اخ اكبر كان يعول عليه في الشدائد . على ان هذا توفي والشاعر
لم يتجاوز الثلاثين كثيراً . وقد فقد ابناؤه الثلاثة وزوجته فخرج عليهم جدا ، وكان
لفقدهم تأثير عميق في نفسه . وليس من الغريب ان يكون قد تزوج ثانية وهو شيخ كما
يرجح الاستاذ العقاد^(١) ، على اننا لا نعلم شيئاً عن امر هذا الزواج

عائلة سمرويه

ولد ابن الرومي على رواية ابن خلكان سنة ٢٢١ هـ ، فلم يدرك المعتمد والرائق
الأصلياً صغيراً . وقد ادرك سن البلوغ في زمن المتوكل ، وعاش الى خلافة المعتضد .
ومع كل ذلك لا نرى في شعره ما يدل على تقربه من الخلفاء والحظوة عند الامراء . فاذا
قابلناه بزميله البحري (الذي ولد قبله بنحو ١٥ سنة) نرى ان هذا مدح خلفاء زمانه ،
ولا سيما المتوكل والمعتز ، بعشرات من القصائد ونال جوائزهم ، ومدح ما يقارب المئة من
كبار الوزراء والقادة ، وحصل من ذلك مالا وجاهاً . اما ابن الرومي فليس له شيء
يذكر في الخلفاء . ولعل السبب انه لم يدرك منهم غير المستضعفين كالمستعين والمعتز والمهتدي

(١) راجع ابن الرومي للعقاد ص ٩٠

والمعتمد ، وكلهم قتل او خلع او حكم وليس له من الامر شي . . على اننا لا نجزم في ذلك لخالفه في ذلك حال البحتري ، وان يكن هذا ادرك المتوكل والخلافة لم تزل في رونقها وقد عاش ابن الرومي اربع سنوات في خلافة المعتضد وله فيه بعض المديح . اما رجال الدولة الذين اتصل بهم جُلهم من الاعاجم ، وقد مرَّ بنا ما كان لهم من النفوذ في الخلافة العباسية ، واليك اهم ممدوحيه -

اسماعيل بن بلبل

كان من وزراء المعتمد وجمع له السيف والقلم . وهو يرفع نسبه الى بني شيان ويفخر بذلك على ان بعضاً غمزوه وقالوا هو دعي^(١) . وكان مادحوه كالبحتري وابن الرومي يذكرون نسبه الشيباني بالتمجيد والتعظيم ، على ان ابن الرومي انقلب عليه وصار يلقبه بالدعي كقوله

عجبت من معشر بعقوتنا باتوا نبيطاً واصبحوا عرباً
مثل ابي الصقر ان فيه وفي دعواه شيان آية عجباً

آل طاهر

وقد مرَّ معنا ذكرهم في الكلام عن ابي تمام والبحتري ، وهم من الفرس : كانوا من كبار رجال الدولة وقد تقبلوا منذ ايام المامون في اعلى مراتبها . واخص ممدوحى ابن الرومي منهم عبيدالله بن عبدالله واخوه محمد بن عبدالله امير بغداد

آل وهب

وزعيمهم في ايام الشاعر القاسم بن عبيدالله : كان على ما نقله صاحب الفخري من دهاة العالم ومن افاضل الوزراء ، وكان شهماً كريماً مهيباً جباراً . وقد لزمه ابن الرومي ومدح آله وعلى يده قتل

(١) الفخري ١٨٧

آل المنجم

وهم من الفرس وقد مدح شاعرنا منهم علي بن يحيى . وكان ابوه مولى الماسون
واتصل بالفضل بن سهل ، واتصل علي بن يحيى بمحمد بن اسحق المصعبي ثم بالفتح بن خاقان
وعمل له خزانة حكمة^(١) . وآل المنجم من علماء الفلك الذين كان يشار اليهم بالبنان

. . .

ومن ممدوحيه احمد بن ثوبة وآل المدبر والقاضي يوسف وآل مخلد وآل نوبخت وابو
القاسم التوزي وآل شيخ والباقطني ، ومعظمهم من اصحاب النفوذ والوجاهة . على ان ابن
الرومي لم يخط بشعره فلم يكن ميسور الحال . وفي شعره ما يدل على ذلك ، فهو كثير
التبرم من الزمان وسوء الحال وقلة ثواب الممدوحين كقوله -

تأمل العيب عيبُ وليس في الحق ريبُ
إن يمك الناس عني سيباً فله سيبُ

وقوله

ذقت الطعوم فما التذذت براحة من صحبة الاخيار والاشرار
أما الصديق فلا احب لقاءه حذر القلي وكراهة الاعوار
وارى العدو قذى فأكره قربه فهجرت هذا الخلق عن اعذار

ولكن ابن الرومي لم يهجر الدنيا وملذاتها ولم يبتعد عن الناس وعطايهم ، بل بعكس
ذلك كان يتهاقت على ما في الحياة مما يشبع شهوات نفسه ، ويسرف في ذلك كل الاسراف .
وكان يرمي بنفسه على ابواب الكبراء والوجهاء طالباً رفقهم ، تميئاً نفسه بالخطوة عندهم .
ومع كل ذلك تراه في شعره محروماً ناقماً ، او ساخراً عابثاً ، ليس له من منزلة توجب احترامه ،
او صداقة تشفي اوامه . ولماذا ؟ لان في طبعه كما يستدل من شعره ما كان ينقره من
الناس وينفر الناس منه . - هذا الطبع هو الذي جنى عليه والزمه حالة الحاجة والحول .
وقد اصاب في وصف نفسه اذ قال

اسخطت اخواني واخفت مطعبي فبقيت بين الدور والابواب

وبينا ترى زملاءه من كبار الشعراء قد فاض كسبهم تراه وهو في الخمسين من عمره
يشكو الزمان بقصيدة رفعها الى اسمعيل بن بلبل وفيها يقول

ويح القواني ما لها سفست
 انحُ على حظي بيراتها
 او كُتفت دون الغنى سدّها
 حُرمتُ في سنّي وفي ميعتي
 فكُرت في خمسين عاماً خلت
 لا عذر لي في اسني بعدها
 حظي كاني كنت سفستها
 شكراً لاني كنت ارهقتها
 حتى كاني كنت كُتفتها
 قراي من دنيا تضيقتها
 كانت امامي ثم خلقتها
 على العطايا - عفتها عفتها

والقصيدة طويلة واكثرها على هذا النمط . ومثلها قصيدة يعاتب فيها صديقاً ومنها
 تبين شيئاً من حاله ونظر اخوانه اليه - قال

ايها الحاسدي على صحتي العسر
 ليت شعري ماذا حسدت عليه
 اعلى انني ظمئت واضحى
 ام على انني امسى حسيراً
 ام على انني تكلت شقيقي
 وذمي الزمان والاخوانا
 ايها الظالمي اخائي عيانا
 كلُّ من كان صادياً رياناً
 وارى الناس كلهم ركبانا
 وعدمت الثراء والاطوانا

والبيت الاخير يشير الى فقده لاخيه الاكبر الذي كان يعطف عليه ، والى دار وعقار
 تركهما والده فاضاعهما^(١) . ومما يدلك على سوء حاله بالنسبة الى زملائه قوله لمن عاب
 قريضه -

أبعد ما اقتطعوا الاموال واتخذوا
 يجاسدوني وبيتي بيت مسكنة
 حدائقاً وكروماً ذات تعريش
 قد عَشَّ الفقر فيه اي تعشيش

وكيفما قلبت ديوانه تجد هذه النغمات الناضجة بروح التبرم والغىظ والالم . واذا رجعت
 الى حكمه التي هي عنوان عقله المفكر رايت اساسها تأثير بيئته فيه . فقد ترك شاعرنا
 كثيراً من الابيات الحكمية ومعظمها يدور على ما يلي -

قباحة البخل وجمال الثواب راجع مختارات ابن الرومي (للكيلاني) ١٠٦
 عدم منفعة الاخوان " " " " ١٠٧
 نكد الزمان " " " " "

(١) وفي بعض قصائده اشارة الى دار له غضبت منه ، وفيها ما يشير الى سوء حاله في اواخر ايامه
 كاني مطلعها - لا زلت تبلغ اقصى السؤل والامل

٢٦	راجع مختارات ابن الرومي (للكيلاني)	غرور الشباب
٧١	"/ / / /	وجوب الحزم
٢٠٢	"/ / / /	نفع الشدائد
١٠٩٤٩٤	"/ / / /	الحظ
٩٦	"/ / / /	الملل من الناس
١٠٣	"/ / / /	عدم المبالاة
٣٩٧	"/ / / /	فساد الذوق
٤٠٥	"/ / / /	الوشاة
٤٤١٤٣٧٧	"/ / / /	عدم التعرب
٣١٦	"/ / / /	الصبر

الى غير ذلك من الاغراض التي تشير الى ما كان يشعر به من وطأة الزمان ، وما كان
يحتاج في نفسه المنفعة من تأثير الحرمان

عقله وأثرها في شعره

لابن الرومي مع فرط ادبه وتوقد قريحته عقلية غريبة ، فهو في حال سكينته
واطمئنانه لبيب مفكر يأتيك بالحكم والاقوال الساحرة ، ولكنه عصبي المزاج شديد
الانفعال : فاذا هاجه هائج اضاع لبه واندفع على وجهه لا يبالي ، حتى في معاتبته لكبار
الرجال تجده مرآة الم اللسان . ويتجلى لك مزاجه العصبي في قوله يعاتب اسمعيل بن نونجت
(وهو احد ممدوحيه) يوازن اولاً بين نفسه وسواه من الشعراء فيصفهم بالجيف التنتة والغثاء
الطافي على وجه الم ، وانه احق منهم ببلوغ الاماني . ثم يخاطب اسمعيل فيقول -

واجبي ان ارى جوائي عتباك فلا تجعل السكوت جوائي
ان في ان تعتني بعض اغضائي وفي لن تهينني اغضائي
كنت تأتي الجميل ثم تنكرت فعاتبت مجحلاً في العتاب
فائتف توبة وراجع فعلاً ترتضيه الاسلاف للاعتاب

ومثل ذلك قصيدة يعاتب بها اسمعيل بن بلبل وقد شعر بشيء من الجفاء منه : قال فيها

فما لعطايك اوضحت حمي علي اوضحت لعيري نهايا

قبلت مديحي وانشدته اناساً وامسكت عني الثوابا
فله انت وما جنته الي لقد جنت شيئاً عجابا
اتهك ستري عن خلتي وتغلق دون عطايك بابا
حلفت لئن انت لم ترضني لتصرفن القوافي غضابا

واقول ما يقال في هذا العتاب انه تهديد ، وان صاحبه ممن اذا غضبوا لا ينظرون الى العواقب . ويجوز لنا ان نقول ان ما عرف به ابن الرومي من الهجاء هو اثر من تلك الطبيعة الشديدة الانفعال التي يخرج بها الانسان احياناً عن طور الرشاد . ومن هنا هذه الجراة في مهاجمة الاعيان والحكام وهذا الاقذاع في الطعن بالمنائين ، مما كان - على ما يعتقد ابن رشيق - سبباً في هلاكه (١) .

وقد غالى بعضهم في هجاء ابن الرومي وجعلوه فناً من فنون الشعر ، وهو كذلك لو اقتصر فيه الشاعر على تصوير المساوي الشخصية او الاجتماعية ، وعرضها بقالب يثير في النفس كراهية تلك المساوي . ولكن شعرنا العربي الهجائي في كل اطواره لم يصل الى تلك الدرجة الراقية الا نادراً . فالهجاء الفني يقتضي امرين الفكاهة او الدعابة ، وحسن التصوير الاول يرفعه عن الحشونة والاقذاع ، والثاني يضعه في صف الفنون الجميلة . وانك لترى في بعض الهجاء العربي شيئاً من ذلك ، ولكن اكثره من قبيل الطعن الشخصي الذي يراد به الخط من كرامة الشخص او كرامة اهله ، لا لتصد اصلاحه بل تشفياً او تفاخراً . هكذا كانت نقائض جرير والاخلط والفرزدق ، وعلى هذا النمط جرى اكثر الهجائين عند العرب . ولم يشذ ابن الرومي عن هذه القاعدة - قال ابن رشيق وقد غلب عليه الهجاء حتى شهر به وحتى صار يقال اهجى من ابن الرومي ، وليس هجاء ابن الرومي باجود من مدحه ولا اكثر ولكن قليل الشر كثير (٢) .

ولا ينكر ان في هجاء صاحبنا شيئاً من الدعابة وحسن التصوير ، ولكن معظمه فاحش لا يرتفع الى ما نسميه فناً ادبياً .

ومن دلائل ضعفه العصبي اعتقاده بالطيرة : كان يتشامم من بعض الالفاظ او الحوادث ، وكان لهذا الطبع اثر شديد في تصرفه مما جعله سخرية في عين العقلاء . ولا نستطيع ان نعلل هذه الظاهرة العقلية التي تضعف ارادة الانسان وتحملها على ربط الحوادث بغير اسبابها

(١) العمدة ١ - ٤٣ (٢) العمدة ج ١ - ١٩٤

الا بقولنا ان صاحبها شاذ في عقلية وان في جهازه العصبي ضعفاً خاصاً . وقد تناول ابو العلاء المعري تطيّر ابن الرومي في رسالة الغفران وانتقده ، ولم يتعدّ دائرة الصواب اذ قال عنه « ان ادبه اكثر من عقله »

وقال ابن رشيق كان ابن الرومي كثير الطيرة ربنا اقام المدة الطويلة لا يتصرف تطييراً بسوء ما يراه او يسمعه ، حتى ان بعض اخوانه من الامراء افتقده فأعلم بحاله في الطيرة ، فبعث اليه خادماً اسمه اقبال ليتفأّل به . فلما اخذ اهبطه للركوب قال للخادم انصرف الى مولايك فانت ناقص ، ومنكوس اسمك لابقا . وابن الرومي هو القائل : الفأل لسان الزمان والطيرة عنوان الحدّثان ، وله فيه احتجاجات وشعر كثير^(١) . من ذلك قصيدة قالها وهو في السابعة والحسين وقد رأى عجوزاً في احدى عينها نكتة وجارية حولاً ، فتطيّر من ذلك . واتفق بعد مدة يسيرة ان جفاه القاسم بن عبيدالله ، وسقطت ابنة لبعض اصدقائه من بعض السطوح فأتت ، فكتب الى صديقه قصيدة يقول فيها

لا تهاون بطيرة ايها النظّار واعلم بانها عنوان
قف اذا طيرة تلتفتك وانظر واستمع ثمّ ما يقول الزمان
فثحك المهرجان بالحول والور ارانا ما اعقب المهرجان
كان من ذاك فقد ابنتك الحرة مصبوغة بها الاكفان
وتجاني مؤمّل لي خليل ليجّ منه الجفاء والمهران

عقلية كهذه لا تستطيع ربط الاسباب بمسبباتها ، بل تميل الى الوهم والذعر لا ينتظر ان يكون صاحبها ذا اقدام وعزيمة صادقة . وبرغم ما نقرأه في شعر ابن الرومي من ذكر المجد والعلو فانه لم يتعدّ في ذلك حد الكلام . كان ذا موهبة شعرية حادة مقرونة بضعف عصبي حاد ، وقد تولد من امتزاجهما ذلك الخوف الصياني وتلك الغيرة الشاذة التي كانت توهمه انه فوق العالمين ، وانه جدير بكل اكرام وتعظيم ، وان من لا يكرمه فقد نقص قدره وحق عليه ان يهجوّه ويحط من كرامته ايّاً كان ومهما كانت منزلته . واننا لنوافق الاستاذ العقاد في ان شاعرنا كان حسن النية رقيق القلب لم يخلق شريراً مطويّاً على الشكس والعداوة^(٢) ، ولكن الرجل كان على ما يظهر يجمع في نفسه نقائص من الاخلاق فهو

(١) العمدة ١-٦٠ و ج ٢ - ١٣٦

(٢) ابن الرومي للعقاد ٢٢٣

مسالم شديد العداء ، رقيق القلب اليم البغض ، وفي ساخر ، شجاع جبان ، الى آخر هذه الصفات الغريبة التي يقف المتقدم الاخلاقي لديها حائراً ، والتي لا يمكن لنا الا ان نعزوها الى اختلال في جهازه العصبي جعله غريب الاطوار شاذ الاخلاق ، ميالاً الى الاسراف في كل شي .

ومن ظواهر اسرافه نهمه في المآكل والمشارب ، حتى ان الحصري يعزو موته الى شدة نهمه^(١) . ولا شك ان ما تجده في شعره من كثرة وصفه لاصناف الطعام والشراب راجع الى هذا الميل فيه . واليك وصفه لالذّ الم لذات عنده .

يا سائلي عن مجمع اللذات	ساءلت عنه انعت النعّات
خذ يا مريد الماكل اللذيذ	جوداقتي خبز من السميد
لم تر عين ناظر مثليهما	فقسّر الحرفين عن وجيهما

ثم يصف ما يضاف الى ذلك من لحم فروج ولوز وجبن وبيض ونعنع وملح وكيفية تحضيرها وطبخها ويختم القصيدة بقوله

ومثّع العين به ملياً	واطبق الخبز به هنيئاً
املاً ثناياك واكدم كدما	تسرع فيما قد بنيت هدماً
لني عليها وانا الزعيم	بمعدة شيطانها رجم

وكثيراً ما كان يدفعه نهمه الى ذم رمضان والصيام لما فيهما من كبح الشهوات والمذات كقوله

اذا برّكت في صوم لقوم	دعوت لهم بتطويل العذاب
وما التبريك في شهر طويل	يطاول يومه يوم الحساب
فليت الليل فيه كان شهراً	ومرّ نهاره مرّ السحاب
فلا اهلاً بانع كل خير	واهلاً بالطعام وبالشراب

وقوله من قصيدة -

شهر يصدّ المرء عن مشروبه	مما يحلّ له وعن ما كوله
لا استئيب على قبول صيامه	حسي تصرّمه ثواب قبوله

(١) زهر الآداب ٢-٩

وله في الخمر شيء كثير ، وكان من مدمنيها المتسلين بها عن الهوم حتى في ايام مشيئه
كقوله

ساعرض عن اعرض الدهر دونه واشربها صرفاً وان لام لوم
فاني رايت الكاس اكرم خلّة وقت لي وراسي بالمشيب معتم
ومن صارم اللذات ان حان بعضها ليرغم دهرأ ساءه فهو ارغم

وقال من قصيدة بعث بها الى زميله ابن المسيب

ادرك ثقاتك انهم وقعوا في زجس معه ابنة العنب
فهم بحال لو بصرت بها سبحت من عجب ومن عجب
ريخانهم ذهب على درر وشرايهم درر على ذهب
ثم يصف مجلسهم في الروضة الغناء ويطلب اليه القدوم ليتم انسهم به . ومن خمرياته
قوله يصف الخمر ويصف حسناء تشرب

ومدامة كخشاشة النفس لطفت عن الادراك باللمس
لنسيها في قلب شاربها روح الرجاء وراحة اليأس
وتقد في امل ابن نشوتها حتى يؤمل مرجع الامس
ومهفهف كملت محاسنه حتى تجاوز منية النفس
ابصرته والكأس بين فم منه وبين انامل خمس
فكأنها وكان شاربها قمر يقبل عارض الشمس

واليك هذه المداعبة الساخرة التي تذكرنا بشعر ابي نواس

احلّ العراقيّ النبيذ وشربه وقال « الحرامان المدامة والسكر »
وقال الحجازيُّ الشرابان واحد خلّت لنا بين اختلافهما الخمر
ساخذ من قوليهما طرفيهما واشربها لافارق الوازر الوزر

وفي ديوانه كما ذكرنا آنفاً شعر كثير في الخمر وانواع الماكل . فاذا قرنت ذلك الى
الى ولعه بالشباب ، وشغفه بكل ما يقدمه من اطيب الحياة — كما ستري في قصائده التي
يصف بها الشيب باكيا ايام الشباب ، نادباً اوقات اللهو واللذات — تعرف ما كان في نفس
شاعرنا من نهم باللذائد الطبيعية ، وكيف كان مفتوناً بما تقدمه لحواسه من نشوة جسدية
ومن الانصاف ان نقول ان شاعرنا لم يكن فريداً بين شعراء العرب في ذلك فمثله

كان ابو نواس واضرابه ، ومثله كثيرون من محبي الحياة الدنيا في كل عصر . على ان له على ما يظهر منزلة خاصة : فهو شعوف بالحياة لاجل الحياة - يجب ان يعيش وان يعيش قوياً ليشتمع بجمالها واطايبها ، وقد وهبته الطبيعة حساً دقيقاً فكان يرى فيها ادق الالوان واخفى الاصوات والحركات . ولعل شعوره بالحرمان وبسوء الحال كان يزيد فيه هذا الشغف وهذه الشهوة الحيوانية القوية : نقول الشهوة الحيوانية لاننا لا نرى في شعره ما يدل على غير ذلك - لا نرى فيه ذلك الميل الى الباس الطبيعة حلة روحانية ترتفع به عن التمتع باللذة . فالمرأة والحمة والطعام والربيع والشباب والرياض كلها في نظره ادوات للسرور ووسائل للتمتع ، وبقدر ما يستطيع الانسان ان يستخدمها يكون حظه في الحياة

شعره وسأعرينه

قال ابن خلكان « هو صاحب النظم العجيب والتوليد الغريب يعفص على المعاني النادرة فيستخرجها من مكانها ويبرزها في احسن صورة ، ولا يترك المعنى حتى يستوفيه الى آخره ولا يبقى فيه بقية »^(١) . وقد سبقه ابن رشيق فقال « وكان ابن الرومي ضئيلاً بالمعاني حريصاً عليها يأخذ المعنى الواحد ويولده ، فلا يزال يقابه ظهراً لبطن ويصرفه في كل وجه والى كل ناحية ، حتى يمته ويعلم انه لا مطمع منه لاحد »^(٢) .

ومع عار كعبه في الشعر لم يذكره صاحب الاغانى ولا ياقوت ولا الانباري ، وقد خصه ابن النديم في الفهرست بكلمة وجيزة ذكر فيها ان شعره كان على غير الحروف رواه عنه المسيبي ثم عمله الصولي على الحروف ، وجمعه ابو الطيب وراق بن عبدوس من جميع النسخ^(٣) . وتابعه ابن خلكان في ذلك ولكنه جعل راويته المتنبي لا المسيبي^(٤) وهو على ما يقرأى لنا خطأ نسخي فان المتنبي ولد بعد موت ابن الرومي بعشرين سنة فلا يصح ان يقال انه رواه عنه ، ولم ينتبه الى هذا الخطأ اكثر المؤرخين والمتأديين الحديثين فنقلوا كلام ابن خلكان على علته .

ويميل نقاد العصر الى القول بالوحدة في قصائد ابن الرومي كقولهم « فقصيدته قطعة مؤلفة تاليفاً منطقياً فنياً لا عوج فيها ولا ضعف ولا ميل الى الاستطراد »^(٥) ، او كقولهم

(١) وفيات الاعيان ١-٢٩٩ (٢) العمدة ٢-١٨٥

(٣) الفهرست ١٦٥ (٤) كما في الطبعة المبرية (٥) المجلد ١٣٨

« غُلف ابن الرومي هذه السنّة (اي سنة الذين جعلوا البيت وحدة النظم) وجعل القصيدة كلاً واحداً لا يتم بغير تمام المعنى الذي اراده على النحو الذي نحاه . فقصائده موضوعات كاملة تقبل العناوين وتنحصر فيها الاغراض ، ولا تنتهي حتى ينتهي مؤداها » (١)

والذين يقولون بالوحدة يجعلون اساسها طبيعة شاعرنا اليونانية ، واختلافها في الاسترسال والتوحيد عن الطبيعة العربية . والمدقق في درس شعره يجد هذا الحكم العام صحيحاً في بعض قطع خاصة ، او بعض اجزاء من القصائد لا في القصائد عموماً ، كوصفه للمشيب او للحنون او المشقة السفر او للمهارة في لعب الشطرنج وما شاكل . وليس من الضروري ان يكون ذلك راجعاً الى « يونانية » تميزه عن سائر الشعراء ، في الشعر العربي قديماً وحديثاً امثلة كثيرة على اتصال الفكر في قطع تطول او تقصر بالنسبة الى الاحوال . خذ قصيدة عمر بن ابي ربيعة « امن آل نعم » ، او مرثاة ابي ذؤيب « امن المنون » ، او وصف الايوان للبحثري ، او وليمة ابن الواساني : بل خذ كثيراً من خمريات ابي نواس وما اشبهها من الكلام المتصل الفكر الذي تجده في كل العصر الادبية ، ولا سيما في عصرنا الحاضر ، تجد ان ابن الرومي لم ينفرد في ذلك ، وليس في شعره ما يدفعنا الى القول بطبيعة تخالف طبائع معاصريه . واليك مثلاً قصيدته في علي بن يحيى المنجم ومطلعها

شاب رأسي ولات حين مشيب وعجيب الزمان غير عجيب

فهي ١١٢ بيتاً . منها ثلاثون في وصف المشيب والحضاب ونظر الغواني اليهما ، وبقية القصيدة في المدوح يعدد فضائله من كرم ودهاء وسمو وشجاعة وما شاكل من المناقب الرفيعة . واذا درستها لا تراها تختلف عن مدائح عصره من حيث الاسلوب والتفنن في ضروب الوصف والمدح ، بل تستطيع ان تقتطع منها ما شئت من الايات وتبقى القصيدة تامة المعنى . وما يصدق على هذه القصيدة يصدق على قصيدته في عبيد الله بن طاهر التي مطلعها

صبا من شباب مفرقه تصابي وان طلب الصبا والقلب صاب

وهي ١٢٥ بيتاً خصص منها نحو ٧٠ بيتاً للشيب وتذكارات الشباب ، وساق الباقي في مدح المدوح على الطريقة المتبعة عند الشعراء . وكذلك القصيدة التي يهنته فيها بعيد المهرجان وهي تقرب من ١٣٠ بيتاً وتختلف بين وصف يوم العيد وتعداد فضائل المدوح

(١) ابن الرومي للمقاد ٣٠٨

وآله ، وغير ذلك من سائر مطولاته كمرثاته لابي الحسين يحيى بن عمر العلوي وهي ١٠٩
ايات ومطلعها

امامك فانظر اي نهجيك تنهج طريقان شتى مستقيم واعوج

وقصيدته في احمد بن ثوبان - دع اللوم ان اللوم عون النوايب - وهي ١٨٢ بيتاً ،
ورثاؤه لاهل البصره - ذاد عن مقلتي لذيد المنام - وهو ٨٣ بيتاً ، وعبابه لابي القاسم
التوزي - يا اخي اين ربيع ذاك اللقاء - في ١٦٨ بيتاً ، وقصيدته في القاسم بن عبيدالله
- ايا القاسم القسيم رواه - وتبلغ ٢١٦ بيتاً - ، وغير ذلك من عيون قصائده . في كل هذه
القصائد تجدد بعض القطع التي تستقل بوحدة فكرية ولكنك لا تجد القصائد عموماً تختلف
عن امثالها في دواوين الشعراء ، لا من حيث استقلال الايات ، ولا من حيث اتساق الافكار .
ولا نرى علمياً ما يؤيد القول بتأثير النزعة اليونانية في ادبه . وقد حاول الاستاذ العقاد ان
يجمع بين النظرين فجعل البقرية اليونانية فيه ادبية لا نسبية ، او كما قال « انها كلمة مفهومة
في لغة الاداب وان لم تكن مفهومة في لغة الانساب »^(١)

مزاجه الفنية

وانما يمتاز شعره بما يلي -

١ - طول النفس مع المحافظة على السلاسة عموماً

٢ - استيفاء المعنى وتقضي كل ما يقال فيه

٣ - دقة الاحساس بالمؤثرات الطبيعية

٤ - ميله الى تشخيص ما لا يعقل

اما طول النفس فقد اشرنا اليه سابقاً ، وزيد به مقدرة الشاعر على الاسهاب في النسخ
دون تعب او تكلف ظاهر . فانك لا ترى لشاعر عربي ما تراه لابن الرومي من كثرة
المطولات التي تتجاوز المئة والمئة والخمسين بيتاً ، واكثرها حسن السبك كثير الالوان
المعنوية . وبديهي ان تجد في مطولات كهذه بعض الحشو والتكرار وشيئاً من السفه ،
ولكنها عموماً تدل على غزارة مادته اللغوية وعلى مهارته في استخدام الالفاظ لمعانيه . فهو
فيأض كثير الاطناب والمراجعة بعيد المدى في ميدان النظم ، ولكنه لا يصل الى آخر مداه

(١) ابن الرومي للعقاد ٣٠١ - ٣٠٢

منهوكاً مقطوع النفس، ولا تشعر في شعره بتكلف مضمّنٍ أو جهاد عنيف على ان الاطالة لا تؤمن احياناً، فقد تضرّط صاحبها الى استعمال غرائب الصيغ والالفاظ محافظة على وزن او معنى، ولا سيما اذا كان واسع الاطلاع في اللغة كشاعرنا ابن الرومي .
وابتأناً لذلك نذكر هنا بعض ما اخترنا من غرائب ديوانه مع الاشارة الى مواطن كل لفظة ليسهل الرجوع اليها، وليس الذي نثبته هنا الا قليلاً من كثير مما يرد في ديوانه

موزجرهي ديوان ابن الرومي لشريف حسن ج ١ - ١١

حظي دون اللفاء (الحسيس) = = = = ٢٧

مريغو نداه (طالبوه) = = = = ١١٠

لازب الجرب (لازم العيب) = = = = ٢٠٢

خمر ثلب (قديمة) = = = = ٢٣٧

كروب وذبابذ (اضطرابات) = = = = ٢٩٤

مقفل الرواجب (متشنج الاصابع) = = = = ٢٧٥

نعمة ترتب (مقيمة) = = = = ٣١٧

مرث (حلیم) = = = = ٣٢١

عسل اللصاب (عسل الجبال) = = = = ٣٧٨

التقد (صفع القفا) = = = = ٤١٠

السخاب (القلادة) = = = = ٤٤٥

شتم الوجه (كزيه) مختارات الكيلاني = ٥٨

يومان ارونان (عصيان) = = = = ٨٥

للدهر منجنون (دولاب) = = = = ١٢٠

اكف ضواث (نواشب) = = = = ١٧١

الزوش (العبد) = = = = ٢٠٤

ارى خشله معوي (ردينه كحسني) = = = = ٢٢٠

البك الالب (جمعك المحتشد) = = = = ٢٥١

ابريق ردوم (سائل) = = = = ٣٩١

كدنتي تتخدد (سمني يهزل) = = = = ٣٩٢

هل من عندد (اي بد) = = = = ٣٩٣

ويكثر في مطولاته الروابط الكلامية، يأتي بها ليربط ما تقدم بما تأخر، ولا يستحسن ذلك في الشعر . ومن هذه الروابط ما يلي -
 مع انه - لم لا - لا سيما - بل - كذا - غير ان - وظني انه - لذلك هذا - على اني - مع - واعلم - هكذا - برهان ذلك - وذلك ان - الخ^(١)

• • •

ومع تمكن ابن الرومي من شوارد اللغة لا يأنف احياناً من استعمال بعض الالفاظ الاعجمية . وهي ان جاز استعمالها في المباحث العلمية لا تستحسن في الشعر وما اليه من الكلام الفني ، كاستعماله الالفاظ التالية

آبين - في قوله « اعجمي آبينه عربي » اي عاداته ودأبه
 شير // // « اعني سليمان الذي في رسمه قر وشير » وهي الاسد في الفارسية
 زرياب^(٢) // // و تهاويل من سندس ومن زرياب « اي ماء الذهب
 الدوشاب^(٢) // // علي احمد من الدوشاب « اي النيذ الاسود
 الكوش // // يا اصلم الكوش هالك ضامنة جدع انوف وصلم اكواش
 والكوش هي الاذن في الفارسية
 وامثال ذلك من الالفاظ التي كان يتملح بها على عادة بعض الشعراء في ذلك الزمان^(٤)

استنباط المعنى ونقصي الاغراض

« ياخذ المعنى فلا يزال يعالجه حتى لا يبقى فيه بقية » ذلك رأي ابن خلكان فيه وهو رأي مصيب ، واليك بعض الادلة على ذلك من شعره
 ١ - في معاتبته لابي القاسم التوزي الشطرنجي يذكر هنوات ذلك الصديق ، وان الحاجة كشفت له عنهن ، ويجري بينه وبينهن محاورة لطيفة يقول فيها

(١) راجع ديوان شريف ج - ١٥١ - ١٦٥ - ١٨٤ - ١٨٥ - ١٨٩ - ٢٥١ - ٢٧٥ - ٣٢٨ -
 ٣٣٦ - ٣٨٦ - ٤١٩ - ٤٦٢ ومختارات الكيلاني ٨٤ - ٤٧١ - ٤٨٥ -
 (٣٥٢) ويجوز استعمال هذين النظمين اذا اصبحا علماً كالكنياك مثلاً
 (٤) البيان والتبيين ١ - ٦١ مثلاً

ليتني ما هتكت عنكنّ سترأ فثويتنّ تحت ذلك الغطاء
 قلن-لولا انكشافنا ما تجلّت عنك ظلماء شبهة قتما
 قلت أعجب بكنّ من كاسفات كاشفات غواشي الظلماء
 قد افدتنّي مع الخبر بالصاحب ان ربّ كاسف مستضاء
 قلن اعجب بيهتد يمتنى انه لم يزل على عيما
 كنت في شبهة فزال بنا عنك فاوسعنا من الازراء
 وتمنيت ان تكون على الحيرة تحت العاية الطخياء
 قلت تالله ليس مثلي من ودّ ضلالاً وحيرة باهتداء
 غير اني وددت ستر صديقي بدلاً باستفادة الانبياء
 قلن هذا هوى فعرّج على الحق وخلّ الهوى لقلب هوا
 ليس في الحق ان تودّ لخل انه الدهر كامن الادواء
 بل من الحق ان تنثر عنهنّ والآ فانت كالبعداء
 ان بحث الطبيب عن داء ذي الداء لأسّ الشفاء قبل الشفاء
 دونك الكشف والعتاب فقوم بهما كل خلة عوجاء

وهذه المحاورة تكشف لك عن فن ابن الرومي وميله الى البحث المستفيض وتقضي
 كل معنى من الغرض الذي يرمي اليه . وفي هذه القصيدة نفسها يمدح صديقه بالمهارة في
 الشطرنج فيذهب في الوصف كل مذهب كقوله

غلط الناس لست تلعب بالشطرنج لكن بانفس اللعباء
 لك مكر يدب في القوم اخني من ديبب الغذاء في الاعضاء
 او مسير القضاء في ظلم الغيب الى من يريد به بالتواء

وعلى هذا النحو يصف لعبه في نحو عشرين بيتاً يتفنن في معانيها ما شاء ، وكلها شاهد
 على تدقيقه في اغراضه ومحاولته الوصول الى الغاية منها

٢ - ذكر السفر ومشاقه وما لاقاه من ذلك برأ وبجراً في قصيدة يمدح بها احمد بن
 ثوبة وقد اجاد فيها كل الاجادة . واليك شيئاً منها مثلاً لما نحن بصدده من تدقيقه وتقضيه
 قال

اذاقني الاسفار ما كره الغني اليّ واغرائني برفض المطالب

ومن نكبة لاقيتها بعد نكبة رهبتُ اعتساف الارض ذات المناقب
وصبري على الاقتار ايسر محملاً عليّ من التفرير بعد التجارب
ثم يصف ما لاقاه من احوال البر ابان الشتاء من مطر وبرد وتلج وصفاً في غاية الدقة،
نذكر منه هنا وصف حاله وقد اضطرّ الى المبيت في خان

فلت الى خان مُرثّ بناؤه مَميلَ غريقِ الثوب لهفان لاغب
فلم التى فيه مستراحاً لمعب ولا تُزلاً ، ايان ذاك لساغب ؟
فما زلت في خوف وجوع ووحشة وفي سهر يستغرق الليل واصب
يوردني سقف كاني تحته من الوكف تحت المدجئات الهواضب
تراه اذا ما الطين اتقل متنه تصرّ نواحيه صرير الجنادب

وبعد ان يستوفي وصف الخان وهول السفر في الشتاء يصف متاعب القبط في الصحراء
في اثني عشر بيتاً ، ثم يتناول احوال البحر (يقصد دجلة) اذا هبت الرياح وطلعت غوارب
الماء ، ويجوك ذلك حوكاً دقيقاً في ستة وعشرين بيتاً نذكر منها ثلاثة يرد بها على من لا
يرى في دجلة ما يراه المسافر في البحر من خطر او متاعب فيقول -

لدجلة خبٌ ليس لليمّ انها ترانى بجلم تحته جهل واثب
تظامن حتى تطمنن قلوبنا وتغضب من مزح الرياح اللواعب
زلازل موج في غمار زواخر وهوات خسف في شطوط خوارب
وللمّ اعذار بعرض متونه وما فيه من آذيه المتراكب
ولست تراه في الرياح مززلاً بما فيه الا في الشداد الغوالب

٣ - وصف الشيب وايام الصبا وذلك كثير في ديوانه ، نجتزئ. هنا بما جاء منه في
قصيدة تبلغ ١٧٥ بيتاً قالها في عبيد الله بن عبدالله بن طاهر وخصص منا نحو سبعين بيتاً في
هذا الغرض الخاص . من هذه السبعين ١٩ بيتاً في وصف الشيب ووجوب الترحيب به
لانه يبشر بلحاق الماضي كقوله

وقلت مسأماً للشيب اهلاً بهادي المخطئين الى الصواب
الست مبيّري في كل يوم يوشك ترّحلي اثر الشباب
لقد بشرتني بلحاق ماض احبّ اليّ من برد الشراب

فلست مستيماً بشراك نعيماً وان اوعدت نفسي بالذهاب
وانت وان فتكت بحب نفسي وصاحب لذتي دون الصحاب
فقد اعتبتني وامت حقدني بجثك خلفه عجاجاً ركالي

و ١١ بيتاً في ذكر ايام الحدائث وموقف الغايات بين امس واليوم
و ٤٠ بيتاً يصف فيها ما يذكره بالشباب من جمال الحسان ومن جمال الطبيعة — ما فيها
من مياه وجنان وسحاب وبروق ورياح — وصفاً لا يترك فيه زيادة لمستريد يحتمه بقوله

فيا اسفاً ويا جزعاً عليه ويا حزناً الى يوم الحساب
ألجج بالشباب ولا اعزى لقد غفل المعزى عن مصابي
تفرقنا على كره جميعاً ولم يك عن قلى طول اصطحاب
وكانت ايكيتي ليد اجتناء فعادت بعده ليد احتطاب

ثم يقول

لبستك برهةً لبس ابتذال على علمي بفضلك في الثياب

ومن يراجع هذه السبعين بيتاً ويتأمل توثر الشاعر على تقصي المعاني وتدقيقه في رسم
ظلالها ، ينكشف له ما قصد اليه ابن خلكان اذ قال « لا يُستق في المعنى بقية »
ولما كان ابن الرومي بطبيعته دقيق الاحساس كان من الطبيعي ان زاده يجيد في وصف
الالوان والاصوات ويفتن بها ما شاءت قريحته ، وله في ذلك لطائف تعد من اجمل ما في
هذا الباب في الشعر العربي

ويمتاز بالباسه الجماد حياة ونقل غير العاقل الى مصاف العقلاء ، وهو ما يسمونه بالتشخيص
او المجاز المرسل . ومن ذلك حديثه مع هنوات صديقه ، (وقد مر في كلامنا عن قصيدته
« ايها القاسم القسيم رواء ») ، ومخاطبته للمشيب والشباب والبين والكساء ، وانطاقه الطيور
والنساء ، ونسبته التفكير الى الشمس والندى والاعضان ، مما سترى الامثلة عليه في المختار
من شعره . ولم ينفرد ابن الرومي بذلك ، ولكن له فيه ما يلفت النظر ويجعله في مقدمة
الوصافين . ومما يلفت النظر ايضاً في شعره حسن اختراعه ، وقد تحمس له ابن رشيق فقال
« اما ابن الرومي فاولى الناس باسم شاعر لكثرة اختراعه وحسن افتنانه »^(١) . وفي موضع

آخر يقرنه بابي تمام ويقول « انهما اكثر المولدين اختراعاً فيما يقول الخدّاق »^(١)
ويراد بالاختراع كما ذكرنا في غير هذا المقام يدائع التشبيه والتشثيل والاستعارة، كقوله
وقد راي رجلاً يقلي الزلاية فوصفه ووصف عمله

رايته سحراً يقلي زلاية في رقة القشر والتجوير كالتصّب
كلنا زينة المقلّي حين بدا كالكيميا، التي قالوا ولم تصب
يُلي العجين لُجينا من انامله فيستحيل شبايكا من الذهب
وقال يصف قوس السحاب

وقد نشرت ايدي الجنوب مطارفاً على الجوّ دُكنا والحواشي على الارض
يطرّزها قوس السحاب باخضر على احمر في اصفر اثر مبيض
كاذيال خود اقبلت في غلائل مصبغة والبعض اقصر من بعض
ومن اقواله الجميلة يذكر ايام الشباب واننا لا نعرف قيمتها الا متى وات
لسنا زها حق رؤيتها الا زمان الشيب والهزم
كالشمس لا تبدو فضيلتها حتى تغشى الارض بالظلم
ولرب شيء لا يبينه وجدانه الامع العدم

ومثل ذلك قوله في ذم الدهر وانه يعلي الاسافل

دهرٌ علا قدر الوضع به وترى الشريف يحطّه شرفه
كالبحر يرسب فيه لؤلؤه سفلا وتعلو فوقه جيفه

وله في الحكم باع طويلة، فان دقة نظره لا تنحصر في الوان الطبيعة والحياة بل
تتناول ايضاً العواطف وعلاقات الناس بعضهم ببعض، وهو يجاري في ذلك كبار الشعراء،
كقوله

اذا ما كساك الله سربال صحّة ولم تخل من قوت يجلّ ويعذب
فلا تغبطن المترفين فانهم على حسب ما يكسوهم الدهر يسلب
وقوله -

خليليّ قد علّمتني بالاسى فانعمتا لو انني اتعل
وما راحة المرزوء في رزه غيره ايحمل عنه بعض ما يتحمّل؟

وقوله —

فلا تتكل الا على ما فعلته . ولا تحسبن المجد يورث بالنسب
فليس يسود المرء الا بنفسه وان عدَّ آباءه كراما ذوي حسب
وحكمه كثيرة وهي تعكس لنا في الغالب حياته وتأثير بيئته فيه^(١)

اما اكثر ديوان ابن الرومي في المديح والهجاء والعتاب والوصف ، على ان له في باب
الزنا . بضع قصائد جيدة . منها مرثاة في ابنه الاوسط هي من ارق ما فاضت به عواطف
والد على ولد عزيز . قال في مطلعها يخاطب عينيه

بكاؤكما يشيني وان كان لا يجدي فخردا فقد اودى نظيركما عندي
توخي حمام الموت اوسط صيبي فله كيف اختار واسطة العقد
طواه الردى عني فاضحى مزاره بعيداً على قرب قريبا على بعد

ثم ياخذ بوصف الداء الذي اصاب ولده ، وما كان له من التأثير فيه ، ويشرح لنا
العواطف الابوية المتأللة شرحاً يحرك اوتار القلب : وانك لترى شدة المة ودقة تصويره في
قوله يخاطب الفقيد

محمد ما شيء تؤم ساوة لقلبي الآ زاد قلبي من الوجد
ارى اخويك الباقيين كليهما يكونان للاحزان اورى من الزند
اذا لعبا في ملعب لك لذعا فؤادي بثل النار من غير ما قصد

والقصيدة كلها من هذا النمط البليغ الذي يشهد لشاعرنا برقة الشعور ودقة الفن .
وتجد معظمها في باب المختارات

والخلاصة ان ابن الرومي دقيق شديد الانفعال ، عصبي المزاج الى حد الخروج عن
جادة الرشاد . ومن هنا غرابة اطواره ، وفشله في الحصول على رغائبه ، وعدم قدر جيله
لغته ومواهبه .

(١) راجع منها في ديوان ابن الرومي (للكيلاني) ٢٦ و ٧١ و ٨٨ و ١٠٦ و ١٠٧ و ١٠٩ ، ٩٤ ، ١٠٩

٢٠٢ و ٩٦ و ١٠٣ و ٣٩٧ و ٤٠٥ و ٣٧٧ ، ٤٤١ ، ٣١٥

المختار من شعر ابن الرومي

طبيعة شديدة الانفعال في شعر بعيد المدى كثير الالوان : تقراه فيرتسم لك ما في
نفس ناظمه من وله في الحياة ومرارة لفقد اطايها ، مقرونين باسراف في العاطفة يدفعه
احياناً الى درجة الشذوذ

ذكرى الشباب

من قصيدة في عيد الله بن عبدالله

على كره ومن داع مجاب	كنى بالشيب من نام مطاع
مطية باطلي بعد الهباب (١)	حططت الى النهى رحلي وكنت
بهادي المخطئين الى الصواب	وقلت مسلماً للشيب : اهلاً
بوشك ترحلي اثر الشباب ؟	الست مبشري في كل يوم
احب الي من برد الشراب	لقد بشرتني بلحاق ماض
وان اوعدت نفسي بالذهاب	فلمت مستياً بشراك نعيأ
سوى ترقيع وهيئ بالخضاب	لك البشرى وما بشراك عندي
وصاحب لذتي دون الصحاب	وانت وان فتكت بحب نفسي
بجيك خلفه عاجلاً ركابي (٢)	فقد اعتبتني ، وامت حقدني
فقد وقيتني فيه ثواني	اذا الحقتني بشقيقتي عيشي
واياه نثوب الى مآب	وحسي من ثواني فيه أني
اذا فقد الشباب سوى عذاب	لعمرك ما الحياة لكل حي

(١) الهباب النشاط والسرعة

(٢) وانت وان ذهبت بحبيبي او صاحبي فقد ارضيتني بانك تدفني الى اللحاق به عاجلاً

فقل لبنات دهري : فلتصنبي
سقى عهد الشبيبة كل غيث
ليالي لم اقل : سقياً لعهد
اذا ولّى ، باسهما الضباب
اغرّ مجلجل داني الرباب^(١)
ولم ارغب الى سقيا سحاب^(٢)

...

يذكرني الشباب هوان عتي
يذكرني الشباب سهام حفر
رمت قلبي بين فاقصدته
فراحت وهي في بال رخي
وكل مبارز بالشيب قرناً
وصد الغايات لدى عتاي^(٣)
يصن مقاتلي دون الاهداب
طلوع النبل من حلل النقاب^(٤)
ورحت بلوعة مثل الشهاب
فسي لعمرك غير ساب

...

يذكرني الشباب جنان عدن
تقي ظلمها نفحات ريح
اذا ماست ذوائها تداعت
يذكرني الشباب وميض برقي
فيا اسفاً ويا جزعاً عليه
ألغع بالشباب ولا اعزى ؟
تفرقنا على كره جميعاً
وكانت ايكتي ليد اجتنا.
على جنبات انهار عذاب
تهز متون اغصان رطاب^(٥)
بواكي الطير فيها بانتحاب
وسجع حمامة وحنين ناب^(٦)
ويا حزنناً الى يوم الحساب
لقد غفل المعزى عن مصابي
ولم يك عن قلى طول اصطحاب
فعدت بعده ليد احتطاب^(٧)

...

ايا بُرد الشباب، لكننت عندي من الحسنات والتيسم الرغاب

(٢١) سقى عهد الشبيبة كل مطر كثير الرعد داني السحاب - ذلك العهد الذي لم آكن اهتم بسواه ولم اشعر فيه بحاجة ما

(٣) يذكرني ايام الشباب عدم اهتمام الغايات اليوم بي

(٤) طلوع النبل الخ اي حسناء تكثر رمي النبال من وراء النقاب

(٥) تقي ظلمها اي تحركه (٦) الناب الناقه

(٧) كنى عن الايكة بالحياة فقال وكانت حياتي مشمرة فاصبحت الان يابسة

بليتَ على الزمان ، وكلُّ بُرد
وعزَّ عليَّ ان تبلى وابقى
لبستك برهة لبس ابتذال
ولو مُلكت صوتك فاعلمنه
ولم ألبسك إلاَّ يوم غفر
عبيد الله قرم بني زريق

الى ان يقول فيه

اظلَّ سحابٌ عُرفك كلَّ شيء
سواي فاني عنه بظهير
تشير اليَّ بالمحروم ايدٍ
تطول بي انتظار الوعد جدًّا

ودرَّ على البلاد بلا عصاب^(٢)
كاني خلف منقطع التراب^(٣)
كايدي الناس في يوم الحِصاب^(٤)
وريب الدهر يؤذن بانشعاب

...

افكَّر في نصابٍ انت منه
الست المرء لا عزمٌ كهامٌ
ففش في غبطة ونعيم بالٍ

ومنها

ولا عجز اصطرافي واصطحابي
وفاتت نبعتي نضخ الذناب^(٥)

وليس لانني سُدت سبيلي
تعالت هضبي عن كلِّ سيلٍ

(١) العياب خزائن الثياب

(٢) بلا عصاب اي غفوا دون ان يُطلب . والعرف المعروف

(٣) لم يصيني غيث معروفك كاني كنت في الطرف الذي ينقطع عنده المطر

(٤) اي يُشير الي الناس بايديهم ويقولون « محروم » من الخظ . وقد شبه كثرة المشيرين اليه بايدي الناس يوم رمي الحجارة بمي (في الحج)

(٥) اقصدك لانه قد سُدت في وجهي سبل الرزق فاني كرم النفس اتعالى عن الاسافل وقد عبر عن ذلك بقوله (تعالت هضبي عن السيول ونبعتي عن رش الدلاء)

فليس ينالني الأملُ مشيلاً
ولو أني قطعت الأرض طولاً
يُطلُّ عليَّ اطلال السحاب
لكان اليك من بعد انقلابي

وقال في ذلك مادماً علي بن المهجيم

شاب رأسي ولات حين مشيب
قد يشيب الفتى وليس عجيباً
وعجيبُ الزمان غيرُ عجيب
ان يرى النور في القضيب الرطيب
سأها ان رأت حبيبا اليها
ضاحك الرأس عن مفارق شيب
فدعته الى الحضاب وقالت
ان دفن المعب غير معيب
خضبت رأسه فبات بتبريح
واضحى فضل في تأنيب
ليس ينفك من ملامة زار
قائل بعد نظرتي مستريب
ضلة لمن وعظته
غير الدهر وهو غير منيب
عاجز واهن القوى يتعاطى
صبغة الله في قناع المشيب (١)
رام اعجاب كل بيضاء خور
بسواد الحضاب ذي التعجب
فتضاحكن هازئات وماذا
يؤنق البيض من سواد جليب (٢)
يا حليف الحضاب لا تخدع النفس
فا انت للصبأ بنسب
فاتخذه على الشباب حداداً
وابك فيه بعبرة ونجيب

...

وفتاة رأت خضائي وقالت
خاضبُ الشيب في بياض مُبين
حين يبدو وفي سواد مرعب
ليس تنقاد عادة لهواه
وهو ينقاد كانقياد الجنيب (٣)
ظلمتني الخطوب حتى كآني
ليس بيني وبينها من حبيب
سلبتي سواد رأسي واكن
عوضتني رياش كل سلب

(١) اي ضعف يتناول الصبغة يستر بها مشيبه مظهرًا اما اللون الطبيعي الذي خلقه الله

(٢) جليب اي مجلوب مصطع (٣) الجنيب ما يقاد من الركاب

عَوَّضْتَنِي اِخَا الْعَالِي عَلِيًّا عَوْضٌ فِيهِ سَاوَةٌ لِلْحَرِيبِ
 يَسْتَعِيثُ الْهَيْفُ مِنْهُ بِمَدْعُوٍّ لَدَى كُلِّ كَرْبَةٍ مُسْتَجِيبِ
 يَتَلَقَّى الْمَدْفَعِينَ عَنِ الْاِبْوَابِ بِالْبَشْرِ مِنْهُ وَالْتَرْحِيبِ
 غَرَبَتْهُ الْخَلَائِقُ الزُّهْرُ فِي النَّاسِ وَمَا اَوْحَشَتْهُ بِالْتغْرِيبِ
 مَا سَعَى وَالسَّعَاةُ لِلْمَجْدِ الْاَسْبَقِ سَبَقَ الْمُحْضَرِينَ بِالْتقْرِيبِ (١)
 مَنْ رَأَاهُ رَأَى شَوَاهِدَ تَغْنِيٍّ عَنِ سَجَاعِ الثَّنَاءِ وَالتَّجْرِيبِ
 لَوْذَعِيٌّ لَهُ فَوَادٌ ذِكِّيٌّ مَا لَهُ فِي ذِكَاثِهِ مِنْ ضَرْبِ
 يَقْظُ فِي الْهَنَاتِ ذُو حَرَكَاتٍ لِسُكُونِ الْقُلُوبِ ذَاتِ الْوَجِيبِ (٢)
 اَلْمَعِيَّ يَرَى بَاوَلٍ ظَنِيٍّ اٰخِرِ الْاَمْرِ مِنْ وِرَاءِ الْمَغِيبِ
 ثَابِتِ الْحَالِ فِي الْاَزَالِ مِنْهَا لِسَوَالِهِ اِنْهِيَالِ الْكَيْثِ
 لَيْنِ عَطْفِهِ فَاِنْ رِيَمٍ مِنْهُ مَكْرُ الْعُودِ كَانَ جِدًّا صَلِيبِ
 احْسَنْتَ وَصَفَهُ مَسَاعِيهِ حَتَّى اَحْمَتَ كُلَّ شَاعِرٍ وَخَطِيبِ
 يَمَّتَّهُ بِنَا الْمَطَايَا فَافْضَتْ مِنْ فِضَاءِ اِلَى فِضَاءِ رَحِيبِ
 بَابِي اَنْتَ مِنْ جَلِيلِ مَهِيْبِ مَطْلَبُ الْعُرْفِ مِنْهُ غَيْرِ مَهِيْبِ
 اعْجَزَ الطَّالِبِيكَ شَاوُؤُ بَعِيدُ لَكَ اِدْرَاكُهُ بِعُرْفِ قَرِيبِ
 هَاكِنَا مَدْحَةٌ تَغْنِيٌّ بِهَا الرُّكْبَانُ مَا اِرْزَمْتَ رَوَائِمُ نَيْبِ (٣)
 نَظَمَ الْفِكْرَ دَرَاهِمًا غَيْرَ مَثْقُوبِ بِي اِذَا الدَّرُ شَيْنٌ بِالْتثَقِيبِ
 يَطْرَبُ السَّامِعِينَ اَيْسَرُ مَا فِيهَا وَاِنْ اُنْشَدْتَ بِلَا تَطْرِيبِ
 مِنْكَ جَاءَتْ اِلَيْكَ يَجِدُو بِهَا الْوَدُ عَلَى رَغْبَةٍ بِلَا تَرْغِيبِ

(١) اي ما سعى هو وواحد الى المجد الا وسبق بتقريبه جريمه السريع

(٢) اي انه لدى الخطوب يقظ تتحرك همته بما يسكن اضطراب القلوب

(٣) اي ما حنت النياق الى اولادها

رثاء ابنه الاوسط

بكاؤكما يشني وان كان لا يجدي
ألا قاتل الله المنايا ورميها
توَّخى حمام الموت اوسط صيبي
على حين رثمت الحُير من لمحاته
طواه الردى غني فاضحى مزاره
لقد انجرت فيه المنايا وعيدها
لقد قلَّ بين المهدي واللحد بُشه
الحَّ عليه الترفُّ حتى احاله
وظلَّ على الايدي تساقط نفسه
فيالك من نفس كساقط انفساً^(٢)

فجودا فقد اودى نظيركما عندي
من القوم حبَّات القلوب على عمد
فله كيف اختار واسطة العقد ا
وانست من افعاله آية الرشد
بعيداً على قرب قريباً على بعد
واخلفت الآمال ما كان من وعد
فلم ينس عهد المهدي اذ ضمَّ في اللحد^(١)
الى صفرة الجادي عن حمرة الورد^(٢)
ويذوي كما يذوي القضيبي من الرند
تساقط در من نظام بلا عقد

...

عجبت قلبي كيف لم ينفطر له
وما سرَّني ان بعته بثوابه
ولا بعته طوعاً ، ولكن عُصبته

ولو أنه اقسى من الحجر الصلِّد
ولو أنه التخليد في جنة الخلد
وليس على ظلم الحوادث من مُعد

...

واني وان مُثِّعت بابني بعده
واولادنا مثل الجوارح^(٥) ، أيها
لكلِّ مكان لا يسدُّ اختلاله
هل العين بعد السمع تكفي مكانه

لذاكره ما حنَّت النيب في نجد^(٤)
فقدناه كان الفاجع اليبَّ الفقْد
مكانُ اخيه من جَزوعٍ ولا جلد
ام السمع بعد العين يهدي كما تهدي

(١) اي انه مات صغيراً

(٢) كثر عليه ترف الدم حتى احال لونه الوردي الى اصفرار الزعفران

(٣) فيالك من نفس تذوي فتذوي معها نفوس كثيرة

(٤) النيب النياق . اي وان كان لي باخوته سلوة فاني ساذكره دائماً وساتوجع لذكراه

(٥) الجوارح اعضاء الجسم

لعمري لقد حالت بي الحال بعده فيا ليت شعري كيف حالت به بعدي
تكلتُ سروري كله اذ تكلته واصبحت في لذات عيشي أخا زهد

...

أريحانة العينين والانف والحشا الاليت شعري هل تغيّرت عن عهدي؟
سأسقيك ماء العين ما اسعدت به وان كانت السقيا من الدمع لا تجدي
أعيني جودا لي ، فقد جدت للثرى بانفس مما تُسألان من الرفض^(١)
كأنني ما استمتعت منك بضمة ولا تسمّة في ملعب لك او مهد
ألام لما ابدي عليك من الاسى واني لأخني منك اضعاف ما أبدي

...

محمدُ ما شيء تُؤهم سلوة لقلبي ، الا زاد قلبي من الوجد^(٢)
أرى اخويك الباقيين كليهما يكونان للاحزان اورى من الزند
اذا لعبا في ملعب لك لذعا فؤادي بمثل النار عن غير ما قصد
فا فيها لي سلوة بل حرارة يهيجانها دوني واشقى بها وحدي
وانت وان أفردت في دار وحشة فاني بدار الانس في وحشة الفرد
عليك سلام الله مني تحية ومن كل غيث صادق البرق والرعد

رثاء ابي الحسين مجبي بن عمر العلوي^(٢)

امامك فانظر اي نهجيك تنهج طريقان شتى ، مستقيم واعوج
ألا أيهدا الناس طال ضريركم بآل رسول الله فاحشوا او ارتجوا

(١) الرفض العطاء

(٢) في هذه الايات وما بعدها يقول يا محمد ما من شيء يحسونه سلوة الا وبزيدني حزناً على حزن . انظر الى اخويك الباقيين فاذكرك في كل حركة من حركاتها ويشند لذلك اضطرام الاسى في نفسي فانت وان كنت وحيداً في القبر فاني بين الناس وحيداً بالآمي

(٣) وهو حفيد حفيد الامام علي وكان قد قام على العباسيين فقتلوه وفي هذه النصيدة يظهر تشيع الشاعر لآل البيت

أكلَّ أوانٍ للنبيِّ محمدٍ قتيلٍ زكيٍّ بالدماءِ مضرِّجٍ (١)

...

بني المصطفى كم يأكل الناس سلوكم
 أما فيهم راعٍ لخلق نبيته ؟
 أبعد المكثي بالחסين شهيدكم
 لنا وعلينا ، لا عليه ولا له
 وكنا زجيه لكشف عماية
 لبواكم - عما قليل - مفرِّج
 ولا خائفٌ من ربه يتخرج
 تضيء مصابيح السماء قسرج (٢)
 تمسح اسراب الدموع وتنسج
 بامثاله امثالها تبليج

...

أبجي العلي لمني لذكراك لهفة
 لمن تستجد الأرض بعدك زينة
 سلام وريحان وروح ورحمة
 ولا برح القاع الذي انت جاره
 ويا أسني الأ تردَّ تحية
 الا انما ناح الحانم بعدما
 اذمُّ اليك العين أن دموعها
 واحدها - لو كففت من غروبها
 أمتعني عيني عليك بدمعة
 عفاء على دار ظعنن لغيرها
 يباشر مكواها الفؤاد فينضح
 فتصح في اثوابها تتبرج (٣)
 عليك ، وممدود من الظل سجع (٤)
 يرفُّ عليه الاخوان المفلج (٥)
 سوى أريج من طيب رسمك يارج
 ثويت ، وكانت قبل ذلك تهزج
 تداعي بنار الحزن ، حين توهج
 عليك ، وخأت لاعج الحزن يلعب
 وانت لاذيال الروامس مدرج
 فليس بها للصالحين معرج

...

الا ايها المستبشرون بيومه
 اكلكم امسى اطماناً مهاده
 اظلت عليكم غمة لا تفرج
 بان رسول الله في القبر مزعج ا

(١) اشارة الى ان القتل من بيت الرسول

(٢) ترحم تحسن طلعتها

(٣) سجع اي لا حرج فيه ولا قر

(٤) اي لا برح مدفته يتألق عليه الاخوان

كأني به كالليث يحمي عرينه
كأني به كدأب علي في المواطن قبله
كأني أراه - والرماح تنوشه
كأني أراه إذ هوى عن جواده
فجذب به جسما إلى الأرض إذ هوى
تأنت لكم فيه مني سوء هينة
تمهدون في طغيانكم وضلالكم
اجنوا بني العباس من شناتكم
وخلو ولاية سوء منكم وغيرهم
نظار لكم أن يرجع الحق راجع

واشباله لا يزدنيه المهجع (١)
إني حسن والغصن من حيث يخرج (٢)
شوارع كالاشطان تدلى وتخلج (٣)
وعنبر بالترب الجبين المشجع
وحب بها روحاً إلى الله تعرج
وذلك لكم بالغي أغرى وأهيج
ويستدرج المعرور منكم فيدرج
وأوكوا على ما في العياب وأشرجوا (٤)
فاحرهم أن يفرقوا حيث ليجوا
إلى أهله يوماً فتشجوا كما شجوا

بني مصعب (٥) ! ما للنبي وأهله
وإني على الإسلام منكم لخائف
وفي الخزم أن يستدرك الناس أمركم
لعل قلوباً قد أظلم غليلها

عدو، سواكم أفصحوا، أو فاجلجوا
يوثق شتى، بايها الآن مرتج
وجلبهم مستحكم العقد دمج
ستظفر منكم بالشفاء فتشج

البصرة وما حل بها يوم دخلها الزنج

وذلك ٢٥٧ هـ (٦)

ذاد عن مقلتي للبيذ المنام
شغلها عنه بالدموع السجام
أي نوم من بعد ما حلَّ بالبصرة، ما حلَّ من هنأت عظام

(١) كأني به في ساحة الحرب كالليث لا يستخفه زجر زاجر

(٢) أي هو في شجاعته كجده الإمام علي

(٣) تنوشه تطلبه والاشطان الخيال . وتدلى وتخلج أن تمد وتحرك أو ترسل وتجذب

(٤) استروا يا بني العباس بفضلكم وشدوا على ما في داخلكم من الحق

(٥) بنو مصعب من رجال العباسيين

(٦) نشبت هذه الثورة بزعامة علي بن محمد أحد المدعين للنسب العلوي وكان قيامه في أيام

المكتفي. فنفاقم امره واكتسح البصرة وما إليها ولم يتمكن العباسيون أن يخضعوه إلا بعد مشقة طويلة

اي نوم من بعد ما انتهك الزنج جهاراً محارم الاسلام
ان هذا من الامور لامر كاد ان لا يقوم في الاوهام

...

هف نفسي عليك ايها البه
هف نفسي عليك يا قبة الاله
هف نفسي عليك يا فرضة البلد
هف نفسي لجمعك المتفاني
هرة ، هفأ كمثل لهب الضرام
لام ، هفأ يطول منه غرامي
دان ، هفأ يبقى على الاعوام
هف نفسي لعزك المستضام

...

بين اهلها باحسن حال
دخلوها كأنهم قطع الاله
اي هول رأوا بهم ، اي هول
اذ رموهم بنارهم من يمين
كم اغصوا من شارب بشراب
صبحوهم فكابد القوم منهم
ما تذكرت ما اتى الزنج الا
اذ رماهم عبيدهم باصطلام
ل اذا راح مدلمم الظلام
حق منه يشيب رأس الغلام
وشمال - من خلفهم وامام
كم اغصوا من طاعم بطعام
طول يوم كأنه الف عام
أضرم القلب ايأ اضرام

...

عرجا صاحبي بالبصرة الزه
فأسألاها - ولا جواب لديها
ابن ضوضاء ذلك الخلق فيها
ابن فلك فيها ، وفلك اليها ،
ابن تلك القصور والدور فيها
بُدت تلكم القصور تلالاً
وخلت من حولها ، فهي قفر ،
راء تعريج مدنف ذي سقام
لسؤال - ومن لها بالكلام ؟
ابن اسواقها ذوات الزحام ؟
منشآت في البحر كالاعلام ؟ (١)
ابن ذاك البنيان ذو الاحكام
من رماد ومن تراب ركام
لا ترى العين بين تلك الاكام

(١) اشارة الى اخا كانت فرضة عظيمة

غير أيد وارجل بائنات
 ووجوده قد رملتها دماء
 وطئت بالهوان والذل قسراً
 فتراها ، كسفي الرياح عليها
 خاشعات ، كأنها باكيات
 نبذت بينهنّ افلاق هام
 بأبي تكلم الوجوه الدوامي
 بعد طول التبجيل والاعظام
 جاريات بهوة وقمام
 باديات الثغور ، لا لابتسام

...

أي خطب ، واي رزه جليل
 واحيائي منهم - اذا ما التقينا
 اي عذر لنا ، واي جواب
 « يا عبادي ؟ اما غضبتم لوجهي
 اخذتم إخوانكم ، وقعدتم
 نالنا في اولئك الاعلام
 وهم ، عند حاكم الحكام (١)
 حين ندعى على رؤوس الانام
 ذي الجلال العظيم والاكرام
 عنهم - ويحكم - قعود اللثام » (٢)

...

بأبي تلکم العظام عظاما
 وعليها من المليك صلاة
 انفروا ايها الكرام خفافا
 أبرموا امرهم ، واتم نيام ،
 صدقوا ظن أخوة أمالكم
 ادركوا ثأرهم ، فذاك لديهم
 لم تقرؤا العيون منهم بنصر
 انقدوا سنيهم - وقل لهم ذا
 عارهم لازم لكم ، ايها النا
 ان قعدتم عن اللعين فانتم
 وسقتها السماء صوب الغمام
 وسلام موكد بسلام
 وثقالا الى العبيد الطغام
 سوءة سوءة لنوم النيام (٢)
 ورجوم لنوبة الايام
 مثل ردّ الارواح في الاجسام
 فاقروا عيونهم بانتقام
 ك - حفاظاً ورعية للذمام
 س لان الاديان كالارحام
 شركاء اللعين في الآثام

(١) اي يوم الحساب امام الله

(٢) هذا البيت وما قبله خطاب من الله للمسلمين ثم يعود الشاعر في كل الايات التالية يبرضهم

على مساعدة اهل البصرة والانتقام لهم من عدوهم

(٣) قضاوا امرهم واتم في غفلة عنهم

بأدوه قبل الروية بالعز م ، وقبل الاسراج بالاجام
لا تطياوا المقام عن جنة الخلد ، فانتم في غير دار مقام
فاشتروا الباقيات بالعرض الادنى ، ويبعوا انقطاعه بالدوام

عنايه لادبي القاسم النوزي الشطر نجي

يا اخي اين ربيعُ ذاك اللقاء ؟ أين ما كان بيننا من صفاء ؟
اين مصداق شاهدٍ كان يركي أنك المخلص الصحيح الاخاء ؟
كشفت منك حاجتي هتواتِ عُطيت برهة بحسن اللقاء
تركتني - ولم اكن سبى الظن - أسيء الظنون بالأصدقاء. (١)

...

يا أخي ! هبك لم تهب لي من سع يك حظاً كسائر البخلاء
أفلا كان منك ردٌ جميل فيه للنفس راحة من عناء ؟
يا أبا القاسم الذي كنت ارجو ه لدهري قطعت متن الرجاء
لا اجازيك من غرورك اياً ي غرورا - وقيت سوء الجزاء
أنت عيني وليس من حق عيني غصُّ أجفانها على الاقضاء
ما بأمثال ما أتيت من الام ر يحلُّ الفتى ذرى العليا
لا ، ولا يكسب المحامد في النا س ولا يشتري جميل الثناء
ليس من حلٍّ بالمحل الذي از ت به من سماحة ووفاء
بذل الوعد للأخلاء سماحا واني بعد ذلك بذل العناء
فقدنا كالخلاف (٢) يورق للعي ن ويابي الإثمار كل الاباء
ليس يرضى الصديق منك ببشرٍ تحت مخبئه دفين جفاء

...

(١) اي ان حاجتي اليك كشفت لي فيك عن سينات جعلتني بعدد اسيء الظن بالأصدقاء.

(٢) نوع من شجر الصنفاص

يا أخي ! يا اخا المائة والرقة والظرف والحجا والدهاء
 ربنا هالتي وحيّر عقلي اخذك اللابسين بالباساء
 عن تدابيرك اللطاف اللواتي هن اخني من مستير الهباء
 بل من السرّ في ضمير محبّ ادبته عقوبة الافشاء
 غلط الناس لست تلعب بالشط رنج لكن بانفس العباء
 لك مكر يدب في القوم اخني من ديبب الغذاء في الاعضاء
 او مسير القضاء في ظلم الغي ب الى من يريد بالتواء
 او سُرى الشيب تحت ليل شباب مستحير في لمة سمطاء
 دب فيها لها ومنها اليها فاكتست لون رمة شطاء

...

ضلة لامرى. يشتر في الجم ع لعيش مشتمر للفتاء
 دائبا يكثر القناطير للوا رث ، والعمر دائب في انقضاء
 يحسب الحظّ كله في يديه وهو منه على مدى الجزاء
 ليس في أجل النعم له حظّ ، وماذاق عاجل النعماء
 ذلك الخائب الشقي ، وإن كان ن يرى انه من السعداء
 حسب ذي إربة ورأي جلبي نظرت عينه بلا غلواء
 صحة الدين والجوارح والعبر ض وإحراز مسكة الحوباء (١)

....

يا ابا القاسم الذي ليس يخني عنه مكنون خطّة عوصاء
 اترى كل ما ذكرتُ جلياً وسواه من غامض الانحاء
 ثم يخفي عليك اني صديق ربنا عزّ مثله بالغلواء ؟
 لا لعمر الاله ! لكن تعاشيت بصيراً في ليلة قراء
 بل تعاميت ، غير اعمى عن الحق نهاراً في ضحوة غراء
 ظالماً لي مع الزمان الذي ابتزّ حقوق الكرام للؤماء

(١) ان يجرز ما يحفظ النفس

ثقلت حاجتي عليك فاضحت وهي عبء من فادح الأعباء

...

ظلمت حاجتي فلاذت بجقويك فأسلمتها لكف القضاء (١)
وقضاء الاله احوط لنا س من الأمهات والآباء
غير ان اليقين اضحى مريضاً مريضاً باطنا شديد الخفاء

...

كنت مستوحشا فظهرت نجسا زادني وحشة من الخلطاء (٢)
وعزير علي عضيك باللو م ، ولكن أصبت صدري بداء
انت أدويت صدر خلك فاعذر ه على النفث ، انه كالدواء (٣)
ان تكن لفحة اصابتك من عد لي ، فعماً قدحت في الاحشاء
والذي اطلق اللسان فعاتبه تك عديك أول الفهماء (٤)
لم أخف منك غلطة حين عاتبه تك تدعو العتاب باسم الهجاء
وانا المرء لا أسوم عتاي صاحباً غير صفوة الاصفياء
ذا الحجا منهم وذا الحلم والعل م - وجهل ملامة الجملاء
ان من لام جاهلا لطيب يتعاطى علاج داء عياء
لست بمن يظل يربع باللو م على منزل خلاء قوا

في وعبد المغنبة

وكان الشاعر يستحسنها ويستحسن غناءها

يا خليلي ا تيممتي وحيد ففؤادي بها معني عميد
غادة زانها من العصن قد ومن الظبي مقلتان وعيد

(١) ظلمت حاجتي فتعلقت بك ولكنك نبذتني وتركتها للقضاء

(٢) كنت انا مستوحشاً من الناس فظهرت لي من نجس حقي ما زادني نفوراً منهم

(٣) ادويت اي امرضت (٤) والذي اطلق لساني بعتابك اني اعدك افهم الفهماء

وزهاها من فرعها ومن الحدّ
فهي بردٌ بجدها وسلامٌ
مالما تصطليه من وجنتيها
مثل ذلك الرضاب أطفأ ذلك الـ
وغريرٌ بجسنها قال : صفها
يسهلُ القول انها احسن الاشـ
تجلى للناظرين اليها
ظيمة تسكن القلوب وترعا
تتغنى ، كأنها لا تغني
لا تراها - هناك - تجحظ عينٌ
من هدوءٍ وليس فيه انقطاع
مدّ في شأوصوتها نفسٌ كا
وارقٌ الدلالُ والفتجُ منه
فتراه بيوت طوراً ويحيا
فيه وشيٌ ، وفيه حليٌ من النغـ
في هوى مثلها يخفُ حليمٌ
ما تعاطى القلوب الا اصابت
وترُ العزفِ في يديها مُضاهٍ
عيها أنما - اذا غنت الاحـ
واستزادت قلوبهم من هواها

وحسان عرضن لي ، قلت : مهلا
حسنها في العيون حسن جديد

عن وحيدٍ ، فحقها التوحيد
فلها في القلوب حب جديد

(١) ان مثل ذلك الرضاب يطفىء نار الوجد لولا المنع . والتصريد التقليل

(٢) الغرير المغرور (٣) لا تراها تتكلف وتجهد نفسها حتى تجحظ عينها وتقلب . اوردنا

خُلقت فتنةً ، رِغناءً وحسناً ما لها فيهما جميعاً نديداً
 فهي نعي ، يبيد منها كبير وهي بلوى ، يشيب منها وليداً
 لي - حيث انصرفت منها - رفيق من هواها وحيث حأت قعيد
 عن يميني ، وعن شمالي ، وقدأ مي ، وخليتي ، فأين عنه أحيداً ؟

بعض مقطعاته الحكيمه

في الناس

عدوك من صديقك مستفاد فلا تستكثرنَّ من الصحاب
 فان الداء اكثُر ما تراه يحول من الطعام او الشراب
 اذا انقلب الصديق غداً عدواً مُبيناً ، والامور الى انقلاب
 ولو كان الكثير يَطيب كانت مصاحبة الكثير من الصواب
 ولكن قلماً استكثرت الا سقطت على ذئاب في ثياب
 فدع عنك الكثير فكم كثير يُعاف وكم قليل مستطاب
 وما للجاج البلاح بمرويات وتلقى الري في النطف العذاب^(١)

٣

في الجاه

انَّ السعيد لمدرِكْ دَرَكا واخو الشقاوة فهو في الدرَكْ
 واشرُّ بين الناس مشرِكْ واخير فيهم غير مشرِكْ
 والى الخمود مال ذي لُهب والى السكون محار ذي حركْ
 وغدا الرجال - على مكانتهم - يتبادرون مطارح السَّبِكْ
 والعين تبصر اين حَبَّتْها لكنها تعمي عن الشَّرِكْ

(١) ان لجج البحر مع كثرتها لا تروي وتلقى الري في القليل من المياه العذبة

٣

في نفع السرائر

عرفتُ مقادير الرجال بنكبة
كفاني لعصري ايها الناس خبرتي
ألا طال ما حملت قلبي ظالماً
فقد حطَّها عني الاله بمحنة
أفدتُ بها غناً وانُعدَّ مغرماً
بكم بعد جهلي واغتراري مغناً
تكاليف من إعظام من ليس مُعظماً
اراني بها رشدي، وما زال منعماً

٤

في قصر العمر

دهر يشيعُ سبتهُ احدُهُ
والحال من سعد يساعدا
يوم يبكيننا ، وآونةُ
نبيكي على زمنٍ ومن زمنٍ
وزي مكارهنا مخلدةُ ،
أفلا سليل الى تبجبحنا
سكرى شباب لا يعاقبهُ
لا خير في عيش تُخوِّنا
يُعطي الفتى الايام ينقها
متتابعُ ، ما ينقضي امدُهُ
طوراً ، ونحس معقبه نكده
يوم يبكيننا عليه غده
فبكاؤنا موصولةُ مُددهُ
والعمرُ يذهب فانياً عددهُ
في سرمدٍ لا ينقضي أبده
هرمُ ، وعيش دائم رَغده
اوقاته وتغولنا مُدده
وقصاصها ان يُقتوى جادهُ

٥

الفناغمة بالصوم

إذا ما كساك الله سربال صحته
فلا تعبطن المترفين فانهم
ولم تخلُ من قوتٍ يحل ويغرب
على حسب ما يكسوهم الدهر يسلب

٦

أما المرء بنفسه

وما الحسب الموروث لا درّ درّه
 اذالعود لم يُشمر - وان كان شعبة
 وانت لعمرى شعبة من ذوي العلاء
 وللمجد قوم ساوروه بانفس
 فلا تتكل الا على ما فعلته
 فليس يسود المرء الا بنفسه
 بمحتسب الا بأخ مكتسب
 من المشرات اعتدّه الناس في الخطب (١)
 فلا ترض ان تُعتدّ من اوضع الشعب
 كرام ولم يرضوا بأمّ ولا بأب
 ولا تحسبنّ المجد يورث بالنسب
 وان عدّ آباء كراماً ذوي حسب

٧

حب الوطن

وحبّ اوطان الرجال اليهم
 اذا ذكروا اوطانهم ذكّرتهم
 ما ربّ قضاها الشباب هنالكما
 عهد الصبي فيها خفوا لذلكما



(١) اذا الغنص لم يشمر عده الناس خطباً ولو كان اصله من شجرة مشمرة

المتني

ابو الطيب احمد بن حسين

٣٠٣ - ٥٣٥٤

٩١٦ م - ٩٦٦ م

مصادر دراسته - نشأته - في حلقة سيف الدولة - في بلاط مصر - بين العراق

وبلاد فارس - مزايه الخلقية - عصيته - شهرته الادبية

شخصيته في شعره - اطواره في شعره

مصادر دراسته

- الوساطة للجرجاني
 الفهرست (ليدن) ١٦٩
 يتيمة الدهر للشعالي ج ١ ص ٧٨ - ١٦٤
 العمدة لابن رشيقي ج ١ ص ٨٧ - ١٣٣ - ١٩٤ ومواقع شتى
 نزهة الالباء للانباري ٣٦٦
 وفيات الاعيان ١ - ٦٢ والرسالة الحاتمية فيه (في سيرة الحاتمي)
 مفتاح السعادة (لطاش كبري زاده) طبع الهند ج ١ ص ١٩٢
 الصبح المنبي للبديعي الدمشقي على هامش شرح العكبري
 خزانة الادب للبغدادي (بولات) ص ٣٨٢ - ٣٨٩
 ومن الشروح شرح الواحدي والعكبري واليازجي

ومما كتب فيه حديثاً

- رسالة ابراهيم اليازجي في ذيل شرحه للمتنبي
 ابو الطيب المتنبي لمحمد كمال حلبي
 حصاد الهشيم للمازني ١٨٤ - ٢٢٧
 المتنبي لشفيق جبري مجلة المجمع العلمي مج ١٠ ج ٥ - ١٢
 الانس المقيد ٣٣٠ - ٣٦٣
 المقتطف ١٧ - ٣٦١
 العدد الخاص بيوبيله الاتني من مجلات المقتطف ، والهلال ، والحديث ، والعصبة
 غير ما كتب في كتب التاريخ او دوائر المعارف لكتاب عرب ومستشرقين

نشأته الاولى

لم يكبد ينتصف القرن الرابع الهجري حتى كانت الدولة العباسية تتنازعها عوامل الانحلال . فكانت دار الخلافة بغداد بين مولد المتنبي ووفاته ، اي ايام المقتدر والقاهر والراضي والمتقي والمستكني والمطيع تحت نفوذ بني بويه اصحاب السيادة في فارس ، وكانت حلب والموصل وما اليهما في يد بني حمدان - ومصر واكثر الشام والحجاز في يد بني طنج ، وسائر الاقطار لغيرهم من الامراء المستقلين . ولم يبق للخلافة من رونق ، وكثر الادعاء والثائرون حتى عمت الفوضى السياسية . بين هذه الاضطرابات السياسية والقومية نشأ شاعرنا ، وكان مولده في مدينة الكوفة بالعراق ، وفيها نشأ نشأته الاولى . وكان يتردد بين البادية والحضر^(١) ، فاكسب من الاولى صلابتها وتزعتها البدوية ومن الثانية علومها وثقافتها الادبية . ولا نعلم عن صباه كثيراً ، ولكن الثعالبي الذي ولد قبل وفاة المتنبي باربعة سنوات والذي دون في كتابه الشهير «يتيمة الدهر» اخبار شعراء عصره ومن تقدمهم قليلاً ذكر ان اياه سلمه الى المكاتب ورده في في القبائل ، وانه توفي وقد ترعرع ابو الطيب وشعر وبرع^(٢) . ونقل البغدادي عن ابى القاسم الاصفهاني انه كان يختلف الى كتاب فيه اولاد اشرف الكوفة فكان يتعلم دروس العلوية لغةً وشعراً واعراباً الخ^(٣) . ويذكر البديعي الدمشقي في الصبح المنبي انه تعلم القراءة والكتابة وانه اخذ اكثر علمه من ملازمة الوراقين^(٤) (باعة الكتب) . وفي مقدمة شرح اليازجي للديوان انه لقي كثيرين من اكابر علماء الادب منهم الزجاج وابن السراج والافخش وابن دريد وابو علي الفارسي وغيرهم ، وتخرج عليهم فخرج نادرة الزمان في صناعة الشعر . فيستدل من هذا ان شاعرنا تعلم القراءة في المكاتب على عادة الصبيان ، وكان ذكياً محباً للاستزادة فللازم الوراقين يطالع دفاترهم وحضر حلقات العلماء في زمانه

وهناك امر آخر نعلم عن صباه ، وهو تردده الى بادية السماوة واقامته زمناً بين

(١) البيهقي ج ١ - ٧٨

(٢) " " ٧٩ - ٣٨٢

(٣) خزانه الادب ١ - ٣٨٢

(٤) الصبح المنبي على هامش العكبري ١ - ٦

اعرابها . ويستنتج من مختلف الروايات ان تردده كان اولاً الى بادية الكوفة ، ثم انتقل وهو حوالى السابعة عشرة من عمره الى بلاد الشام . وفي هذا الطور من حياته شي . من الغموض اذ لا تراه مستقراً في مكان خاص ، فتارة في المدن ، وطوراً بين قبائل البادية ، يدح بعضاً من ذوي النفوذ ، ولكنه لا يجد في مدحهم ما يروى ظمناً نفسه الزأعه الى العلى .

وهكذا يعبر له الدهر فيشب نافعاً ثائراً ، ويتاح له ان يتصل في البادية بقبائل بني كلب ، ويدرك نزعاتهم الى التمرد ، فيتمكن ببلاغته وحماسة الشباب فيه من تحريكهم تحريكاً يلفت نظر الحكام ، فيقبض عليه بامر والي حمص ويلقى في السجن وهو في نحو التاسعة عشرة ولم تتحقق كم بقي فيه تماماً ، ولكننا نستنتج انه بقي مدة غير يسيرة (نحو ستين) . وكان اول دخوله السجن يظهر الاستخفاف باهواله — ومن اقواله في ذلك الحين ابيات كتبها الى صديق له يدعى ابا دلف كان يتعهدده وهو في السجن ^(١)

كن ايها السجن كيف شئت فقد وطّنت للموت نفس معترف
لو كان سكناي فيك منقصةً لم يكن الدرّ ساكن الصدف

على انه لقي في السجن عذاباً شديداً ، فقد وضعوا القيود في رجليه وعنقه ^(٢) . ولما طال اعتقاله نفذ صبره فارسل الى والي قسيمة يستعطفه ويعتذر اليه بصغر سنه قال منها —

امالك رقيّ ومن شأنه	هبات اللّجين وعتق العبيد
دعوتك عند انقطاع الرجاء	والموت مني كجبل الوريد
دعوتك لما براني بالبلاء	واوهن رجليّ ثقل الحديد
وقد كان مشيها في النعال	فقد صار مشيها في القيود
تُعجل فيّ وجوب الحدود	وحديّ قبل وجوب السجود
وقيل عدوت على العالمين	بين ولادي وبين العقود
فالك تقبل زور الكلام	وقدر الشهادة قدر الشهود

وهذه الايات نقشات رجل متضايق نفذ صبره وخاف مقبة الامر . ثم راح يستثير عواطف والي ورحمته فقال

(٢) هاشم المكبري ١-٣٩

(١) شرح الواحدي (برلين) ٨٠

بيدي ايها الامير الاربُّ لا شيء الا لاني غريب
او لامر لها اذا ذكرتني دم قلب بدمع عين يدوب
ان اكن قبل ان رايتك اخطأت فاني على يدك اتوب

قال ابن خلكان ثم استتابه الوالي واطلقه^(١). ولكن من اي شيء استتابه ؟ هنا تتضارب آراء المؤرخين . فابن خلكان يجعل ادعاءه النبوة سبب سجنه وقد تبعه في ذلك كثيرون ، وهو قول يحتمل الشك ، فان بين معاصري ابن خلكان او من تقدمهم من يزعم غير ذلك بدليل قوله « وقيل غير ذلك »^(٢) . اما الثعالبي فجعل السبب انه دعا الى بيعته قوماً من رائي نبله ولما ذكر النبوة قال : ويحكى انه تنبأ في صباه وفتن شرذمة بقوة ادبه وحسن كلامه^(٣) . وفي كلام الثعالبي إشعار بالشك في الحكاية ، وقد نقل تعريفاً لهذا الشك ما رواه ابن جني تلميذ المتنبي وشارح ديوانه اذ قال سمعت ابا الطيب يقول انما لُغبت بالمتنبي لقولي^(٤)

انا ترب الندى ورب القوافي وسمام العدى وغيظ الحسود
انا في امة تداركها الله غريب كصالح في ثوب

وعن العمدة^(٥) ، زعم ابو محمد عبد الكريم بن ابراهيم النهشي ان ابا الطيب ستي متنياً لفظنته

ويتناول البديعي صاحب الصبح المنبي المتوفى ١٠٧٣ هـ ، اي بعد المتنبي باكثر من سبعة قرون ، هذه المسألة وينقل لنا بعض حكايات عن نبوته لا يسع المتأمل الا ان يتردد في قبولها على علاتها ، اولاً لتراخي المدة بينه وبين الشاعر ، وثانياً لما فيها من الاضطراب ، وثالثاً لانه ليس في ما ذكره معاصروه ما يشبهها . والذي يصح ان نستنتج عليه من الروايات المختلفة ان المتنبي وهو في اوائل شبابه ظهر في البادية على راس فئة من الاعراب نالقة على

(١) وفيات الاعيان ١-٦٤

(٢) " " " " (٣)

(٣) البيتية ١-٨٠

(٤) البيتية ١-٨٠ وشرح المكبري ٢٠١ ج ١

(٥) العمدة ١-٦٥

اولي الامر^(١)، وانه كان بفظنته وفصاحته يستهويهم الى غاياته من حب الظهور والرئاسة .
ولكن امره لم يتم فالتى القبض عليه وادع السجن ثم خرج منه ، وما عم ان لصق به لقب
المتنبي^(٢).

بعد السجن الى اتصاله بسيف الدولة (٣٢٣ - ٣٣٧)

ولما اطلق سراحه اخذ يجول في اقطار البلاد الشامية مادحاً اعيانها . بقي على هذه
الحال بضع سنوات^(٣)، حتى اتصل سنة ٣٢٨ بالامير العربي بدر بن عمّار وكان يتولى الجيش
في طبريا ، فازمه ومدحه ، وقد رأى فيه ضالته المنشودة من كرم ورجولة ومجد قومي .
ولكن اتصاله به لم يطل^(٤)، فقد دخلت بينها مكاييد الحساد والمناوئين حتى اضطر الى
تركه والرجوع الى ما كان عليه من التنقل في الاقطار . وله في هذه المدة من الشعر ما
يكاد يبلغ نصف ديوانه واهم ممدوحيه فيها -

بدر بن عمار ٦ قصائد . آل اسحق التنوخي ٧ . ابنا يميني البحتري ٣ عبدالله بن
خلكان ٢ . شجاع الطائي ٢ . مساور الرومي ٢ . المغيث العجلي ٢ . علي بن محمد التميمي ٢
الامير محمد بن طغج وابو العشائر الحمداني ٦ . ونحو ٢٥ ممدوحاً قصيدة قصيدة

وشعره في بعض هؤلاء من الطبقة الاولى - كقصائده التالية

في الخلد ان عزم الخليط رحيلاً

بقائي شاء ليس هم ارتحالاً

(١) راجع الواحدى ٨٣ وتعليقه على عمره واجتماع العصاة اليه

(٢) نلفت النظر هنا الى راي المستشرق بلاشير الذي يرى ان اولي الامر توهموا ان لقيامه في

بني كلب علاقة بجماعة القرامطة (راجع دائرة المعارف الاسلامية - تحت المتنبي

وتحقيق الاستاذ محمود شاكر اخذاً برواية الانباري ٣٦٩ ان المتنبي لم يدع النبوة بل ادعى النسب

العلوي وانه لاجل ذلك حبس ثم استتيب (المقتطف مج ٨٨ ج ١ ص ٤٩)

(٣) زار في اثنائها الكوفة وبقي فيها مدة بقرب جدته

(٤) لعله لم يكن اكثر من سنتين الى ثلاث

لا اقتنار الامن لا يضام
 افاض الناس اغراض لذا الزمن
 لك يا منازل في القلوب منازل
 اطاعن خيلاً من فوارسها الدهر
 بائي الشمس الجانحات غواربا

وغير ذلك من القصائد العامرة التي يرددها الخاص والعام في كل مكان

على انه لم ينل في هذه السنوات ما يستحق الذكر . وما زال هذا دابه ينتقل من مكان الى آخر حتى القته المقادير الى انطاكية، وكان فيها ابو العشائر الحمداني والياً من قبل سيف الدولة ، فمدحه المتنبي . ولحسن حظه قدم انطاكية في تلك الاثناء سيف الدولة ، فقدم ابو العشائر المتنبي اليه واتى عليه ، وكان ذلك بدء اتصاله بهذا الامير الشهير ، وبدء سعادته من جاه ومال وفير

في هلف سيف الدولة (٣٣٧ - ٣٤٦)

كانت حلب ايام المتنبي عاصمة لامارة عربية تشمل الجزيرة وشمال سوريا ، اميرها علي بن حمدان الملقب بسيف الدولة . وقد اشتهر هذا الامير بجهاده في محاربة الروم حتى بلغت غزواته نحو اربعين (١) . وكانت ساحة جهاده منطقة الثغور - اي المدن والحصون الواقعة على حدود الروم (الاناضول) ، ومنها انطاكية وزبطره وملطيه والحدث وخرشنة ومرعش وغيرها ، مما يرد ذكره كثيراً في شعر المتنبي . ولم يكن سيف الدولة موفقاً في كل غزواته الرومية ، ولكنه احرز في تاريخ العرب مجد المجاهد الكبير . والذي يلفت النظر تنازع امراء المسلمين انفسهم يومئذ وتناحروهم على السيادة - فبنو حمدان في حلب ، وامراء مصر الاخشيديية ، وبنو بويه في بغداد كانوا في نزاع مستمر وعداوة مستحكمة . وقد تمكن سيف الدولة بسخائه وعطفه على الادب ، ولكون امارته موئل الروح العربية في ذلك

(١) البيهقي ١-١٧

العصر ، ، ان يجمع حوله حلقة من كبار الادباء والعلماء ممن كان يميز لهم العطايا ، فخلدوا اسمه في سماء الادب . ومن هؤلاء ابن عمه ابو فراس ، ومعلمه ابن خالويه ، وابو الفرج البيهقي ، وابو عبدالله الخليل ، والوأيو دمشقي ، وابو بكر وابو عثمان الخالديان ، وابو الطيب اللغوي ، والسري الرفاء ، وابو علي الفارسي ، وابن نباتة ، ثم ابو الطيب المتنبي ، والصنوبري ، والفارابي ، والاصفهاني صاحب الاغاني وامثالهم .

ولما اتصل به شاعرنا نال الحظوة عنده والرعاية الخاصة : جاء في الصبح المتنبي ان سيف الدولة قرّبه واجازه الجوائز السنية ، ومالت نفسه اليه واجبه ، فسلمه للرواح فعلموه الفروسية والطراد والمثاقفة^(١) . وقد صحب المتنبي اميره في بعض غزواته واطهر من الفروسية والشجاعة ما يذكر له : رووا انه في احدى تلك الغزوات تراجع الجيش ولم يثبت غير سيف الدولة وستة رجال احدهم المتنبي^(٢) . وقد يشك في هذه الرواية ولكن مما لا شك فيه ان شعره يفيض بروح الشجاعة والاقدام ، ولا نرى في حياته ما يناقض ذلك .

...

دخل المتنبي حلقة سيف الدولة ، وفيها من ذكرنا من كبار الشعراء والادباء ، فعضم على البعض منهم ان ينال ما ناله من الامير ، وزاد غيرتهم منه وكههم له ما في نفسه من صلابة وتعاضم . وانك لتلمح في شعره ما كان يقاسيه منهم ، وقد اضطر ان يطعنهم بقوافيه كقوله -

ازل حسد الحساد عني بكبتهم فانت الذي صيرتهم لي حسدا
وقوله -

اني كل يوم تحت ضنبي شويعر ضعيف يقاويني قصير يطاول
وقوله -

باي لفظ تقول الشعر زعنفة تجوز عنك لا عرب ولا عجم
الى غير ذلك من سمات التحقير التي قلما تخلو منها قصيدة من قصائده في سيف الدولة .

(١) راجع الصبح المتنبي هاشم المكبري ١-٥٢

(٢) " " " " " " ١-٥٥

ولم يكن حساده ليسكتوا عنه ، فاخذوا يكيدون له ويجاولون الايقاع به ، ولا سيما الامير ابو فراس الشاعر المشهور^(١) . فمن ذلك ما نقله البديعي عن ابن الدهان في المآخذ الكندية : « قال ابو فراس لسيف الدولة ان هذا المتسمي كثير الادلال عليك ، وانت تعطيه في كل سنة ثلاثة آلاف دينار على ثلاث قصائد ، ويمكن ان تفرق مثتي دينار على عشرين شاعراً يأتون بما هو خير من شعره »^(٢) (وفي خزانه الادب ان ما ناله في اربع سنين ٣٥ الف دينار)^(٣) ، فتاثر سيف الدولة من هذا الكلام وعمل به .

فسيف الدولة بعد ان خص الشاعر بالعطف ، وبعد ان نظم فيه نحو ٤٨ قصيدة عامرة (وهي لا تقل عن ثلث ديوانه) تولاّه انحراف عنه واصغى الى اقوال خصومه فيه . ولم يجِد الشاعر استعطافه وتنويهه بالرحيل عنه ، فتجرأوا عليه حتى كان ما كان من ضرب ابن خالوه له بالمفتاح في حضرة سيف الدولة . وراى المتنبي انه لا يستطيع دفاعاً وانتقاماً في حضرة امير نافر منه ، وخصوم يتربصون به ، فترك حلب بدعوى المسير الى اقطاع له^(٤) ، وفي نفسه ما فيها من الغيظ ، وقصد الشام فارملة . ثم طلبه كافور الى مصر فتركها اولاً ، ثم رحل اليه ونفسه تسول له انه سيلبغ هناك من المجد ما يغني الحاسدين - وقد صرح بذلك اذ قال

ابا المسك ارجو منك نصراً على العدى وآمل عزاً يخضب البيض بالدم
ويوما يغني الحاسدين وحالة اقيم الشقا فيها مقام التنعم
ولكنه لم يبلغ ما كان يروم

في مصر (٣٤٦ - ٣٥٠)

مرّ معنا ان مصر كانت في يد الاخشيدية بني طنج ، وهم امراء يرجع نسبهم الى ملوك فرغانة . ولما هبط المتنبي مصر كان اميرها الحقيقي قاصراً ، وقيم المملكة الاستاذ كافور ، وهو عبد اسود كان مولى لبني طنج ، ولكنه كان - على ما يظهر - داهية فاستبد بامور مصر واصبح هو الأمر الناهي ، او كما قال شاعرنا فيه

(١) يرى الاستاذ محمود شاكر ان المتنبي كان يحب خولة اخت سيف الدولة وان سيف الدولة وعده سراً بما فاتصل ذلك بلم ابى فراس وكان سبباً في العداوة بين الرجلين المتختلف مع ٨٨ ج ١ ص ١٣٤

(٢) راجع الصبح المتنبي هامش العكبري ١-٦٥

(٣) خزانه الادب ١-٣٨٤

(٤) " " " " (٣)

يدبر الملك من مصر الى عدن الى العراق فارض الروم فالنوب
قال ابن خلكان وكان يدعى له على المنابر بمكة والحجاز جميعه والديار المصرية وبلاد
الشام^(١)

قصد شاعرنا كافوراً تتنازعه عاطفتان - الاولى ما كان يشعر به من الغيظ لما اصابه في
حلب ، والثانية رغبته ان يحصل بواسطة كافور على ولاية . اما غيظه من سيف الدولة فلم
يصل الى حد البغض ، اذ بقيت في نفسه بقية من الحب والوفاء له . وقد صرح بذلك في
بعض قصائده لكافور كقوله

فلو كان ما بي من حبيب مقنع عذرت ولكن من حبيب معمم
رمى واتقى رمي ومن دون ما اتقى هوى كاسر كني وقوسي واسهمي

ولذا وصف الثعالبي شعره « بجبال الرمز والاشارة كجمعه بين مدح سيف الدولة حين
فارقه ومدحه لكافور »^(٢) . واما رغبته في الولاية او الامارة فكان يلمح اليها تليحاً لم
يخف على احد - كقوله

وما رغبتي في عسجد استفيده ولكنها في مقعر استجده

وقوله

وغير كثير ان يزورك راجل فيرجع ملكاً للعراقين واليا

وقوله

قالوا هجرت اليه الغيث قلت لهم الى غيوث يديه والشايب
الى الذي تهب الدولت راحته ولا يمن على اثار موهوب

الى غير ذلك من الابيات التي تُشعر بما كان يتطال اليه او ما كان يحدث نفسه به .
وقد نقل البديعي انه طلب ان يوليه صيدا من بلاد الشام ، او غيرها من بلاد الصعيد^(٣)
وبين هاتين العاطفتين - الغيظ والطمع - مدح كافور بعشر قصائد هن من انخر ما
نظمه وسياتي ذكرها

(١) وفيات الاعيان ٢-١٨٨ . راجع سيرته في خطط المقرئ ٢-٢٦

(٢) اليتيمة ١-١٥٨ (٣) الصبح المتنبي شرح العكبري ١-١١٥

على ان اتصاله بهذا الامير لم ينله مراده . نعم نال منه كثيراً من الخلع والجوائز والاموال ، ولكن الامر الذي كان يصبو اليه ، تلك الامنية التي شغلت عقله - ولا سيما بعد ان وعده كافور بان يبلغه جميع ما في نفسه^(١) - لم يأنس في وجه ممدوحه غير الاعراض عنها ، فاضطربت روحه حتى صار يستقل وجوده في مصر ويتمنى الخروج منها ولحظ ذلك منه كافور تخاف ان هو اطلقه ان ينقلب عليه بالظعن ، وهو المستبد بحكم مصر دون مليكها الحقيقي ، فنعاه من الرحيل . وظل على هذه الحالة المزعجة سنته الاخيرة في مصر لا يلقى كافوراً الا ان يركب فيسير معه في الطريق لئلا يوحشه^(٢) . وله في ذلك قصيدة غراء يصف بها حاله ويصف حمى اصابته ، مطلعها

ماومكما يجلب عن الملام ووقع فعاله فوق الكلام

وهي من بدائعه وسيرد ذكرها . وكان في اثناء ذلك يعد العدة للهرب حتى تمكن منه يوم عرفة سنة ٣٥٠ هـ ، فقصد العراق ووصف مسيره بقصيدة مطلعها

الا كل ماشية الخيزلي فدى كل ماشية الهيدلي

وفيهما يعدد الاماكن التي مر بها ، ويصف شجاعته واقدامه بايات تنضح بالكبر

كقوله

تعلم مصر ومن بالعراق ومن بالعواصم اني الفتى
واني وفيت واني ابيت واني عتوت على من عتا
ومن يك قلب سقلي له يشق الى الغز قلب التوى

ثم يختمها بهجاء كافور . وله في هجائه بضع قصائد اوحاها اليه حب التشني والفشل

بين العراق وبلاد فارس

خاتمة حياته (٣٥٠ - ٣٥٤) . ترك مصر في اواخر ٣٥٠ هـ قاصداً الكوفة فوصلها في جمادى ٣٥١ واقام فيها^(٣) ، ثم ام بغداد . ولا نعلم متى كان ذلك بالضبط ، ولكننا نعلم انه

(١) الصبح المتنبي ١ - ١١٣ وفيات الاعيان ١ - ٦٤ وفي العمدة ١٠ - ٤٥ انه وعده بولاية بعض اعماله (٢) شرح اليازجي ٥٤٨ (٣) الصبح المتنبي ١ - ١٤٤

بتي في العراق نحو ثلاث سنوات - والارجح انه قضى منها سنتين في الكوفة . وكانت بغداد يومئذ بيد معز الدولة البويهبي ، وكان وزيره المهلب يأمل ان يقصده المتنبي ويمدحه اسوة بالكبراء الذين مدحهم ، ولكن الشاعر ترفع عنه ذهابا لنفسه كما قال الثعالبي عن مدح غير الملوكة^(١) ، او لغوره من سخافة المهلب واستهتاره بالهزل^(٢) ، فنقم الوزير ذلك منه وحرّض عليه شعراء بغداد حتى نالوا منه وتباروا في هجائه وتماجنوا وتنادروا ، فلم يجيبهم ولم يفكر فيهم^(٣) . وقيل له في ذلك ، فقال اني فرغت من اصابتهم بقولي لمن هم ارفع طبقة منهم في الشعراء -

ارى المتشاعرين غروا بذمي ومن ذا يحمد الداء العضالا
ومن يك ذا لم مرّ مريض يجد مرّاً به الماء الزلالا

وبقولي -

وإذا اتتك مذمتي من ناقص فهي الشهادة لي بائي كامل

قال ابن رشيق ان المتنبي حين بُلي بحماقات ابن حجاج البغدادي سكت عنه أطراحاً واحتقاراً ، ولو اجابه لما كان هو بحيث هو من الانفة والكبر ، لانه ليس من انداده ولا من طبقتة^(٤)

وجرت له مع ابي علي الحائمي حادثة ذكرها ابن خلكان في سيرة الحائمي وذكرها البديعي في الصبح المتنبي ، وسيرد ذكرها في كلامنا عن اخلاقه
ولما لم يطب مقامه في بغداد فارقها ليلاً متوجهاً الى ابي الفضل ابن العميد مراغماً للوزير المهلب ، فورد ارجان ومدح ابن العميد باريح قصائد ، واحمد مورده عنده
وكان صاحب بن عباد يطمع في زيارة المتنبي اياه في اصبهان ، واجرائه مجرى مقصوده من رؤساء الزمان ، وهو اذ ذاك شاب وحاله حويلة ، ولم يكن قد استوزر بعد ، فكتب اليه يلاطفه ، لكن المتنبي لم يقيم له وزناً ولم يجبه عن مراده^(٥) ، فكان ذلك سبب عداوة صاحب له والظعن فيه وانثائه رسالة في مساوى شعره .

(١) البيتية ١-٨٥ (٢) خزانة الادب ١-٣٨٦

(٣) " "

(٤) العمدة ١-٧١

(٥) البيتية ١-٨٦

وسار شاعرنا الى شيراز قاصداً عضد الدولة فتلقاه بالترحيب . ونظم المتنبي فيه ثمانين قصيدة ، فاجزل له العطاء . ثم رجع من شيراز بثروة كبيرة تبلغ مئتي الف درهم ، ما عدا الخلع والهدايا والتحف^(١) . وفي طريقه الى الكوفة خرج عليه فاتك الاسدي في نحو عشرين من رجاله وكان مع المتنبي ابنه محسّد ونفر من غلمانه وجمال تحمل امواله وتحفه ، فجرت بينهم موقعة انتهت بقتل الشاعر وابنه وبعض اتباعه . هكذا قضى ابو الطيب . وعلى مقربة من سواد بغداد وفي رمضان من سنة ٣٥٤ هـ خمدت تلك النفس التي نشأت نزاعة الى المجد ، حريصة على غرور الدنيا ، فحملت صاحبها تارة على تجشّم الاهوال والضرب في الافاق ، وطوراً على الوقوف في ابواب الملوك والامراء طمعاً ، في « مفضل يستجده » او جاه يناله . ولكنه آب بالفشل وترك لنا بفشله من الحكم البالغة ما لا تزال السنة الزمان تردده في كل مكان .

مزايه اطلقه

برغم ما كان يظهر في شعر المتنبي من التزلف والاستجداء . ويرغم بعض مساوئه التي قلما يجاها منها انسان ، نرى له صفة عامة تتخلل جميع صفاته وتتجلى لنا عند التأمل في ذاته ، وهي « صلابه النفس » . وقد طبعت شعره بطابع خاص يعرفه كل من درسه ، واهم ظواهرها - التعاضم والطمع بالمجد مقرونين بشيء من عدم الكياسة : واليك بيان ذلك

تعاضمه او اعتداده بنفسه

لم يكن المتنبي وحيداً بين الشعراء في هذه المزية ، ولكنه بلغ منها ما لم يبلغه سواه حتى ولا ابو تمام . وفي اخباره شواهد لا تترك للشك مجالاً - منها ما يلي

١ - انه لما اتصل بسيف الدولة اشترط عليه ان لا ينشده الا وهو قاعد وان لا يقبل الارض بين يديه^(٢) . وقد ذكر ابن خلكان انه لما انشد قصيدته « لكل امرئ من دهره ما تعودا » قال بعض الحاضرين يريد ان يكيدته : لو انشدها قائماً لأسمع ، فقال ابو الطيب

(١) الصبح المنبي مامش المكبري ١-٢٢١

(٢) " " " " ١-٦٧

أما سمعت أولها : لكل امرئ من دهره ما تعودا^(١) ويظهر مما نقله البديعي أن سيف الدولة كان حيناً يعتاض من تعاضمه ويجفو عليه إذا كلفه^(٢). ولعل لذلك علاقة بنجاح أعدائه في تنفير الأمير منه ، كما أن لفشه في مصر علاقة بما كان يراه كافر من تعاليه في شعره^(٣).

٢ - سوء سياسته وعدم مداراته . فانه بعد أن كان أيام خموله يمدح القريب والبعيد ويصطاد كما قال الثعالبي ما بين الكركي والعنديل^(٤) ، أخذت نزعة الكبر تشتد فيه حتى صار في أبان شهرته يترفع عن غير الملوك والأمراء ، وينظر الى سواه نظر الكبير الى الصغير . وكان أبو علي الفارسي يستغله لما يأخذ به نفسه من الكبر^(٥) : ومن شواهد ذلك ما جرى له مع وزير كافر ومع الوزير المهلبى والصاحب بن عباد وسواهم ومن رسالة الخاتمي يلح ما كان يرى فيه زملاؤه من روح التمامخ . وهذه الرسالة كتبت في مساوى المتنبي ، وكتبتها من ادباء بغداد الذين اغرامهم المهلبى به . قال صاحبها : لما ورد أحمد بن الحسين المتنبي مدينة السلام منصرفاً عن مصر ومتعرضاً للوزير أبي محمد المهلبى التحف رداء الكبر واذال ذيول التيه ، ونأى بجناحه استكباراً ، وثنى عطفه جبريةً وازوراراً ، فكان لا يلاقي أحداً إلا أعرض عنه تيهاً ، وزخرف القول عليه تمويهاً - يخيل عجباً اليه أن الأدب مقصور عليه وأن الشعر بحر لم يرد غير مائه غيره فقبه جارياً على هذه الوتيرة مدةً مديدة - الى أن يقول : وثقلت وطأته على كثير ممن وسم نفسه بيسم الأدب ، وساء معز الدولة أحمد بن بويه أن يرد حضرته ، وهي دار الخلافة ومستقر العز وبيعة الملك ، رجل صدر عن حضرة سيف الدولة بن حمدان - وكان عدواً مبيناً لعز الدولة - فلا يلتقي أحداً بمملكته يساويه في صناعته . وتخيل الوزير المهلبى رجماً بالغيب أن أحداً لا يستطيع مساجلته ولا يرى نفسه كفواً له فنهدت له متبعضاً عواره ومقلاًماً اظفاره .

ثم يذكر أنه قصده على بغلة سفواة في مركب رائع ، وأن المتنبي لما رآه داخلأ وارى شخصه لكي لا يقف له . ثم يصف كيف قوبل هو بالترحيب والتكريم ، وأن المتنبي لما

(٢) الصبح المنبي - العكبري ١-٨٣

(١) وفيات الاعيان ١-٦٦

(٤) البيهية ١-٨٢

(٣) وفيات الاعيان ١-٦٤

(٥) الصبح المنبي ١-٢١٠

دخل جلس في صدر المكان، واعرض عن الخاتمي وابى الا ازوراراً واستكباراً، حتى كان ما كان بينهما من المناقشة والمساجلة . والرسالة طويلة تدخل في نحو ١٢ كراسة وقد نقل ابن خلكان قمماً منها ، وكذلك البديعي في الصبح المنبي^(١) .
وقال البديعي : كان الرجل سيء الرأي وسوء رأيه اخرجته من حضرة سيف الدولة، وشدة تعرضه لعداوة الناس^(٢) .

ولا شك ان الحسد وحده لم يكن السبب في عداوة ادباء حلب او بغداد له ، ولو كان المتنبي على شيء من اللطف لما وصل الى ما وصل اليه : ففي طبعه كما قال ابن رشيق غلظة^(٣) ، وفي شعره ترى هذا الخلق ظاهراً في كل ادوار حياته .

٣ - شعوره بالتفوق

ومن رسالة الخاتمي المار ذكرها يظهر لك اثر هذا الشعور في نفوس البغداديين - قال الثعالبي كان يخاطب الملوک مخاطبة الصديق والمحجوب، وهو مذهب تفرّد به رفعا لنفسه عن درجة الشعراء^(٤) . فن قوله في صباه -

أعط عنك تشيبي با وكأنا فما احدٌ فوقى ولا احدٌ مثلي

وقوله

ان اكن معجباً فعجب عجيب لم يجد فوق نفسه من مزيد
كبرياء ولدت فيه وظهرت في صباه فراقته الى آخر حياته . وديوانه مشبع بهذه الروح - ماتت جدته فاضطرب لموتها ورثاها فلم يتالك عن ان يصيح في وجه الزمان

لئن لذّ يوم الشامتين بيومها لقد ولدت مني لأنفهم رغما
تغرب لا مستعظماً غير نفسه ولا قابلاً الا خالقه حكما
يقولون لي ما انت في كل بلدة وماتبتغي؟ ما ابتغي جل ان يُسمى
كان بنبيهم عالمون بانسي جاوب اليهم من معادنه اليتا
واني لمن قوم كأن نفوسهم بها أنف ان تسكن اللحم والعظما

(١) وفيات الاعيان ٢-٣٣٢ وهامش شرح العكبري ١ من ١٤٤-١٧٣

(٢) هامش العكبري ١-١٢٣ (٣) العمدة ١٣٣ (٤) البيتية ١-١٣٩

كذا انا يا دنيا اذا شئت فاذهبي ويا نفس زيدي في كراهتها قدما
فلا عبرت بي ساعة لا تعزني ولا صحبتي مهجة تقبل الظلما

ومدح ابا سهل الانطاكى فلم يلبث حتى تغلب عليه طبعه فقال

ابدو فيسجد من بالسوء يذكرني فلا اعاتبه صفحاً واهوانا
وهكذا كنت في اهلي وفي وطني ان النفيس غريب اينما كانا
محمد الفضل مكذوب على اثري التي الكمي ويلقاني اذا حانا

وهذا الشعور بالتفوق كثيراً ما يظهر في شاعرنا بمظهر الشجاعة البالغة حد التهور .
انظر اليه في مجلس سيف الدولة - في جو مشبع بروح العداة له وحوله خصوم الداء كالي
فراس وابن خالويه واضرابهما ، وقد حملوا سيف الدولة على الاعراض عنه وسرو الظن به ،
فلم ينخفض له جناح ، ولم تستول عليه رهبة ، بل عاتب الامير ثم اشار الى من حوله وقال
بنفس تفيض كبرا

سيعلم الجمع ممن ضم مجلسنا باننى خير من تسعى به قدم
انا الذي نظر الاعمى الى ادبي واسمعت كلماتي من به صمم
وجاهل مدّه في جهله ضحكي حتى اتته يد فراسة وفم
اذا رايت نيوب الليث بارزة فلا تظنن ان الليث يبتسم
كم تطلبون لنا عيباً فيعجزكم ويكره الله ما تتون والكرم
ما ابعد العيب والنقصان من شرفي انا الثريا وذان الشيب والهرم

ومنها يلتمح بعزمه على الرحيل -

لئن تركنا ضميراً عن ميامننا ليحدثن لمن ودعته ندم

وهذه القصيدة شهيرة وفيها تتجلى نفسية هذا الرجل الغريبة

ومن ادلة شجاعته بل تهوره ما ذكره ابو نصر الجلي للخالدين عن مقتله ، والرجل
شاهد عيان راي الشاعر قبيل مقتله وحادثه وقد حذرّه من فاتك الاسدي ورجاله ونصح له
ان يستصحب معه من يخفّره ، فاجابه المتنبي والله لا ارضى ان يتحدث الناس اني سرت في
خفارة احد غير سيني - معاذ الله ان اشغل فكري بهم لحظة عين . قال فقلت له قل : ان
شاء الله . فقال هي كلمة مقولة لا تدفع مقضياً ولا تستجلب آتياً ، ثم ركب فكان آخر

العهد به . ذكر ذلك البديعي في حديث طويل^(١) . وقد حاول بعضهم ان ينسب اليه الخوف والحدرد ولكن سيرته لا تدل على ذلك ، وقد صدق الباقلاني اذ قال « وكان المتنبي من اهل الشجاعة^(٢) »

طموحه الى المجد

خلق المتنبي طموحاً الى المراتب العالية طامعاً بالحصول على مجد الدنيا .

اهمُّ بشي . والليالى كأنها تطاردني عن كونه وأطارده
وحيد من الخُلان في كل بلدٍ اذا عظم المطلوب قلَّ المساعد

صفة ظاهرة في كل حركاته واقواله - فمذ كان فتى في السابعة عشرة من عمره يحدثنا شاهد عيان بهذيانه في ذلك^(٣) . وما الحركة التي سجن لاجلها الا دليل على هذه التزعة في نفسه . ولما فشل في اول عهده تحول نظره الى المال ، والى وجوب حشده لا بخلاً او حباً بالمال لنفسه ، ولكن توصلاً به الى غايته . ولعلَّه تذكَّرُ حادثة جرت له في الكوفة وهو غلام رواها البديعي في الصبح المنبي^(٤) . وخلاصتها انه اراد ان يشتري بطيخاً من بائع فلما ساومه على الثمن جبهه البائع واحتقره ، ثم جاء تاجر غني فرحَّب به البائع وباعه البطيخ محمولاً الى البيت بانجس مما عرض عليه المتنبي . ولما رجع كلمه المتنبي في ذلك فقال اسكت - هذا يملك مئة الف دينار . فوقع في نفس شاعرنا منذ ذلك الحين حب المال والحرص عليه ، وان الناس لا يجترمون غير صاحبه . وفي شعره ما يدل على ما كان في نفسه من ذلك كقوله -

واتعب خلق الله من زاد هئته وقصَّر عما تشتهي النفس وجده
فلا ينحل في المجد مالك كله فينحلَّ مجد كان بالمال عقده
ودبره تدبير الذي المجد كفه اذا حارب الاعداء والمال زنده
فلا مجد في الدنيا لمن قلَّ ماله ولا مال في الدنيا لمن قلَّ مجده

(١) الصبح المنبي على هامش المكبري ج ١ من ٢٢٨-٢٣٩

(٢) اعجاز القرآن ١٢٤ (٣) الصبح المنبي (المكبري) ١-٢٥

(٤) الصبح المنبي ١-٨٣

وقد ذكروا بعض حكايات عن حرصه وجشعه^(١)، ولكنها عند التدقيق لا تدلُّ إلا على حزمه وحسن تقديره للبال ومعرفته بأحوال الدنيا . ولعل بعضها من تليفق حساده كقصته مع سيف الدولة ، رويت عن ابي الفرج البغيا وصور فيها المتنبي اولاً رجلاً ذا كبر وابة لا يد يدعه كما فعل سائر الشعراء ، ثم تتغير الصورة بغتة فيظهر فيها ذنباً جشعاً - كل ذلك في مدة لا تتجاوز الدقائق القليلة .

كلام لم يكن المتنبي حشاداً للمال مخافة الفقر ، وقد قال

ومن ينفق الساعات في جمع ماله مخافة فقر فالذي فعل الفقر

ولكنه كان يعرف قيمته وتأثيره في اكرام الناس له : كان شاعرنا معجباً بنفسه حريصاً ان يعجب الناس بها ايضاً ، ورأى في المال وسيلة لبلوغ ذلك فصار بعد خروجه من السجن يجوب الاقطار للحصول عليه ، ولكنه بقي حتى اتصاه بسيف الدولة لا يتال من ممدوحيه الا الشيء . اليسير . ورأى سني شبابه تطوى على الفقر والفشل فغلب عليه الكدر من الناس ولا سيما اولي الامر منهم ، وكثر تشكيه من الزمان واشتداده عليه ، فظهر ذلك في شعره كما سيجي .

ولما اتصل بسيف الدولة اخذت الدنيا تبتم له ، ونال عند ممدوحه ما كان يصبو اليه من كرامة ومال ، فظابت نفسه وقصر شعره على ذلك الامير العربي يصف غزواته ويمدح اخلاقه . وبقابل الدنيا عليه لم يخمد في نفسه ذلك الكبر الذي طبع عليه فكثرت حساده ومبغضوه . ولم يكن دمثاً او لين العريكة بل غلبت عليه صلابه الراي ، مما ادى الى فتور الامير نحوه واشتداد الحساد عليه ، فاضطر كما ذكرنا الى ترك حلب وقصد مصر طامعاً بالمجد عن طريق الامارة - وقد مر بنا ما كان من امره في مصر ثم بالعراق وفارس

ولم يكن فشله في مصر كافياً للقضاء على آماله قضاء مبرماً ، ولكنه شلّ مطامعه الى حين ، ودفعه الى استجمام القوى في الكوفة وبغداد نحواً من ثلاث سنوات

ثم تراءت له فارس ورأى الفرصة السانحة فقصد عضد الدولة ورأى في حضرته ما جدد آماله . ولا نعلم ما كان يدور في خلد يومئذ ، وقد نال الغنى الوافر واصبحت شهرته تملأ الحاققين . يحدثنا المؤرخون انه ترك بلاط عضد الدولة قاصداً الكوفة - لاي غرض ؟

(١) البيتية ١-٨٥ والصبح المتنبي (الكبرى) ١ ص ٧٣-٨٣

لا ندري . ولكن البديعي يروي في الصبح المتنبي^(١) انه استأذن عضد الدولة في المسير ليقضي حوائج في نفسه ثم يعود اليه فاذن له . فما الذي كانت تسؤل له نفسه ؟ وما كان يؤمل ان يبلغه على يد هذا الملك البويهبي الكبير ؟ ذلك ما اسدل عليه الحجاباً لا سبيل الى نفاذه

عصبية ونسب

في نفس المتنبي وفي شعره نزعة عربية شديدة ، ولا غرابة فهو عربي ينتمي الى قبيلة جعني من جهة الاب والى همدان من جهة الام . زد على ذلك انه كان في عصر ضعفت فيه شوكة العرب واصبحت اكثر البلدان الاسلامية في ايدي امراء من الفرس والترك ، فاوقد ذلك في نفوس العرب غيرة قومية زادها اضطراباً تلك المشادة بين الشعوبية والعربية ، وما كان يرمي اليه الفريقان من الانفراد بالذكر والفخر . ولا نعلم هل كان شاعرنا من الذين اشتبكوا في هذه المعركة الكلامية ام لا ، ولكننا نعلم انه كان متعصباً للعرب والحياة العربية . وقد قوى هذا التعصب فيه اقامته في البادية مدة طويلة ، وتعوده عاداتها ثم اتصاله بسيف الدولة زعيم العرب في عصره . ولذا يكثر في شعره الفخر باصله العربي وذم الاعاجم ، كقوله وقد جرى ذكر ما بين العرب والاكراد من الفضل ، فقال مخاطباً سيف الدولة

ان كنت عن خير الانام سائلاً خيرهم اكثرهم فضائلاً
من كنت منهم يا همام وائلاً الطاعنين في الوعى اوائلاً
والعاذلين في الندى العواذلاً قد فضلوا بفضلك القبائلاً

وفي قصائده لسيف الدولة تراه يكرر كثيراً ذكر العرب مفاخرهم كقوله -

رفعت بك العرب العباد وصيرت قم الملوك مواقد النيران
انساب فخرهم اليك واننا انساب اصلهم الى عدنان

ومثل ذلك كثير في شعره . ومن امثلة تعصبه للعرب قوله يمدح علي بن ابراهيم التنوخي

احق عافر بدمعك المهمم احدث شيء عهداً بها القدم

وانما الناس بالملوك وما تصلح عربٌ ملوكها عجم
لا ادبٌ عندهم ولا حسب ولا عهود لهم ولا ذمم
لكل ارض وطئتها امم تُرعى بعبد كأنها غمم

وتظهر نزعة البدوية في مدحه للاعرايبات ومقابلتهن بالحضريات ، وله في ذلك ابيات مشهورة نذكر بعضها هنا وهي من قصيدته « من الجآذر في زي الاعايب »

ما اوجه الحضرمستحسنات به كماوجه البدويات الرعايب
حسن الحضارة محبوب بتطرية وفي البداوة حسن غير محبوب
اين المعيز من الارام ناظرة وغير ناظرة في الحسن والطيب
افدي ظباء فلاة ما عرفن بها مضغ الكلام ولاصغ الحواجيب

وقوله -

ان الذين اقت وارتحلوا ايامهم لديارهم دول
الحسن يرحل حيثما رحلوا معهم ويتزل حيثما تزلوا
في مقلتي رشاً تديرها بدوية فتنت بهل الحل
تشكو المطاعم طول هجرتها وصدودها ومن الذي تصل ؟
ما اسارت في القعب من لبن تركته وهو المسك والعسل

فالمتنبي يمثل في شعره عواطف العرب وخيالاتهم ، وهو كثير التجنان الى معيشتهم غفور بنسبه اليهم (وقد دعا نفسه في قصيدته - مغاني الشعب - « الفتى العربي ») يرى في فرسانهم منتهى الشجاعة وفي حسانهم غاية الجمال : فتراه من هذا القبيل يخالف ابا نواس وسواه من الذين عاشروا الجوارى الاعجيبات وانغمسوا في اللهو معهن .

وعلى ذكر الجوارى واللهو نقول انك لا تجد في حياة المتنبي او شعره ما يدل على ميل الى ترف او عبث ، فقد عاش منذ صباه جاداً رزيناً لا يهتم بما كان يهتم به اكثر الشعراء من شرب مدام او مغازلة حسان ، او انصراف الى المطربات من الاخان :

كقوله -

وغير فؤادي للغواني رمية وغير بناني للزجاج ركاب^(١)
تركنا لاطراف القناكل شهرة فليس لنا الا بهن لعاب

(١) ويروى ابن جنى للرخاخ (من ادوات الشطرنج)

اغزُ مكان في الدنى سرج سابح وخير جليس في الزمان كتاب
 وخلاصة المعنى اني غير غزل بالنساء او محب للخمر قد قصرت نفسي على الجذ في طعان
 الاعداء وتركت ما تشتييه الانفس من الملاهي .
 وكان جوده مقروناً بالصدق والصراحة . قال ابن جني ما عرفت المتنبي الا صادقاً^(١)
 وهنا لا بد من القول ان بعض المؤرخين يزعمون ان اياه كان سقاً في الكوفة^(٢) .
 ومما قيل فيه

اي فضل لشاعر يطلب الفضل من الناس بكرةً وعشياً
 عاش حيناً يبيع في الكوفة الماء وحيناً يبيع ماء الحياً

على اننا اذا دققنا في ذلك نجد ان اهم الثقات الذين دونوا سيرة المتنبي يرون بهذا
 الزعم مرور المشكك . فالثعالبي مثلاً ، وهو كما مر بنا قريب العهد بالشاعر (بل يكاد
 يكون معاصراً له) لم يزد على ان قال « وبلغ ابا الحسين ابن لنكك بالبصرة ما جرى على
 المتنبي من وقية شعراء بغداد فيه واستحقارهم له ، وكان حاسداً له طاعناً عليه زاعماً ان اياه
 كان سقاً بالكوفة^(٣) . وفي رواية الثعالبي ما يُشعر بشكك في صحتها . ومثل الثعالبي ابن
 خلكان فانه لما اورد هذا الخبر قال ويقال ان ابا المتنبي كان سقاً بالكوفة ثم انتقل الى
 الشام بولده^(٤) . ويقول البديعي وكان والده الحسين يعرف بعبدان السقاً ، ثم ينقل عن ابن
 خلكان ما ذكره عن ابن لنكك وطعنه على المتنبي^(٥) . وفي ايضاح المشكل للاصهاني انه
 كان في الكوفة يختلف الى كتاب فيه اولاد الاشراف^(٦) . فاذا دقت في هذه الروايات
 لم تجد فيها خبراً مجزوماً فيه ، بل لا تجد الا اقوالاً يصح ان نشكك فيها ، ويزيدنا تشكيكاً
 ان سقاً بالكوفة لا يحظى عادةً بوضع لده في مكاتب الاشراف ، ولا ينتقل به الى بلد
 بعيد ، فيردده بين المدن والقبائل . ولسنا هنا ببعرض الدفاع عن والده وتزييه عن تعاطي
 مهنة كالسقاية ، ولكننا لا نستطيع الا ان نظهر شكنا بذلك اعتماداً على الروايات التي بين ايدينا
 على ان الرجل كان على ما يظهر فقير الحال مغمور الذكر ، ومع ذلك لم يتأخر عن تسهيل
 وسائل العلم لولده ، فنشأ الولد (شاعرنا) بين المكاتب والوراقين . ولما ترعرع ونال من

(١) الخصائص ١-٢٤٨ (٢) وفيات الاعيان ١-٦٥ والبيضة ٨٦

(٣) البيضة ١-٨٦ (٣) وفيات الاعيان ١-٦٥ (٤) الصبح المنبي ١-٦٨ و١٧٨

٥ نقل عن خزنة الادب ج ١-٣٨٢

الادب قسطاً ظهرت عليه بوادر الطموح الى العلى، ورأى تطاول المالك والموالي على اسيادهم، وكثرة القامين بالدعوات في المملكة العباسية والامارات المختلفة، فحدثته نفسه ان يقوم باعراب البادية، وملكه هذا الوهم حتى حبس وتلب • ولكن حب الرياسة والولاية بقي يدور في راسه^(١)، وهو القائل من قصيدة لكافور :-
وفؤادي من الملوك وان كان لساني يرى من الشعراء

شهرته الشعرية

لم ينل شعر عربي من الشهرة ما ناله شعر المتنبي، فهو بعيد الاثر في حلقات الادب شائع بين جميع الطبقات • ولم يكن حظّه في عصره باقل من حظّه اليوم • قال الثعالبي « فليس اليوم مجالس الدرس اعمر بشعر ابي الطيب من مجالس الانس، ولا اقلام كتاب الرسائل اجرى به من السن الخطباء في المحافل، ولا لحون المغنين والقوالين اشغل به من كتب المؤلفين والمصنّفين • وقد ألفت الكتب في تفسيره وحل مشكله وعويصه، وكثرت الدفاتر على ذكر جيده ورديته، وتكلم الافاضل في الوساطة بينه وبين خصومه، والافصاح عن ابكار كلامه وعونه، وتفردوا فرقاً في مدحه والقدح فيه، والنضح عنه والتعصب له وعليه • وذلك اول دليل دل على وفور فضله وتقدم قدمه، وتفردته عن اهل زمانه بملك رقاب القوافي ورق المعاني^(٢) • وبعد موت المتنبي باكثر من قرن نرى الواحدي يقول في مقدمة شرحه « وان الناس منذ عصر قديم قد ولّوا جميع الاشعار صفحة الاعراض مقتصرين منها على شعر ابي الطيب نائين عما يروى لسواه » •

ومن دلائل شهرته ان كبار المترسلين في زمانه وبعده كانوا يستعينون بالفاظه ومعانيه، ومنهم خصمه ابن عباد، وابو بكر الخوارزمي، وابو اسحق الصائبي، وابو العباس ابرهم الضبي^(٣) • وقال ابن خلكان « واعتنى العلماء بديوانه فشرحوه، وقال لي احد المشايخ الذين اخذت عنهم : وقفت له على اكثر من اربعين شرحاً ما بين مطولات ومختصرات ولم يفعل هذا بديوان غيره^(٤) »

(١) البيهية ١-٨١ (٢) البيهية ١: ٧٨-٧٩

(٣) راجع امثلة ذلك في البيهية ١: ٨٧-٩٣

(٤) وفيات الاعيان ١-٦٣ والصبح المتنبي هامش العكبري ١: ٤٢٨-٤٤٢

ولما تناول البديعي شهرته نقل ما اوردناه من كلام الثعالبي وزاد عليه اسماء شراحه
ونقاده (مشبهاً بذلك كلام ابن خلكان) ومنهم
ابن جني - وهو تلميذه واول من شرحه
ابو العلاء المعري - وله في ذلك اللامع العزيزي ومعجز احمد ، وكان من المعجبين
بالمتنبي

الواحدي - المتوفى ٤٦٨ صاحب الشرح المشهور
ابو زكريا التبريزي - ٥٠٢ - تلميذ المعري وشارح المعلقات والحامسة
القاضي ابو الحسن الجرجاني - ٣٦٦ - صاحب الوساطة بين المتنبي وخصومه
العكبري - ٦١٦ - صاحب الشرح المشهور
ومنهم ابن فورجه البروجدي ، والصاحب بن عباد ، والمعري صاحب الانتصار ،
والحاتمي ، والعميدي صاحب الابانة ، وابن الاثير صاحب الاستدراك على ابن الدهان -
ويسوق البديعي اسماءهم الى اخر القائمة ثم يقول « سوى الشروح التي لم نسمع بذكرها ولم
يسمع بديوان شعر في الجاهلية ولا في الاسلام شرح مثل هذه الشروح الكثيرة ولا تدوول
في السنة الادباء من نظم ونثر اكثر من شعر المتنبي ^(١) .

ولابن رشيق القيرواني صاحب العمدة جملة مشهورة في المتنبي وهي « ثم جاء المتنبي
فلاً الدنيا وشغل الناس » . وطبيعي انه لم يشغل الناس على غير طائل ، وما تصدى له
خصومه او دافع عنه مريدوه الا لعلوا مكانته ولبعد صيته ، حتى اصبح غرضاً لا قلامهم
وغاية تتسابق اليها جيادهم
وإذا رجعت الى قائمة شراحه ونقاده العديدين تجدهم ثلاث فرق

١ - الذين تحاملوا عليه وراموا الخط من قدره ، ومنهم الصاحب بن عباد والحاتمي
والعميدي وابو هلال العسكري وابو الفرج الاصفهاني ، ولعل ذلك كان سبباً
لاغفال ذكره في كتابه الاغاني

٢ - الذين لهجوا بفضله وبالفوا باكرامه ، ومنهم ابن جني وابن رشيق والواحدي والمعري
وابن وكيع والعكبري وابن خلكان والبديعي

(١) الصبح المنبي (هامش العكبري) ١: ٢٢٣-٢٢٤

٣- المعتدلون الذبن راموا التوفيق بين الطرفين ومنهم الجرجاني والثعالبي وابن الاثير
وهم الى قائمة مدّاحه اميل

تناول هؤلاء العلماء شعر المتنبي واسهبوا في ذكر حسناته وسيئاته - والغالب فيهم ان
يحدو المتأخر حذو المتقدم - حتى لم يتركوا زيادة لمستريد . على انهم قصر واهمهم على النقد
اللغوي والبياني ولا سياً على السرقات الشعرية ، ولهم في هذه الاخيرة خبط واوهام لا
طائل تحتها . وقد اجاد البديعي في التمييز بين المدوح والمذموم من ذلك وبحث في هذه
المسألة بحث المنطقي المحقق^(١) . وخلاصة ما ذكره ان للمتنبي حسنات وسيئات وان حسناته
تنحصر فيما يلي -

(١) دقة الاشارة (٢) حسن التلخص (٣) حسن اختراع المعاني (التشبيه
والاستعارات) (٤) وصف القتال وادواته (٥) حسن ضرب المثل

ويقابلها من السيئات

(١) التعمية او الابهام في الكثير من ابياته (٢) شذوذه اللغوي^(٢) (٣) تكلفه
وتعسفه (٤) جمعه بين البليغ والسفاسف في القصيدة الواحدة

وامثلة الوجهين كثيرة تجدها في اليتيمة والوساطة والصحح المنبي وسواها . ولليازجي
رسالة وافية في ذيل شرحه (العرف الطيّب) تناول فيها اقوال النقدة وعرضها عرضاً بليغاً
وقد اشتهرت اقوالهم في ذلك فلترجع في مظانها ، على انه لا بد من القول ان ما
ذكره من حسنات وسيئات يصدق على كل شاعر تقريباً وقد ورد معنا امثلة ذلك في
الكلام على ابي تمام والبحثري مما يعدُّ العود اليه الان تكراراً لا فائدة منه

شخصية المتنبي

بقي علينا ان ننظر في شعر المتنبي من حيث انه مظهر لشخصية تاريخية تتأثر بالمؤثرات
الخارجية

(١) هامش المكبري ٢٧٢:١ - ٣١٩

(٢) راجع قول ابن رشيق العمدة ١-٨٧ . وقال العسكري في الصناعتين ١١٩ « لا اعرف
احداً كان يتبع العيوب فيأتيها غير مكترث الا المتنبي

وهو عند التحقيق اربعة اطوار —

الطور الاول — يمثل عواطف الشباب ونفثات الالم من الزمان ، وقد نظم في النحا.
مختلفة من بلاد الشام وفلسطين والعراق ، ويمتدّ من زمن الحداثة الى
الرابعة والثلاثين من عمره

الطور الثاني — شعره في حلب . نظمه وهو بين الرابعة والثلاثين والثالثة والاربعين
وهو يمثل (١) عواطف العظمة والجهاد القومي كما يظهران في
سيف الدولة (٢) عواطف الفوز بالدنيا والقلق من الحساد كما
تظهر في نفسه

الطور الثالث — شعره في مصر . نظمه بين الثالثة والاربعين والسابعة والاربعين
وهو يمثل غيظه من الماضي واماله الكبيرة بالمستقبل ثم مرارته لفشله
الطور الرابع — شعره في العراق وفارس . نظمه بين السابعة والاربعين والحادية
والخمسين ، أما في العراق فذكريات سيف الدولة ، واما في فارس
فانتعاش امل لم يلبث ان يجمده الحام . واليك بيان ما تقدم
والتدليل عليه من شعره

عواطف الشباب ونفثات الالم من الزمان

راينا في سيرته انه ولد طموحاً متهوساً بالمجد وانه ظل بعد خروجه من السجن حتى
الرابعة والثلاثين من عمره فقير الحال يجوب الاقطار معرّضاً نفسه للاخطار والاهوال ، فلم
ينل من الدنيا مراما . في هذا الطور يكثر في شعره ذكر المجاهدة والاقدام والفخر بالرجولة
ويقرن ذلك بدم الزمان واهله والسخط على اولي الامر من رؤساء وامراء ، حتى جعل ابن
رشيق اهمّ مزايه الامثال وذم الزمان^(١) . وفيه نرى الكثير من الحكم البالغة التي تهب
بالشباب الى طلب العلي وتحمل المشاق والبعد عن مواطن الذلّ والضم . فن قوله في
الاقدام وتحمل المشاق

ومهم جفته على قديمي تعجز عنه العرامس الذلّ

بصارمي مرتدٍ بمخبرتي مجتري، بالظلام مشتمل
 اذا صديق نكرت جانبه لم يُعيني في فراقه الحيل
 في سعة الخاقين مضطربٌ وفي بلاد من اختها بدلُ

ومن هذا القبيل يذكر سيره في البوادي ويصف عزة نفسه وشجاعته ويذم الزمان

اواناً في بيوت البدو رحلي وآونةً على قنط البعير
 اعرض للرماح الصمّ نخري وانصب حراً وجهي للهجير
 واسري في ظلام الليل وحدي كأني منه في قمر منير
 فقل في حاجة لم اقض منها على شغني بها شروى نقير
 ونفس لا تجيب الى خسيس وعين لا تدور على نظير
 وقلة ناصر - جوزيت عني بشر منك يا دهر الدهور

ومثل ذلك قوله يصف جلده ومضاء عزمه

يخاذرنى حتى كاني حنفة وتنكزني الافعى فيقتلها سمي
 طوال الردينيات يقصفها دمي وبيض السرجيات يقطعها لحمي
 برتبي السرى بري المدي فرددني اخف على المركوب من نفسي جرمي
 وابصر من زرقاء جور لانني متى نظرت عيناها ساواها علمي
 كاني دحوت الارض من خبرتي بها كاني بنى الاسكندر السد من عزمي

وقال في اهل زمانه مستخفاً بهم وبامرائهم وهو من هذا الطور يكثر اللبس بذلك

ويغلو فيه

فواد ما تسلييه مدام وعمر مثل ما تهب اللثام
 وما انا منهم بالعيش فيهم ولكن معدن الذهب الرغام
 ارانب غير انهم ملوك مفتحة عيونهم نيام
 خليلك انت - لا من قلت خلّي وان كثر التجثل والكلام
 وشبه الشيء منجذب اليه واشبهنا بدنينا الطغام

وعلى هذا الوتر يضرب في قصيدته الشهيرة «باني الشمس الجانحات غواربا» فيذكر

الزمان وتحملة عليه ويقول -

كيف الرجاء من الخطوب تخلصاً
 اوحدني ووجدن حزناً واحداً
 متناها فجعله لي صاحباً
 ونصبني غرض الرماة تصيني
 اظمتي الدنيا فلما جنتها
 مستسقياً مطرت علي مصائباً
 من بعد ما انشبن في مخالبا

والمتني ثلاث قصائد تمثل خواجه نفسه في هذا الطور افضل تمثيل — الاولى في علي بن احمد المرّي ومطلعها — لا افتخار الا لمن لا يضام — نقتطف منها هنا الايات التالية

ليس عزمًا ما مرض المرء فيه
 واحتمال الاذى ورؤية جانيه
 ليس همًا ما عاق عنه الظلام^(١)
 غذاء تضيء به الاجسام
 ذل من يغبط الذليل بعيش
 رب عيش اخف منه الحمام
 من يهن يسهل الهوان عليه
 ما لجرح بيت ايلام
 ضاق ذرعاً بان اضيق به ذرعاً
 زماني واستكرممتي الكرام
 واقفاً تحت اخصي قدر نفسي
 واقفاً تحت اخصي الانام
 اقراراً الذئ فوق شرار
 ومراماً ابغى وظلمي يرام
 دون ان يشرق الحجاز ونجد
 والعراقان بالقنا والشام

والثانية في ابي عبدالله الخصبي قاضي انطاكية — مطلعها افاضل الناس اغراض لذا الزمن — يذم فيها الناس وامراءهم ، ويصف عزمه ودهاءه وصحبته للاعراب ومضاهه في طلب العلى ومنها —

لا اقتري بلداً الا على غرر
 ولا اعاشر من املاكهم ملكاً
 قد هون الصبر عندي كل نازلة
 كم مخلص وعلى في خوض مهلكة
 لا يعجبني مضيما حسن بزته
 لله حال ارجيها وتحلفني
 مدحت قوماً وان عشنا نظمت لهم
 ولا امرٌ يجلق غير مضطعن
 الا احق بضرب الراس من وثن
 واين العزم حد المركب الحشن
 وقتلة قرنت بالدم في الجبن
 وهل تروق دفيناً جودة الكفن
 واقتضي كونها دهري ويمطلي
 قصائد من اناث الخيل والحصن

(١) مرض اي قصر

والثالثة في علي بن احمد بن عامر الانطاكي - وفيها تتجلى خواجه الشباب باجلى ظواهرها :
تري نفسه تنتفض كبرا وتياها ، ويتجسم لديك ما فيها من مطامع وآمال . والقصيدة
مشهورة نذكر منها على سبيل المثال الثانية الاولى

اطاعن خيلاً من فوارسها الدهر	وحيداً وما قولي كذا ومعني الصبر
واشجع مني كل يوم سلامتي	وما ثبتت الا وفي نفسها امر
تمست بالافات حتى تركتها	تقول امات الموت ام ذعر الذعر
واقدمت اقدام الآتي كأن لي	سوى مهجتي او كان لي عندها وتر
ذر النفس تأخذ وسعها قبل بينها	ففترق جاران دارها العمر
ولا تحسبن المجد زقاً وقينة	فما المجد الا السيف والفتكة البكر
وتضريب اعناق الملوك وان ترى	لك الهوات السود والعسكر الحجر
وتركك في الدنيا دويماً كأننا	تداول سمع المرء انمله العشر

...

ومما يلاحظ هنا تلك المرارة التي صبغته كل ايام حياته ، وكان منشأها طمعه وما
تكبده من المشاق على غير طائل ، ولا سيما في هذا الطور من حياته . فكان شعره
الوجداني الحقيقي اعني الذي يعبر عن عواطف نفسه مظهراً لما في نفسه من كبرياء حوتها
الفشل الى نعمة وسوء ظن . كقوله

فما لي وللدنيا طلايي نجومها	ومسعاي منها في شقوق الارام
ومن عرف الايام معرفتي بها	وبالناس روى رحمة غير راحم
فليس بحرهم اذا ظفروا به	ولا في الردى الجاري عليهم باثم

شعره في حلب

وهو كما ذكرنا يظهر في مظهرين كبيرين - (١) الجهاد القومي والشجاعة الحربية
(٢) شعور الشاعر بالفوز وحمله على الحساد

تري روح الجهاد القومي والحربي في اكثر مدائمه لسيف الدولة ، ولا بدع فقد كان
سيف الدولة مجاهداً شجاعاً وكانت حياته حرباً متواصلاً على الروم . وقد صجبه المتنبي

واختبر بنفسه عظام الحرب واهوال الوقائع : راي الجيوش في ساحة الحرب وخاض غمار القتال مع المجاهدين ، فشهد الابطال تشبك بالابطال والفرسان تطارد الفرسان ، والسيوف والرماح تسيل بدماء الاعداء - هبط الاودية وصعد في النجود وذاق مرارة الهزيمة ولذة الظفر فابعد في وصف ذلك غاية الابداع . ولقد صدق ابن الاثير اذ قال في الحكم على شعره « انه اذا خاض في وصف معركة كان لسانه امضى من نصالها واشجع من ابطالها ، وقامت اقواله للسامع مقام افعالها ، حتى تظن الفريقين قد تقابلا والسلاحين قد تواملا . فطريقه في ذلك تضلّ بسالكه وتقوم بعذر تاركه . ولا شك انه كان يشهد الحروب مع سيف الدولة بن حمدان فيصف لسانه ما ادنى عيانه »^(١) . وقال ابن رشد في ترجمة كتاب الشعر لارسطو ذاكراً وصف الحروب والوقائع « والمتنبي افضل من يوجد له هذا الصنف من التخييل . وذلك كثير في اشعاره ، ولذلك يحكى عنه انه كان لا يريد ان يصف الوقائع التي لم يشهدها مع سيف الدولة »^(٢)

ولقد ترك لنا من شعره الحربي كثيراً من القصائد الخالدة : يقف فيها معلنا عظمة الاسلام في شخص الممدوح ، حاملاً على اعداء الخلافة ، مثيراً للحاسة القومية ويتخلل كل ذلك من الحكم البليغة ما يناسب المقام وينفذ الى اعماق النفوس . ولولا شهرة هذه القصائد وتوفر طلاب الادب على تدارسها وحفظها لاتينا بالامثلة الكثيرة على شعر المتنبي في هذا الطور ، ولكننا نجتزئ هنا بالاشارة الى القصائد التي مطلعها :

غيري باكثر هذا الناس ينخدع
فدينائك من ربع وان زدتنا كرا
ليالي بعد الظاعنين شكول
لكل امرى من دهره ما تعودا
دروع لملك الروم هدي الرسائل
على قدر اهل العزم تأتي الغزائم
الرأي قبل شجاعة الشجعان
عقبى اليميين على عقبى الوغى ندم
ذي المعالي فليعاون من تعالى

وكلها مما يجب على المتأدب درسه وحفظه والتأمل في روائع معانيه

(٢) راجع مقالات على علم الادب لشيخو ٢-٣٨٠

(١) المثل السائر ٦٧١

اما شعور الشاعر بالفوز والتفوق وحمله لذلك على الحساد فيظهر في مثل قوله لسيف
الدولة —

انا السابق الهادي الى ما ا قوله	اذ القول قبل القائلين مقول
اعادى على ما يوجب الحب للفتى	واهدأ والافكار في تجول
سوى وجع الحساد داو فانه	اذا حل في قلب فليس يحول
ولا تطمعن من حاسد في مودة	وان كنت تبديها له وتنيل
وانا لنلتى الحادثات بانفس	كثير الرزايا عندهن قليل

وقوله —

ازل حسد الحساد عني بكتبهم	فانت الذي صيرتهم لي حسدا
اذا شد زندي حسن رايك فيهم	ضربت بسيف يقطع الهام مغندا
وما الدهر الا من رواة قصائدي	اذا قلت شعراً أصبح الدهر منشدا

واقواله في ذلك كثيرة ، واشدها قصيدته الميسية واحر قلباه — ولقد نشأ هذا
الشعور مع المتنبي ورافقه كل ايام حياته ، ولكنه يظهر على اشده في هذا الطور ، وفيه
اكثر ما تركه المتنبي من هذه النفثات الاليمة .

شعره في مصر

وهو يمثل لنا عواطف الغيظ من الماضي والامل بالمستقبل ، وفيه تتجلى عبقرية المتنبي
على اتما — من دقة في الاشارة وروعة في المعاني وجمال في التوقيع .

فبينما ترى شعره في الطور الاول يكثر فيه التعقيد اللفظي والمعنوي ، وفي حلب
يتكلف احياناً استعمال الغريب للدلالة على غزارة علمه ، تراه في مصر صقيلاً خالصاً من
هذه الشوائب جاريماً على الطبيعة . فهو يمثل غاية ما بلغه المتنبي من البلاغة . ولقد اخطأ البديعي
اذ قال « ان احسن شعره في سيف الدولة وقد تراجع شعره بعد ذلك »^(١) ، فان المدقق يرى
في « كافورياته » من جلال المعنى وجمال الصياغة ما يشهد انه بلغ به كمال النضج . واننا
نجاري في ذلك اليازجي اذ قال « على انك اذا تفقدت تلك المعجمات من ابياته ، فاكث

(١) الصبح المتنبي — هامش العكبري ١-٨٧

ما تجدها في اوائل شعره حين لم تستحکم فيه ملكة النظم ولم تطرد له وجوه التعبير . وما احسب المتنبي الا كان في صدر امره يتوخى طريقة ابي تمام ، فكان ينحو نحوه في الخوم على موارد الاغراب والتنقيب عن الوحشي من حكم الجاهلية ، والتورك على الصيغ الشاذة والتحدلق في اسلوب الخطاب « - الى ان يقول عن شعره في حضرة سيف الدولة « انه كان هناك في محفل حافل بالعلماء والشعراء والمنتقدين ، ولذلك لم يكن بدأ من حشد القرينة في مدح سيف الدولة والاكثر من التنطس في الفاظه ومعانيه . ثم اذا انتقلت الى شعره في كافور وجدته قد عاد الى السهولة والرشاقة^(١) »

ويكفي للدلالة على ذلك ان تراجع القصائد التالية

كني بك داء ان ترى الموت شافيا

فراق ومن فارقت غير مذمم

من الجأذر في زي الاعارب

اود من الايام ما لا توده

اغالب فيك الشوق والشوق اغلب

مضى سکن لي ان البياض خضاب

فان هذه القصائد « الكافورية » من اسلس قصائده واملأها معنى واجملها ايقاعا . ومن بدائعه في هذا الطور ميميته المشهورة في وصف حاله في مصر ووصف حمى اصابته نظمها وهو في الخامسة والاربعين جاءت غاية الغايات من حسن الانسجام ودقة التعبير وحسن الاختراع ، وقد ادرجت في باب المختارات من شعره فلتراجع هناك .

الطور الاخير

ويثله شعره في العراق وفارس ، وهو عموماً احط من شعره في حلب وفي مصر . يشعر فيه المتأمل بتراخي نفسه الشعري ورجوعه احياناً الى التعسف والتكلف ، فكانه بلغ اوجه الشعري في الخامسة والاربعين من عمره ثم اخذ بالانقلاب البطيء . : قد يكون للسن تأثيرها في ذلك ولكن مما لا شك فيه انه كان لفشله في مصر ، ثم ما لاقاه في بغداد اثر في خضد شوكته ، وتخفيف تلك النائرة الشعرية فيه

(١) بتصرف عن رسالته في ذيل شرحه للديوان ٦٦٦-٦٧١

خاتمة في شعره الحكمي

اجاد المتنبي في كل انواع الشعر العربي من مدح وغزل ونثر ورناء. ووصف وهجاء ، وله في الرثاء خاصة مكانة سامية تشهد له بذلك مراتبه التي تعد من افضل المرثي في الادب العربي — ومنها

نعد المشرفية والعوالي

يا اخت خير اخ يا بنت خير اب

الحزن يقلق والتجمل يردع

وكلاهما مشهورة تجري اكثر ابياتها على السنة الادباء .

على ان المتنبي الحقيقي انا هو تلك الصورة التي ترسمها من قراءة حكمه ، وفهم علاقتها بالزمان — تلك الحقائق الادبية والاجتماعية الناصعة المعقودة في ارشق الالفاظ واسلس التعابير . نعم انها منتشرة في تضاعيف قصائده ، متفرقة بين اغراضه المختلفة ، ولكن لها علاقة حيوية بكل مقام يكون فيه الشاعر . واذا القينا اليها نظرة عامة وحاولنا ان نستخلص منها صورة لشاعرنا الكبير نجد فيها الواناً مختلفة تنعكس عن شيء واحد وهو « تزعة الفطرية » — تلك الطبيعة التي كانت تحاول التعالي والحصول على القوة ، ثم لا تلبث ان تعود وفيها شيء من المرارة والالم

كان للمتنبي غرض كبير في الحياة — المجد — لاجله ظهر غروره صغيراً ، ولاجله جاب الاقطار كبيراً ، ولاجله صحب الملوك وحشد المال حتى تعالي عن طبقة الشعراء ، وساوى نفسه بمدوحيه من الامراء . ولكنه فشل ، وفي سعيه وفشله عرف الحياة واختبر حقيقة المجتمع البشري ، فنظم ذلك لنا حكماً عالية ادرك الناس صحتها ، فتداولتها السن الزمان في كل مكان ، واصبحت على كزور الايام امثالاً يرددها الخاص والعام .

غرّ المتنبي سراب الدنيا فسعى وراءه ، وطوى في ذلك السعي شبابه ورجولته . فاذا الدنيا سراب واذا السعي وراء الباطل باطل . على اننا لنحمد الاقدار على هذا السراب وهذا الباطل ، فاولاهما لما كان لنا شاعر الحكمة الكبير ، ولما تحدّر الينا منه ذلك الميراث الادبي الخالد .

المختار من شعر المتنبي

نفس عزيزة شديدة المطامع تدفعها شهوة الدنيا الى طلب المجد والقوة ، فتندفع اليها
بعزم الفارس المقدم . ثم لا تلبث ان تصطدم بالفشل فترتد على اعقابها دقيقة المعرفة
بجوادث الزمان ، صائبة النظر في عواطف الانسان - تلك هي حكم المتنبي البليغة وخوارج
نفسه الكبيرة

نزعات سبابة

كم قتيل كما قتلت شهيد لبياض الطلى وورد الخدود
وعيون المهى ولا كعيون فتصكت بالتميم المعمود
در در الصبا - ايام تجرير ذيولي بدار ائمة عودي^(١)
عمرك الله هل رأيت بدورا طلعت في براقع وعقود
راميات باسهم ريشها الهد ب تشق القلوب قبل الجلود
يترشفن من فمي رشفات هن فيه حلاوة التوحيد^(٢)
كل خصاصة ارق من الحمر بقلب اقسى من الجلود^(٣)
ذات فرع كلما ضرب العنبر فيه بما ورد وعود
حالك كالغداف جمل دجوجي ائيش جعد بلا تجعد
تحمل المسك عن غداؤها الرياح وتفتت عن شيب برود^(٤)

(١) ايام منادى اي ابنا الايام التي كنت اجرر فيها ذيولي مرحاً في دار ائمة عودي الي

(٢) التوحيد نوع من التمر

(٣) الخصاصة الضامرة او النخيلة . والفرع الشعر . والغداف الغراب

(٤) شيب برود اي ثمر لطيف عذب الما .

جمعت بين جسم احمد والسقم وبين الجفون والتسديد^(١)

...

هذه مهجتي لديك الخيني فانقصي من عذابها او فزيدي
كل شيء من الدماء حرام شربه ما خلا ابنة العنقود
فاستقنيا فدى لعينيك نفي من غزال، وطارفي وتليدي
شيب رأسي وذلتني ونحولي ودموعي على هواك شهودي
اي يوم سررتني بوصال لم ترعني ثلاثة بصدود

ما مقامي بارض نخلة الا كمكان المسيح بين اليهود^(٢)
مفرشي صهوة الحصان ولكن قيصي مسرودة من حديد
اين فضلي اذا قنعت من الدهر بعيش معجّل التنكيد
ضاق صدري وطال في طلب الرزق قيامي وقلّ عنه قعودي
ابداً اقطع البلاد ونجمي في نحوس وهمتي في سعود
عش عزيزاً او مت وانت كريم بين طعن القنا وخفق البنود
فرؤوس الرماح اذهب للغيظ واشقى لغل صدر الخلود
لا كما قد حيت غير حميد واذا مت مت غير فقيد
فاطلب الغز في لظى ودع الذلّ ولو كان في جنان الخلود
يقتل العاجز الجبان وقد يعجز عن قطع بخنق المولود
ويروى الفتى الخش وقد خوّض في ماء لآبة الصنديد^(٣)
لا بقومي شرفت بل شرفوا بي وبفسي خفرت لا بجوددي
وبهم فخر كل من نطق الضاد وعود الجاني وغوث الطريد
ان اكن معجباً فعجب عجيب لم يجد فوق نفسه من مزيد

(١) احمد اسم الشاعر

(٢) ارض نخلة قرية لبني كلب

(٣) اي ويوق الشجاع المغامر وقد خاض في دماء الابطال

انا تراب الندى ورب القوافي وسام العدى وغيظ الحسود
انا في امة - تداركها الله - غريب كصالح في ثمود^(١)

وصف الاسد

وكيف صرعه بدر بن عمار، وذلك على ضفاف الاردن قرب طبريا

في الحد أن عزم الخليط رحيلاً مطر تريد به الحدود مَحُولاً^(٢)
يا نظرة نفت الرقاد وغادرت في حد قلبي ما حيت فلولا
كانت من الكحلاء سولي انا اجلي تمثل في فؤادي سولاً^(٣)
اجد الجفاء على سواك مروءة والصبر الأ في نواك جميلاً
واري تدللك الكثير محبياً واري قليل تدل ملولاً
حدق الحسان من العواني هجن لي يوم الفراق صباية وغيلاً
حدق يذم من القواتل غيرها بدر بن عمار بن اسماعيل^(٤)
الفارج الكرب العظام بثلها والتارك الملك العزيز ذليلاً
رقت مضاربه فهن كائنا يبدن من عشق الرقاب نحولاً

امعتر الليث الهزبر بسوطه لمن ادخرت الصارم المصقولا
وقعت على الاردن منه بليّة نضدت بها هام الرفاق تلولا
ورد اذا ورد البحيرة شارباً ورد الفرات زهيره والنيلا
متخضب بدم الفوارس لابس في غيله من لبديته غيلاً^(٥)

- (١) صالح نبي ارسل الى ثمود فلم يؤمنوا به ولم يصفوا الى اقواله
(٢) لان العشراء عزموا على الرحيل هطل مطر الدموع على خدي فزاده محولاً (بعكس مطر السماء الذي يزيد خصب الارض)
(٣) كانت هذه النظرة كل ما اسأله ولكن ما اسأله كان السبب في هلاكه
(٤) يذم بغير - اي ان المدح يحبرنا من كل قاتل سوى نظرات الحسان
(٥) هذا الاسد فتك بالناس وتخضب بدماء الفرسان وكنت تراه في غابه كائنا عليه غابة من شعره

ما قوبلت عيناه الاظنتنا
 في وحدة الرهبان الا انه
 يظاً الشرى مترقفاً من تيهه
 ويرد عفرته الى يافوخه
 وتظنه - مما يزجر - نفسه
 قصرت مخافته الخطى فكاننا
 التي فريسته وبربر دونها
 فتشابه الخلقان في إقدامه
 اسد يرى عضويه فيك كليهما
 ما زال يجمع نفسه في زروه
 ويدق بالصدر الحجار كانه
 وكأته غرته عين فادنى
 أنف الكرم من الدينثة تارك
 والعار مضاض وليس بخائف
 سبق التقاءكه يوثبة هاجم
 خذلته قوته وقد كاخته
 قبضت منيته يديه وعنقه
 سمع ابن عمته به وبجاله
 وامر مما فر منه فراره
 تلف الذي اتخذ الجراءة خلة

تجت الدجى نار الفريق حلولا
 لا يعرف التحريم والتحليلا
 فكانه آس يجس عيلا
 حتى تصير لرأسه اكيلا
 عنها لشدة غيظه مشغولا^(١)
 ركب الكمي جواده مشكولا^(٢)
 وقربت قرباً خاله تطفيلاً
 وتحالفاً في بذلك الماكولا^(٣)
 متناً ازل وساعداً مقتولا
 حتى حسبت العرض منه الطولا
 يبغى الى ما في الحضيض سيلا
 لا يبصر الخطب الجليل جليلا
 في عينه العدد الكثير قليلا
 من حقه من خاف مما قيلا
 لو لم تصادمه لجازك ميلا
 فاستنصر التسليم والتجديلا
 فكاننا صادفته مغلولا
 فنجأ يهروا امس منك مهولا^(٤)
 وكقتله ان لا يموت قتيلا
 وعظ الذي اتخذ الفرار خيلا

نظقت بسوددك الحمام تعنياً
 ما كل من طلب المعالي نافذاً

وبما تجشمها الجياد صيلا
 فيها ولا كل الرجال فحولا

(١) وتظنه نفسه لكثرة زجرته انه مشغول عنها

(٢) من شدة الخوف اصبح الجواد غير قادر على الجري

(٣) تشابهاً في الاقدام وتحالفاً في انك كرم تبذل ما تصيده لسواك

(٤) يشبر الى اسد آخر هرب منه بعد هذه المادثة

بعض مدائح في سيف الدولة

وهو يصوره في شعره بصورة البطل القومي والمجاهد الأكبر ضد الروم

قال يذكر بناءه مرعش سنة ٣٤١

فدينك من ربع وان زدتنا كزبا
وكيف عرفنا رسم من لم يدع لنا
نزلنا عن الاكوار نثني كرامة
نذم السحاب الغر في فعلها به
ومن صجب الدنيا طويلاً تقلبت
وكيف التذاذي بالأصائل والضحي
ذكرت به وصلاً كان لم أفر به
وفتانة العينين قتالة الهوى
فيا شوق ما أبقى ويالي من النوى
لقد لعب البين المشت بها وبني
ومن تكن الأسد الضواري جدوده
ولست أبالي بعد إدراكي العلى
فرب غلام علم المجد نفسه
إذا الدولة استكفت به في ملمة
نهاب سيوف الهند وهي حداثد
ويهرب ناب الليث والليث وحده
ويختي عباب البحر وهو مكانه

فانك كنت الشرق للشمس والغربا
فواداً لعرفان الرسوم ولألباً
لمن بان عنه أن نلم به ركبا
ونعرض عنها كلما طلعت عتبا
على عينه حتى يرى صدقها كذبا
إذا لم يعد ذلك النسيم الذي هباً
وعيشاً كأنني كنت اقطعهُ وثبا
إذا نفحت شيخاً روائحها شياً
ويا دمع ما اجرى ويا قلب ما اصي
وزودني في السير ما زود الضباً (١)
يكن ليله صباحاً ومطعمه غصبا
أكان تراناً ما تناولت أم كسبا
كتعليم سيف الدولة الطعن والضربا
كفاها فكان السيف والكف والقلبا
فكيف إذا كانت تزارية غرباً (٢)
فكيف إذا كان الليوث له صجبا
فكيف بمن يغشى البلاد إذا عبأ

(١) الضب حيوان معروف ويضرب به المثل في الحيرة . اي ان البين الذي فرقنا جعلني حائرًا

(٢) فكيف لا تحاب وهي عريه كريمة الاصل (اشارة الى سيف الدولة)

هنيئاً لاهل الثغر رأيك فيهم
 وأنك رعت الدهرَ فيها وريبه
 فيوماً بجيـلٍ تطردُ الرومَ عنهم
 سراياك تترى والدُمستقُ هاربُ
 أتى مرعشاً يستقربُ البعدَ مقبلاً
 كذا يتركُ الأعداءَ من يكره القنا
 وهل ردَّ عنه باللقانِ وقوفه
 مضى بعد ما التفَّ الرماحان ساعةً
 ولكنه ولَّى وللطعن سورةً

. . .

أرى كلنا يبغي الحياة لنفسه
 فحُبُّ الجبان النفسَ أوردَه البقا
 ويختلفُ الرزقان والفعلُ واحدُ
 حريصاً عليها مستهماً بها صباً
 وحبُّ الشجاع الحربَ أوردَه الحربا
 الى ان ترى إحسان هذا لذا ذنباً^(٥)

. . .

فاضحت كأنَّ السورَ من فوق بدئه
 تصدُّ الرياحُ الموجُ عنها مخافة
 كنى عجباً أن يعجبَ الناسُ أنه
 وما الفرقُ ما بين الأنام وبينه
 لأمرٍ أعدته الخِلافةُ للعدي
 ولم تفترق عنه الأسنةُ رحمةً
 الى الارض قد شقَّ الكواكبُ والتراباً^(٦)
 وتفرع فيها الطير أن تلتقطَ حباً
 بنى مرعشاً تباً لآرائهم تباً
 اذا حذرَ المحذورَ واستصعب الصعبا
 وسمنته دونَ العالم الصارمَ العضبا
 ولم تتركِ الشأمَ الأعادي له حباً

(١) ليهنا اهل الثغر بمن رأيك وانك يا حزب الله قد صرت حزياً لهم

(٢) الدمستق زعيم الروم

(٣ و٤) اللقان اسم مكان . والرماحان اي رماح الفريقين

(٥) في هذه الايات الحكمية يشير الى حرب الدمستق واقدام سيف الدولة فيقول ان حب الحياة يدفع الشجاع الى الحرب والجبان الى الحرب . غايتها واحدة ولكن فعل الجبان ذنبهم وفعل الشجاع حميد (٦) اضحت اي مرعش وسورها يناطح النجوم علواً وهو راسخ في احشاء الارض

ولكن نفاها عنه غيرَ كريمةٍ
وجيشٌ يثني كلُّ طودٍ كأنه
كأنَّ نجومَ الليلِ خافت مُغارةً
فن كان يُرضي اللؤمَ والكفرَ ملكه
كريمُ الشنا ما سبَّ قطُّ ولا سباً
خريقٌ رياحٍ واجهتُ غصناً رطباً
فدَّت عليها من عجاجته حجبا
فهذا الذي يرضي المكارمَ والرباباً

وقال يذكر فوزه على الروم

في قلعة الحدث (بالاناضول) وكان المتنبي قد صحبه في هذه المعركة

على قدر اهل العزم تأتي العزائمُ
وتعظمُ في عين الصغير صغارها
يكلفُ سيفُ الدولة الجيشَ همّةً
ويطلب عند الناس ما عند نفسه
يفدي أتمَّ الطيرِ عمراً سلاحه
وما ضرَّها خلقتُ بغيرِ مخالفٍ
وتأتي على قدرِ الكرامِ المكارمُ
وتصغرُ في عين العظيم العظائمُ
وقد عجزت عنه أجيوشُ الخضارمِ
وذلك ما لا تدعيه الضراغمُ
نورُ الفلا أحداثها والقشاعمُ
وقد خلقت أسيافه والقوامُ^(١)

هل الحدثُ الحمراء تعرف لونها
سقتها الغمامُ الغرُّ قبل نزوله
بناها فأعلى والقنا يقرعُ القنا
وكان بها مثلُ الجنون فأصبحت
طريدةٌ دهر ساقها فرددتها
تفتتُ الليالي كلَّ شيءٍ أخذته
وتعلمُ أيُّ الساقينِ الغمامُ^(٢)
فلما دنا منها سقتها الجاجمُ
وموج المنايا حولها متلاطم
ومن جث القتلى عليها تمامُ^(٣)
على الدين بالحصيِّ والدهرُ راغمُ^(٤)
وهنَّ لما يأخذن منك غوارمُ^(٥)

(١) لو ان النسور بغير مخالف لما ضرَّها ذلك لان سيوفه تننيها بحيث القتلى

(٢) وصفها بالحمراء لما تلطخت به من دماء القتلى وكانت قد اصيبت بمطر قبل ذلك

(٣) التمام هي التعاويذ التي كانوا يتوقون بها من الجن

(٤) اي كان الدهر قد سلط الروم عليها فرددتها برماحك رغم انه

(٥) تبيت الليالي اي تكرها على تركه . وغوارم اي ملزمة بدفع غرامته

اذا كان ما تنويه فعلاً مضارعاً
وكيف ترجي الروم والروس هدمها
وقد حاكموها والمنايا حوالم^١
مضى قبل أن تلقى عليه الجوازم
وذا الطعن أساس لها ودعائم
فما مات مظلوم ولا عاش ظالم

...

أتوك يجرون الحديد كأننا
اذا برقوا لم تُعرف البيض^(١) منهم
خميس بشرق الارض والغرب زحفه
تجمع فيه كل لسان وأمة
فله وقت ذوب الغش ناره
تقطع ما لا يقطع الدرع والقنا
وقفت وما في الموت شك لواقف
تمر بك الابطال كلهم هزيمة
تجاوزت مقدار الشجاعة والنهي
ضمت جناحيهم على القلب ضمة
بضرب أتى الهامات والنصر غائب
حقرت الردينيات حتى طرحتها
ومن طلب الفتح الجليل فانا

...

فثرتهم فوق الاحيدب كله
تدوس بك الخيل الوكور على الذرى
أفي كل يوم ذا الدمسُتقُ مُقدم
أينكر ربح الليث حتى يذوقه
وقد لجمته بابنه وابن صهره
كما نثرت فوق العروس الدراهم
وقد كثرت حول الوكور المطاعم
قفاه على الاقدام للوجه لانم
وقد عرفت ربح الليوث البهائم
وبالصهر حملات الامير الغواشم^(٢)

(١) البيض السيوف . اي مدرعون بالحديد وعلى رؤوسهم خوذ الحرب

(٢) ضبارم شجاع (٣) اي اهلكت الجيش جميعه

(٤) اشارة الى فوز سابق للممدوح على هؤلاء .

مضى يشكر الاصحاب في فوته الظبي
ويفهم صوت المشرفية فيهم
يسر بما اعطاك لا عن جهالة
لما شغلتها هاهمهم والمعاصم (١)

...

تشرف عدنان به لا ربيعة
لك الحمد في الدر الذي لي لفظه
واني تعدو بي عطايك في الوعى
على كل طيار اليها برجله
ألا أيها السيف الذي ليس مغمداً
هينئاً لضرب الهام والمجد والعلی
ولم لا يتي الرحمن حديثك ما وقى
وتقتخر الدنيا به لا العواصم (٢)

وقال بمرمه وبعاينه

على حيف لحقه منه ويظهر ما كان في نفسه من تحامل حساده عليه

واحر قلباه ممن قلبه شيم
مالي أكثيم جبا قد برى جسدي
إن كان يجمعنا حب لغرته
قد زرتة وسيوف الهند مغمدة
فكان احسن خلق الله كلهم
فوت العدو الذي يئتمه ظفر
قد ناب عنك شديد الخوف واصطنعت
ومن بجسمي وحالي عنده سقم (٣)

(١) مضى يشكر اصحابه لانهم شغلوا برووسهم السيوف فلم تنله

(٢) ربيعة قبيلة سيف الدولة . والعواصم هي البلاد المتاخمة للروم وعاصمتها انطاكية

(٣) اشارة الى عطايه من الخيول (٤) شيم بارد

(٥) البهم الجيوش

أثّمت نفسك شيئاً ليس يلزمها
أكلماً رمت جيشاً فانشئ هرباً
أما ترى ظفراً حلواً سوى ظفر
أن لا يواريهم ارضٌ ولا علم
تصرّفت بك في آثاره المهم
تصاحت فيه بيضُ الهند واللهم

...

يا أعدلَ الناسِ إلّا في معاملتي
أعيذها نظراتٍ منك صادقة
وما انتفاع أخِي الدنيا بناظره
سيعلمُ الجععُ بمن ضمَّ مجلسنا
أنا الذي نظر الأعمى إلى ادبي
انام ملء جفوني عن شواردها
فيك الخصامُ وأنت الخصم والحكم
أن تحسب الشحمَ فيمن شحمه ورم
إذا استوت عنده الأنوار والظلم
بأنني خير من تسعى به قدمُ
واسمعتُ كلماتي من به صم
ويسهرُ الخلقُ جرّأها ويختصم^(١)

...

وجاهلٍ مدّة في جهله ضحكي
إذا رأيتَ نيوبَ الليثِ بارزة
ومهجة مهجتي من همّ صاحبها
ومرهفٍ سرتُ بين الجحفلين به
الخيْلُ والليلُ والبيداءُ تعرفني
حتى اتته يدُ فراسةٍ وفم
فلا تظنَّ أن الليثَ يبتسم
أدركتها بجوادٍ ظهره حرم^(٢)
حتى ضربتُ وموج الموت يلتطم
والسيفُ والرمحُ والقرطاسُ والقلم

.....

يا من يعزُّ علينا ان نفارقهم
ما كان اخلقنا منكم بتكرمة
إن كان سرّكم ما قال حاسدنا
وبيننا لو رعيتم ذلك معرفة
كم تطلبون لنا عيباً فيعجزكم
ما أبعد العيب والنقصان من شرفي
وجدانا كل شيء بعدكم عدم
لو أنّ امرّك من امرنا أمم
فما لجرح إذا ارضاكم ألم
أنّ المعارف في اهل النهي ذمم
ويكره الله ما تأتون والكرم
أنا الثرياً وذان الشيبُ والمهرم

(١) انام ملء جفوني عن شواردها لاني خلقت لغيري ادركتها بسهولة
(٢) اي ورب مهجة هم صاحبها اطلاق مهجتي ادركتها بجوادى فضيت عليها

ليت الغمام الذي عندي صواعقه
 ارى النوى يقتضيني كلَّ مرحلة
 لئن تركنَ ضُميراً عن ميامننا
 اذا ترحلت عن قومٍ وقد قدروا
 شرُّ البلادِ مكاناً لا صديق به
 وشرُّ ما قنصته راحتي قنصُ
 بايَ لفظٍ تقولُ الشعرَ زعنفةً
 هذا عتابك الا أنه مقه
 يزيلهنَّ الى من عندهُ الدِّيم (١)
 لا تستقلُّ بها الوخادة الرُّسمُ
 ليحدثنَّ لِمَن ودَّعتهنَّ ندَم (٢)
 أن لا تفارقهم فالراحلون هم
 وشرُّ ما يكسبُ الانسان ما يصم
 شهبُ البزاةِ سواه فيه والرخم (٣)
 تجوز عندك لا عُربٌ ولا عجم
 قد ضَيَّنَ الدرَّ الا أنه كلم (٤)

بعض مرثم في طافور

قال سنة ٣٤٦ وهي اولى قصائده في مصر وكان كافور قد تلقاه بجفاوة وحمل
 اليه آفاقاً من الدراهم

كني بك داء ان ترى الموت شافيا
 تبتيتها لما تبتيت ان ترى
 اذا كنت ترضى ان تعيش بذلة
 فما ينفع الأسد الحياه من الطوى
 حبيتك قلبي قبل حُبك من نأى
 وحسبُ المنايا ان يكنَّ امانيا (٥)
 صديقاً فأعيا او عدواً مداجيا (٦)
 فلا تستجيدنَّ العتاق المذاكيا (٧)
 ولا تتبني حتى تكونَ ضواريا (٨)
 وقد كانَ غداراً فكُن انتَ وافيًا (٩)

(١) يشبه سيف الدولة بالغمام وسخطه بالصواعق ، والدِّيم بعاياه - اي ليت غضبه يكون على من
 غرهم بعاياه وهم لا يستحقونها

(٢) ضمير جبل وهو يشير الى سفره والى ان المهذوح سيندم على ذلك

(٣) يشير الى ان سيف الدولة سوى عنده بين المتنبي وسواه من صالحيك الشعراء

(٤) مقه من فعل ومق ومعناها الحب

(٥) يخاطب الشاعر نفسه ويقول الشدة التي ما وراها شدة ان تكون في حالة تحسب الموت

شافياً لك او امنية تمنهاها (٦) اعياك ذلك اي اعجزك . ومداجي اي مداري

(٧) العتاق المذاكي اي الخبول الكريمة (٨) الطوى الجوع

(٩) اي اني احببتك يا قلبي قبل حُبك لمن في حلب فلا تكن غير وفي لي

واعلم انّ البينَ يُشكيكَ بعدَهُ
 فإنّ دموعَ العينِ عُذْرٌ برهبا
 إذا الجودُ لم يرزقَ خلاصاً من الأذى
 وللنفسِ اخلاقٌ تدلُّ على الفتى
 أقلَّ اشتياقاً ايها القلبُ ربنا
 خلقتُ الوفاً لو رجعتُ الى الصبي
 ولكنّ بالفسطاطِ بجرّاً ازرتهُ
 ابا المسكِ ذا الوجهِ الذي كنتُ تائقاً
 ابا كلِّ طيبٍ لا ابا المسكِ وحدهُ
 يُدِلُّ بمعنى واحدٍ كلُّ فاجرٍ
 اذا كسبَ الناسُ المعالي بالندى
 وغيرُ كثيرٍ ان يزوركُ راجلٌ
 فقد تهبُّ الجيشَ الذي جاء غازياً
 وتحتقرُ الدنيا احتقارَ مجربٍ
 وما كنتُ ممن ادرككُ الملكُ بالنبي
 مدى بلّغَ الاستاذَ اقصاهُ ربهُ
 دعتُهُ فلبأها الى المجدِ والعلی
 فاصحّ فوقَ العالمينَ يرونه

فلستَ فؤادي إن رايتهُ شاكياً
 اذا كنَّ إثرَ الغادرينَ جوارياً
 فلا الحمدُ مكسوباً ولا المالُ باقياً
 اكانَ سخاءُ ما اتى ام تساخياً
 رأيتكُ تُصني الوُدَّ من ليس صافياً
 لفارقتُ شبيبي موجعَ القلبِ باكياً
 حياتي ونصحي والهوى والقوافيا^(١)
 اليه وذا اليوم الذي كنتُ راجياً^(٢)
 وكلّ سحابٍ لا اخضُ النواديا
 وقد جمعَ الرحمنُ فيك المعانیا
 فانك تعطي في نذاك المعاليا
 فيرجعُ ملكاً للعراقين واليا
 لسائلك الفردِ الذي جاء عافياً^(٣)
 يرى كلُّ ما فيها وحاشاك فانيا
 ولكن بايام اشبن النواصيا
 ونفسُ له لم ترض إلا التناهي
 وقد خالفَ الناسُ النفوسَ الدواعيا
 وإن كان يدنيه التكرمُ نائياً

وقال أيضاً بدمه

اودُّ من الايام ما لا تودُّه
 يباعدن حياً يجتمعن ووصله
 واشكو اليها بيننا وهي جندُه
 فكيف يجب يجتمعن وصدُه

(١) الفسطاط مصر. ويريد بالبحر كافور

(٢) ابو المسك كنية كافور

(٣) قد ذهب الجيش الغازي لسائل واحد ياتيك طالباً لمعرفتك

ابى خُلقُ الدنيا حبيباً تديمهُ
 واسرع مفعولٍ فعلتَ تغيراً
 رعى الله عيساً فارقتنا وفوقها
 يواد به ما بالقلوب كأنه
 اذا سارت الاحداجُ فوقَ نباته
 وحال كاحداهن رمتُ بلوغها
 واتعبُ خلقَ الله من زاد هُتُه
 فلا ينحلُّ في المجد مالِك كُتُه
 ودبره تدبير الذي المجدُ كُتُه
 فلا مجدٌ في الدنيا لمن قلَّ ماله
 وفي الناس من يرضى بيمسور عيشه
 واكن قلباً بين جنبي ماله
 يرى جسمه يكسى شفوفاً ترُتبه
 وامضى سلاح قلد المرء نفسه
 هما ناصرا من خانه كلُّ ناصر
 انا اليوم من غلمانة في عشيرة
 فمن ماله مال الكبير ونفسه
 نجر القنا الخطي حول قبابه
 ابو المسك لا يفنى بذنبك عفوه
 فيا ايها المنصورُ بالجد سعيه
 تولى الصبي عني فخالفت طيبه

فما طلي منها حبيباً ترُدّه
 تكلفُ شيء في طباعك ضدّه
 معي كلُّها يولى بحفنيه خدّه (١)
 وقد رحلوا جيداً تناثرَ عقده (٢)
 تفاحح مسك الغايات ورنده
 ومن دونها غول الطريق وبعده (٣)
 وقتر عما تشتهي النفس وجدّه (٤)
 فينحلُّ مجدٌ كان بالمال عقده
 اذا حارب الاعداء والمال زنده
 ولا مال في الدنيا لمن قلَّ مجده
 ومركوبه رجلاه والثوب جلده
 مدى ينتهي بي في مراد احدّه
 فيختار ان يكسى دروعاً تهده (٥)
 رجا ابى المسك الكريم وقصده
 وأسرة من لم يكثر النسل جدّه
 لنا والدٌ منه يفديه وُلده
 ومن ماله دَرُّ الصغير ومهده
 وتردي بنا قُبُّ الرباط وجرده
 ولكنه يفنى بعذرِك حقدّه
 ويا ايها المنصور بالسعي جدّه (٦)
 وما ضرني لما رأيتك فقهده

(١) رعى الله نياقاً فارقتنا وفوقها ظبا. (حسان) تستقي خدودها من دموعها

(٢) بواد به من الشوق والجزع ما بقلوب المحبين

(٣) وحال صعبة المنال كاحدى هذه الحسان

(٤) همه اي همته ووجدته ماله. اي اتعب الناس من عظمت مطامعه وقصر ماله عن ادراكها

(٥) يرى جسمه مغطى بالحرير فيفضل ان يكسوه الدرود بدل الحرير

(٦) الجد الحظ

لقد شبَّ في هذا الزمان كهوله
 ألا ليت يوم السير يخبر حوَّه
 وليتك ترعاني وحيران معرضٌ
 واني اذا باشرت امرأ أريدُه
 وما زال اهلُ الدهر يشتهون لي
 يقاله اذا ابصرت جيشاً وربَّه
 والقي الفمَّ الضحَّاك اعلم انه
 فزارك مني من اليك اشتياقه
 فان نلتُ ما املتُ منك فرُبَّما
 ووعدك فعلٌ قبل وعده لآئه
 فكُن في اصطناعي محسناً كمجرب
 اذا كنت في شك من السيف فابله
 وما الصارم الهندي الا كغيره
 وانك للمشكور في كل حاله
 فكل نوالٍ كان او هو كائنٌ
 واني لني بجر من الخير اصله
 وما رغبت في عسجد استفيده
 يُود به من يفضحُ الجودَ جوده
 فانك ما مرَّ النحوسُ بكوكب

لديك وشابت عند غيرك مُرده
 فتساله والليلَ يخبرُ برُده
 فتعلم اني من حسامك حده (١)
 تدانت اقاصيه وهان اشده
 اليك فلما لحت لي لاح فردُه
 امامك ربُّ ربُّ ذا الجيش عبده
 قريب بندي الكف المفضاة عهدُه (٢)
 وفي الناس الا فيك وحدك زهده
 شربت بآء يعجزُ الطير ورده
 نظير فعالٍ الصادق القول وعده
 بين لك تقربُ الجوارِ وشده
 فاما تنبيهه واما تُعده
 اذا لم يفارقه النجادُ وغمده
 ولو لم يكن الا البشاشة رفده
 فلحظة طرف منك عندي نده
 عطاياك ارجو مدها وهي مده
 ولكنها في مفخر استجده
 ويحمده من يفضحُ الحمد حمده
 وقابله الا ووجهك سعده

(١) حيران اسم جبل اي ليتك كنت تراني وانا اسير مقابل حيران لتعلم مضاي وعزومي
 (٢) وكلما ابصرت جيشاً على الطريق كان يقال لي اترى هذا الجيش ان قائده عبد لمن انت
 تقصده ، وكلما رايت ثأ ضحاكاً اعلم انه قريب العهد بتقبيل يدك المفضاة

ومن صدائهم في تلك السنة

مَنْ الْجَادِرُ فِي زِيِّ الْأَعَارِبِ
 إِنْ كُنْتَ تَسْأَلُ سُكَّاءَ فِي مَعَارِفِهَا
 مَا أَوْجَهُ الْحَضَرَ الْمُسْتَحْسِنَاتُ بِهِ
 حَسَنَ الْحَضَارَةِ مَجَابُوبٌ بِتَطْرِيَةِ
 إِيْنِ الْمَعِيْزِ مِنَ الْأَرَامِ نَاطِرَةٌ
 أَفْدِيْ طِبَاءَ فَلَاقَهُ مَا عَرَفْنَ بِهَا
 وَمِنْ هَوَى كُلِّ مَنْ لَيْسَتْ مَمُوْهَةً
 وَمِنْ هَوَى الصِّدْقِ فِي قَوْلِي وَعَادَتِهِ

لَيْتَ الْحَوَادِثَ بَاعْتَنِي الَّذِي أَخَذْتُ
 فَمَا الْخِدَائَةُ مِنْ رَحْلِمٍ بِإِنْعَامِ
 تَرَعَرَ عَ الْمَلِكُ الْأَسْتَاذُ مَكْتَهِيلاً
 يُدِيرُ الْمَلِكُ مِنْ مِصْرَ إِلَى عَدْنِ
 يُصَرِّفُ الْأَمْرَ فِيهَا طِينُ خَاتَمِهِ
 قَالُوا هَجَرْتَ إِلَيْهِ الْغَيْثَ قَلْتُمْ
 إِلَى الَّذِي تَهَبُ الدُّوَلَاتُ رَاحَتِهِ
 وَلَا يَرُوعُ بِغُدُورِهِ بِهِ أَحَدًا

(١) الجادر اولاد بقر الوحش تشبه بها النساء لجمال عيونها . كان يقول من هؤلاء البدويات الحسان حمر الخلى والثياب والراكبات على النياق الحمر (هي اكرم النياق)
 (٢) الرعايب الطويلات المستلثات الجسم (٣) النظرية التكلف والصنعة
 (٤) يقصد بالمعيز نساء الحضر وبالارام «الطباء» البدويات (٥) التعمية اي الطلي ويراد به التريين

(٦) ليت الحوادث ترجع لي ما سلبتني من الشباب و تاخذ ما اعطيتني من العقل والتجربة
 (٧) اي نشأ حاصلًا على عقل الكهول قبل ان يكون كهلا
 (٨) يدبر الامور بطين خاتمه الذي يختم به رسائله ولو احمى النفس الذي فيه
 (٩) قالوا هجرت بتركك سيف الدولة المطرف قلت الى امطار يدي كافور الساكية
 (١٠) اي لا يقدر باحد ليروع به غيره ولا يسلب احدا ليفزع غير المسلوب

وَجَدْتُ أَنْفَعَ مَالٍ كُنْتُ أَذْخُرُهُ
لَمَّا رَأَيْتُ صُرُوفَ الدَّهْرِ تَغْدُرُ بِي
وَكَيْفَ أَكْفُرُ يَا كَافُورُ نَعْمَتَهَا
أَنْتَ الْجَلِيبُ وَلَكِنِّي أَعُوذُ بِهِ
مَا فِي السُّوَابِقِ مِنْ جَرِي وَتَقْرِيبِ (١)
وَفَيْنَ لِي وَوَفَتْ صَمُّ الْإِنَائِبِ (٢)
وَقَدْ بَلَغْتُكَ بِي يَا كُلَّ مَطْلُوبِي
مَنْ أَنْ أَكُونَ مَجْبَأً غَيْرَ مَحْبُوبِ

وقال يمدحه سنة ٣٤٧

فِرَاقٌ وَمَنْ فَارَقْتُ غَيْرُ مَذْمُومٍ
وَمَا مَنَزَلُ اللَّذَاتِ عِنْدِي بِمَنْزِلِ
سَجِيَّةِ نَفْسٍ مَا تَرَالُ مُلِيحَةً
رَحَلَتْ فَكَمْ بِالكَرِّ بِاجْفَانِ شَادِنِ
وَمَا رَبَّةُ الْقُرْطِ الْمَلِيحِ مَكَانَهُ
فَلَوْ كَانَ مَا بِي مِنْ حَبِيبٍ مَقْنَعِ
رَمَى وَاتَّقَى رَمِي وَمَنْ دُونَ مَا اتَّقَى
وَأَمُّ وَمَنْ يَنْمَتْ خَيْرٌ مَيْمَتٍ
إِذَا لَمْ أُبْجَلْ عِنْدَهُ وَأَكْرَمِ
مَنْ الضَّمِيمِ مَرْمِيًّا يَأْكُلُ مَخْرُومِ (٣)
عَلِيٍّ وَكَمْ بِالكَرِّ بِاجْفَانِ ضَيْغَمِ (٤)
بِاجْزَعِ مَنْ رَبِّ الْحَسَامِ الْمُصْتَمِ
عَذْرَتْ وَلَكِنْ مِنْ حَبِيبٍ مَعَمِّمِ (٥)
هُوَ كَلَسْرُ كِنْيِ وَقُوسِي وَاسْمِي

...

إِذَا سَاءَ فَعَلَ الْمَرْءُ سَاءَتْ ظَنُونُهُ
وَعَادَى حَمِيهِ بِقَوْلِ عِدَاتِهِ
أَصَادِقُ نَفْسِ الْمَرْءِ مِنْ قَبْلِ جَسَمِهِ
وَأَحْلَمُ عَنْ خَلِيٍّ وَأَعْلَمُ أَنَّهُ
وَإِنْ بَذَلَ الْإِنْسَانُ لِي جُودَ عَابِسِ
وَاهْوَى مِنَ الْقَتِيَانِ كُلِّ سَمِيدِعِ
وَصَدَّقَ مَا يَعْتَادُهُ مِنْ تَوْغَمِ
وَاصْبَحَ فِي لَيْلٍ مِنَ الشُّكِّ مَظْلَمِ
وَاعْرِفَهَا فِي فَعْلِهِ وَالتَّكْوَمِ
مَتَى اجْزَعِ حِلْمًا عَلَى الْجَهْلِ يَنْدَمِ
جَزَيْتُ بِجُودِ التَّارِكِ التَّبَسُّمِ
نَجِيبِ كَصَدْرِ السَّمْهَرِيِّ الْقَوْمِ

- (١) وجدت أنفع مال، جري الخيول . والتقريب نوع من عدو الخيل
(٢) النون في رأيت راجعة الى الخيل اي لما رات الخيل غدر الدهر بي وقت لي بحملي عن مواطن
القدر وكذلك وقت الرماح بمساعدتي
(٣) مليحة من الضميم اي خائفة منه . مخرم طريق في الجبال
(٤) رحلت فكم حسناء تبكي عليّ وكم بطل
(٥) الحبيب المقنع كناية عن المرأة والحبيب المعمم عن الرجل (يقصد سيف الدولة)

خطت تحته العيس الفلاة وخالطت
ولا عنة في سيفه وسانه
وما كل هاور للجميل بفاعل
فدوى لابي المسك الكرام فانها
اغراً بمجرد قد شخضن وراهه
اذا منعت منك السياسة نفسها
يضيق على من راه العذر ان يرى
ومن مثل كافور اذا الخيل احجمت
شديد ثبات الطرف والنقع واصل^(١)

ابا المسك ارجو منك نصراً على العدى
ويوماً يغيظ الحاسدين وحالة
ولم ارج الا اهل ذلك ومن يرد
فلو لم تكن في مصر ما سرت نحوها
ولا نبحت خيلي كلاب قبائل
ولا اتبعت آثارنا عين قائف
وسمنا بها البيداء حتى تغفرت

وأمل عزاً يخضب البيض بالدم
أقيم الشقا فيها مقام التعم
مواظراً من غير السحاب يظلم
بقلب المشوق المستهام المتيم
كان بها في الليل حملات ديلم^(٢)
فلم تر الا حافراً فوق منم^(٣)
من النيل واستذرت بظل المقطم

وابلج يعصي باختصاصي مشيره
فساق الي العرف غير مكدر
قد اخترتك الاملاك فاختر لهم بنا
فاحسن وجه في الوري وجه محسن^(٤)

عصيت بقصديه مشيري ولو مي
وسقت اليه الشكر غير مجمم
حديثاً وقد حكمت رايك فاحكم^(٥)
واين كف فيهم كف منم

- (١) ابو المسك اي كافور . جعل الكرام جياداً وهو الادمم في مقدمتهم
(٢) راه بمعنى رآه (٣) الطرف المهر اي شديد الثبات حين اشتداد الوغى
(٤) اي ولولاك لما قطعت القفار حتى نبحت خيلي كلاب القبائل كافي من بعض عصابات الديلم
(٥) القائف هو الذي يتبع الاثر ليعرف صاحبه .
(٦) اي قد اخترتك واستغيت بك عن كل الملوك فاحسن الي احساناً يلهجون به

واشرفهم من كان اشرف همّة
 لمن تطلب الدنيا اذا لم تردّها
 واكثر اقداماً على كل معظم
 سرور محب او مساوة مجرم

...

ولو كنت ادري كم حياتي قسمتها
 ولكنّ ما يمضي من الدهر فانت
 وصيرتُ ثلثيا انتظارك فاعلم
 فجدّ لي بجزّ البادر المتغتم
 ورضيت بما ترضى به لي محبة
 وقدت اليك النفس قود المسالم
 ومثلك من كان الوسيط فواده
 فكلمه عني ولم اتكلم

مرثاة في ابي شجاع فانك الرومي

وكان من المشهورين بالمكانم وقد توفي بمصر سنة ٣٥٠

الحزن يقلق والتجمل يردع
 يتنازعان دموع عين مسهد
 والدمع بينهما عصي طبع
 هذا يجي بها وهذا يرجع
 النوم بعد ابي شجاع نافر
 والليل معي والكواكب طلعت^(١)
 اني لاجبن عن فراق احبتي
 وتخس نفسي بالحمام فاشجع
 ويزيدني غضب الاعادي قسوة
 ويلمّ بي عتب الصديق فاجزع
 تصفو الحياة لجاهل او غافل
 عما مضى منها وما يتوقع
 ولن يغالط في الحقائق نفسه
 ويسومها طلب المحال فتطمع
 اين الذي الهرمان من بنيانه
 ما قومه ما يومه ما المصرع
 تتخلف الآثار عن اصحابها
 حيناً ويدركها الفناء فتنبع
 لم يرض قلب ابي شجاع مبلغ
 قبل المات ولم يسهه موضع

(١) النوم بعده لا يالف العين والليل يطول كانه منهوك من التعب والكواكب كأنها ظالمة

كنا نظن دياره مملوءة ذهباً فمات وكلُّ دار بلقع
 وإذا المكارم والصوارم والقنا وبنات اعوج كل شيء يجمع^(١)
 المجد اخسرُ والمكارمُ صفقةُ من ان يعيش لها الهامُ الاروع
 والناس اتزل في زمانك منزلاً من ان تعایشهم وقدرک ارفع^(٢)
 برذ حشاي ان استطعت بلفظة فلقد تضرُّ اذا تشاء وتنفع
 ما كان منك الى خليل قبلها ما يستراب به ولا ما يوجع
 ولقد اراك وما تلمُّ ملئةُ الا نفاها عنك قلب اصمع
 ويدٌ كأن نوالها وقتالها فرضٌ يحقُّ عليك وهو تبرع
 يا من يبدل كل يوم حلةً انى رضيت بجملة لا تترع
 ما زلت تحلها على من شاها حتى لبست اليوم ما لا تحلج
 فظلت تنظر لارماحك شرعاً فيما عراك ولا سيوفك قطعاً
 بابي الوحيد وجيشه متكاثر يبكي ومن شر السلاح الادمع^(٣)
 واذا حصلت من السلاح على البكا خشاك رعت به وخذك تفرع
 وصلت اليك يد سواء عندها ال بازي الاشيب والغراب الابقع^(٤)
 من للمحافل والجحافل والسرى فقدت بفقدي نيراً لا يطلع
 ومن اتخذت على الضيوف خليفة ضاعوا ومثلك لا يكاد يضيع
 قبجا لوجهك يا زمان فانه وجه له من كل قبسح برقع
 ايموت مثل ابي شجاع فاتك ويعيش حاسده الحصي الاوكمع^(٥)
 ابقيت اكذب كاذب ابقيته واخذت اصدق من يقول ويسمع
 ولئى وكل محالم ومنادم بعد اللزوم مشيع ومودع
 من كان فيه لكل قوم ملجأ ولسيفه في كل قوم مرتع

(١) كنا نظن دياره مملوءة بالذهب والاموال ولكنه لجوده لم يترك فيها شيئاً ولم يجمع في حياته
 غير المكارم والسلاح والميول (٢) الناس في زمانك اقل قدرًا من ان تعيش بينهم
 (٣) يقصد بالوحيد الفقيد وقوله بابي للتفدية
 (٤) وصلت اليك يد الموت التي يتساوى بها العظيم والخفير
 (٥) الحصي الاوكمع يقصد به كافرًا

ان حلّ في فرس ففيها رُبها كسرى تذلل له الرقاب وتخضع
 او حلّ في روم ففيها قيصر او حلّ في عرب ففيها تُتبع^(١)
 قد كان اسرع فارس في طعنة فرساً ولكنّ المنية اسرع
 لا قلبت ايدي الفوارس بعده رجماً ولا حملت جواداً اربع

وقال يربني والدة سيف الدولة وبغزبه عنها

سنة ٣٣٧

نعدُّ الشرفيّة والعوالي وتقتلنا المنون بلا قتال
 وزتبطُ السوابق مُقربات وما ينجين من خبب الليالي
 ومن لم يعشق الدنيا قديماً ولكن لا سبيل الى الوصال
 نصيبك في حياتك من حبيب نصيبك في منامك من خيال
 رماني الدهرُ بالارزاه حتى فؤادي في غشاء من نبال
 فصرتُ اذا اصابني سهامُ تكسرتُ النصال على النصال
 وهان فما أبالي بالزايا لاني ما انتفعت بان ابالي
 وهذا اول الناعين طراً لاول مية في ذا الجلال
 كأن الموت لم يفجع بنفسه ولم يحظر مخلوق بيال
 صلاةُ الله خالقنا حنوطُ على الوجه المكفن بالجمال
 على المدفون قبل التراب صوتاً وقبل اللحد في كرم الخلال
 اطاب النفس أُنك مت موتاً تمته البواقي والحوالي
 وزلت ولم ترمي يوماً كريماً تسرُّ النفس فيه بالزوال
 رواق العزّ فوقك مسبطُ ومملك عليّ ابنك في كمال^(٢)
 ستي مشواك غادر في الغواصي نظيرُ نوال كنفك في التوال^(٣)
 ير بقبرك العاني فيبكي ويشغله البكاء عن السؤال

(١) اي انه عظيم تظهر عظمته ايها حلّ في الفرس او في الروم او العرب

(٢) عليّ اي سيف الدولة

(٣) سقى قبرك سحاب هاطل يشبه جود كنفك

وما اهداك للجدوى عليه
 بعيشك هل سلوتِ فانَّ قلبي
 نزلتِ على الكراهة في مكانٍ
 تحجَّبُ عنك رائحةُ الخرامى
 بدارٍ كلُّ ساكنها غريبٌ
 حصانٌ مثلُ ماءِ المزن فيه
 يعَلِّها نطاسيُّ الشكايَا
 اذا وصفوا له داءً بشعرٍ
 وليست كالاناث ولا اللواتي
 ولا من في جنازتها تجارٌ
 مشى الأمراء حولها حفاةٌ
 ولو كان النساء كمن فقدنا
 واجفَعُ من فقدنا من وجدنا
 يدقنُ بعضنا بعضاً وتمشي
 وكم عينٍ مقبلةٍ النواحي
 ومغضٍ كان لا يفضي خُطبِ
 أسيفَ الدولة استجدَّ بصرِ
 وانت تعلم الناس التعزّي
 وحالات الزمان عليك شتى
 رأيتك في الذين ارى ماوكاً
 فان تفقت الانامَ وانت منهم
 لو أنّك تقدرين على فَعَالٍ
 وان جانبتِ ارضك غير سالٍ
 بعدتِ عن النعامي والشمالي^(١)
 وتمتَعُ منك انداء الطلال
 بعيد الدار منبتُ الجبال
 كتومُ السرِّ صادقةُ المقال
 وواحدُها نطاسيُّ المعالي^(٢)
 سقاه اسنة الاسل الطوال
 تُعدُّ لها القبور من الحجال
 يكون وداعها نفض النعال
 كأنَّ المروء من زِف الرئال^(٣)
 لفضلت النساء على الرجال
 تُقيلُ الفقد مفقود المثل
 اوخرنا على هام الاوالي
 كحيلٌ بالجنادل والرمال
 وبالٍ كان يفكر في الهزال^(٤)
 وكيف بمثل صبرك للجبال
 وخوض الموت في الحرب السجال
 وحالك واحدٌ في كل حال
 كأنك مستقيمٌ في محال
 فانَّ المسك بعضُ دم الغزال^(٥)

(١) نزلت في مكان بعدت فيه عن ريح الشمال وريح الجنوب (يعني القبر)

(٢) يداوجا طيب الامراض ولكن ابنها طيب المعالي

(٣) لم تكن من العامة فيسير وراءها اهل السوق والتجار ولكن الامراء مشوا حفاة وراءها

كأنها الحجارة كانت من وبر النعام

(٤) وكم عين كانت تقبل دلالاً أصبحت مكتحلة بالتراب وكم رجل كان لا ينكس رأسه

لخطب أصبح منكساً في القبر . وكم ممن كان يفكر كثيراً في صحته أصبح الآن بالياً بتأثير الحمام

(٥) ليس من الغريب ان تفوق الناس وانت منهم فان المسك (وهو من دم الغزال) يفضله كثيراً

وقال يصف حمى اصابته وبعرض بالرميل عن مصر

ماومكما يجبلُ عن لمام (١) وَوَقَعُ فَعَالَهُ فَوْقَ الْكَلَامِ (١)
 ذراني والغلاةَ بلا دليلٍ ووجهي والهجيرَ بلا لثام
 فاني أستريحُ بذني وهذا وَأَتَعِبُ بِالْإِنَاخَةِ وَالْمَقَامِ
 ولا أمسي لأهل البخل ضيفاً وليس قرى سوى مخِ النَّعَامِ (٢)
 ولما صارَ ودُّ الناسِ خباً جَزَيْتُ عَلَى ابْتِسَامِ بَابْتِسَامِ (٣)
 وصبرتُ أشكُ فيمن أصطفيه لعلمي انه بعض الانام
 يجبُ العاقلون على التصافي وحبُّ الجاهلين على الوَسَامِ (٤)
 وآسف من اخي لاني وأمي إِذَا مَا لَمْ أَجِدْهُ مِنَ الْكِرَامِ
 أرى الاجداد تغلبها كثيراً على الاولاد اخلاق اللثام (٥)
 ولستُ بقانع من كل فضل بان أعزى الى جد همام (٦)
 عجبت لمن له قدٌ وحدٌ وينبو نبوة القضم الكهام (٧)
 ومن يجدُ الطريقَ الى المعالي فلا يذرُ المطيَّ بلا سنام (٨)
 ولم ارَ في عيوب الناس شيئاً كتنقص القادرين على التام

. . .

أفت بارض مصر فلا ورائي تحبُّ بي الركاب ولا امامي (٩)

(١) يخاطب صاحبيه فيقول ان من تلومانه على ركوب الاسفار هو اعلى من ان يصل اليه الملام
 (٢) وليس لي زاد البتة . اشارة الى ان النعام لا مخ له (٣) خباً اي خداعاً
 (٤) الوسام حسن النظر . يقول العاقل يجب لاجل تصافي الود بينه وبين محبوبه اما الجاهل فيهتم
 بالهيئة الخارجية (٥) اي ان الاخلاق اللثيمة قد تغلب الاصل الكريم فيجنيء الولد لثيماً
 (٦) اي لا اتنع ان أنسب الى جدك كرم بل ادرك الفضل بنفسي (٧) اي عجبت من الشاب
 القوي الذي اذا عرض له الامر العظيم رجع عنه رجوع السيف الذي لا يقطع (٨) من لا يسئذب
 اسنة الابل يمهاده في سبيل المعالي (٩) تحبُّ بي الركاب اي تسير بي الابل ويريد جسداً البيت
 انه لزم الإقامة بها

وملأني الفراش وكانَ جنبي يملُّ لقاءه في كل عام
 قليلٌ عائدي سقمٌ فؤادي كثيرٌ حاسدي صعبٌ مرامي
 عليل الجسم ممتنع القيام شديد السكر من غير المدام

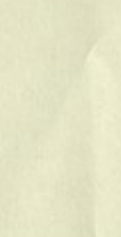
...

وزائرتي كأنَّ بها حياءُ فليس تزورُ الا في الظلام^(١)
 بذلتُ لها المطارف والحشايا فعافتها وباتت في عظامي^(٢)
 يضيق الجلد عن نفسي وعنهما فتوسعه بانواع السقام
 كأنَّ الصبح يطردُها فتجري مدامها باربعةٍ سجام
 أراقبُ وقتها من غير شوق مراقبة المشوق المستهام
 ويصدق وعددها والصدق شرٌّ إذا القاك في الكرب العظيم
 أبنت الدهر عندي كلُّ بنتٍ فكيف وصلت انت من الزحام^(٣)
 جرحتِ مجرَّحاً لم يبق فيه مكانٌ للسيوف ولا السهام
 يقول لي الطبيب اكلت شيئاً وداؤك في شرابك والطعام
 وما في طبه اني جوادٌ اضرَّ بجسمه طولُ الجمام^(٤)
 تعود أن يُعبَّر في السرايا ويدخل من قتام في قتام^(٥)
 فأمسك لا يطال له فيرعى ولا هو في العلق ولا اللجام^(٦)

(١) اشارة الى الحمى (٢) المطارف اودية الخبز. والحشايا القرش (٣) يريد بينت الدهر الحمى وبنات الدهر شدائده فيقول : ايها الحمى عندي كل نوع من انواع الشدائد فكيف لم يتمك ازدهام من الوصول اليَّ (٤) الجمام الراحة (٥) تعود ان يثير الغبار بين الحيوش ويخرج من غبرة الى غبرة اي من معركة الى اخرى (٦) فأمسك لا يرعى له الخبل فيرعى ولم يقدم له العليق فياكل ولم يكن تحت اللجام في السفر. وقد شبه حالته مع كافور بجالة هذا الجواد

1870

...



...

المعري

ابو العلاء احمد بن عبدالله بن سليمان

٣٦٣ - ٥٤٤٩ هـ

٩٧٣ - ١٠٥٨ م

مصادر دراسته

- تذهة الالباء للانباري ٤٢٥
 كتاب الانصاف والتحريري - لكمال الدين ابن العديم
 وهو منشور ضمن كتاب اعلام النبلاء للطباخ ج ٤ من ص ٧٨
 معجم الادباء لياقوت ج ١ ص ١٦٢-٢١٦
 وفيه ما دار من المراسلات بين المعري وداعي الدعاء
 وفيات الاعيان ج ١ ص ٤٧ (تحت حرف احمد)
 ترجمة المعري للذهبي منشورة في ذيل رسائل المعري (اكسفورد)
 مفتاح السعادة لطاش كبيري زاده ج ١ ص ١٩١-١٩٢
 رسائل المعري (طبع اكسفورد)
 اللزوميات مطبعة المحروسة (مصر ١٨٩١) ويومباي ١٣٠٣ هـ
 مصر ١٩٢٤
 شرح التنوير على سقط الزند مطبعة الاسلام (مصر) ١٣٣٤ هـ
 وما كتب عنه حديثاً
 ترجمة مسهبة بالانكليزية للاستاذ مرغوليوث في مقدمة رسائل المعري
 ترجمة للاستاذ نكلسون في دائرة المعارف الاسلامية
 ذكرى ابي العلاء للدكتور طه حسين
 اعلام النبلاء للطباخ ج ٤ ص ١٧٥-١٨٠
 ورسائل وترجمات شتى في كتب الادب والتاريخ لعرب ومستشرقين منها
 ترجمة وشرح بعض اللزوميات لفون كير في Z. M. D. G. المجلد ٣٠ و٣١ و٣٨

قوطة نارنجية

ذكرنا في فصل سابق ان امارة بني حمدان كانت ايام سيف الدولة في حروب متواصلة وان هذا الامير كان كثير السخاء على الادباء والعلماء ، وقد اضطره كل ذلك الى الانفاق والتشديد في جمع الاموال من رعيته . ولما مات خلفه ابنه ابو المعالي ثم ابنه ابو الفضائل ، وفي ايامها تفاقمت الخطوب واصبحت امارة حلب يوم نشأ شاعرنا معتركا لاربع قوى رئيسية - الاولى - الحمدانية وكانوا قد ضعف امرهم واخذت السيطرة تخرج من ايديهم الثانية - الفاطمية اصحاب الامر في مصر وكان لهؤلاء مطامع في حلب ، فلم يألوا جهداً في دس الدسائس وارسال الجيوش لفتحها الثالثة - قبائل البادية ، ومنهم المرداسية التي كان لها شأن يذكر في هذا الاضطراب السياسي

الرابعة الروم وغاراتهم على امارة بني حمدان معروفة ، على انهم بينا كانوا ايام سيف الدولة يُعدون اعداء المسلمين عموماً ، اصبحوا ايام المعري - بسبب تطاحن امراء المسلمين - عوناً لبعض هؤلاء الامراء على بعض ، وسبباً في توسيع شقة الخلاف بينهم . فمن ذلك انهم ناصروا ابا الفضل بن حمدان على الفاطميين ، وكان هؤلاء يحاصرون حلب^(١) ، وبهم استنجد حسان بن مفرج ولؤلؤ مولى ابي الفضائل . فكان بين المسلمين حروب داخلية ادت الى تدخل الروم وانحيازهم الى احد الفريقين ، مما زاد الطين بلة في تلك الفوضى السياسية . وانك لتلمح في شعر المعري شيئاً من ذلك فقد قال في مدحة له لاحد الامراء

ايعدنا بالروم ناس وانما هم البنت والبيض الرقاق سوام
 كأن لم يكن بين المخاض وحارم كتاب يشجين الفلا وخيام^(٢)
 كتاب من شرق وغرب تألبت فرادى اتاها الموت وهو توام

ويؤخذ من هذه الابيات ان بلدة الشاعر كانت في يد امير معادي للروم ، والارجح انها كانت قد استقلت يومئذ عن حلب ، وان اعداء ذلك الامير كانوا يتوعدونه باستنجد الروم عليه ، فنظم الشاعر قصيدته مشيراً الى بأس الامير والى انهزام كتاب الروم بين

(١) تجارب الامم لمسكويه - حوادث سنة ٣٨١

(٢) المخاض قرب المعرة ، وحارم بلدة قرب انطاكية . يشجين الفلا اي يغص بمجم الفلا لكثرتهم

هذين المكانين ، وانهم لذلك لا يخشون باسهم ولا يبالون بوعيدهم .
فاذا نظرنا الى الاحوال السياسية التي نشأ فيها ابو العلاء ، زأها كثيرة الاضطراب والفتن
والاهوال ، ولا شك ان ذلك كان شديد التأثير في احوال البلاد الاقتصادية والاجتماعية ،
فاشدت فيها الضائقة والفساد وبرزت في الرؤساء الروح الاشعبية ، روح التكالب على
المال والامارة مما يُعكس لنا جلياً في شعر شاعرنا الكبير .

مُلِّ المقام فكم اعاشر امةً امرت بغير صلاحها امرؤها
ظلموا الرعية واستجازوا كيدها فعدوا مصالحها وهم اجراؤها

• • •

ولد المعري في المعرة وفيها نشأ . والمعروف من كتب التاريخ انه اصيب بجذري وهو
في الرابعة من عمره ذهب بنظره . على ان عمه لم يكن في اول الامر كنياً ، فان النصوص
كلها تشير الى ان الجذري ذهب بيسرى عينيه وغشي ميناها بياض . ويقول الانباري انه
كان ضريراً اعمى ولم يكن اكمه كما توهم من لا علم له^(١) . وقد روى ابن العديم عن
بعض اهل الادب حكاية نقلها هذا عن رجل اسمه ابو منقذ انه رأى ابا العلاء وهو صبي
دون البلوغ فقال في وصفه - وهو صبي دميم الخلق مجبور الوجه وعلى عينه بياض من
الجذري وكأنه ينظر باحدى عينيه قليلاً^(٢) .

والذي يترجح لدينا من ذلك ان الشاعر لم يفقد بصره تماماً الا بعد بضع سنوات من
مرضه . على ان ما فقدته من باصرته استعاض عنه بجدة بصيرته فقد اجمع المؤرخون على
شدة ذكائه وقوة حافظته ، ولهم في ذلك اقاويص وروايات معروفة^(٣) .

والمعري من بيت علم ورياسة^(٤) - فابوه من العلماء ، وجدّه وابو جدّه ، وجدّ جدّه
كلهم تولوا قضاء المعرة . وقد بقي القضاء في بني اخيه الى ان دخلها الافرنج سنة ٤٩٢هـ^(٥) -
اي الى ما بعد موت الشاعر باكثر من اربعين سنة .

ومن آله (آل سليمان) فضلاء وعلماء وشعراء لا يتسع المقام لذكرهم ، وكانت الفتاوى

(١) طبقات الادباء . ٢٣٥

(٢) الانصاف والتحري (في اعلام النبلاء ج ٤ - ١٠٤)

(٣) راجع ترجمته في معجم الادباء . وفي الانصاف والتحري (طباخ ٤ - ١٠١)

(٤) منتاح السعادة ١٤١ - ١٩١ (٥) معجم الادباء ١ - ١٦٤

(على ما يستفاد من ياقوت وابن العديم) في بيتهم على المذهب الشافعي أكثر من مئتي سنة . في وسط علمي ديني كهذا الوسط نشأ شاعرنا فاخذ العلم والادب اولاً عن ابيه ثم عن جماعة من علماء المعرفة ، وزار في حدائته بعض المدن الشامية المعروفة بالعلم كانطاكية واللاذقية وطرابلس ، فاخذ العلم عن علمائها ومما يجده في مكاتبتها . ويؤخذ من رسالته الى خاله ابي القاسم بن سبيكة انه لم يقصد بعد العشرين اهداً اجتداً العلم^(١) . بقي في ذلك بضع سنوات ثم عاد الى المعرفة ، والظاهر انه بدأ حياته العملية كسائر العلماء والشعراء (اي في قرض الشعر للامراء) ولكنه لم يكده يفعل ذلك حتى عدل عنه . فليس له في سقط الزند الا بضع مدائح فيمن يرجى عطاؤهم ، كسعد الدولة بن حمدان وسواه . وهذه المدائح من اوائل شعره ، اما سائر مديحه في فقهاء او ادباء من طبقة اختصاصهم بالوداد والاطراء .

ولما بلغ الخامسة والثلاثين من عمره (اي سنة ٣٩٨) قام برحلة اولى الى بغداد ولا نعرف كثيراً عن هذه الرحلة ، ثم رحل اليها ثانية سنة ٣٩٩ واقام فيها سنة وسبعة اشهر^(٢) . وهنا لا بد من ان نتساءل لماذا رحل الى بغداد ولماذا لم يقيم فيها طويلاً ؟ والذي يؤخذ من مراجعة شعره ورسالته ومقابلتها باقوال المؤرخين ان الاضطرابات السياسية في حلب والمعرفة اهابت به الى ترك وطنه وقصد بغداد^(٣) . وكان ينوي الإقامة فيها واستخدام مواهبه في سبيل العلم ، ولكنه لم يوفق الى امنيته . ففي رسالته الى خاله ابي القاسم التي كتبها على اثر رجوعه من بغداد يقول - « وكنت ظننت ان الايام تسمح لي بالإقامة ، فاذا الضارية احجاً بعراقها ، والعبد اشح بكُراعها ، والغراب اضن بتمرتها » . الى ان يقول « فلما زينت الضروسُ الحالب ، وتوت العنود تحت الراكب ، ومنعت القلوع النازع ، وخب رائداً سحاب ، وكذب شاملاً برق ، عادت لعترها لميس^(٤) وذكر وجره 'تعاله' . ثم يقول « ولما فاتني المقام بحيث اخترت ، اجمت على انفراد يجعلني كالظبي في الكناس . الخ »^(٥) .

(١) رسائل المعري (أكسفورد) ٣٢

(٢) ابن خلكان ١-٦١

(٣) وبيروي الذهبي انه ذهب الى بغداد متظلماً من امير حلب لمعارضته اياه في وقف له

(٤) مثل يضرب لمن يرجع الى ما كان عليه ويشير هنا الى رجوعه الى وطنه

(٥) راجع رسائل المعري (أكسفورد) ٣٠-٣٢

ولعلَّ ما في طبع المعري من الأنفة منعه من ان يحصل رزقه في بغداد على طريقة
 المدَّاحين المستجدين من الشعراء ، فكان ذلك من الاسباب التي عجلت في رجوعه . فقد
 ذكر في الرسالة الآتفة الذكر ان اهل بغداد قابلوه بالاكرام وانهم لما احسوا بتأهبه للرحيل
 اظهروا كسوف بال ، ثم يقول « وانصرفت وماء وجهي في سقاء غير سرب ، ما ارتقت
 منه قطرة في طلب ادب ولا مال » . وتظهر انفته الشديدة ايضاً في ما جرى له في مجلس
 المرتضى ، وكان هذا يبغض المتنبّي ، وكان المعري يتعصب له . فجرى يوماً بحضوره ذكر
 المتنبّي فننَّصه المرتضى ، فقال المعري لو لم يكن للمتنبّي من الشعر الا قوله « لك يا منازل
 في القلوب منازل » لكفاه فضلاً ، فغضب المرتضى وامر فُسَّحِب برجله وأُخرج من مجلسه^(١) ،
 وقال لمن بحضوره اراد هذا الاعمى قوله

وإذا اتتك مذمتي من ناقص فهي الشهادة لي باني كامل

وفي شعره كثير مما يشير الى هذا الطبع فيه ، كقوله من قصيدة كتبها الى الفقيه
 ابي حامد الاسفراييني عند دخوله بغداد

ولا اثقل في جام ولا نشب ولو غدوت اخا عدم وادقاع

ومما كتبه من بغداد يخاطب اهل بلده

أخواننا بين الفرات وجلت يد الله لا اخبرتكم بحال

انبتكم اني على العهد سالم ووجهي لما يتبدل بسؤال

فاصبحت محسوداً بفضلي وحده على بعد انصاري وقلة مالي

رجل عزيز النفس مثله يأنف من السؤال ومن التزلف الى كبار القوم في عصر كان
 التزلف هو جادة الاديب الى الرزق ، لا يُستغرب ان تضيق به الحال في عاصمة الخلافة حتى
 تحمله الى ان يقول

تمنيت ان الحمر حلت لنشوة تجهلي كيف اطمانت بي الحال

فاذهل اني بالعراق على شفا رزي الاماني لا انيس ولا مال

مقل من الاهلين يسر واسرة كني حزناً بين مشت واقلال

وكم ماجد في سيف دجلة لم أشم له بارقاً والمرء كاللزن هطال
سيطليني رزقي الذي لو طلبته لما زاد والدنيا حظوظ واقبال

وبرغم ما في قصيدته التي ودع فيها بغداد من مدح لاهل تلك المدينة ، فان في قصائده الاخرى التي قالها في بغداد ما ينم على ما كان يشعر به من ضيق ومن تحنان الى وطنه^(١) . وفي قصيدة بعث بها الى القاضي التنوخي يذكر ان الذي اهاب به الى تركها رجاؤه بلقاء والدته ونقاد ماله

اثارني عنكم امران ، والدة لم القها وثرا . عاد مسفوتا

اما والدته فماتت قبل وصوله الى المعرة فجزع لذلك ورثاها رثاء ابن مفجوع . ولما عاد الى المعرة لزم منزله وعاش فيه على طريقة الفلاسفة المتقشفين . ويظهر من بعض رسائله انه فكر كثيراً في ذلك ، فقد قال من رسالته لاهل المعرة « فوجدت اوفق ما اصنعه في ايام الحياة عزلة تجليني من الناس كبارح الأروى من سانح النعام . وما ألوت نصيحة لنفسي ، فاجمعت على ذلك واستخرت الله فيه بعد صلاته على نفر يوثق بخصائلهم ، فكلهم رآه حزماً ، وعدة اذا تمَّ رشداً ، وهو امر ليس بنتيج الساعة ولا ريب الشهر والسنة ولكنه غذي الجعب المتقادمة ، وسليل الفكر الطويل الخ^(٢) .

على ان زهد المعري لا يعني انقطاعاً عن العمل ، بل ترفعاً عن حطام الدنيا وغرورها . فالرجل كان كثير العمل حريصاً على التعلم والتأليف - وفي هذا الطور من حياته نظم ثروميياته وصنف اكثر كتبه ورسائله^(٣) . وكان منزله محجة الطلاب يقصدونه من كل الآفاق^(٤) ، والى ذلك يشير في اللزوميات

يزورني الناس هذا ارضه ين من البلاد وهذا داره الطباس

وقد خرج منهم ائمة وقضاة ورؤساء في العلم : منهم الخطيب ابو زكريا التبريزي وابو المكارم الابهري وابو تمام ابن عيسى الانصاري وابو ظاهر الانباري وابو القاسم التنوخي وسواهم .

(١) ولا يستبعد ان يكون اكثر ذلك في اثناء رحلته الاولى

(٢) رسائل المعري (أكسفورد) ٣٦

(٣) من اراد ان يعرف عدد مؤلفاته فليراجع معجم الادباء والانصاف والتجري وما نقله الذهبي

عن الففطي (٤) ابن خلكان ١-٤١

وبرغم تقشفه ولزومه منزله كان له من الواجهة اسمى مقام : قال ابن العديم « وما زالت حرفة ابي العلاء في علاء وبجر فضله مورداً للوزراء والامراء . وما علمت ان وزيراً مذكوراً وفاضلاً مشهوراً مرتباً بعمرة النعمان في ذلك العصر الا وقصده واستفاد منه »^(١) .
ومما يدل على وجاهته ما نقله ياقوت والذهبي^(٢) من ان اهل المعرة لما اشتد عليهم صالح بن مرداس لم يجدوا بداً من ايفاد المعري مستشفعاً فيهم ، فقصد الامير ولما دخل عليه قال له الامير انت ابو العلاء ؟ فقال انا ذلك . فرفعه الى جانبه ، وبعد ان خاطبه المعري بامرهم قال له ابي قد وهبتها لك ايها الشيخ

ولما اصبحت المعرة وحلب تحت سطوة الفاطميين بذل له المستنصر الفاطمي ما بيت المال بالمعرة فلم يقبل منه شيئاً ، وكذلك داعي الدعاة لما عرف ترهد المعري وقلة دخله كتب الى نائب الفاطميين بجلب بان يجري ما تدعو اليه حاجته وان يضاعف حرمة ويرفع منزلته عند الخاص والعام ، فامتنع من قبول ذلك^(٣) . وبين المعري وداعي الدعاة رسائل ومكاتبات نستدل منها على ما كان لشاعرنا من المنزلة الرفيعة عند زعماء ذلك العصر .

ويؤيد كل ذلك ما ذكره الشاعر الفارسي ناصر خسرو الذي زار المعرة سنة ٤٣٩ هـ اي قبل موت المعري بعشر سنوات ، فوصفه بقوله « انه رجل ذو نفوذ عظيم في بلده وذو غنى ، ينفق على الفقراء والمعوزين ، مع انه هو (اي المعري) كان يعيش عيشة الزهد والتقشف »^(٤) . وفي شعر المعري ورسائله ما قد يزكي شهادة ناصر خسرو ، كقوله في اللزوميات مشيراً الى ما يعتقدونه الناس من حسن حاله

من لي ان لا أقيم في بلد
أذكر فيه بغير ما يجب
يُظنُّ بي اليسر والديانة والعلم
وبيني وبينها حجب

ومن قصيدته

تفهم يا صريع البين بشري
اتت من مستقلٍ مستقيل

(١) اعلام النبلاء ٦-٢٤٤

(٢) معجم الادباء ١-٢١٦ ورسائل المعري (أكسفورد) ١٣٠

(٣) الانصاف والتحري (في اعلام النبلاء ٦-١٤٤)

(٤) نقلا عن Encyc. of Islam من فصل للاستاذ نكلسون

يستدل انه ارسل قدراً من المال الى اديب اسمه صريع البين ، ويسأله المذرة على قلة
ما ارسل اليه .

وكذلك في قصيدته

ايست عذري منعم ام يُخَصني بما هو حظي من اليم عتاب
يعتذر لفقيه عن ان الهدية التي ارسلها اليه اقل من قدره وكان المعري يومئذ في
الحسين من عمره فقال -

فيا ليتني اهديت خمسين حجةً مضت لي فيها صحيتي وشبابي
وقلت له - فاترك ثلاثين اسوداً متى ما تكشف تلف غير لباب
لعل الذي انفذت يكفيه ليلة لاسباغ طهر حان او شراب

وفي البيت الثاني اشارة الى ان الهدية ثلاثين درهماً فقط
ومثلها قوله في رسالة ارسلها الى عاوي « وقد بعثت بشيء من النفقة ، نفسي من قلته
كل المشقة »^(١).

ومما يؤيد ذلك ما ذكره ابن العديم مما قرأه بخط ابي الفرج محمد بن احمد بن الحسن
الكاتب الوزير «روزنامج» انشأه لولده الحسن يذكر فيه رحلته سنة ٤٢٨ الى الحج وعبوره
بعمرة النعمان ، ويذكر اجتماعه بابي العلاء . ومن قوله فيه « وقصرهم على ادب يفيد
وتصنيف يجيده ، ومتعلم يفضل عليه ومسترفد صعاوك يحسن اليه » . قال وله دار حسنة
ياؤها ومعاش يكفيه ويمونه ، واولاد اخ يخدمونه ويقراون بين يديه ويدرسون عليه
ويكتبون له ، ووراق برسمه مستأجر ، ثم ينفق على نفسه من دخل معاشه نفقة طفيقة ،
وما يفضل عنه يفرقه على اخيه واولاده واللائذين به والفقراء والقاصدين له من الغريباء.^(٢)

ولما قصده الخطيب التبريزي ليقرا عليه دفع اليه صرة فيها ذهب ، وقال اوثر من
الشيخ ان يدفعها الى بعض من يراه ليشتري لي ما تدعو اليه الحاجة مدة مقامي للقراءة واتوفر
بذلك على الاشتغال . وعلم المعري ان هذا الطالب كان فقيراً فاخذ الصرة وخبأها وتقدم
الى وكيله ان يجري للخطيب ما تدعو اليه الحاجة مدة اقامته بالمعرة . ولما اتم دروسه وهم

(١) رسائل المعري (أكسفورد) ٣٥

(٢) الانصاف والتجري (اعلام النبلاء ٦ - ١٥٢)

بالانصراف ودَّع الشيخ ، فدفع اليه صرته بعينها . ولما اصر عليه الخطيب قال المعري لا سبيل الى رد الصرة علي ، وهذا ذهبك بعينه (١) .

وهناك قصة نقلها الصفدي في نكت الهميان عن ابن سبط الجوزي عن رجل دخل المعرة ايام المعري وقد وُشي بشاعرنا الى محمود بن صالح انه زنديق - قال : فامر محمود بحمله اليه وبعث خمسين فارساً ليحماوه ، فانزلهم ابو العلاء دار الضيافة .

ولا نعلم مبلغ هذه القصة من الصحة ، ولكنها اذا قورنت بما ذكرناه عن جاه ابى العلاء وحسن حاله في المعرة - مما لا سبيل الى الشك فيه - ترجح لدينا تصديقها .

ومع كل ذلك فاكثر الذين يترجمون للمعري من قداما ومحدثين يذهبون الى فقر شاعرنا ، وانه كان يعيش من وقف له لا يتجاوز الثلاثين ديناراً يعطي نصفه خادمه . فكيف نجتمع بين القولين - بين وجاهة المعري وكرمه من جهة ، وفقره وزهده من جهة اخرى ؟ - والجواب على ذلك ان المعري بعد ان استقر في المعرة وعكف على العلم والتعليم قصد الطلاب من الافاق وكاتبه الكبراء والامراء ، فعظم شأنه وحسنت حاله . ولكنه لم يكن يستعمل من ماله الا التزر اليسير ، وينفق الباقي في سبيل اللاتذنين والمعوزين . وهنا سر العظمة في حياة المعري الزهدية . عاش عيشة الحكماء المتورعين عن الدنيا ، ولكنه لم يكن في ذلك كابي العتاهية واضرابه من الخريصين على المال المقبلين على حطام الحياة ، بل قنع باليسير اعتقاداً بحكمة القناعة ، وأحسن بما كان يفضل عنه اقتناعاً بشرف الاحسان .

زندقته وابطائه

اختلف الناس في المعري فمن ناعت اياه بالتقي وحسن العقيدة ، ومن ناسب اليه الضلال والاحاد . وسبب ذلك ما يجدونه في لزومياته من النقد الموجه الى الزعماء والرؤساء ، وما يهاجم به احياناً بعض المذاهب والعقائد الدينية . فمن اتهموه في دينه ياقوت وابن الجوزي والصلاح الصفدي وجاراهم الذهبي فقال « مات متحيراً لم يحتم بدين من الاديان نسال الله ان يحفظ علينا ايماننا بكرمه »

ومن ذهب الى انه صحيح العقيدة ابو الحسن الهكاري وابن العديم صاحب « الانصاف

والتحري في دفع التحري عن المعري « . ومنهم السلفي فقد حُصّ اقوال الناس فيه ثم حتم ذلك بقوله - ففي الجملة كان من اهل الفضل الوافر ، قرأ القرآن بروايات وسمع الحديث بالشام على ثقات . وله في التوحيد وإثبات النبوة وما يحض على الزهد واحياء طرق الفتوة والمروءة شعر كثير^(١)

...

ولا يزال الناس الى اليوم مختلفين في هذا الامر ، على انه لا بد قبل الحكم على المعري من ان نلقي نظرة على عصره وعلى ما كان له من الاثر في نفسه . فقد عاش شاعرنا ما بين منتصف القرن الرابع ومنتصف القرن الخامس الهجري - اي في اَبان الحركة الفكرية عند العرب . في ذلك العصر تم نقل العلوم اليونانية ونبع بين المسلمين كثيرون من العلماء والمفكرين والنقادين ، فكانت بغداد وكثير من المدن الشرقية الاخرى مراكز علمية احتكت فيها « الروحية » السامية التي حملت الى الناس الايمان بالتوحيد والمعاد والآداب الدينية « بالعقلية » اليونانية التي حملت اليهم البحث المنطقي والنظريات العلمية . وكان من جراء ذلك الاحتكاك اشتداد الفرق الكلامية وتعدد المنازع الفكرية بين مناصر للنصوص الدينية او مضاد لها . ومن الانصاف هنا ان نقول ان هذا النزاع بين النقل والعقل كان يضعف او يشتد بالنسبة الى الاحوال الاجتماعية او السياسية . على ان العصور الوسطى مدينة للغة العربية في انما (اي العربية) اتسعت يرمثد للتفكير العالمي ، فكانت الموئل الذي حفظت فيه ثمار العقول القديمة .

ولا شك ان هذا النزاع الفكري احدث في العقول ميلاً الى النظر النقدي في الكون والحياة والدين والمعاد ، ففسر الشك الى عقول بعض المفكرين ، واستولى عليهم روح الانكار ، فرفضوا ما لم تقبله عقولهم من تعاليم وسنن ، ونادوا بالرجوع الى المبادئ الاولى في الحياة الروحية والاجتماعية . ومن هؤلاء شاعرنا - فقد نشأ في هذا الجو الفكري المضطرب تَوَاقفاً الى المعرفة والى بلوغ الحقائق ، وفي نفسه اصطدمت « تقاليد » الدين بأحكام العقل ، فاضطرب وصار يتلمس طريقه توصلًا الى ما يشني اوامه ، فلم يوفق تمام التوفيق : كان الايمان اساس حياته ولكنه قضى الحياة حائرا تتقاذفه لحجج الشك والتشاؤم .

(١) راجع القول في عقيدة المعري واختلاف الناس فيه (اعلام النبلاء ص ١٦٣ الى ١٦٧) والذهبي

في رسائل اكسفورد ص ١٣٠ - ١٣٥) وراجع مفتاح السعادة ج ١ - ١٩١ و ١٩٢

ومن هنا هذا الاختلاف في الحكم عليه .

على اننا اذا دققنا في درس حياته وشعره وحاولنا ان نخترق الضباب الذي يحيط به راينا يظهر لنا في طورين مختلفين تفصل بينهما مدة اقامته في بغداد . فالطور الاول طور الشباب ويمتد الى سنة ٤٠٠ هـ . وفي هذا الطور نراه مسلماً حقيقياً ، وبرغم ما قد تنمُّ عليه بعض اشعاره من روح التفكير ، لا نراه يختلف في تصرفه العادي عن سائر المؤمنين .

والطور الثاني طور العزلة . يتدىء على اثر رجوعه من بغداد ، ويمتد الى آخر حياته وفي هذا الطور يقف موقفين رئيسيين

١ - تجاه الآخرة . وهو هنا حائر يجمع في نفسه التفكير الفلسفي والعاطفة الدينية الموروثة جمعاً غير محكم - فتارة تراه مؤمناً وطوراً مشككاً - ولهذا نجد في شعره بعض المتناقضات ، وسيأتي معنا تفصيل ذلك

٢ - تجاه الحياة والانسان . وهو هنا صريح ثابت الرأي يغلب عليه التشاؤم والمرارة ، ويلخص هذا الموقف بالمبادئ التالية

ان الطبيعة ثابتة لا تزول - (وهو مذهب الفلاسفة الطبيعيين)

ان الانسان فاسد بطبيعته ولا يمكن اصلاحه

ان الطمع اساس كل تصرفاته ومعتقداته

ان الدين انما هو حسن الاخلاق وشرف المعاملة (لا الفروض والسنن والايان)

ان حقيقة الحياة هي القناعة والبساطة

ان الوجود علة الشقاء فالافضل ان تتخلص منه بعدم التناسل

وله في المرأة آراء . لا تخرج عن آراء عصره ، وسيظهر لنا كل ذلك في تحليلنا لشعره

سأعربنه وشعره

للمعري مقام فريد بين شعراء العربية - لا من حيث اسلوبه وفنه - ولكن من حيث روحه ونظرة الى الدنيا . وقد راينا ان حياته الفكرية تظهر في طورين مختلفين . وفي هذين الطورين تظهر حياته الشعرية ايضاً - الاول يتناول شعر الشباب منذ بدء عهده بالنظم الى اعتزاله ، ويدخل فيه ايضاً بعض ما نظمه بعد ذلك . وقد دون لنا هذا الشعر في سقط

الزند - والثاني شعر العزلة ويتمثل لنا في لزومياته او ديوانه المعروف بازوم ما لا يازم . ولنتقدم الى تحليل كل من هذين الطورين

الطور الاول - سقط الزند

في هذا الطور نجد المعري جارياً في سنن الاقدمين من الشعراء ، فيكثر في شعره ذكر النياق والرحيل والاحبة . ولكي تعرف مقدار ذلك نقول خذ الجزء الاول من سقط الزند فهو يشتمل على اكثر من ثلاثين قصيدة ، وفي اكثر من ثلثها تجد مقدمة يصف بها المطايا او يتكلف الغزل على الطريقة القديمة . اما الجزء الثاني من الديوان فاذا استثنيت « درعياته » رايت نصفه على هذا المنوال القديم

ومن امثلة وصفه للمطايا قوله يذكر سريها في الليل

واسود لم تعرف له الانس والداً	كساني منه حلة وخمارا
سرت بي فيه ناجيات مياها	تجم اذا ماء الركايب غارا
فخرقن ثوب الليل حتى كانني	اطرت بها في جانبه شرارا

الى ان يقول -

اذا قيدت في منزل بتنوفة	حسبت مناخاً اوطنته ماثارا
تظن غطيظ النوم نهمة زاجر	فتقطع قيذاً او تبت هجارا

ثم يقول -

وليست تحس الارض منها بوطة	فنفزع سرباً او تروع صورا
تدوس افاحيص القطا وهو هاجد	فتمضي ولم تقطع عليه غرارا

وينسج مقدمته على هذا النسق البدوي في نحو عشرين بيتاً ، ثم يتقدم الى الممدوح ويصف بأسه في الحرب ، ثم يتناول وصف خيله وكرها في اثني عشر بيتاً لا تقول اذا قرأتها الا ان ناظلمها فارس من فرسان البادية^(١) وقس على ذلك عشرات من قصائده . وقد يلفت النظر متابعتها لاني تمام في وصف

(١) راجع هذه القصيدة في سقط الزند ١-١٧٥

المركب الذي حمله الى الأنبار ، وتشبيهه اياه بالناقة السريعة ، كقوله . من قصيدة مطلعها
« يا ناق جدي فقد افنت اناتك لي »

على نجاة من الفرصاد أيدها رب القُدوم باوصال واضلاع
تظلي بقار ولم تجرب كأن ظليت بسائل من ذفاري العيس منباغ^(١)
ولا تُبالي بجمل ان الم بها ولا تهش لاخصاب وامراع

اما غزله فظاهر الصناعة قليل الرونق ولا ينتظر ممن كان كالمعري غزل خارج ممن
قلب متأثر بجمال الحبيب . فمن قوله في ذلك

لله ايامنا المواضي لو ان شيئاً مضى يعود
ابلي ودادي لكم زمان الين احداثه حديد
لم يبيل من بذلة ولكن يبيل على طيه الجديد

فانظر الى هذا الحب الذي يلي لتقدم العهد عليه وقابله بشعور محب صادق الحب متم
القلب . ومن غزله

ما يوم وصلك وهو اقصر من نفس باطول عيشه غالي
علقت جبال الشمس منك يدي وجديدها في الضعف كالبالي
واردت ورد الوصل من قمر فصدرت عنه كوارد الآل
وطلبت عندك راحة وعلى قدر اعتقادي كان ادلالي
وظننت في الباي مناي ولم تكن المنية لي على بال
ما زلت ابلغ ما اهم به حتى هممت بكوكب عال
ان فات سلوان الحياة فكل الناس بعد بماته سال

الى آخر الايات واكثرها على هذا النسق من قلة الطلوة . وليس غزل المعري بقليل
في شعره ، ولكنه فنياً دون غزل المتنبي او البحتري او ابني تمام - ناهيك بشعراء الحب
المعروفين . ولا نرى الا ان المعري كان يجري فيه جرياً صناعياً متبعاً فيه طريقة من تقدمه
في النظم .

(١) تظلي بقار كانه لسواده عرق سائل من ذفاري الابل (الذفاري مؤخر الاذن) وعرق الابل
اسود . ورب القُدوم اي النجار . نجاة ناقة سريعة

ومما يلزم ذكر المطايا والحبيب ذكر السيف والرمح والدرع ، وله في ذلك اقوال كثيرة تدل على مهارته اللغوية في الوصف كقوله

وكلُّ ابيض هنديّ به سُطَب
تغايرت فيه ارواح تموت به
روض المنايا على اذن الدماء به
ماكنت احسب جفنًا قبل مسكنه
ولا ظننت صغار النمل يمكنها
مشي على اللج او سعي على السعر

ومما يبرز في شعره ذكر الضواري والطيور ، فهو كثير التمثيل بالذئب والضيع والاسد والارتم والقطا والحمام والنعام والنسر والوعل والغراب
ومثل ذلك كثرة ذكره للنجوم والافلاك والصبح والظلام ، ونجزي منه بما يلي وهو من قصيدته « ارى العنقاء تكبر ان تصادا »

لي الشرف الذي يطأ الثريا
ولو ملا الشهي عينيه مني
وقد اثبت رجلي في ركاب
اذا لوطنها قدمي سهيل
كان ظاهن بنات نعش
مع الفضل الذي بهر العبادا
ابر على مدى زحل وزادا
جعلت من الزماع له بدادا
فلا سقيت خنصرة العهادا^(١)
يردن اذا وردن بنا الثادا

...

ومما يلاحظ في شعر المعري عموماً كثرة استشهاده بالحوادث الماضية ورجالها . ففي الجزء الثاني من سقط الزند مثلاً نحو ثلاثين شاهداً من هذا القبيل^(٢)
وفي هذا الطور من شعر المعري زاه شديد الشعور بأهمية نفسه كثير التفاخر بها ، يستلذ مدح المادحين ويؤله حسد الحساد

(١) خنصرة محل بالشام

(٢) راجع من ذلك الصفحات التالية ٥٣ ، ٥٨ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ١٠٣ ، ١٩٩ ، ٢١٣ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩

١٣٩ ، ١٣٣ ، ١٥٥ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٦٧ ، ١٧٥ ، ١٧٩ ، ٢٠٥ ، ٢٠٧ ، ٢١٣ ، ٢٢٩ ، ٢٣٥

كقوله -

تعاطوا مكاني وقد فُتِّهم
وقد نبجوني وما هجتهم
فا ادركوا غير لمح البصر
كما نبح الكلب ضوء القمر

وله كثير من الشعر الفخري ، وهو بذلك غير المعري في اللزوميات حيث تعدى طور الشباب وانضجه اختبار الدنيا ، فازم التواضع والتزهود وصار يبتعد عن السخائف والظواهر (١) اما اسلوبه فيكثر فيه الغريب من الالفاظ وغير المؤلف من المصطلحات ، وهو كثير الولع بانواع البديع والمجاز ولا سيما الجناس والتمثيل وسنرى ذلك في كلامنا عن لزومياته

. . .

واذا نظرنا الى الرجل نفسه فاننا نراه في سقط الزند متمسكاً بعقائد دينه كسائر اهل زمانه . واذا كنت تلمح فيه شيئاً من روح الشك والتأمل الفلسفي كقوله في مرثاة والده -

طلبت يقيناً يا جهينة عنهم
فان تعهديني لا ازال مسائلاً
ولن تحبريني يا جهين سوى الظن
فاني لم اعط الصحيح فاستغني

فذلك ضئيل جداً لا يكاد يظهر ازاء ما يظهر فيه من روح الاسلام والتعصب له والدود عن تعاليمه . وقد كان قبل سفره الى بغداد وقبل عزله يناضل عن وجود الله وحدوث الكون والبعث ، وكلامه في ذلك ثابت صريح ، كقوله يرد على الدهريين القائلين ان العالم قديم وانه لا بعث ولا حساب

ضلّ الذي قال البلاد قديمة
وامامنا يوم تقوم هجوده
بالطبع كانت والانام كنبها
من بعد إبلا. العظام ورقتها

وعلى كلّ فان التأمل والتشكيك ليسا الطابعين اللذين طبع بهما شعره قبل رجوعه من بغداد

. . .

بقي علينا هنا ان نذكر درعياته وهي قصائد في وصف الدرع يصفها على لسان رجل

(١) راجع فخره في الجزء الاول ٨٧، ١١٥، ١٢٢، ١٥٧، ١٨٢ . ومقابلة لذلك راجع من امثلة تواضعه في اللزوميات ٢-١٥ و ٢٤٢ و ٢٤٧ و ج ١ - ٩٣ و ٩٧ و ١٠٠

اسنّ فترك لبسها او على لسان رجل رهنها ، وقد يصفها على لسان درع تحاطب سيقاً ، او رجل يبيع درعاً ، او رجل خاته آخر في درع ، او فارس سأل عن درع ابيه الى غير ذلك مما لا علاقة له بموضوعه الخاص .

وان الذي يطالع هذه الدرعايات يعجب من رجل كايي العلاء ينصرف الى موضوع كهذا الموضوع ، فيبذل جهده ويكسد نفسه في اوصاف ومجازات وعبارات لا طائل تحتها ، وليس لها اقل علاقة بنفسه او حياته . ولا يسعنا ان نقول فيها الا انها في الارجح اداة استعمالها لاظهار مقدرته اللغوية

اللزوميات

ينفرد هذا الديوان بزييتين - خلوة من ابواب الشعر المطروقة (المديح والرثاء والفخر وما اليها) - وانصراف ناظمه الى نقد الحياة . وقد نظم كلّه ، كما عرفنا سابقاً ، بعد رجوع المعري من بغداد ولزومه منزله في المعرة ، ولذا فهو يمثل لنا نضج القوة الشعرية في الشاعر ونظراته الفلسفية في الكون والعمران . على انه مع ذلك قلما يختلف من حيث الصناعة عن شعره السابق ، فانك ترى الشاعر هنا - في هذا الجو الفكري الانتقادي - شديد الكلف بالصناعة وقد قيّد نفسه تقييداً شديداً بازوم ما لا يلزم ، فاضطر الى كثير من القوافي الغريبة والالفاظ الغامضة . ولقد يستغرب الذي يطالع ديوانه من جمعه بين النقيضين : فحينما تراه يتجنب كد النفس ويسلس للعاطفة القيادة فيأتي شعره من الطبقة الاولى متانةً وعذوبة كقوله

يرتجى الناس ان يقوم إمامٌ ناطق في الكتيبة الخرساء
كذب الظنُّ لا امام سوى العقل مشيراً في صبحه والمساء

وقوله

قالوا فلانٌ جيدٌ لصديقه لا يكذبوا ما في البرية جيد
فاميرهم نال الامارة بالحناء وتقيهم بصلاته متصيد

وقوله

يا محلي عليك مني سلام سوف امضي وُينجز الموعد
ايرجون ان اعود اليهم لا ترجوا فانني لا اعود

ولجسي الى التراب هبوط ولروحني الى الهواء صعود
وعلى حالها تدوم الليالي فنحوس^١ لمعشر وسعود
وهذا الضرب من شعره كثير. ومنه ما لا يجاريه فيه الا القليلون كقوله .

رويدك قد غررت وانت حرٌ بصاحب حيلة يعظ النساء
يحرّم فيكم الصبأ. صبجاً ويشربها على عمد مساء
يقول لكم غدوت بلا كساء وفي لذاتها رهن الكساء
اذا فعل الفتى ما عنه ينهى فن جهتين لا جهة اساء

وقوله

يسوسون الامور بغير عقل فينفذ امرهم ويقال ساسه
فافاً من الحياة وافاً مني ومن زمن رئاسته خاسسه

وحيناً يميم في اودية الغرائب اللفظية فيتعسف ويأتيك بالمكدود المتكأف كقوله
ترى الهم لا شيء سوى الاكل ههه له جسد ما استطاع حرّاً ولا برداً
يقول العصا مستقل الطير بعدما علا فرساً واجتاب ماذيةً مردداً
ولا تترك الايام مردىً لطبية من الأدم تختار الكبأث ولا المرداً
ولم يلف منها فارد القمر مخلصاً وقد بلغت احدائها القمر الفرداً^(١)

وقوله

لعمري ابيك ما خالي بخال لشائمه ولا شهدي يهف
فان أعطى القليل يكن هنيئاً يجي. المستبح بغير شف
اذا ورد الفقير على احتياجي اغت لهيفه بالمستدف
ولو كان الكثير لقلّ عندي واهون بالظفيف المستطف^(٢)

وقوله

فقد لاحت مخايل صادقات تروق العين باللعع الولايف

(١) الهم الشيخ الهرم . الطمر الثوب الباني . الماذية السرد الدرع . مردى مهلك . الكبأث والمرد
غر الاراك . فارد القمر الحار في بطنه يياض
(٢) المستدف القليل . والمستطف المستدف

فمن لك بالغريريات سارت باشباهِ نَسَباً الى عِلاف
 واذا علمت ان الولايف هو البرق اللامع لمعتين وان علاف اسم رجل من قضاة تنسب
 اليه الرجال ، علمت ما جناه عليه تقيده ، ولا سيما في قوله اشباه نَسَبِ الى علاف
 ومن هذا القبيل قوله

فامنح ضعيفك ان عراك ولو تزرأ ولا تصرفه بالكهر
 وارفع له شقراء تُرْمَح في دهماً مثل تارن المهر
 اي امنح الضعيف ولا تصرفه بوجه عبوس وارفع له ناراً تتأجج في الظلام
 وقوله

نَمَقْنَا الأذى والجاشرية همتنا ونادى ظلام لا سبيل الى الجشتر
 اتكتب سطرأ ليس فيه تخوف لربك ما اولى بنانك بالاشتر
 وان بُتكت عشر فن بعد ما جنت بكل فسيطر قصاً اكثر من عشر^(١)

وقوله

كبرت فاصبحت للراشدين كبرت يعدُّ هدي دليلاً
 كبرت فما زال هذا الزمان كبرت يحذّ قليلاً قليلاً

واذا تأملت هذين البيتين لا تجد فيهما الا تكلفه الجناس بين كبرت الفعل وكبرت
 الجار والمجرور (اي كدليل) في البيت الاول ، وبين الفعل ايضاً ولفظة برت (بمعنى الفاس)
 في البيت الثاني

وامثال هذا الكلام المصنوع كثير جداً في شعر شاعرنا ، فلا جرم اذا جاء القسم الوافر
 منه صعباً مبهماً حتى على اهل الادب . واذا اردنا التدقيق في اسباب صعوبته وابهامه
 وجدناها ترجع الى ما يلي -

- ١ - شغفه في المحسنات البيانية ولا سيما في الجناس والطباق والتورية
- ٢ - كثرة الاشارات الى الحوادث التاريخية والى رجال التاريخ - المشهور منهم
 وغير المشهور

(١) الغبوق الشرب مساءً والجاشرية شرب السحر . الاشر القطع . بتكت اي قطعت . فسيطر
 قلامة ظفر .

٣ - استعماله لاوابد الكلام وشواذه

٤ - اضطراره الى القوافي الغريبة للزومه ما لا يازم

فاذا اضفت الى ذلك ما في مواضعه الفلسفية الاخلاقية من معان مجردة هي بطبيعتها صعبة المتناول ، علمت السر في هذا الاهتمام العام في معانيه .

ولا نذهب الى ما ذهب اليه بعض اعلام الباحثين من ان المعري كان يقصد ذلك ليخفي اغراضه^(١) عن العامة . فان شاعرنا كان صريحاً ، وله في لزومياته كثير من النقد المر الذي بلغت به الصراحة ابعده مدى كبعض ما ذكرناه له آنفاً ، وكتوبه

افيقوا افيقوا يا غواة فانما دياناتكم مكر من التقدماء .

او قوله

قد حُجِبَ النور والضياء وانما ديننا رياء
يا عالم السود ما علمنا ان مصليك اتقيا .

وقوله

هفت الحنيفة والنصارى ما اهتدت ويهود حارت والمجوس مضلله
اثنان اهل الارض ذو عقل بلا دين وآخر دين لا عقل له

وقوله

في البدو خراب اذوار مسومة وفي الجوامع والاسواق خراب
فهؤلاء تسوا بالعدول او التجار واسم اولاك القوم اعراب

وقوله

مُلّ المقام فكم اعشر امة امرت بغير صلاحها امرؤها
ظلموا الرعية واستجازوا كيدها فعدوا مصالحها وهم اجرؤها

وقس على ذلك مئات الايات في ديوانه

ويمتاز المعري في لزومياته بدقة تشابيه وروعة حكمه : اما دقة التشبيه فيه فنتيج الخيال وحسن التعبير عن النفس ، واما الحكم فلما في طبعه من صدق التأمل في الحياة

(١) راجع ذكرى ابي العلاء للدكتور طه حسين ص ٢٦٧

والموت . ويختلف عن المتنبي ان حكم المتنبي ناشئة عن نفس رجل خاض غمرات الحياة سعياً وراها ، اما حكم المعري فناشئة عن نفس حكيم مفكر عرف الحياة فزهدها . وليس من الانصاف ان نقرنه من هذا القبيل بابي العتاهية فان للمعري من دقة التأمل وصدق التضحية ومعرفة الكون ما لا زاه لشاعر القبور والنشور : كان ابو العتاهية واعظ الموت ، والمتنبي خطيب الحياة ، اما المعري فحكيم الموت والحياة

المواقف الشعرية في اللزوميات

تتناول اللزوميات منشأ الانسان ومصيره وما بينهما . وللشاعر فيها موقفان رئيسيان (١) تجاه الغيبات (الله والبعث والحساب) . (٢) تجاه الانسان والطبيعة . واليك بيان ذلك -

الغيبات

هنا نرى موقفه مضطرباً، ولكن اضطرابه اضطراب مؤمن يحاول ان يجمع بين العقل والنقل ، فيقع في شيء من الارتباك . ومن الخطأ ان نحكم عليه من شعره بالجحود فان الشواهد فيه على ايمانه بالله وبشكل من اشكال الخلود كثيرة ، بل هي اكثر من اضدادها . ويتضح ذلك من الامثلة التالية

قال مستهزئاً بالنجم ومثباً قوة الله

متى يزل الامر الهاوي لا يُفدُ

وان لحق الاسلام خطب يعضه

اذا عظموا كيوان عظمت واحداً

وقال

والله حق وابن آدم جاهل

وقال

الله لا ريب فيه وهو محتجب

سوى شبح رمح الكمي المناجد

فما وجدت مثلاً له نفس واجد

يكون له كيوان اول ساجد

من شأنه التفريط والتكذيب

بادر وكل الى طبع له جذبا

وقال

فَلَيْكُ يَدُورُ بِحِكْمَةٍ وَهَلْ بِلَا رَبِّ مَدِيرِ

وقال

أما الحياة فلا أرجو نوافلها
 ربِّ السَّماكِ وربِّ الشمسِ طالعةً
 ولكنني لالهِي خائفٌ راجي
 وكلُّ أَزْهَرٍ فِي الظُّلْماءِ خَرَّاجِ
 وفي الحشر يقول -

إذا كنت من فرط السفاه معطلًا
 أخاف من الله العقوبة آجلًا
 فيا جاحدُ اشهدْ انني غير جاحد
 وازعم ان الامر في يد واحد
 ويقول

إن ادخل النار فلي خالق
 يقدر ان يسكنني روضة
 يحمل عني مثقلات العذاب
 فيها ترامى بالمياه العذاب
 ومن ذلك هذان البيتان المشهوران

قال المنجم والطبيب كلاهما
 ان صح قولكما فليست بنادم
 لا تحشرُ الاجساد قلت اليكما
 او صح قولي فالحمار عليكما
 وبلي هذين البيتين خمسة ابيات كلها على هذا النمط
 وله مثل ذلك قصيدة مطلعها

عجبي للطبيب يلحد في الخالق من بعد درسه التشریحاً

وليس الذي ذكرناه الا نزرأ بما في اثناء الديوان من هذه المعاني الايمانية. ولكن شاعرنا
 في هذا الموقف كما قلنا مضطرب متحير - تراه آونة مؤمناً صريح الايمان - ثم تراه وقد
 غشيتة الشكوك والاهام. فهو بين مد وجزر لا يستقر على حال واحدة

ومن شكه هذه الامثلة القليلة، وهي قل من كثر

اما الجسوم فالتراب ما لها وعييت بالارواح اني تسلك

...

دفنأهم في الارض دفن تيقن. ولا علم بالارواح غير ظنون

ورومُ الفتى ما قد طوى الله علمه يعدُّ جنوناً او شبيه جنون

...

قد قيل ان الروح تأسف بعدما تنأى عن الجسد الذي غنيت به
ان كان يصحبها الحجا فلعلها تدري وتأبهُ للزمان وغيبه
اولا فكم هذيان قوم غابر في الكتب ضاع مداده في كتبه

...

تقدّم الناس فيا شوقنا الى اتباع الاهل والاصدقا.
ما اطيب الموت لشرابه ان صح للاموات وشك التقا.

...

اما اليقين فلا يقين وانما اقصى اجتهادي ان اظن واحدا

...

اما القيامة فالتنازع شائع فيها وما خبيثها اصحار
ومما يكاد يكون انكاراً قوله

قلتم لنا خالقٌ حكيم قلنا صدقتم كذا تقول
زعمتموه بلا مكان ولا زمان الا فقولوا
هذا كلام فيه خبيء معناه ليست لنا عقول

وقوله

ضحكنا وكان الضحك منا سفاهةً وحقٌ لسكان البسيطة ان يكونوا
يخطئنا صرف الزمان كأننا زجاج ولكن لا يعاد له سبك

وقوله

خذ المرأة واستنجد نجوماً تُبرُّ بمطعم الأرنبي السشور
تدلُّ على الحياة بلا ارتياب ولكن لا تدلُّ على السشور

على اننا اذا دققنا في هذه الحيرة وهذا التناقض ، وراجعنا كل ما قاله المعري بهذا
الصدد ، ثم عارضناه بسيرته واقوال الناس فيه ، ترجح لدينا ان شاعرنا لم ينقطع عن
الايمان بالله وبالأخرة . ولكن صورة الله في نفسه لم تكن صورته في نفس المؤمن العادي ،
وانما كان نظره الى ما وراء الطبيعة نظرياً « لا ادرياً » متأثراً بالاسلام

الطبيعة والحياة البشرية

ويتلخص ذلك بما يلي :

الاديان ورؤساؤها — الشعب وزعمائه — الانسان وطبيعته ومصيره
وفي كل ذلك تراه ثابت النظر مستقر الراي مقتنعاً بصحة ما يقول ، والى القارى .
زبدة هذه النظريات

الاديان

اذا قوبل الاسلام بسائر الاديان فهو عند المعري مفضل على الجميع . وانك ترى المعري
في بعض مواقفه يتعرض للجدل ، فيهاجم اليهود والنصارى والفرق الاسلامية المختلفة
(كالمعتزلة والمرجئة وبعض الشيعة والصوفية) ، وله فيها اشعار كثيرة لا يتسع لها المقام^(١)
ومع كل ذلك فله في الدين نظر عام يشمل كل الاديان على السواء . وهو يتناول الدين
من وجهتين (١) العقائد والفروض او هيكل الدين و(٢) الفضائل والاعمال او روح الدين .
اما الاولى فيحمل عليها حملة شعواء فيحذر الناس من السنن والمذاهب ، ويزعم ان الدين
من هذه الوجهة اداة يستعملها الرؤساء . لجذب الدنيا اليهم
انما هذه المذاهب اسباب لجذب الدنيا الى الرؤساء .

واقواله في ذلك لا تحصى فنكتفي بالاشارة اليها والى ما ذكر منها في غير هذا المقام
واما الوجهة الثانية فهي الدين الحق عنده . وعلى قدر استهزائه بخرافات الاقدمين
واوهامهم المذهبية ترى تعظيمه لروح الدينية التي يراد بها التستره عن الجشع والظلم
والشهوات ، وبذلك يشارك المصلحين الروحيين في كل مكان وزمان . ومن اقواله في هذا
الباب .

الدين هجر الفتى للذات عن يسر في صحته واقترار منه ما عمرا

...

ما الخير صوم يدوب الصائمون له ولا صلاة ولا صوف على الجسد

(١) راجع من ذلك اللزوميات ١-١٢٩ و ٢-١٧٢

وانما هو ترك الشر مطرحاً ونفضك الصدر من غلّ ومن حسد

...

الدين انصافك الاقوام كلهم واي دين لآبي الحق ان وجبا
فالدين عنده ترك الشر وانصاف الجميع ، ولا دين لمن يرفض الحق . وقد كرّر هذا
المنى كثيراً في لزومياته ، ونجّزى . هنا بقوله التهكمي فيه

توهمت يا مغرور انك دين عليّ يمين الله مالك دين
تسير الى البيت الحرام تنسكاً ويشكوك جار بائس وخدين

وقوله

سبح وصلّ وطّف ببكة زائراً سبعين لا سبعاً فليست بناسك
جهل الديانة من اذا عرضت له اطاعه لم يُلف بالمناسك

الشعب وزعمائره

ولا يختلف نظره هنا عن نظره الى الدين ورؤسائه ، فهو يهاجم الامراء والحكام
واصحاب الزعامة السياسية متهماً اياهم بالجهل والجشع والاستبداد
فشان ماوكمهم عزفٌ وتزفٌ واصحاب الامور جباةٌ خرج

.....

مُلّ المقام فكم اعشراة امرت بغير صلاحها امراؤها
ظلموا الرعية واستجازوا كيدها فعدوا مصالحها وهم اجراؤها

...

ساس الانام شياطين مسلطة في كل مصر من الوالين شيطان
متى يقوم امام يستفيد لنا فتعرف العدل اجبال وغيطان

ومع اشفاقه على الشعب لا يرى فيه غير الفساد العام كقوله

قد فاضت الدنيا بادناسها على براياها واجناسها
وكلُّ حي فوقها ظالم وما بها اظلم من ناسها

.....

كلُّنا غادرٌ يميل الى الظلم وصفو الايام للتعكير
ورجال الانام مثل الغواني غير فرق التانيث والتذكير

...

عشٌ بخيالٍ كأهلِ عصرِكَ هذا وتباله فان دهرِكَ أبله
قومٌ سوءٌ فالشبلُ منهم يقول الليثُ فرساً والليثُ يأكلُ شبله
وقس على هذا القول كثيراً من الامثلة التي تعكس انا بيئته او نظره الاسود الى اهل
زمانه عموماً ، لا فرق في ذلك بين حاكمٍ ومحكومٍ او غنيٍ وفقيرٍ

هم السباع اذا عنت فرائسها وان دعوت لخير حوت حمرها
وكما انه يهاجم الرجال فينعتهم بالجشع والعدو واللؤم كذلك يهاجم النساء فينعتن
بالضعف والرياء والخيانة والمكر ، ولا يرى لهن الا الاحتجاب التام والستر المثل
والانصراف الى شؤونهن . وانك لترى سوء ظنه بهن اذ يقول

فوارسُ فتنَةٍ اعلامٌ غيّرَ لقينك بالأساور مُعلّات
ودفنٌ - والحوادثُ فاجعات - لاحداهن إحدى المكرمات

وهذان البيتان من قصيدة تنيف على التسعين بيتاً في كل بيت منها ذم للمرأة وتحقير
من شأنها ، ومثلها في اللزوميات كثير . ولا ندري الذي حمل المعري على الازدراء بالمرأة
ووصفها بكل الشوائب ، ولكنه ولا شك جارى عصره ، بل تمادى في هذه الاراء السقيمة
الى الحد الاقصى - على انه عطف على الوالدات واوصى بهن خيراً

الطبيعة البشرية

اما الطبيعة البشرية ففسادة عنده لا امل باصلاحها ، والانسان مسير بقوتين قوة داخلية
هي الغريزة الوحشية التي لا يمكن تهذيبها

واللبُّ حاول ان يهذب اهلها فاذا البرية ما لها تهذيب

....

لم يقدر الله تهذيباً لعالمنا فلا ترومنّ للاقوام تهذيباً

ولا تصدِّق بما البرهان يبطله فتستفيد من التصديق تكذيباً

...

وجيلة الناس الفساد فضلًا من يسمو بحكمته الى تهذيبها

وقوة خارجية هي قضاء جبار يدفع الانسان امامه فلا ارادة له ولا اختيار . ولكن كيف نجتمع بين « حكمة الله » كما نراها في شعر المعري وبين جبروت القضاء ؟ وكيف نوفق بين القدر والحساب ؟ مسألة فلسفية دقيقة لا نرى الشاعر يوضحها او يهتم بتطبيقها تطبيقاً صحيحاً ، وانما هممه من ذلك ان يصف ما يشعر به او يتوهمه ، ولذا لا ينتظر ان نراه هنا منسّق الخواطر مطرّد الفكر

ومن هذا القبيل ذكره للعقل والنقل ، فانك تراه يهيب بالناس الى رفض الشرائع ناسباً اليها كل اسباب الفتى والاضطراب كقوله

ان الشرائع القت بيننا احناً وادعتنا افانين العداوات

ولا يرى من هادٍ غير العقل

كذب الظن لا امام سوى العقل مشيراً في صبحه والمساء

...

تستروا بامور في دياتهم
ونكذب العقل في تصديق كاذبهم
وانا دينهم دين الزناديق
والعقل اولى باكرام وتصديق

...

اذا رجع الحصيف الى حجاج تهاون بالشرائع وازدراها

ولكن اي عقل نتبع واي نقل نرفض ؟ هنا لا بد من الحذر . فالمعري يندفع بتأثير التأمل الفلسفي الى تقديس العقل دون النظر الى عاقبة ذلك التقديس ، وهو بذلك هدام — ونعم المعول العقل — على شرط ان يستخدمه فيما يفيد ، في تهذيب الشرائع ورفعها الى مستوى الكمال الممكن ، لا في التخلص منها تبعاً لزعزعات الفوضى . والذي يلوح لنا ان المعري لم يكن فوضوياً ، ولم يقصد الهدم المطلق ، بل قصد الاصلاح الاجتماعي . على انه اندفع الى ذلك متأثراً من طبيعته ومن الفساد الذي حوله ، فلم يسلك طريقاً يصح ان نسميها طريق الهداية العملية

وليس من اثر للفوضى في شعره الا حملة على النسل ، ودعوته الناس الى الفناء واقواله
 في ذلك معروفة نذكر منها هنا هذين البيتين
 لو ان كل نفوس الناس رائية كراي نفسي تنامت عن خزايها
 وعطّلوا هذه الدنيا فما ولدوا ولا اقتنوا واستراحوا من رزايها

كلمة ختامية

وهنا لا بد ان نسأل : ما العوامل التي احلّت المعري هذا المحل الرفيع في تاريخ الادب
 العربي وخذلت له هذا الاحترام في نفوس المتأدبين ؟ والجواب على ذلك

١ - صراحته في مهاجمة ما كان يراه فاسداً

٢ - صرفه الشعر الى مواضيع عمرانية اخلاقية لم يسبق اليها

٣ - تطبيقه الحكمة على نفسه واظهاره مبادئها في حياته

٤ - زهده الحقيقي وترفعه عن اغراض الدنيا

نعم قد يؤخذ عليه بعض شذوذه الفكري الذي حمّله احياناً الى اقاصي التطرف وجعله
 هداماً لا يبسن البناء ، وتحوّجه اللغوي الذي دفعه مراراً الى ركوب اخشن المراكب توصلاً
 الى معانيه . على ان المعري برغم ذلك الشذوذ وذلك التحرج هو تلك الشخصية التي
 تجمع بين الاخلاص والشدة - الاخلاص في خدمة الحقيقة كما تتراءى له ، والشدة في مهاجمة
 اهل الفساد . وهو بذلك يختلف عن سائر الشعراء الذين لمعوا في تاريخ الادب العربي
 اذ ليس لاحدهم معها تسامت مكانته الفنية ما للمعري من النظر الى الحياة التي تعجّ حوله
 ومحاولة نقدها . كان الشعراء قبله لا يرون في الحياة الا انفسهم ولا يرون في الادب الا
 ما يوصل الى اغراضهم ، فجاء المعري ينظر الى البيئة التي تحويه محاولاً رفعها واصلاح شؤونها .
 على انه لم يرف فيها غير اوجه الفساد والظلام لم ينتبه - الى مجالي الجمال التي تزين وجه الطبيعة
 والحياة - فجاء شعره قائم اللون كأنما هو مصباح تنفذ اشعته اليانا من وراء زجاجة سوداء .

المختار من شعر المعري

قارب في خضم مضطرب تتقاذفه الرياح وتترامى به الامواج - ذلك هو المعري
في نظره الى الحياة

ظلمات من كل جانب ، وعقل مفكر يحاول ان يرى من ورائها ما لا يرى ، فيرتد
خائباً ناعياً على الدهر وجوده ، ناعياً على الحياة مسراًتها ، ميبساً بالناس : الى الفناء الى الفناء ،
فما الوجود الا شقاء في شقاء .

نخبة من سقط الزند

١ - في المرأئي

قال في صباه يرثي والده

نقمت الرضا حتى على ضاحك المزن	فلا جادني الا عبوس من الدجن
فليت في ان شام سني تبسني	ثم الطعنة النجلاء تدمي بلاسن
كان تناياه اوانس يبتغي	لها حسن ذكر بالصيانة والسجن (١)

...

ابي حكمت فيه الليالي ولم تزل	رماح المنايا قادرات على الطعن
مضى طاهر الجثمان والنفس والكري	وسهد المنى والحبيب والذليل والرؤن
فيا ليت شعري هل يخف وقاره	اذا صار أحد في القيامة كالهن
وهل يرد الحوض الروي مبادراً	مع الناس ام يابى الزحام فيستأني

(١) كرهت الرضا حتى على السحاب المتألق. فسوف يبقى في مطبقاً كأن اسنانه نساء مصونات

حجاً زاده من جرأة وساحة^(١) وبعض الحجاج داعر الى البخل والجن^(٢)

...

على ام دفر غضبة الله إنها
كعاب دجاها فرعها ونهارها
رأها سليل الطين والشيب شامل^(٣)
زمان تولت وأد حواء بنتها
لاجدر أنثى ان تحون وأن تخني^(٤)
محيماً لها قامت له الشمس بالحسن
لها بالثريا والساكنين والوزن^(٥)
وكم وأدت في إثر حواء من قرن

...

جهلنا فلم تعلم على الحرص ما الذي
إذا غُتِبَ المرء استسرَّ حديثه
تضلُّ العقولُ الهبرياتُ رشدها
وما قارنت شخصاً من الخلق ساعة^(٦)
وجدنا اذى الدنيا لذيداً كأنما
فما رغبت في الموت كدر مسيرها
يصادفن صقراً كلَّ يوم وليلة
وخوف الردى آوى الى الكهف اهله
وما استعذبت روح موسى وآدم
يراد بنا والعلم لله ذي المن
ولم تخبر الافكار عنه بما يعنى
ولم يسلم الرأي القوي من الأفن^(٧)
من الدهر الا وهي افنك من قرن
جنى النحل اصناف الشقاء الذي نجني
الى الورد خمس ثم يشربن من أجن^(٨)
ويلقن شراً من مخالبه الخجن
وكلف نوحاً وابنه عمل السفن^(٩)
وقد وعدا من بعده جنتي عدن

...

أمولى القوافي كم اراك انقيادها
هنيئاً لك البيت الجديد مؤسداً
لك الفصحاء العرب كالعجم اللكن
يمينك فيه بالسعادة واليمن

(١) في هذا البيت وما قبله يصف اياه بالوقار ويقول : هل يخف وقاره يوم القيامة (يوم يصبح جبل احد كالقطن) وهل يتدارع مع الناس ويزاحمهم الى الحوض. ان عقله قد زاده جرأة وساحة في حين ان العقل يدعو اصحابه الى الحذر الشديد.

(٢) ام دفر كناية عن الدنيا. وتخني تخلك

(٣) شبه الدنيا بالحسناء في قلة الوفاء وقال انها قديمة رأها آدم وهي شائبة وعلامات شيبها هذه النجوم - الثريا والساكنان والوزن

(٤) الهبريات القوية. والافن النقص والضعف

(٥) فما رغبت في الموت قفا تسير خمسة ايام حتى تصل الماء فتشربه فاسداً آسناً

(٦) قصة اصحاب الكهف وقصة نوح معروفان

مجاورَ سَكْنٍ في ديارٍ بعيدةٍ من الحيّ سقيّاً للديار وللسكن
طلبتُ يقيناً من جهينةَ عنهم ولن تجبريني يا جهينُ سوى الظن
فان تعهديني لا ازال مسائلاً فاني لم أعطَ الصحيح فاستغني

...

أمرُ بربعٍ كنتَ فيه كأنما امر من الأكرام بالحجر والرُسكن^(١)
وما أكثرَ المثني عليكَ ديانةً لو انَّ حمماً كان يُثنيه من يُثني
يوافيك من رب العلاء الصدق بالرضا بشيراً وتلقاك الامانة بالأمن
فيا قبرٍ واهٍ من ترابكَ لِنناً عليه وآمٍ من جنادك الحسن
لاطبقتَ اطباقَ المَحارة فاحتفظ بلؤلؤةِ المجدِ الحقيقة بالْحزن^(٢)
سأبكي اذا غنى ابنُ ورقاء بهجةً وان كان ما يعنيه ضدّ الذي اعني
ونادبةً في مسعبي كل قينةٍ تغرد باللحن البري عن اللحن^(٣)
واحمل فيك الحزن حياً فان امت وألّك لم اسلك طريقاً الى الحزن
وبعدك لا يهوى الفؤاد مسرةً وان خان في وصل السرور فلا يهني

والبنو المشهورة

يرثي صديقاً له من الفقهاء.

غير مجدر في ملّتي واعتقادي نوحُ بالكِ ولا ترثمُ شادٍ
وشيهُ صوتُ النعي إذا قيس بصوت البشير في كل نادٍ
أبكتُ تلکم الحمامةُ ام غنتُ على فرع غضنها المياد
صاح هذي قبورنا تملأُ الرحبَ فابن القبور من عهد عاد
خفف الوطء ما أظنُّ اديم الـ أرض إلا من هذه الاجساد

(١) الحجر ما حول الحطيم في مكة . والركن ركن البيت الحرام

(٢) انك ايها القبر كالصدفة وهو فيك كاللؤلؤة

(٣) اللحن الخالي من الحنأ

وقبيحٌ بنا وان قدم العهد هوان الآباء. والاجداد
 سران اسطعت في الهواء رويداً لا اختيالاً على رفات العباد
 ربّ لحدٍ قد صار لحداً مراراً ضاحك من تراحم الاضداد
 ودفينٍ على بقايا دفينٍ في طويل الازمان والاباد
 فاسأل الفرقدين عن احسأ من قبيل وآنسا من بلاد^(١)
 كم اقاما على زوال نهار وانا لممدج في سواد
 تعبٌ كلها الحياة فما اعجبُ الا من راغب في ازدياد
 إن حزناً في ساعة الموت اضعا ف سرور في ساعة الميلاد
 خلقَ الناس للبقاء فضلتُ أمةً يحسبونهم للنقاد
 إنا ينقلون من دارِ أعمامنا لى دارِ شقوةٍ او رشاد
 ضجعة الموت رقدةٌ يستريح الجرم فيها والعيشُ مثل السهاد

...

أبنات الهديل أسعدن أوعدن ن قليل الغزاء بالإسعاد
 إيه لله درككن فانتن اللواتي تحسن حفظ الوداد
 ما نسيتم هالكاً في الاوان الخال اودى من قبل هلك إياد^(٢)
 بيد أنى لا ارتضي ما فعلتن واطواقكن في الاجياد
 فتسلبن واستعرن جميعاً من قيص الدجى ثياب حداد
 ثم غردن في المآتم وأندين بشجو مع الغواني الخراد

...

قصد الدهر من ابي حمزة الأوا بى مولى حجبى وخذن اقتصاد^(٣)
 وقيماً افكاره شدن للنعمان ما لم يشده شعر زياد^(٤)

- (١) فاسأل هذين الكوكبين عما عرفاه وشهداه من احوال الناس
 (٢) اشارة الى ان الهام لا تزال تبكي على هديلها الذي هلك قديماً
 (٣) ابو حمزة اسم الفقيه المرثى . قصد الدهر منه رجلاً صالحاً عاقلاً
 (٤) في لفظة نعمان هنا تورية فالنعمان ملك الحيرة ، والنعمان الامام ابو حنيفة وهو المراد . وزياد
 هو النابتة المشهور وكان شاعر ملك الحيرة

فالعراقي بعده للحجازي قليل الخلاف سهل القيادة
انفق العمر ناسكاً يطلب العلم بكشف عن اصله وانتقاد
ذا بنان لا تلمس الذهب الاحمر زهداً في العسجد المستفاد

...

ودعا ايها الخفيان ذاك الشخص ان الوداع أيسر زاد
واغسله بالدمع ان كان طُهرأ وادفناه بين الحشى والفؤاد
واحبواه الاكفان من ورق المصحف كبراً عن انفس الأبراد
واتلوا النعش بالقراءة والتسبيح لا بالنجيب والتعداد
اسف غير نافع واجتهاد لا يؤدى الى غناء اجتهاد
طلما اخرج الحزن جوى الحزن الى غير لائق بالسداد
مثلاً فانت الصلاة سليماً ن فأنحى على رقاب الحيات
وهو من سُجرت له الانس والجن بما صح من شهادة صاد^(١)

...

كيف اصبحت في محلك بعدي يا جديراً مني بحسن افتقاد
قد اقر الطيب عنك بعجز وتقضى تردد العواد
وانتهى اليأس منك واستشعر الوجدان لا معاد حتى المعاد
هجد الساهرون حولك للتبريض ويح لأعين المهجاد
كنت خل الصبا فلما اراد البين وافقت رأيه في المراد^(٢)
ورأيت الوفاء للصاحب الاول من شيمة الكريم الجواد
وخلعت الشباب غماً فياليتك ابليتة مع الانداد
فاذها خير ذاهبين حقيقين بسقيا روائح وغواد
ومراث لو أنهن دموع لمحون السطور في الانشاد

...

(١) ان الحزن قد يخرج الانسان عن صوابه كما فعل سليمان من ضرب الخيل لما عرضت عليه فاشتغل بما حتى فاتته الصلاة . وهو الذي شهد له في سورة صاد اذ قيل - فخرنا له الريح تجري بأمره - الآية

(٢) الضمير في اراد راجع الى الصبا

زحلٌ اشرف الكواكب داراً من لقاء الردى على ميعاد
 وبنار المربخ من حدثان الدهر مطف وان علت في اتقاد
 والثريا رهينة بافتراق الشمل حتى تُعدّ في الافراد
 كل بيت للهدم ما تبتي الورق قاء والسيد الرفيع العماد
 والفتى ظاعنٌ ويكفيه ظلُّ السدر ضرب الاطناب والاوتاد^(١)
 بان امر الاله واختلف لنا س فداعر الى ضلال وهاد
 والذي حارت البرية فيه حيوانٌ مستحدثٌ من جماد
 والليب الليب من ليس يفتّر بكونٍ مصيره للفساد

قصيدته المحكمية

في رثاء جعفر بن علي بن المهذب

احسن بالواجد من وجده	صبرٌ يعيد النار في زنده
ومن ابى في الرزء غير الاسى	كان بكاه متمهي جهده
فليذرف الجنن على جعفر	اذ كان لم يُفتح على نده
والشيء لا يكثر مدأحه	الا اذا قيس الى ضده
لولا غضى نجدٍ وقلامه	لم يُثنَ بالطيب على رنده ^(٢)
ليس الذي يبكى على وصله	مثل الذي يبكى على صده
كان الاسى فرضاً لو ان الردى	قال لنا افدوه فلم نَفده
هل هو الا طالعٌ للهدى	سار من الترب الى سعده

...

يا دهرُ يا منجزَ إبعاده ومخلفَ المأمول من وعده

(١) والانسان راحل ينتبه ظل السدر عن ان يبتني الحيام - اي انه قليل الاقامة في الدنيا فيجب ان لا يهتم بما . والسدر شجر النبق

(٢) اي ان الرند خص بالثناء لمقابله بسائر الاشجار التي لا طيب لها

اي جديد لك لم تُبيله
تستأثر العقبان في جوحها
ارى ذوي الفضل واضدادهم
ان لم يكن رشد الفتى نافعا
تجربة الدنيا وفعالها
والقلب من اهوائه عابدا
إن زماني برزاياه لي
كأننا في كنه ماله
لو عرف الانسان مقداره
امس الذي مر على قربه
اضحى الذي أُجِّلَ في سنه
والواحد المفرد في حفه
وحالة الباكي لآبائه

واي أقرانك لم تُرده
وتنزل الاعصم من فنده (١)
يجمعهم سيلك في مده
فقيه انفع من رشه
حسنت اخا الزهد على زهده
ما يعبد الكافر من بده (٢)
صيرني امرح في رده (٣)
ينفق ما يختار من نقده
لم يفخر المولى على عبده
يعجز اهل الارض عن رده
مثل الذي عوجل في مده
كالخاشد المكث من حشده
كحالة الباكي على ولده

...

ما رغبة الحي بآبائه
ومجده افعاله لا الذي
لولا سجاياه واخلاقه
تشتاق آيار نفوس الورى
تدعو بطول العمر افواها
يسر ان مد بقاء له
كم صائر عن قبله خده

عما جنى الموت على جده (٤)
من قبله كان ولا بعده
لكان كالمعدوم في وجده
وانما الشوق الى ورده (٥)
لمن تناهى القلب في وده
وكل ما يكره في مده
سلطت الارض على خده

(١) تقهر العقبان في الجب وتنزل الوعل من معقله في الجبل

(٢) البد الصنم

(٣) اي لكثرة انتلافي رزايالدهر وتمرني عليها صرت لا ابالي جا بل ازداد نشاطاً ومرحاً. والقدر

سير يقدر من جلد يوثق به الاسير

(٤) كيف يمتزج الحي بآبائه من الموت وهو الذي فنك باجداده

(٥) كما ان النفوس تشتاق ايار لاجل ورده كذلك الانسان انما هو اخلاقه وسجاياه

وحاملٍ ثقل الثرى جيدُه
وربُّ ظهَانٍ الى موردٍ
وكان يشكو الضعف من عقده
والموت لو يعلمُ في ورده

...

فيا اخا المفقود - في خمسة
جاءك هذا الحزن مستجدياً
كالشهب ما سألَكَ عن فقده (١)
اجرك في الصبر فلا تُجده
سألك او سرَّكَ من عنده
لا يعدم الاسمرُ في غابده
ان الذي الوحشة في داره
لا أوحشت دارك من شمسها
حتفاً ولا الابيض في غمده (٢)
تؤنسه الرحمة في لحده
ولا خلا غابك من أسده

امثلة من وصفه وفخره

قال متبرماً من بغداد ومتشوقاً الى وطنه

مغاني اللوى من شخصك اليوم اطلال
وابغضتُ فيك النخل والنخل يانع
وفي النوم معنى من خيالك محلال (٣)
واعجبتني من حبك الطلح والصال (٤)
حملتُ من الشامين اطيب جرعة
فسقياً لكأس من فم مثل خاتم
واترّها والقوم بالقفر ضلال (٥)
من الدر لم يههم بتقبيله خال (٦)
كان الخزامى جمعت لك حلة
أتعلم ذات القُرط والشنف أنني
عليك بها في اللون والطيب سربال
يشقني بالزائر اغلب رنبال (٧)

(١) يعزي اخا الفقيد ويقول ان في اولاده الحمسة ما يسليك عن فقده

(٢) الاسمر الرمح والايض السيف

(٣) يخاطب الحبيبة ويقول ان المنازل منك خالية ولكن خيالك كثير الحلول في عيوتنا عند النوم

(٤) وابغضت لاجلك النخل واحببت اشجار البادية لانك بدوية

(٥) اي حملت من الشام والجزيرة اطيب جرعة واقها (اي رضاك)

(٦) الخال هنا الخائل اي المدل بعظم شأنه

(٧) اتعلم هذه الزناة المتحلية في اذنا بالقرط والشنف ان لي فيها خصماً يهددني ويزأر علي كالاسد

فيا دارها بالحزن إن مزارها
ببكت فكان العبد نادى فريده
تحلّى النقا درين دمعاً ولولوءا
وغنت لنا في دار سابور قينة
فقلت تغني كيف شئت فلما
قريب ولكن دون ذلك احوال
هلم لعقد الخلف قلب وخلخال^(١)
وولت أصيلاً وهي كالشمس معطال
من الورق مطراب الاوائل ميهال^(٢)
غناوك عندي يا حمامة احوال

. . .

تمتت أن الحر حات لشوة
فاذهل أني بالعراق على شني
مقل من الاهلين يسر واسرة
طويت الصبا طي السجل وزارني
متى سألت بغداد عني واهلها
اذا جن ليلى جن لي وزائد
وماء بلادي كان المنجم مشرباً
فيا وطني ان فاتني بك سابق
فان استطع في الحشر آتتك زائراً
وكم ماجد في سيف دجلة لم أشم
من الغر تراك المواجر معرض
سيطلي رزقي الذي لو طلبته
اذا صدق الجد افتري العم للفتي

تجولني كيف اطأنت في الحال
رزي الاماني لا انيس ولا مال
كفي حزناً بين مشق واقبال
زمان له بالشيب حكم وإسجال
فاني عن اهل العواصم سأل
خفوق فؤادي كلما خفق الآل^(٣)
ولو ان ماء الكرخ صباه جريال^(٤)
من الدهر فلينع لسكنك البال
وهيات لي يوم القيامة اشغال
له بارقاً والمرء كاللزن هطال^(٥)
عن الجهل قذاف الجواهر مفضل
لما زاد والدنيا حظوظ واقبال
مكارم لا تكري وان كذب الحال^(٦)

(١) بكت الحبيبة للفراق وقطرت دموعها على قدمها فصار القلب (الاسوار) والخلخال بناديان

الفريد في العقد هلم تتحالف مع الدموع

(٢) وغنت لنا في هذا المكان مغنية من الهمام

(٣) الآل السراب

(٤) ماء بلادي اطيب ولو ان ماء بغداد كالصباه

(٥) سيف دجلة اي شط دجلة . وكم من كريم هناك لم اقصدته ولم اطعم في جوده

(٦) اذا خدم الحفظ احدى اخترع له الناس (العم) من المكارم ما ليس في مخايله . وقد تلاعب

في جد وعم وخال تلاعباً يائياً ظاهر التكلف

وقال في الشريف موسى بن اسحق مجيباً اياه عن قصيدة

عللاني فانَّ بيضَ الاماني فنيته والظلامُ ليس بقاني
ان تناسيتما وداداً أناس فاجعلاني من بعض من تذكران
رُبَّ ليلٍ كأنه الصبحُ في الحسنِ وان كان اسود الطيلسان
قد ركضنا فيه الى اللهو لما وقفَ النجمُ وقفةَ الحيران^(١)
كم اردنا ذلك الزمانَ بدحٍ فشفلنا بدمٍ هذا الزمان
فكأنني ما قلت والبدْرُ طفلٌ وشبابُ الظلماءِ في عنفوان
ليلتي هذه عروسٌ من الزَّنجِ عليها قلائدٌ من جمان
هربَ النومُ عن جفوني فيها هربَ الامنُ عن فؤادِ الجبان
وكانَ الهلالُ يهوى الثرياَ فهما للوداعِ معتقان
قال صحي في لَبَّتَيْنِ من الجندسِ والبيدِ اذ بدا الفرقدان
نحن غرقى فكيف يتقدنا نجمان في حومة الدجى غرقان^(٢)؟
وسهيلٌ كوجنةِ الجبِّ في اللوِّ ن وقلبُ الحبِّ في الخفقان
مستبداً كأنه الفارسُ المَعْلَمُ يبدو معارضُ الفرسان
يسرعُ الملحُ في احمرارٍ كما تسرعُ في الملح مقلَّةُ الغضبان
ضرجته دماً سيوف الاعادي فبكت رحمةً له الشعريان
قدماهُ وراه وهو في العجزِ كساعٍ ليست له قدمان^(٣)
ثمَّ شاب الدجى وخاف من الهجرِ فغضى المشيبَ بالزعران
ونضا فجره على نسرهِ الواقعِ سيقاً فهمَّ بالطيران
وعلى الدهر من دماء الشهيدين عليّ ونجله شاهدان^(٤)

(١) تكلف المطابقة بين الجري والوقوف فقال كم جرينا فيه الى اللهو والنجم في الليل واقف حائراً (يصف الليل بالطول)

(٢) قال صحي وقد دخلنا في احشاء الظلام والغفر نحن غرقى فكيف يتقدنا الفرقدان وهم غرقان

(٣) خلف سهيل نجمان يقال لها قدما سهيل . فهو معكوس الحال يمشي عاجزاً كمن لا قدمان له . والشعريان نجمان

(٤) النسر الواقع اسم نجم . قال ويلوح على الدهر من دماء الشهيدين الامام علي وابنه الحسين شاهدان

فهما في اواخر الليل نجرا ن وفي اولياته شفقان^(١)
وجمال الاوان عقب جدود كل جد منهم جمال اوان

...

يا ابن مستعرض الصفوف بيدر ومبيد الجموع من غطفان^(٢)
أحد الخمسة الذين هم الاغراض في كل منطق والمعاني^(٣)
والشخص التي خلقن ضياء قبل خلق المريخ والميزان^(٤)
قبل ان تخلق السموات او تو مر افلاكهن بالدوران
لو تآتى لتطحها حمل الشهب تردى عن رأسه الشرطان^(٥)
او اراد السماء طعناً لها عا د كسير القناة قبل الطعان^(٦)
او عصاها حوت النجوم سقاء حتمه صائد من الحدثان
انت كالشمس في الضياء وان جا وزت كيوان في علو المكان^(٧)
وسجاي محمد اعجزت في الوصف لطف الافكار والاذهان
وجرت في الانام اولاده السئة مجرى الارواح في الابدان
اقبلوا حاملي الجداول في الاغداد مستلثمين بالغدران^(٨)
يضربون الاقران ضرباً يعيد السعد نحسا في حكم كل قران
وجلوا غمرة السوغى بوجوه حسنت فهي معدن الاحسان
قد اجبتنا قول الشريف بقول واثبتنا الحصى عن المرجان
ايها الدر انا فضت من بجر محلى الطريق للجريان
ما أمرؤ القيس بالمصلي اذا جا راه في الشعر بل سكت الرهان

(١) هذا الشاعران هما الفجران الكاذب والصادق اي الحمرة التي ترى اول الصبح وكذلك الشفقان اي الحمرة او الصفرة التي تبني في افق المغرب بعد الغروب . ويزعم انها من آثار ما اريق من دم الشهيدين (يريد بذلك اخا تلوح مدى الدهر)

(٢) يا ابن النبي الذي عرض صفوفه بوانعة بدر واهاد هذه القبائل

(٣) يريد بالخمسة الذين هم موضوع كل ثناء اعضاء العترة الشريفة - النبي وعلياً وفاطمة والحسن

والحسين (٤) المريخ والميزان من النجوم

(٥) الشرطان كوكبان مضيئان في برج الحمل يقال لهما قرنا الحمل

(٦) يقصد السماء المعروف بالرامح (٧) كيوان اسم لزحل

(٨) يقصد بالجداول السيوف وبالغدران الدروع

يا ابا ابراهيم قصّر عنك الشعرُ لما وُصفتَ بالقرآن
 أشربَ العالمونَ حُبَّكَ طبعاً فهو فرضٌ في سائرِ الاديان
 بانَ للمسلمينَ منك اعتقادٌ ظفروا منه بالهدى والبيان
 عش فداءً لوجهك القمرانِ فهما في سناه مستصران

وقال بفتخر وبدم الزمان

ألا في سبيل المجد ما انا فاعلٌ عفافٌ وإقدامٌ وحزمٌ ونائلٌ
 أعندي وقد مارستُ كلَّ خفيّةٍ يصدقُ واشٍ أو يُخيّبُ سائلٌ
 تُعدُّ ذنوبي عند قوم كثيرةٍ ولا ذنب لي الا العلا والفواضل
 كأني اذا طلّتُ الزمانَ واهلهُ رجعتُ وعندي للانام طوائلٌ (١)
 وقد سار ذكرني في البلاد فن لهم باخفاء شمس ضوئها متكامل
 يهيمُ الليالي بعض ما انا مضمّرٌ ويتقلّ رضوى دون ما انا حاملٌ (٢)
 واني وان كنتُ الاخيرَ زمانهُ لآتٍ بما لم تستطعه الاوائلُ
 واغدو ولو أنّ الصباح صوارمٌ وأسري ولو انّ الظلام جحافلٌ
 واني جوادٌ لم يُجِلَّ لجامه ونضوئمانٍ اغفلته الصياقل (٣)
 وان كان في لبس الفتى شرفٌ له فما السيف الا غمده والحائل
 ولي منطق لم يرض لي كنهه منزلي على أنني بين السّماكين نازلٌ (٤)
 لدى موطن يشتاقه كلُّ سيدي ويقصر عن ادراكه المتناول
 ولما رأيت الجهل في الناس فاشياً تجاهلت حتى ظنّ أنّي جاهل
 فواعجبا كم يدعي الفضل ناقصٌ ووالأسفا كم يظهر النقص فاضل

(١) كاني اذا فت اهل الزمان عادوني فاصبحت وفي نفوسهم علي اثار

(٢) رضوى اسم جبل بالمدينة

(٣) قوله لم يجل من التحلية . والنضو اليهاني السيف اليهاني والصياقل الذين يصفون السيوف

(٤) السماكين نجان معروفان

وكيف تنام الطير في وكناتها
 ينافس يومي في امسي تشرفاً
 وطال اعترافي بالزمان وصرفه
 فلو بان عضيدي ما تأسف منكبي
 اذا وصف الطائي بالبخل مادر
 وقال السهي للشمس انت خفية
 وطاولت الارض السماء سفاهة
 فيا موت زر ان الحياة ذميمة

اذا انت اعطيت السعادة لم تبَلْ
 تقتك على اكفاف ابطالها القنا
 وان سدّد الاعداء نخوك اسهماً
 وترجع اعقاب الرياح سليمة
 فان كنت تبغي العزّ فابغ توشطاً
 توتق البدور النقص وهي أهلة

وان نظرت شزرأ اليك القبائل^(١)
 وهابتك في اغادهن المناصل^(٢)
 نكصن على افواقهن المعابل^(٣)
 وقد حطمت في الدارين العوامل
 فعند التناهي يقصر المتطاول
 ويدركها النقصان وهي كوامل

امثلة من لزومها

وفيا تظهر تزعتة الى التشاؤم من اعمال الانسان والزمان

اولو الفضل في اوطانهم غرباء
 وحسب الفتى من ذلة العيش أنه
 تشدّ وتناى عنهم القرّباء
 يروح بادنى القوت وهو حباء

- (١) شبه نفسه بالفرقدين في علو المقام وقال اذا كان مثلي تنصب له الجبال فما قولك فيمن هم دوني
 (٢) الطائي هو حاتم المشهور بكرمه . ومادر رجل من بني هلال معروف بالبخل . وقس هو
 الخطيب الجاهلي المشهور . وباقل يضرب به المثل في العي
 (٣) اذا انت اعطيت الحظ والسعادة فلا تبالي ولو حسدك الناس
 (٤) الرماح تحميك والسيوف في اغادها تخابك
 (٥) اي اذا جاء حظك وسدد الاعداء سهامهم نخوك رجعت النصال عليهم

وما بعد مرّ الخمس عشرة من صبا
تواصل جبل النسل ما بين آدم
تثائب عمرو إذ تثائب خالد^(١)
وزهدني في الخلق معرفتي بهم
إذا نزل المقدار لم يك للقطا
على الولد يجني والد ولو انهم
وزادك بعداً من بنيك وزادهم

٢

إذا كان علم الناس ليس بنافع
قضى الله فينا بالذي هو كائن^(٢)
وهل يابق الإنسان من ملك ربه
وقد بان أن النحس ليس بغافل
ومن كان ذا جود وليس بكثير

افيقوا افيقوا يا غواة فانما
ارادوا بها جمع الخطام فادركوا
يقولون ان الدهر قد حان موته
وقد كذبوا ما يعرفون انقضاءه

٣

يرتجى الناس ان يقوم إمام^(٣)
ناطق في الكتيبة الحرساء^(٤)

- (١) يريد جذن البيتين ان حبل النسل انقطع فيه (اي انه لم يتزوج) وان التزوج كالشوابة عدوى تصيب الناس بعضهم من بعض اما هو فبقي لها منها
(٢) المخدرات الاسود في آجامها
(٣) المكثر اي كثير المال (٤) لا يقصد بالدبابة هنا الايمان الحقيقي بل النظم والظواهر والطفوس الخارجية التي هي من وضع الانسان
(٥) ذماء بقية الروح في الجسد
(٦) اشارة الى التول بظهور المهدي

كذب الظنُّ لا إمامَ سوى العقل مشيراً في صبحه والمساء
 فاذا ما اطعته جلب الرحمة عند المسير والارساء
 انما هذه المذاهبُ اسبابُ جذب الدنيا الى الرؤساء
 فانفرد ما استطعت فالقائل الصا دق يضحى ثقلاً على الجلساء

٤

يَحْسُنُ مَرَأَى لَبْنِي آدَمَ وكلهم في الذوق لا يعذبُ
 ما فيهم بَرٌّ ولا ناسكٌ الأ الى نفع له يجذبُ
 افضلُ من افضلهم صخرةٌ لا تظلم الناس ولا تكذبُ

٥

من لي أن لا اقيم في بلدٍ أذكر فيه بغير ما يجب
 يُظَنُّ لي اليسر والديانة والعلم وبيني وبينها حجب
 كلُّ اموري عليّ واحدة لا صفرٌ يتتى ولا رجب
 اقررت بالجهل وادعى فهمي قومٌ فامري وامرهم عجب

٦

قد قيل ان الروح تأسف بعدما تنأى عن الجسد الذي عنيت به
 ان كان يصحبها الحجبى فلعلها تدري وتفظن للزمان وعتبه
 او لا فكم هذيان قوم غابر في الكتب ضاع مداده في كتبه

٧

انا صائم طول الحياة وانما فطري الحما ويوم ذاك أُعيد
 لوان من ليل وصبح لوأنا شعري واضعني الزمان الأيد
 والناس كالاشعار ينطق دهرهم بهم فطلق معشر ومقيد
 قالوا فلان جيدٌ لصديقه لا يكذبوا ما في البرية جيد
 فاميرهم نال الامارة بالخنا وتقيهم بصلاته متصيد
 كن من تشاء مهجناً او خالصاً واذا رزقت غنى فانت السيد

٨

لا تبدأوني بالعداوة منكم
أينغث ضوء الصبح ناظر مدليج
ان السيوف تراح في اغماها
روح اذا اتصلت بشخص لم يزل
ان كنت من ريح فيا ريح اسكني
فسيحكم عندي نظير محمد
ام نحن اجمع في ظلام سرمد
وتظل في تعب اذا لم تغمد
هو وهي في مرض العناء المكمد
او كنت من هب فيا هب اخمد

٩

جر يا غراب وأفسد لن ترى أحداً
تخذ من الزرع ما يكفيك عن عرض
وما ألومك بل أوليك معذرة
فأل حواء راعوا الاسد مخدرة
ومن اتاهم بظلم فهو عندهم
هم المعاشر ضاموا كل من صحبوا
لو كنت حافظ اثار لهم ينعت
الا مسيئاً واي الخلق لم يجر؟
وحاول الرزق في العالي من الشجر
اذا خطفت ذبال القوم في الحجر
ولم يعادوا بسلم ربة الوجر^(١)
كجالب التمر مغتراً الى هجر^(٢)
من جنسهم وباحوا كل محتجر
ثم اقتربت لما اخلوك من حجر

١٠

العالم العالي^(٣) برأي معاشر
زعمت رجال ان سياراته
فهل الكواكب مثلنا في دينها
والنور في حكم الخواطر محدث
والخير بين الناس رسم دائر
طبع خلقت عليه ليس بزائل
كالعالم الهاوي يحس ويعلم
تسق العقول وانها تتكلم
لا يتفقن فهايد او مسلم؟
والأولي هو الزمان المظلم
والشر نهج والبرية معلم
طول الحياة وآخر متعلم

إن جارت الأمراء جاء مؤمره
اعتى واجور يستضم ويكلم^(٤)

(١) اي اخافوا الاسد في عريتها واقفلوا سائر الحيوانات في اوجرها

(٢) هجر بلد مشهور بثمره

(٣) يريد بالعالم العالي عالم الافلاك والعالم الهاوي عالم الانسان والطبيعة

(٤) يكلم اي يدمي

ان شئت ان تُكني الحمام فلا تمشُ
 أحسنُ بدنيا القوم لو كان الفتى
 وكأننا الأخرى تيمُّظ نائم
 يتشبه الطاغي بطاغٍ مثله
 في الناس ذو حلم يسفه نفسه
 وكلاهما تعبٌ يحارب شيمه^(١)

١١

أركان دنيانا غرائزُ اربعُ
 والله صير للبلاد واهلها
 والدهر لا يدري بنا هو كائن
 والمرء ليس بزاهد في غارة
 والحى يُخلق جسده حركاته
 نبكي ونضحك والقضاء مسأطُ
 نشكو الزمان وما اتى بجنابة
 متواقين على المظالم رُكبت
 يمضي بنا الفتيان ما اخذا لنا

جُعلت لمن هو فوقنا اركاننا
 طرفين وقتاً ذاهباً ومكاننا
 فيه فكيف يلام فيما كانا
 لكنه يترقب الامكانا
 فيكلُّ وهو يحاذر الاسكانا
 ما الدهر اضحكنا ولا ابكانا
 ولو استطاع تكلماً لشكانا
 فينا وقارب شرنأ اركاننا
 نفساً على حالٍ ولا تركاننا^(٢)

١٣

قد اختل الانامُ بغير شك
 وودّوا العيش في زمنٍ خوون
 وينشأ ناشئ^(٣) الفتيان مناً
 وما دان الفتى بجباً ولكن

فجدّوا في الزمان او العبوه
 وقد عرفوا أذاهُ وجربوه
 على ما كان عودهُ أبوه
 يعلمه التدئين اقربوه

(١) ادبته لا يعلم اي جلده لا يفسد والمعنى لو كان الانسان لا يصبر الى زوال

(٢) آض اي رجع

(٣) الفتيان الليل والنهار

(٤) الناشئ الحدث اليافع

وضمَّ الناس كلَّهم هواه
 لعلَّ الموت خيرٌ للبرايا
 أطاعوا ذا الخداع وصدَّقوه
 وجاءتنا شرائعُ كلِّ قومٍ
 وغيرَ بعضهم أقوالَ بعضٍ
 فلا تفرح إذا رُجبت فيهم
 صحبنا دهرنا دهرًا - وقدماً
 وغيظاً به بنوه وغيظاً منهم
 وهل ترجى الكرامة من أوانٍ
 وهل من وقتهم أبغى وأظنى
 أجلوا مكثراً وتنصَّفوه

يذلل بالحوادث مصعبوه (١)
 وان خافوا الردي وتبيوه
 وم نصح النصيح فكذبوه
 على آثار شيء رتبوه
 وأبطلت النهى ما اوجبوه
 فقد رفعوا الدين. ورجبوه (٢)
 رأى الفضلاء ان لا يصحبوه
 فعذب ساكنيه وعذبوه
 وقد غلب الرجال معابوه
 على أي المذاهب قلبوه
 وعابوا من أقل وأنبوه (٣)



(١) اصعب الجبل فهو مصعب لم يركب قط وكل ما استصعب من الامور فهو مصعب

(٢) رجبه عظمه وهايه

(٣) المكثر الغني . تنصّفوه اي خدموه

ابن الفارض

ابو القاسم (ابو حفص) عمر بن علي بن مرشد

٥٧٧ - ٦٣٢ هـ

١١٨١ - ١٢٣٥ م

مصادر دراسة شعره ونصوفه

- اللع لابن السراج الطوسي ليدن ١٩١٤
 الرسالة القشيرية دار الكتب المصرية ١٣٣٠
 كشف المحجوب للحجويري ترجمة Nicholson 1911
 الاحياء للغزالي وبهامشه عوارف المعارف للسهروردي مصر ١٣٠٢
 وفيات الاعيان لابن خلكان الطبعة الميرية
 الخطط والآثار للمقرئزي مطبعة النيل ١٣٢٥
 حسن المحاضرة للسيوطي مصر ١٣٢١
 شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي مصر ١٣٥١
 قوانين حكم الاشراق لابي المواهب الشاذلي مطبعة ولاية سوريا ١٣٠٩
 شرح الديوان للبوريني والناقلي مصر ١٣١٠
 = = = (نشر الدحداح) مرسييا ١٨٥٣
 التائية الكبرى شرح الفرغاني (١٢٩٣ هـ) والكاشاني (١٣١٠)
 التائية الكبرى تحرير Von Hausman فينا ١٨٥٤

Nicholson , Studies in Islamic Mysticism, Cambridge, 1921

Massignon - Encyc. of Islam. Tasawwuf

ومقالات شتى لادباء عرب ومستشرقين

نشأته

يرجع ابن الفارض بنسبه الى بني سعد^(١). ووالده حموي الاصل قدم مصر يقطنها ، وكان يثبت الفروض للنساء على الرجال بين يدي الحكماء فلقب بالفارض^(٢). ويستدل انه (الوالد) كان رجل فضل وجاه ، يتصدر مجالس الحكم والعلم ، حتى سئل ان يكون قاضي القضاة فامتنع وتزل عن الحكم ، واعتزل الناس ، وانقطع الى الله تعالى بقاعة الخطابة في الجامع الازهر الى ان توفاه الله^(٣).

وفي مصر ولد شاعرنا ، ولا شك انه كان لوالده يد كبيرة في ثقافته ، وفي تكييف تزعاته النفسية . قال ابن العماد الحنبلي - « فنشأ تحت كنف ابيه في عفاف وصيانة وعبادة ، بل زهد وقناعة وورع ، واسدل عليه لباسه وقناعه . فلما شب وترعرع اشتغل بفقهاء الشافعية ، واخذ الحديث عن ابن عساكر^(٤) .

وقد ظهر فيه منذ اوائل شبابه ميل الى التدبّر والتلذذ بالتجريد الروحي على طريقة المتصوفين . فكان يستأذن والده في الانفراد للعبادة والتأمل . ويظهر انه كان في جبل المقطم مكان خاص يعرف بوادي المستضعفين يختلف اليه المتجردون^(٥) ، فحبب الى ابن الفارض الخلاء فيه ، فترعد وتجرد وكان يايوي الى ذلك المكان احياناً^(٦). ثم انقطع عنه ولزم اياه . فلما توفي الوالد عاد الولد الى التجريد والسياسة الروحية او ساوئك طريق الحقبة فلم يفتح عليه بشي^(٧). (اي لم يكشف له من المعرفة ما يستغني به ولعله يريد هنا لم يوح اليه من الشعر شي .) ثم قبض له رجل من الاتقياء اشار عليه ان يقصد مكة . فقصدها واقام فيها مجاوراً نحواً من ١٥ سنة . وهناك بين المناسك المقدسة نضجت شاعريته وكملت مواهبه الروحية . ثم عاد الى مصر ، وكانت يومئذ تحت سيادة الايوبيين ، وقد عنوا كل العناية بفتح المدارس والمعاهد فيها ، فتجددت في ايامهم الروح الدينية . والتعاليم

(١) قبيلة السيدة حليمة مرضعة النبي العربي (٢) شذرات الذهب ٥-١٢٩

(٣) عن سبطه في الديوان ص ٧

(٤) شذرات الذهب ٥-١٢٩. وابن عساكر هذا غير الخافظ الشهير صاحب التاريخ الكبير

(٥) الديوان ٦ (٦) شذرات الذهب ٥-١٢٩

(٧) الديوان ٧. شذرات الذهب ١-١٥٠

السنية . حدث ذلك على اثر انتصاراتهم على الصليبيين ، تلك الانتصارات التي وطدت مركزهم في مصر والشام والحجاز ، وتركت لهم في تاريخ الشرق الاسلامي ذكرى خالدة . والذي يلفت النظر ان عطف الايوبيين على السنة كان مقروناً بتزايد عدد الصوفية^(١) في مصر ، فكان التصوف يومئذ كان يعتبر مظهراً من مظاهر التدنيس ليس الا . ولذلك نرى الجمهور يكرمون مشايخ الطرق ويعظمون شأنهم ، ونرى الحكام والامراء يقفون لهم « اخوانك »^(٢) . ويذكر المقرئ ما ملخصه^(٣) ان صلاح الدين خصص سنة ٥٦٩ بمصر داراً للصوفية كانت قبلاً لوزراء الفاطميين ، ووقف لهم وقفاً كبيراً ، فكانت اول خانكاه عملت بديار مصر ، وعُرفت بدُورة الصوفية . وكان سكناًها من الصوفية يعرفون بالعلم والصلاح وترجى بركتهم . وولى مشيختها الاكابر والاعيان . قال « واخبرني الشيخ احمد بن علي القصار انه ادرك الناس في يوم الجمعة ياتون من مصر الى القاهرة ليشاهدوا الصوفية عندما يتوجهون منها الى صلاة الجمعة ، كي تحصل لهم البركة والخير بشاهدتهم . ثم يصف موكبهم الفخم ويعقب على ذلك بقوله « انه كان من اجمل عوايد القاهرة » وقد بقي الامر كذلك الى اوائل القرن التاسع الهجري .

فلا نستغرب اذن ما نسمعه عن اكرام الناس لابن الفارض وقد رجع من مكة شيخاً متصوفاً وشاعراً كبيراً ، حتى كان اذا مشى في المدينة تردحم الناس عليه يلتمسون منه البركة والدعاء ، ويقصدون تقبيل يده^(٤) . قال ولده^(٥) « وكان اذا حضر في مجلس يظهر على ذلك المجلس سكون وهيبة ، وسكينه ووقار . ورايت جماعة من مشايخ الفقهاء والفقراء (المتصوفة) واكابر الدولة من الامراء والوزراء والقضاة ورؤساء الناس يحضرون مجلسه وهم في غاية ما يكون من الادب معه ، والاتضاع له . واذا خاطبوه فكانتهم يخاطبون ملكاً عظيماً » . وقال ابن العماد الحنبلي^(٦) « فاقام بقاعة الخطابة في جامع الازهر ،

(١) راجع قائمتهم في حسن المحاضرة ١ ص ٢٤٣-٢٥٤

(٢) جمع خانكاه وهي فارسية معناها البيت ويقصدون بها محلات خاصة لاقامتهم

(٣) الخطط (بولاق) ٢-٤١٥

(٤) الديوان ٦

(٥) " "

(٦) شذرات الذهب ٥-١٥٠

وعكف عليه الائمة وقصد بالزيارة من الخاص والعام ، حتى ان الملك الكامل كان ينزل
لزيارته »

قلنا اننا لا نستغرب ما رواه ولده ، وما نقله صاحب شذرات الذهب عن منزلة شاعرنا
الدينية والاجتماعية ، على انه لا بد من القول انصافاً للتاريخ ان ابن خلكان الذي ادرك
الشاعر وترجم له ^(١) لا يذكر شيئاً من هذا القبيل . وكل ما يقوله من ذلك « سمعت انه
كان رجلاً صالحاً كثير الخير على قدم التجرد » . فهو يزكي قول سبطه وولده ومن نقل
عنهما انه كان معروفاً بالصلاح والكرم وسلك طريقة التصوف على انه يسكت عما ذهبوا
اليه من تعظيم الخاصة والعامه له . ولا يلزم عن سكوته انكار ما ذهبوا اليه ، ولكن
فيه ما يجوز لنا التحرز بما قد يكون من قبيل الغاو او التفرغ .

شخصيته

يجمع مؤرخوه على انه كان ورعاً وقوراً طيب الاقوال والافعال . والذي يراجع
سيرته ، ويتفهم روح قصائده يتجأى له في نفسيته ثلاث مزايا بارزة .

١ - انه كان شديد التأثر (ولا سيما بالجمال) الى درجة الانفعال العصبي ، يسجره
جمال الشكل حتى في الجادات . ومن ذلك ما يروونه عن تأثره بحسن بعض الرجال ، او
ببرنية حسنة الصنعة رآها في دكان عطار ^(٢) . وقد يسجره جمال الاطيان - فاذا سمع انشاداً
جميلاً استخفّه الطرب فتواجد ورقص ولو على مشهد من الناس . نقل عن ولده ان الشيخ
كان ماشياً في السوق بالقاهرة فر على جماعة من الحرسية يضربون بالناقوس ويغنون . فلما
سمعهم صرخ صرخة عظيمة ، ورقص رقصاً كثيراً في وسط السوق ، ورقص جماعة كثيرة
من المارين . وتواجد الناس الى ان سقط اكثرهم الى الارض . ثم خلع الشيخ ثيابه ورمى
بها اليهم وحمل بين الناس الى الجامع الازهر ، وهو عريان مكشوف الراس ، وفي وسطه

(١) كان ابن خلكان في الرابعة والعشرين لما توفي ابن الفارض

(٢) شذرات الذهب ٥-١٥١

لباسه . واقام في هذه السكرة (النوبة العصية) ملقى على ظهره ، مسجى كالميت (١) .
ومما يذكر من هذه السكرات او النوبات التواجدية انه كان مرةً جالساً في الجامع
الازهر على باب قاعة الخطابة ، وعنده جماعة من الفقراء والامراء ، وجماعة من مشايخ
الاعجام المجاورين بالجامع وغيرهم . وكلما ذكروا حالاً من احوال الدنيا مثل الطشت او
الفرش قالوا هذا من زخم (اي وضع) العجم . فبينما هم يتفاوضون في ذلك ويفتحون
« زخم العجم » رفع المؤذنون اصواتهم بالاذان جملة واحدة فقال الشيخ « وهذا زخم
العرب » ، وتواجد ، وصرخ كل من كان حاضراً حتى صار لهم ضجة عظيمة (٢) .
فالرجل كان شديد التأثر العصبي وسزى اثر ذلك في شعره ولا سيما في قصيدته الكبرى
نظم السالك . والظاهر ان للطريقة الصوفية وما يلازمها من رياضة وأذكار وتأملات
روحية تأثيراً يئناً من هذا القبيل . وقد روي في كتاب كشف المحجوب كثير من اخبار
الصوفيين الذين ماتوا لشدة وجدهم (٣) .

٢ - ميله الى الخلو والتكشف . وهو ظاهر منذ حدائته في ما ذكرناه سابقاً من
اختلافه الى وادي المستضعفين وظاهر ايضاً في مجاورته بمكة ، وما روه عن هيامه باوديتها
يستأنس بوحشها . وقد عبّر عن ذلك بقوله -

وابعدني عن اربعي بعد اربع شباني وعقلي وارتياحي وصحّي
فلي بعد او طاني سكرن الى الفلا وبالوحش انسي اذ من الانس وحشتي

وكان ايام النيل يتردد الى المسجد المعروف بالمشتهى في الروضة ، ويجب مشاهدة
البحر (اي نهر النيل) مساءً (٤) . وفي ذلك ما يشير الى حبه التأمل بالجمال الطبيعي والبعد
عن ضجيج الناس ومتاعهم .

وقد قرن كل ذلك بقهر النفس تقشفاً وصياماً حتى نقل عن ولده انه كان للشاعر
اربعينيات (٥) يجيئها بالصيام والتأمل . وكانت تلك طريقة اعتمدها بعض المتصوفين ولهم في
ذلك الحديث التالي يرفعونه الى النبي « من اخلص لله تعالى العباداة اربعين يوماً ظهرت ينابيع

(١) الديوان ١٤ (٢) الديوان ١٥

(٣) كشف المحجوب (نقله نكلسون من الفارسية الى الانكليزية) راجع في النسخة الانكليزية

الصفحات ٢٠٦ - ٢١٠ (٤) شذرات الذهب ٥ - ١٥٠

(٥) الديوان ١٧ وشذرات الذهب ٥ - ١٥٠ ومعنى الاربعينية اربعون يوماً

الحكمة من قلبه على لسانه»^(١). وقد عقد الشهروردي فصلاً في هذه الطريقة ومعانيها وكيف يدخلها المرید وما يتطلب منه فليراجعه من يريد التعشق في ذلك^(٢). وخلاصته ان مشايخ الصوفية متفقون على ان بناء امرهم على اربعة اشياء - قلة الطعام ، وقلة المنام ، وقلة الكلام ، والاعتزال عن الناس . فمن استطاع ان يحتمل الجوع ابتغاء الفرح الاعلى الذي ينسيه لهب الجوع فله ذلك . ولا يتحتم عليه الانقطاع التام عن الطعام والشراب طيلة الاربعةين يوماً بل الاكتفاء بالقليل القليل من خبز وملح او ما شاكل ، والقيام بما تتطلبه الخلوة من رياضة روحية حتى يفتح عليه ويكشف بشيء من المنح الالهية .

ويظهر مما رووه ان شاعرنا كان يقوم بهذه الرياضة الزهدية احياناً ولعله الى ذلك يشير في قوله

في هوامك رمضان عمره ينقضي ما بين احياء وطي

ومهما حاولنا غربة الاخبار التي يروونها عن تقشفه وصيامه فاننا لا نرى محيصاً عن القول ان الرجل كان متصوفاً وكان يسلك طريقة اهل الورع والزهد^(٣)، وقصائده ولا سيما التائية الكبرى تنضح بذلك نضحاً لا سبيل الى انكاره .

٣ - كرم سجيته وحسن عشرته . قد يكون في امره ما كان في شاعرنا من حدة التأثير ، والميل الى الطريقة الزهدية ، وقد يكون مع ذلك سيء العشرة قليل الخير . اما ابن الفارض فقد اجمع الكل على نعته بسمو الخلق من رقة وايناس وكرم وترفع عن حطام الدنيا^(٤) . فهو لم يكن من الذين يصطنعون التدين طمعاً بالحصول على المال او شرف المقام ، بل كان التدين طبعاً فيه يرفعه عن الشهوات والاطماع المعيبة . وقد عرف الناس له ذلك فاکرموه ورفعه الى مصاف الصالحين .

ومن مزاياه البارزة السخاء . رؤي انه ركب مرة مع مكارم الى جامع مصر واشترط المكارمي ان تكون اجرتة « على الفتوح » اي بقدر ما يفتح على الشاعر من العطايا . قال

(١) عوارف المعارف (عامش الاحياء) ٢ - ٢٢٣

(٢) " " " " الفصل الثامن والعشرون

(٣) راجع قصته مع السلطان الملك الكامل . الديوان ١٥

(٤) ابن خلكان في ترجمته ، وشذرات الذهب ٥ - ١٥٠

الراوي - وكان يرافقه - وتبعنا فارس من جهة الامير غفر الدين فاستند الي فقال لي
قل للشيخ هذه مئة دينار يقبلها من الامير على الفتوح . فقلت ذلك للشيخ . فقال نحن
ركبنا مع المكارى على الفتوح وامر له بها . فرجع الفارس الى الامير واخبره بذلك .
فبعث اليه مثلها ، فقال اعطها للمكارى . ولما وصلنا الى الجامع اعتذر الشيخ الى المكارى
ودعا له (١).

وكان شديد المؤاخذة لنفسه . قال لولده (٢) حصلت مني هفوة انحصرت بسببها باطناً
وظاهراً حتى كادت روحي تخرج من جسدي ، فخرجت هائماً كالهارب من امر عظيم فعلة
وهو مطالب به ، فطلعت المقطم وقصدت مواطن سياحتي ، وانا ابكي واستغيث واستغفر
فلم ينفرج ما بي . وقصدت مدينة مصر ودخلت جامع عمرو بن العاص ، ووقفت في صحن
الجامع خائفاً مذعوراً ، وجددت البكاء والتضرع والاستغفار ، فلم ينفرج باي ، فغلب
علي حال مزعج لم اجد مثله قط ، فصرخت وقلت

من ذا الذي ما ساء قط ومن له الحسى فقط

قال فسمعت قائلاً يقول بين السماء والارض ، اسمع صوته ولا ارى شخصه

محمد الهادي الذي عليه جبريل هبط

ولا ننكر انه لا يجوز التقييد بمثل هذه القصص ، والاستناد اليها في الحكم على
شاعرنا ولكنها ترينا على الاقل راي الذين ترجموا له ، او كيفية تأثرهم باخلاقه . والقصة
الاخيرة ترجع الى ايام الشاعر فقد رواها ابن خلكان عن بعض اصحابه وانه ترخم يوماً وهو
في خلوة بيت الحريري « من ذا الذي ما ساء قط » فسمع البيت الثاني من قائل لم ير
شخصه . ولا يذكر ابن خلكان دقاق القصة كما يرويها ولد الشاعر . وليس بالعجيب ان
يكون ابن الفارض كما ذكرنا وان يوهمه الانفعال النفسي انه يسمع صوت شخص لا يراه .
فما ذلك الشخص الا نفسه الواجدة ، التي كثيراً ما كان الوجد يفصلها عن العالم المحسوس .

...

(١) الديوان ١٦

(٢) " ١٣

فرجل كابن الفارض - شديد الاحساس والتأثر ، كثير الخاطوة والتأمل ، ورع مترفع عن حطام الدنيا ، محب حسن الصعبة كثير الخير ، لا يستعرب ان تفيض نفسه بقصائد الوجد والهيام ، وان ينال من معاصريه ومن تبعهم جميل الذكر والاکرام

امر الصوفية في شعره

مرّ معنا في القسم الاول من هذا الكتاب شي . عن الطريقة الصوفية ومنشأها ، فلا لزوم لاعادته هنا . على انه لا بد لنا لدرس ابن الفارض وتفهم شعره ، من النظر في الصوفية ومصطلحاتها العامة فنقول -

« للقلب بابان ، باب مفتوح الى عالم الملكوت ، وباب مفتوح الى الحواس الخمس المتمسكة بعالم الملك والشهادة . فعلم الاولياء والانبياء ياتي من الباب الاول ، وعلم الحكماء (العلماء والفلاسفة) ياتي من الثاني . والفرق بين الفريقين ان الحكماء يعملون في اكتساب العلوم واجتلابها الى القلب ، واما الاولياء (الصوفية) فيعملون في جلاء القلوب وتطهيرها وتصفيتها وتصقيها فقط حتى تتألأ فيها جلية الحق بنور الاشراق ، وهذا هو الكشف»^(١)

فالصوفية اذن مجاهدة لتطهير القلب من الادران وللانفراد بذكر الله توصلاً الى الحصول على الالهام النوراني - او الاتحاد الكامل بالحق الاعلى

وفي خلال هذه المجاهدة تمر نفس الصوفي في تطورات شتى ، منها ما يدعى مقامات ، ومنها ما يدعى احوالاً . ويراد بالمقامات قيام العبد بين يدي الله والانقطاع اليه ، ولزوم العبادات والمجاهدات والرياضات الروحية . وبكلمة اوضح هي المسالك التي يتدرج فيها نحو غايته المنشودة ، كالتوبة - والورع - والزهد - والفقر - والصبر - والتوكل - والرضا - وغير ذلك^(٢) .

واما الاحوال فهي ما يميل بالقلوب من صفاء الأذكار - او هي اختبارات النفس اذ

(١) ملخصاً عن الاحياء للغزالي ٣ - ٢١

(٢) من اراد معاني هذه الالفاظ من الوجة الصوفية فليراجع اللع ٦٣ - ٥٤ او كتاب قوانين

حكم الاشراق لابي المواهب الشاذلي

تمرّ في شئى المقامات . ومن ذلك القرب - المحبة - الخوف - الرجاء - الشوق -
الانس - الطمأنينة - المشاهدة - اليقين (١)

وللصوفية مصطلحات يكثر من ترديدها في اشعارهم ، وقد افرد لها ابن السراج
الطوسي في اللع باباً خاصاً ذكر فيه نحواً من ١٥٠ نوعاً ، ثم شرحها شرحاً وافياً فليراجعها
من شاء . (٢) . وانا نختزى . هنا باشهرها واكثرها تردداً في الشعر الصوفي وخاصة في شعر ابن
الفارض - ومنها

الجمع والتفرقة - فالجمع هو اتحاد الواجد بالله عن سبيل الوجد ، والتفرقة تعلقه بالبشرية -
فالاول عن طريق القلب والثاني عن طريق العقل - فمثال الجمع قوله .

لها صلواتي بالمقام اقيماً واشهد فيها انها لي صلت
كلانا مصل واحد ساجد الى حقيقته بالجمع في كل سجدة

الفناء والبقاء - فناء رؤية حركات العبد لبقاء رؤية عناية الله . كقوله

وتلافي ان كان فيه اتسلافي بك عجل به - جعلت فداكا
وقوله

ان كان في تلني رضاك صابة ولك البقاء وجدت فيه لذاذا

الحب والهوى - وما يتعلّق به من كتمان - والم - ونحول - وشوق - وهجر -
ووصل - وتتهك - وعذل وغيره من الوجة الصوفية وهو الموضوع
العام في شعر ابن الفارض ، والامثلة اكثر من ان تحصر هنا

الوجد - ان ينقطع القلب عن العلاقات الدنيوية فيشاهد ويسمع ما لم يكن يتهيأ له
من قبل .

يا ابا العذل في من الحق مثلي هام وجداً به عدمتُ اُخاكا
لو رايت الذي سباني فيه من جمال - ولن تراه - سباكا

القبض والبسط - وهما حالان شريفان لاهل المعرفة (الصوفية) . اذا قبضهم الله

(١) راجع معانيها في اللع ٥٤ - ٧٢

(٢) اللع ٣٣٣ - ٣٧٦

حشمهم عن تناول المباحات حتى والاكل والشرب والكلام ، واذا
بسطهم ردّهم الى هذه الاشياء حتى يتأدب الخلق بهم .

وفي رحمت البسط كلّي رغبةٌ بها انبسطت آمال اهل بسيطتي
وفي رهبوت القبض كلّي رهبةٌ ففيا اجلت العين مني اجلّت

السكر والصحو - (الغشية والحضور) فالسكر غيبة القلب عن مشاهدة الخلق ،
ومشاهدته للحق بلا تغير ظاهر على العبد (ويختلف عن الغشية بانها تظهر)

تهذب اخلاق الندامي فيهندي بها لطريق العزم من لا له عزم
وفي سكرة منها ولو عمر ساعة ترى الدهر عبداً طائعاً ولك الحكم

والصحو رجوع القلب الى ما غاب عن عيانه لصفاء اليقين ، ويختلف عن الحضور
بان هذا دائم والصحو حادث

المحو وصحو الجمع - وهما حالان تتاوان السكر والصحو . فالمحو صعقة السكر ثابتة

بعد الصحو الاول يتلوها صحو الجمع وهو الرتبة العليا وفيها يتم الاتحاد بالله
واذ ذاك تتساوى الطوابع وتجتمع الاضداد فيصبح العابد والمعبود واحداً ،
وكذلك الرسول والمرسل ، والمحّب والمحجوب ، والحاضر والماضي ، والليل
والنهار ، والصفة والذات

فالوجد واحد ، وليس هنالك زمان ، او سابق ذوات ، او اختلاف اديان ،
او انا وانت وهو ، بل روح واحدة هي حقيقة الحقائق التي تتجلى بمظاهر
مختلفة في الوجود الحثي .

ففي الصحو بعد المحو لم الكُ غيرها وذاتي بذاتي اذ تحأت تجأت
فكل الذي شاهدهته فعل واحد بمفرده لكن بحجب الاكثة
اذا ما ازال الستر لم ترَ غيره ولم يبق بالأشكال أشكال ربية

واذا بزغت انوار التوحيد على قلب العارف (الصوفي) كسف سلطانها سائر الانوار

وفي حبها بعث السعادة بالشقا ضللاً وعقلي عن هداي به عقل
وقلت لرشدي والتنسك والتقي تحلّوا وما بيني وبين الهوى خلّوا

الكشف - بيان ما يستتر على الفهم فيكشف عنه للعارف كأنه رأى عين
وما برحوا معنى أراهم معي فان نأوا صورة في الذهن قام لهم شكل

...

فالدلاجي لنا بك الآن غر^١ حيث اهديت لي هدى من سناكا
واقتباس الانوار من ظاهري غير عجيب وباطني مأواكا
التجريد - ما تجرد للقلب من شواهد الالهية اذا صفا من كدورة البشرية

ابعينه عمى عنكم كما صم^٢ عن عدله في أذني
او لم ينه النهى عن عدله زاوياً وجه قبول النصح زي

...

ولقد خلوت مع الحبيب وبيننا سر^٣ ارق^٤ من النسيم اذا سرى
واباح طرفي نظرة أملتها فغدوت معروفاً وكنت منكراً
فدهشت بين جماله وجلاله وغدا لسان الحال عني مخبراً

الشطح - كلام غريب يترجمه اللسان عن وجد يفيض عن قلب الواحد كما يفيض الماء
الغزير اذا جرى في مجرى ضيق . كقوله -

خمر ولا كرم وآدم لي اب^٥ وكرم ولا خمر ولي أمها م^٦

وقوله في حالة الاتحاد -

فاتاو عاوم العالمين بلفظة
واستعرض الآفاق نحوي بخطرة
فمن قال او من طال او صال انما
وما سار فوق الماء او طار في هوا
ومني لو قامت بيت لطيفة
واجلو علي العالمين بلحظة
واخترق السبع الطباق بخطوة
يمت^٧ بامدادي له برقيقة
او اقتحم النيران الآبيتي
رُدت^٨ اليه نفسه وأعيدت

اسلوبه الشعري

نشأ ابن الفارض في عصر بلغت فيه الأناقة البديعة نثراً ونظماً اعلى درجاتها . فهو عصر القاضي الفاضل ، والعماد الاصبهاني ، وابن التعاويذي ، وابن النيه ، والبهاء زهير ، وابن سناء الملك ، وابن الساعاتي ، وسواهم ممن عاصروا شاعرنا او سبقوه قليلاً . وقد عرفت هذه الطبقة جميعها بولعها الشديد بالصناعة اللفظية ، وتكلف انواع البديع . ولم يشذ عنهم ابن الفارض ، بل لعله ابعدهم شأوا في ذلك . فالتأنق البديعي عام في جميع قصائده بل في اكثر ابياتها . واكثر ما يظهر في ما يلي -

الجناس (في انواعه المختلفة) - ومنه

التام - ليت شعري هل كنى ما قد جرى مذ جرى ما قد كنى من مقلتي
والملفق - جنة عندي رباها احملت ام حلت عجلتها من جنتي
المشتق او شبهه - دار خلد لم يدر في خالدي انه من ينأ عنها يلق غمي

وكثيراً ما يعنى بجمع عدد من ضروب الجناس في بيت واحد - كقوله

وباينت بانات كذا عن طويلع بسلع فسل عن حلة فيه حلت
ففيه الملق والمحرف وشبه المشتق

فذاك هوى اهدى الي وهذه على العود اذ غنت عن العود اغنت

وفيه شبه المشتق والتام والناقص

الطباق - فلي بين هاتيك الخيام ضئيلة علي بجمعي سمحة بتشتي

...

وبسط طوى قبض التناي بساطه لنا بطوى ولي بارغد عيشة

...

متي له ذل الخضوع ومنه لي عز المتوع وقوة المستضعف

الطي والنشر - فضعتي وسقمتي ذا كزأي عواذلي وذاك حديث النفس عنها برجة

...

فقلبي وطرفي ذا بمعنى جمالها معني وذا مغرى بلين قوام

...

وعقدي وعهدي لم يجل ولم يجل ووجدي ووجدي والغرام غرامي

وقد يجمله الشغف بهذه الصناعة على جمع بضعة من انواع البديع - كقوله
وقالوا جرت سُحرا دموعك قلت عن امور جرت في كثرة الشوق قلت
نحرت لضيف الطيف في جفني الكرى قرى لجري دمعي دماً فوق وجنتي
ففي هذين البيتين جناس وطباق ومراعاة نظير ومجاز مرسل
وقوله

اي صبا اي صبا هجت لنا سحرا من اين ذياك الشذي
ذاك ان صاغت ريان الكلا وتحرشت بجودان كلبي
فلذا تُروي وتروي ذا صدا وحديثاً عن فتاة الحي حي

ففيه من الجناس التام والمحرف ، وفيه التناسب ، والطباق ، والطي والنشر
ومن مزايا اسلوبه . توهم التناقض . وهو ان يوهمك بوجود تناقض في المعنى
والحقيقة غير ذلك . كقوله -

ما بين ضال المنحنى وظلاله ضلّ المتيم واهتدى بضلاله

...

فلي بعد اوطاني سكون الى الفلا وبالوحش اني اذ من الانس وحشتي

...

فلعلّ نار جوانحي ان تنطني بهوبها واودّ ان لا تنطني

...

وقلت لرشي والتنسك والهوى تخلّوا وما بيني وبين الهوى خلّوا

...

ومن اجها اسمي لمن بيننا سعى واعدو ولا اغدو لمن دأبه العذل

ومنها لطف العبارة والاشارة وحلاوة الجرس - ويكاد يكون مذهبه العام . ولا بدع
فوضوعه حبي والفاظه رقيقة مألوفة ، وهو يجمع بين سلاسة البحري وصنعة ابي تمام جمعاً
لطيفاً قد يعالو به عن كليهما . نعم تلك صفات الشعر الغزلي في كل زمان ، ولكن لابن
الفارض نفس خاص يمتاز به - لطف روحي ينعكس عن اساوبه فيجيبه الى القلوب برغم
ما فيه من عيوب سياقي ذكرها . ولو اردنا التذليل على ذلك لاتيينا باكثر ديوانه وانما
نكتفي هنا بقوله -

يا اخت سعدٍ من حبيبي جتني برسالةٍ اديتها بتلأف
فسمعتُ ما لم تسمعي ونظرت ما لم تنظري وعرفت ما لم تعرفي

وقوله

زدني بفرط الحب فيك تحيُّراً وارحم حشا بلظى هواك تسعراً
واذا سالتك ان اراك حقيقة فاسمح ولا تجعل جوابي ، لن ترى
ومن حسناته دقة الوصف والتمثيل . وتظهر في بلاغة تشايبه ، ووضوح رسومه
الفكرية كقوله -

خافياً عن عائد لاح كما لاح في برديه بعد الشرطي

فتشبيهه ما صار اليه من النحول باثر الطي في الثوب يدل على دقة في الرسم تذكر
للشاعر . وقوله يصف شيوع الجبال الاسنى في كل شي . -

تراه ان غاب عني كل جارحة في كل معنى لطيف رائق بهج
في نعمة العود والناي الرخيم اذا تألفا بين الحان من الهزج
وفي مسارح غزلان الخماثل في برد الاصائل والاصباح في البلج
وفي مساقط انداء الغمام على بساط نور من الازهار منتسج
الى آخر هذه الايات المشهورة .

وقوله يشبه تواجده بحال الطفل الذي يبكي من شد القاط ويمجن الى الخلاص منه
فيحرك ويناعي فيجد في ذلك ما يسكنه وينسيه شد القاط - (الثانية ٤٣٠)

وينبيك عن شاني الوليد وان نشا بليدا بإلهام كوحى وفطنة
اذا ان من شد القاط وحن في نشاط الى تفريح إفراط شدة

يناعى فيلغى كلُّ كلِّ اصابه ويضعي لمن ناغاه كالمتمنّصت
 يُسكّن بالتحريك وهو بمهده اذا ماله ايدي مرييه هزّت
 وجدت يوجد آخذي عند ذكرها بتحجير تال او بالخان صتت

وقس على ما ذكر كثيراً من لطائفه التي يشرح بها حاله فيصف تأثير الحب او جمال
 المحبوب ، او ضلال العذال وما الى ذلك مما يبلغ فيه الطبقات العليا من الخيال الشعري

• • •

عيوب اسلوبه

على ان في شعر ابن الفارض عيوباً لا يجوز الاغضاء عنها اهمتها
 تكرير المعاني - وذلك طبيعي في قصائد تدور على موضوع واحد ، وما اشبهه في
 ذلك بابي العتاهية . على ان شاعرنا لا يكتفي بتكرير المعنى بل كثيراً ما يكرّر العبارة
 وقد يكرّر البيت في اماكن شتى . كقوله -

اخذتم فزادي وهو بعضي فما الذي يضرّكم لو كان عندكم الكلّ
 فقد جاء في قصيدة اخرى -

اخذتم فزادي وهو بعضي فما الذي يضرّكم لو تتبعوه مجملتي
 وورد هذا المعنى مراراً في مواضع اخرى

وقوله

كهلل الشك لولا انه ان عيني عينه لم تتأي
 وتراه في موضع آخر

كأنني هلال الشك لولا تاوهي خفيت فلم تهدّ العيون لرويتي
 وقوله

ليت شعري هل كني ما قد جرى مذ جرى ما قد كني من مقلتي
 وقد ورد ايضاً بقوله

قد كني ما جرى دماً من جفون بك قرحي فهل جرى ما كفاكا

وقوله

فألو بسطت جسمي رأيت كل جوهر به كل حسن فيه كل محبة

ومثله

ولو بسطت جسمي رأيت كل جوهر به كل قلب فيه كل غرام

وقوله عن العين

فأنسانها ميت ودمعي غسله واكفانه ما ابيض حزناً لفرقتي

ومثله

فسهدي حيّ في جنوني مخلّد ونومي بها ميت ودمعي له غيل

وقس على ما ذكر ما لم يذكر .

وقلما تجد قصيدة من قصائده تخلو من مخاطبة سائق الظعن ، والتقدم اليه ان يحمل السلام الى الاحباب ، وان يذكر لهم صبأً سريعاً نحيل الجسم الى درجة الخفاء . ويكثر في شعره التنقص من العذال واللائين ، وذكر ربح الصبا التي يخصها بمحمل اخباره او اخبار الحبيب .

ومن عيوبه الغموض - وهو اما بعد اشاراته وشطحاته احياناً ، او لتعسفه في الصناعة

خذ قوله مثلاً

ناب بدر التام طيف محيّاك لطرني بيقظتي اذ حكاكا

فترايت في سواك لعين بك قرّت وما رايت سواكا

وكذاك الخليل قلب قبلي طرفه حين راقب الافلاك

ومعنى الابيات - ظهر لي البدر نائباً عنك مشبهاً محيّاك ، فما ظهر لي سواك لان عيني لا تشاهد الا جمالك . وكذا ابراهيم الخليل كان يرقب النجوم باحثاً عن مبعثها العظيم . وفي هذا التركيب من التعسف ما ترى

وله من هذا القبيل ما يلفت النظر . وانمض منه شطحياته وهي راجعة الى غرائب ما يصفه من احواله الصوفية وهذه لا يفهمها الا ارباب هذه الطريقة او المطلعون على اسرارها .

اما غموض البديع فمعروف وهو يشارك فيه كل اهل الصناعة ، وربما فاقهم احياناً
لمحاولته الجمع بين عدة ضروب في معنى او بيت واحد .

• • •

وبرغم مقدرته اللغوية وشاعريته الممتازة لا يخلو ديوانه من هفوات لغوية او اعرابية
كقوله —

لو طويتم نصح جاري لم يكن فيه يوما يألُ طياً يالَ طي
وصحيحه يألُو طياً يا آلَ طي

وقوله يضركم لو تتبعوه بجملتي — الصواب لو تتبعونه

وقوله ناب بدر التام طيف محيأك — وصوابه عن طيف محيأك

وقوله لعل اصيحا بي بكة يبردوا بذكر سليمان ما تجن الاضالع
وصوابه يبردون

وقوله فان لها في كل جارحة نصلُ وصوابه نصلا وقد يخرجونه بتقدير ضمير
الشان فتصح فانه الخ

وهو يكثر من استعمال لفة « اكاوني البراغيث » كقوله

وان كثروا اهل الصباية او قلوا وقوله وان مزجوه عذلي

وما الى ذلك مما يلاحظ في تضاعيف ديوانه .

ومن تساهله اللغوي

قوله لم يرق لي منزل بعد النقا . وهو لطيف على ان فعل راق يتعدى رأساً
فيقال راقني ذلك .

وليس ما ذكرناه بالذي يتفرد به ابن الفارض ، فقد مر معنا ما عيب على المتنبي وغير

المتنبي . وقلما يخلو ديوان من مثل هذه الهفوات ، واكثرها للمحافظة على الوزن .

غزل

عرف ابن الفارض بانه شاعر الحب . والناس في ذلك طائفتان ، اهل الظاهر ، واهل
الباطن . فاهل الظاهر هم القائلون بانه لا يخرج عن سبيل العشاق او الغزليين الذين وصفوا

الجمال الانساني (ولاسيما جمال المرأة) وتأثيره في نفوس المحبين وقد عزا اليه بعضهم ولعه بجماع الغناء من جوار له وانه كان يرقص لذلك ويتواجد^(١). وعلى الظاهر يفترسون حبه وجماعه وشعره او على الاقل لايتعرضون لما في ذلك من رموز صوفية. ذكروا ان بعضهم في عصر الحافظ ابن حجر كتب على التائية شرحاً ، وارسله الى بعض عطاء صوفية الوقت ليقرأه ، فاقام عنده مدة ، ثم كتب عليه عند ارساله اليه

سارت مشرقة وسرت مغرباً شتان بين مشرق ومغرب

« فقيل له في ذلك ، فقال : مولانا الشارح اعتنى بارجاع الضائر والمبتدا والخبر والجناس والاستعارة ، وما هنالك من اللغة والبديع ، ومراد الناظم وراء ذلك كله »^(٢)
ومن نظر الى الديوان نظراً ظاهرياً ابن ابي حجلة . وقد قال في وصفه^(٣) « هو من ارق الدواوين شعراً ، وانفسها درأ برأً وبجرأً ، واسرعها الى القلوب جرحاً ، واكثرها على الطلول نوحاً ، اذ هو صادر عن نفثة مصدور ، وعاشق مهجور ، وقلب بحر النوى مكسور ».

ولا يقصد ابن ابي حجلة بالعشق هنا النوع الصوفي منه الذي يرمز الى الجمال الالهي ، اذ المعروف عنه انه كان من سببي الاعتقاد بابن الفارض^(٤) ، بل يقصد ما يذهب اليه كثيرون من ان غزله غزل عادي كغزل ابن ابي ربيعة ، وعباس ابن الاحنف ، والبهاء زهير وسواهم . ولا ينكر ان شهرة شاعرنا قائمة عند الجمهور على هذه الوجهة الظاهرية ، فهم يحفظون قصائده ويرددونها لضربها على اوتار الغرام ، ولانها تلائم ما يشعرون به من خواج الوجد والهيام . على ان شعور الجمهور لا يهتم علينا ان ننظر اليها كذلك ، ومهما حاولنا ان نضرب صفحاً عن تصوفه ، فان من قصائده ما لا يفتر الا تفسيراً باطنياً او رمزياً (صوفياً) . ومن ذلك قصيدته الحزبية ، واليك مثلاً منها —

ولو جليت سراً على اكمه غداً بصيراً ومن راوقها يسمع الصم
ولو ان ركباً يسموا ترب أرضها وفي الركب ملسوع لما ضره السم

(١) شذرات الذهب ٥ - ١٥٢

(٢) " " " " ١٥١

(٣) " " " " ١٥١

(٤) الديوان ١١

تقدّم كل الكائنات حديثها قديماً ولا شكلاً هناك ولا رسم
وقامت بها الاشياء ثم لحكمة بها احتجبت عن كل من لا له فهم
وهامت بها روعي بحيث تمازجا اتحاداً ولا جرمٌ تخلّله جرم
وقالوا شربت الائم كلاً وانما شربت التي في تركها عندي الائم

والذي يقرأ هذه القصيدة ويتفهّم معانيها ومرامياها ، ثم يقابلها بنحريات ابي نواس مثلاً يرى فرقاً واضحاً برغم ما قد يتوهمه من تشابه الصفات في المحرّين النواسية والفارضية

...

وائمٌ من هذه المحرّية واسمى تصوّفًا تائيته الكبرى « او نظم السلوك » التي مطلعها -
سقتني حياءً الحبّ راحةً مقلتي وكلمني محياً من عن الحسن جئت -

وهي قصيدة فريدة في الادب العربي ، او كما يقول المستشرق العلامة هامر في مقدمة ترجمته لها « انها اسمى ما وصل الينا من هذا القبيل في ادب الشرق والغرب »^(١) . ويقابلها « بنشيد الانشاد » في التوراة فيقول « هي نشيد انشاد العرب في الحب الصوفي ولئن قصرت عن « نشيد الانشاد » في الصور الطبيعية ، فانها تفوقه في الرموز التصوفية »^(٢)

...

والمروي « انه لم ينظمها على حدّ نظم الشعراء اشعارهم بل كانت تحصل له جذبات يغيب فيها عن حواسه فاذا افاق املى ما فتح الله عليه منها ، ثم يدع حتى يعاوده ذلك الحال »^(٣)

ويصف ولده هذه العيوبة فيقول « كان الشيخ في غالب اوقاته لا يزال دهشاً ، وبصره شاخصاً ، لا يسمع من يكلمه ولا يراه : فتارة يكون واقفاً ، وتارة يكون قاعداً ، وتارة يكون مضطجعاً على جنبه ، وتارة يكون مستلقياً على ظهره مسجياً كاليت . ويمرّ عليه عشرة ايام متواصلة ، واقل من ذلك واكثر ، وهو على هذه الحالة - لا يأكل

(١) مقدمة الترجمة XX (فينا ١٨٥٤)

(٢) VIII " " "

(٣) الديوان ١١

ولا يشرب ولا يتكلم ولا يتحرك - ثم يستغيث وينبعث من هذه الغيبة ، ويكون اول كلامه انه يلي من القصيدة « نظم السلوك » ما فتح الله عليه ^(١) .

وعلى ما رووه من غيبته يعقب المستشرق الاستاذ نكلسون بقوله « انا لا زى لزاماً ان نشك في صحة ما رووه ففي التاريخ ما يزكيه - هذا بلايك (Blake) فقد قال عن نفسه ان سكرة روحية كانت تغشاه كلما مسك القلم او المرقم - وسانت كاترين اوف سيانا كانت تلمي احاديثها على كتبها وهي في حالة الوجد او الغيبة (Ecstasy) . وكان جلال الدين الرومي ، اذا غاص في بحر المحبة ، امسك بعمود في داره واخذ يدور حوله وفي خلال ذلك ينظم ويلي ^(٢) »

فليس من الغريب ان تأخذ « الحال » شاعراً رقيق الشعور شديد التأثر كابن الفارض . والذي يتأمل تأنيته العجيبة يرى فيها آثار تلك الحال ، كقوله -

ودلّني منها ذهولي ولم أفق	عليّ ولم أقفُ التماسي بظنّتي
فاصبحت فيها والهأ لاهياً بها	ومن ولّيت شغلاً بها عنه الهت
وعن شغلي عني شغلت فلو بها	قضيت ردى ما كنت ادري بنقلتي
وما زلت في نفسي بها متردداً	لنشوة حبي والمحاسن خمرتي

وقوله

يشاهدها فكري بطرف تحبلي	ويسمعها ذكري بسمع فظنّتي
ويحضرها للنفس وهمي تصوراً	فيحسبها في الحس وهمي نديتي
فاعجب من سكري بغير مدامة	واطرب في سري ومني طربتي

ومأ يشير الى انه نظم كثيراً منها على اثر تواجد او « حال » ان المعاني تتكرر فيها على طرق شتى . ففي نفس الشاعر شوق مستعر يحمله الى العلي ، وكثيراً ما يجيب عنه ابواب التأمل المنطقي . على انه يثير شعوره فيظهر في ابيات او قطع قد تختلف لفظاً عما نظم قبلاً ولكنها لا تختلف معنى . ومن ذلك معظم ما نظمه في الجمع والاتحاد والفناء والصحو وما شاكل من هذه المعاني التي كانت تشغل عقله فاذا غاب تسارعت الى خاطره

(١) الديوان ١١

(٢) Studies in Islamic Mysticism 167

فالى لسانه . واذا اعترض ان الصنعة البديعية فيها تعارض ذلك لتطلبها التدقيق في التركيب
وامتلاك الحواس في اختيار الالفاظ المناسبة ، قلنا قد يكون ذلك صحيحاً ، ولكنه ليس
بمحتم . واذا كان رجل كابن الفارض مشبع الروح بالتأملات الصوفية ، وكان مع ذلك
واسع الاطلاع على لغة عصره الشعرية يخزن في ذاكرته الكثير من اوضاعهم واساليبهم ،
لم يستحل عليه حتى في حال ذهوله ان يبث شعوره بواسطة تلك الاوضاع والاساليب

فالتائية الكبرى نشيد الوجد الروحي . فيها نشعر بذلك الحب الاسنى الذي يملك على
الناظم حواسه فيسكروه وينقله من عالم المادة الى عالم الروح . فيها نرى ذلك العراك
المستمر بين الصلاح والشرّ وذلك الفوز النهائي الذي انما ينال بمشاهدة الجمال الالهي -

وما هو الا ان ظهرت لناظري باكمل اوصاف على الحسن اربت
خليت لي البلوى خلقت بينها وبينى فكانت منك اجمل زينته

وما الحب الحقيقي الا الذي ينتهي بتلاشي ارادة الحب او اتحاده في حقيقة المحبوب

ورغبت عن افراد نفسي بحيث لا يزاحمي ابداء وصفه بحضرتي
وها انا ابدى في اتحادي مبدأي وانهي انتهائي في تواضع رفعتي

اما الجمال فهو الجمال المطلق الذي يتجلى في كل ما هو جميل في الطبيعة والانسان

وصرح باطلاق الجمال ولا تقل بتقييده ميلاً لزخرف زينته
فكل مليح حسنه من جمالها معار له بل حسن كل مليحة

وحب الجمال هو حب الله نفسه وهو عند ابن الفارض أعلى من عبادة النساء ومن

عبادة المثقلين انفسهم بظواهر التقليد والنقل

وطب بالهوى نفساً فقد سدت انفس العباد من العباد في كل امة

ووزن بالعلي وانغر على ناسك علا بظاهر اعمال ونفس ركبت

وجز مثقلاً لو خف طف مؤملاً بمنقول احكام ومعقول حكمة

وحز بالولا ميراث ارفع عارفي غدا همهم ايثار تأثير همة

وته ساجباً بالتحب اذبال عاشق بوصله على اعلى الحجره جبرت

على ان الجمال الانساني لا يمكن مشاهدته الا بعد التجرد من اوثاب العقل والحس

الى ان بدا مني لعيني بارق وبان سنا فجري وبانت دجنتي
 هناك الى ما احجم العقل دونه وصلت وبني مني اتصالي ووصلتي
 واستارُ لبس الحسّ لما كَشَفْتَهَا وكانت لها اسرار حُكْمِي ارخت
 رفعت حجاب النفس عنها بكشنيّ النقاب وكانت عن سؤالي مجيبي
 ومتى شاهدت النفس المتجرّدة الجمال الاسنى تساوت لديها الامماء والصفات واصبحت
 هي والوجود الالهي شيئاً واحداً ، فرأت في كل الاشكال معنى واحداً

ترى صور الاشياء تجلّي عليك من وراء حجاب اللبس في كل خَلْقَةٍ
 تجمّعت الاضداد فيها لحكمة فاشكالها تبدو على كل هيئة
 وكل الاديان مظاهر لدين واحد حتى عبّاد الاوثان ليس عبادتهم في الحقيقة الا اتجاهاً
 نحو الجمال الالهي المطلق

فما قصدوا غيري وان كان قصدهم سواي وان لم يظهروا عقد نية
 ولشيوخ مثل ذلك في شعره اتهمه البعض بالحلول^(١) وكفروه ، حتى قال المناوي وهو
 من المدافعين عنه^(٢) - « والحاصل انه اختلف في شان صاحب الترجمة (ابن الفارض) وابن
 عربي ، والعفيف التلمساني (وفلان وفلان يعددهم) من الكفر الى القبطانية ، وكثرت
 التصانيف من الفريقين في هذه القضية » على ان ابن الفارض يدافع عن نفسه فيقول

وكيف وباسم الحقّ ظلّ تحقّقي تكون اراجيف الضلال مخيفتي
 ولي من اصحّ الرؤيتين اشارة تنزه عن رأي الحلول عقيدتي
 وفي الذكر ذكر اللبس ليس بمنكر ولم اعد عن حكمتي كتاب وسنة

فابن الفارض لا يتعمد في شعره الطريقة الجدلية ، ولا يدخل في نضال فلسفي يدعمه
 بالادلة والبراهين ، بل هو يصوّر الوجود بالوان الجمال المطلق ، وينسج من عواطفه حلّة
 سداها ولحمها الحبّ المُسكر ، حلّة تلبسها النفس فتحجب عن علاقاتها المادية ، وتعاو في
 لوح الفضاء الى حيث يمتزج بروح الكون . وفي ذلك المقام تطلّ على الوجود فلا ترى فيه

(١) الديوان ١٢

(٢) شذرات الذهب ٥ - ١٥٢

الأشكالاً واحداً ولوناً واحداً ، وقوة واحدة .

الحبّ هو نشيد ابن الفارض . وهو ، سواء نظرت اليه من وجهة الظاهر او وجهة الباطن ، حب سام يرفع النفس الى المثل العليا ، ويكشف لها عن جمال الوجود الاعظم . وما مي ، وعتب ، ورياً ، وسلمى ، وليلى وسواهنّ عنده الأمرأيا تعكس لنا نور المحبوب الاسنى .

وما الوجد ، والشوق ، والوصل ، والهجر ، والعذل ، والتعذيب ، والذل ، والنحول ، والموت ، والغدر ، والوفاء ، واللوم ، والعتاب ، والرضا واضراب هذه الازواضع الغزلية الأختبارات نفس شديدة الاحساس في سعيها نحو مصدر الجمال وما مربع الحجاز الأرمز للمربع العلوية ، ولذلك تراه يردد ذكراها في اكثر قصائده ، فيقول مثلاً

يا ساكني البطحاء هل من عودة احياها يا ساكني البطحاء .

...

لا تملني عن هوى مرتبعي عدوتي ثيا ربع بثي

...

قماً بكة والمقام ومن اتى البيت الحرام ملياً سيأحا
ما رنحت ربح الصبا شيخ الرئي الآ واهدت منكم افراحا
تلك هي عاطفته المجازية التي تبرز في اكثر قصائده . ومهما غلا المشككون فان في تلك العاطفة ما يبرر قولنا بصوفية شاعرنا ونباله حبه .

اختيار من شعر ابن الفارض

نفس رقيقة ترتفع على اجنحة الحب الى العلى ثم تذوب في الفضاء الواسع تاركة وراءها
فغماً لطيفاً يرجعه الشعر فيطرب السامعين

بأئمة المشهورة

سائق الاظعان يطوي البيدَ طي
وبذات السَّيِّح عني إن مرر
وتلطف وأجر ذكري عندهم
قل تركت الصب فيكم شبيحاً
خافياً عن عائد لاح كما
كهلال الشك لولا أنه
مسبلاً للنأي طرفاً جاد إن
بين اهليه غريباً نازحاً
نشر الكاشح ما كان له
في هواكم رمضان عمره
حائراً في ما اليه امره
يا أهمل الودد أتى تنكرو
منعماً عرج على كئيبان طي (١)
تبحي من عريب الجزع حي (٢)
علم أن ينظروا عطفاً إلي
ما له مما يراه الشوق في
لاح في برديه بعد النشر طي
أن عيني عينه لم تتأي (٣)
ضن نوه الطرف أن يسقط خي (٤)
وعلى الاوطان لم يعطفه كي (٥)
طاوي الكشح قبيل النأي طي
ينقضي ما بين إحياء وطبي
حائر والمره في المحنة عي
ني كهلاً بعد عرفاني فتي

(١) طي الأولى مصدر طوى . والثانية اسم قبيلة

(٢) ذات الشيح موضع. الجزع منعطف الوادي . وحي (الثانية) اي سأم

(٣) هو في الخفاء كالهلال الذي لم تثبت رويته ولولا ائنه لا رات عيني ذاته (عينه)

(٤) ساكباً دموع طرف مجود بالبكاء وان بخل نجم «الطرف» عند سقوطه بالمطر (وكان نوه

ماحلاً او خياً)

(٥) لي اي عطف

وهوى الغادةِ عمري عادةً
 نصباً أكسبني الشوق كما
 ومتى اشكُ جراحاً بالحشا
 عجباً في الحربِ أدعى بأسلاً
 هل سمعتم أو رأيتم أسداً
 وضعَ الآسي بصدري كئمةً
 سقمي من سُقمِ أجفانكم
 أو عدوني أو عدوني وأمطلوا
 رجعَ اللاحي عليكم آسأ
 أبعينيه عمي عنكم كما
 ظلَّ يهدي لي هدىً في زعمه
 ذابتِ الروحُ استيقاقاً فهي به
 فهبوا عيني - ما أجدي البكا -
 أو حشا سال وما أختاره
 بل أسيثوا في الهوى أو احسنوا
 كلُّ شيءٍ حسنٌ منكم لدي

روح القلب بذكر المنحني
 لم يرق لي منزلٌ بعدَ النقا
 أو واشوقي لضاحي وجهها
 فبكلِّ منه والالحاظ لي
 جنةٌ عندي رباها أمحلت
 وأعدهُ عند سعي يا أحيي
 لا ولا مستحسنٌ من بعد مي
 وظا قلبي لذياك اللَّمي (٤)
 سكرةٌ واطرباً من سكرتي
 أم حلت - عجائتها من جنتي (٥)

(١) الاحي اي الاسود الشعر (٢) كي جيان

(٣) هل عميت عينه عن جمالكم كما صمت اذني عن سماع عدله

(٤) تصغير لمي وهو سكرة في باطن الشفة او ماء الثغر

(٥) هي عندي جنة سواء اجذبت ام تحلت بالخصب ويشير بالجنة الثانية الى السماء

دارُ خلدٍ لم يدُرْ في خَلدي أَنه من يَنأ عنها يلقَى غي

...

خاطبَ الخطبَ دَعِ الدعوى فما
رُحٌ معافى وأَعْتَمَ نصحي وإن
كَمْ قَتِيلٍ من قَبيلِ مالِه
ايُّ تعذيبٍ سوى البعدِ لنا
إِن تَتَيَّ راضيةً قَتلي جَوَى
ما رأتِ مَثَلِكِ عيني حَسناً
نَسبٌ اقربُ في شرعِ الهوى
ليت شعري هل كُنِي ما قد جرى
سِرُّكُم عِندي ما اعلَنهُ
مَظْهراً ما كُنْتُ أُخْفِي من قَدِيمِ
يا أُصِحابِي تَمادَى بَيْننا
عَلَّوا رُوحِي بارِواحِ الصبا
أي صَباً أي صَباً هَجَتِ لنا
ذَلكَ إِنْ صالحتِ رِيانَ الكِلا
فلذا تُروِي وتُروِي ذا صَدَى
سائلي ما شَفَّني في سائِلِ الدَمعِ
لو شَنَّتْ غَنِي عن شَفَّتي
عُتِبُ لَمْ تُعْتَبِ وسلَمِي اسامَتِ
وحَمِي اهلُ الحَمِي رُؤْيَ رَيِّ (٥)

...

(١) رقي اسم فتاة ويكنى بها عن الجمال الاسنى

(٢) عندي اي احمر . دمي تصغير دم اي سائل من دمي

(٣) اي انما ذلك الشذا لانك لمست الكلا الناضر وتعرشت بنبات الخوذان في وادي الحبيب.

ولذا فانت تروي صاحب العطر وتروي الخبر الصادق (الحمي) عن فتاة الحمي

(٥) يا من تسألني عما اصابني انظر الى الدمع السائل تجد فيه جواني . وعتب وسلمى وري اسماء فتيات

هو الحب

هو الحبُ فاسلم بالهوى سهلُ
وعش خالياً فالحبُّ راحتهُ عناً
ولكن لديّ الموت فيه صبايةُ
نصحتك علماً بالهوى والذي ارى
فإن شئت أن تحيا سعيداً فت به
فمن لم يميت في حبه لم يعيش به
تمسك باذيال الهوى وأخلع الحيا
وقل لقتيل الحبِّ وقيت حقه
تعرض قومٌ للغرام واعرضوا
رضوا بالاماني وابتلوا بحظوظهم

أحبة قلبي والمحبة شافعي
عسى عطفة منكم عليّ بنظرة
اجباي انتم احسن الدهر ام آسا
اذا كان حظي المهجر منكم ولم يكن
وتعذيبكم عذب لديّ وجوركم
وصبري صبر عنكم وعليكم
اخذتم فؤادي وهو بعضي فما الذي
نأيتم فقير الدمع لم ار وافياً
فسهدي حي في جفوني مخلد
هو طل ما بين الطلول دمي فيمن

لديكم اذا شتمت بها اتصل الجبل
فقد تعبت بيني وبينكم الرسل
فكونوا كما شتمت انا ذلك الخيل
بعاد فذاك المهجر عندي هو الوصل
عليّ بما يقضي الهوى لكم عدل
ارى ابداً عندي مرارته تحلو
يضره كم لو كان عندكم الكل
سوى زفرة من حر نار الجوى تعلق
ونومي بها ميت ودمعي له غسل
جفوني جرى بالسفح من سفحه وبل (٢)

(١) ان حب الجمال الاسنى والتماذي فيه (على طريقة الصوفية) هو افضل الطرق فسر به ولو خالفت اهل الطرق الاخرى

(٢) هوى هدر دمي بين طلول الاحبة فجرى من جفوني لذلك وابل من الدموع

تباله قومي اذ رأوني متيماً
وماذا عسى عني يقال سوى غدا
وقال نساء الحبي عناً^(١) بذكر من
اذا انعمت نعم علي بنظرة
وقد صدت عيني برؤية غيرها
وقد علموا أنني قتيل لحاظها
حديثي قديم في هواها وما له
ومالي مثل في غرامي بها كما
حرام شفا سقمي لديها رضية ما
لخالي وان ساءت فقد حسنت به
ولى همته تعلقوا اذا ما ذكرتها
جرى حبها مجرى دمي في مفاصلي
فنافس ببذل النفس فيها أنا الهوى
فمن لم يجد في حب نعم بنفسه
ولولا مراعاة الصيانة غيرة
لقلت لعشاق الملاحاة اقبلوا
وان ذكرت يوماً فخرتوا لذكرها
وفي حبها بعث السعادة بالشقا
وقلت لرشدي والتنسك والتقى
وفرغت قلبي عن وجودي مخلصاً
واصبو الى العذال حباً لذكرها
فان حدثوا عنها فكأني مسمع

وقالوا بن هذا الفتى مسه الخبل؟
بنعم له شغل نعم لي بها شغل
جفانا وبعد العز لذل له السذل
فلا اسعدت سعدى ولا اجملت جمل
ولثم جفوني ترها للصداء يحاو
فان لها في كل جارحة نصل^(٢)
كما علمت بعد وليس له قبل
غدت فتنة في حسنها ما لها مثل
به قسمت لي في الهوى ودمي حل
وما حظ قدرتي في هواها به اعاو
وروح بذكرها اذا رخصت تعلقوا
فاصبح لي عن كل شغل بها شغل
فان قبلتها منك يا حبذا البذل
ولو جاد بالدنيا اليه انتهى البخل
ولو كثروا اهل الصباة او قلوا
اليها على رأبي وعن غيرها ولوا
سجوداً وان لاحت الى وجهها صلوا
ضلالاً وعقلي عن هداي به عقل^(٣)
تحلوا وما بيني وبين الهوى خلوا
لعلني في شغلي بها معها اخلوا
كأنهم ما بيننا في الهوى رسل
وكلي ان حدثتهم السن تتلوا

(١) عناً به اي ابعده

(٢) الاصل فان لها نصلاً ولكنهم يخرجون الاعراب بتقديرهم ضمير الشأن فكأنه يقول

فانه لها الخ .

(٣) عقل الثانية مصدر عقل اي منع او ربط

تخالفت الأقوالُ فينا تبايناً
 فشنع قومٌ بالوصال ولم تصل
 فما صدق التشنيعُ عنها لشقوتي
 وكيف أُرَجِي وصل من لو تصوّرت
 ترى مقلتي يوماً ترى من أحبهم
 وما برحوا معنى أراهم معي فان
 فهم نصب عيني ظاهراً حيناً سرّوا
 لهم ابدأ مني حنوً وإن جفّوا

برجم ظنونِ بيننا ما لها اصل
 وارجف بالسلوان قومٌ ولم أسل
 وقد كذبت عنى الاراجيف والنقل
 حماها المنى وهماً لضاقت بها السبل
 ويعتبني دهري ويجمع الشمل
 نأوا صورةً في الذهن قام لهم شكل
 وهم في فؤادي باطناً اينما حلّوا
 ولي ابدأ ميل اليهم وان ملّوا

انا القبيل

ما بين معتكّ الاحداق والمهج
 ودعت قبل الهوى روعي لما نظرت
 لله اجفان عين فيك ساهرة
 واضلعت نجلت كادت تقومها
 وادمع هملت لولا التنفس من
 وجبدا فيك اسقام خفيت بها
 اصبحت فيك كما امسيت مكتئباً
 أهفو الى كل قلب بالغرام له
 عذب بما شئت غير البعد عنك تجد
 وخذ بقيّة ما ابقيت من رفق
 من لي باتلاف روعي في هوى رشاق
 من مات فيه غراماً عاش مرتقياً
 محجّب لو سرى في مثل طرقة

انا القليل بلا إثم ولا حرج
 عيناى من حسن ذاك المنظر البهج
 شوقاً اليك وقلب بالغرام شج
 من الجوى كبدي الحرى من العوج
 نار الهوى لم اكذ انجو من اللجج
 عني تقوم بها عند الهوى حجج
 ولم اقل جزعاً يا أزمّة أنفرج
 شغل وكل لسان بالهوى لهج
 اوفى محب بما يرضيك مبتهج
 لا خير في الحب إن ابقى على المهج
 حاور الثمائل بالارواح ممتج
 ما بين اهل الهوى في ارفع الدرّج
 اغنته غرته الغراء عن السرج (١)

(١) اي لو سرى في ليل اسود كشمعه لكان له من غرته نور يقنيه عن السرج

وان ضَلَّلتُ رَيْلِيلٍ من ذوائبه
وان تَنَقَّسَ قال المسكُ معترفاً
يا ساكنَ القلبِ لا تنظر الى سكاني
تبارك اللهُ ما احلى شمائله
يهوى لذكرِ اسمه من لُجٍّ في عذلي
وأرحمُ البرقِ في مسراه منتسباً
تراه ان غابَ عني كلُّ جارحةٍ
في نعمةِ العود والناي الرخيمِ اذا
وفي مسارحِ غزلانِ الحمائلِ في
وفي مساقطِ انداءِ الغمامِ على
وفي مساحبِ اذيالِ النسيمِ اذا
وفي التثاميِ تَغَرَّ الكأسُ مرتشفاً
لم ادرِ ما غرَبَةُ الاوطانِ وهوَ معي

اهدى لعيني الهدى صححٌ من البلج
لعارفي طيبه « من شمره أرجي »
واربح فوْادك وأحذرُ فتنَةَ الدعج
فكم اماتتُ واحيتُ فيه من مهبج
سمعي، وان كان عذلي فيه لم يلج^(١)
لثغره وهو مستحي من الفلج
في كلِّ معنى لطيفٍ رائقٍ بهج
تألَّفًا بين ألحانٍ من الهزج
برد الاصائلِ والاصباحِ في البلج
بساطِ نورٍ من الازهارِ منتسج
اهدى اليّ سُجيراً اطيبَ الارج
ريقِ المدامةِ في مستزده فرج
وخاطري اين كنا غيرُ متزعج

قلبي بمحمدني

قلبي بمحمدني بانك متلني
لم اقض حقَّ هواك ان كنت الذي
ما لي سوى روعي وباذلُ نفسه
فلئن رضيتَ بها فقد اسعفتني
يامانعي طيبَ المنامِ وما نحني
عطفاً على رميتي وما ابقيتَ لي
فالوجدُ باقٍ والوصالُ ماطلي

روحي فداكَ عرفت ام لم تعرف
لم اقضِ فيه اسى ومثلي من يني^(٢)
في حبِّ من يهواه ليس بمسرف
يا خيبةَ المسعى اذا لم تُسعِف
ثوبَ السقامِ به ووجدني المُتلف
من جسمي المظني وقلبي المُدنف
والصبرُ فانِ واللقاءُ مسوئي

(١) اي يهوى سمعي ان يسمع كلام العاذل للجوج لانه يذكره وان كان (سمعي) لا يقبل العذل

(٢) اقضي الاولى أو دعي . والثانية اموت

لم اخلُ من حسدِ عليك فلا تُضعُ
وَأَسْأَلُ نُجُومَ اللَّيْلِ هَلْ زَارَ الْكُرَى
لَا غُرُوبَ إِنْ شَحَّتْ بِغَمَضِ جُفُونِهَا
وَبِمَا جَرَى فِي مَوْقِفِ التَّوَدُّيعِ مِنْ
أَنْ لَمْ يَكُنْ وَصَلٌ لَدَيْكَ فَعَذَّبَهُ
فَالْمَطْلُ مِنْكَ لَدَيَّْ أَنْ عَزَّ الْوَفَا
أَهْوَى لَأَنْفَاسِ النَّسِيمِ تَعَلَّةً
فَأَعْلَى نَارِ جِوَانِحِي بَهْوِيهَا
يَا أَهْلَ وَدَيِّ أَنْتُمْ أَمَلِي وَمَنْ
عُودُوا لِمَا كُنْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْوَفَا
وَحَيَاتِكُمْ وَحَيَاتِكُمْ قَسَمًا وَفِي
لَوْ أَنَّ رُوحِي فِي يَدِي وَوَهَبْتَهَا
لَا تَحْسَبُونِي فِي الْهَوَى مُتَصَنِّعًا
أَخْفَيْتُ حَبْكُمُ فَأَخْفَانِي أَسَى
وَكُتْمَتُهُ عَنِّي فَلَوْ أَبْدَيْتُهُ
وَلَقَدْ أَقُولُ لِمَنْ تَحَرَّشَ بِالْهَوَى
أَنْتَ التَّقِيلُ بَايِرٌ مِنْ أَحِبَّتِهِ
قَلَّ لِلْعَذُولِ أَطْلَتْ لَوْمِي طَامِعًا
دَعِ عَنكَ تَعْنِينِي وَذُقْ طَعْمَ الْهَوَى
بِرَحِّ اخْفَاءِ بِحَبِّ مَنْ لَوْ فِي الدَّجَى
وَهَوَاهُ وَهُوَ أَلْبَتَى وَكَفَى بِهِ
لَوْ قَالَ تَيْبًا قَفَّ عَلَى جَمْرِ الْعِضَا
لَا تَنْكُرُوا شَغْفِي بَا يَرْضَى وَإِنْ

سهرى بتشبيع الخيال المرجف
جفني وكيف يزور من لم يعرف
عيني وسحت بالدُموع الذرف
ألم النوى شاهدت هول الموقف^(١)
أملِي وماطل أن وعدت ولا تني
يخلو كوصل من حبيب مسعف
ولوجه من نقلت شذاه تشوفي
ان تنظني واود ان لا تنظني
نادام يا اهل ودي قد كني
كرما فاني ذلك اخل الوفي
عمري بغير حياتكم لم احلف
للبيري بقدمكم لم أنصف
كأني بكم خلق بغير تكلف
حتى لعمرى كدت عني اختني
لوجدته اخني من اللطف الخني
عرضت نفسك للبلا فاستهدف
فاختل لنفسك في الهوى من تصطني
أن الملام عن الهوى مستوقني
فاذا عشقت فبعد ذلك عفف
سفر اللثام لقلت يا بدر أخف
قسما اكاد أجته كالمصحف^(٢)
لوقفت ممثلا ولم اتوقف
هو بالوصال علي لم يتعطف

(٢) الموقف الثانية يوم الحساب في الآخرة

(١) التي اي قسي . والمصحف القرآن الكريم

غلب الهوى فاطعتُ امر صبابتي
 متني له ذلُّ الخضوع ومنه لي
 ألفت الصدودَ ولي فؤادٌ لم يزل
 لو اسمعوا يعقوبَ ذكرَ ملاحه
 او لو رآه عائداً أيوبُ في
 كلُّ البدور اذا تجأى مقبلاً
 ان قلتُ عندي فيك كلُّ صابرة
 كملت محاسنه فلو اهدى السنا
 وعلي تقنن واصفيه بحسنه
 ولقد صرفتُ لجه كأي على
 اسعد أخى وغنني بمجديته
 لأرى بعين السمع شاهد حسنه
 يا أخت سعدٍ من حبيبي جنتي
 فسمعتُ ما لم تسمعي ونظرت ما
 ان زار يوماً يا حشاي تقطعي
 ما للنوى ذنبٌ ومن اهوى معي

من حيث فيه عصيت نهي معنني
 عز المنوع وقوة المستضعف
 مذ كنت غير وداده لم يألف
 في وجهه نسي الجمال اليوسفي
 سنة الكرى قدماً من البلوى شفي
 تصبو اليه وكلُّ قدر اهيف
 قال الملاحه لي وكلُّ الحسن في (١)
 للبدر عند تمامه لم يحسف
 يفنى الزمان وفيه ما لم يوصف
 يد حسنه فحمدت حسن تصرفي
 وأنثر على سمني حلاه وشنف
 معنى فاتجنتي بذاك وشرف (٢)
 برسالة اديتها بتلطف
 لم تنظري وعرفت ما لم تعرفي (٣)
 كلفاً به او سار يا عين أذرفي
 ان غاب عن انسان عيني فهو في (٤)

زوفي بفرط الحب

زدني بفرط الحب فيك تحيراً
 وارجم حشى بلظى هواك تسعراً
 واذا سألتك ان اراك حقيقةً
 فاسمح ولا تجعل جواني لن ترى

(١) اي وكل الحسن في

(٢) غنني بمجديته لارى جماله عن طريق السمع وقد جعل للسمع عينا عن طريق المجاز

(٣) اي ايها الفتاة المنتحمة الى قبيلة سعد انك حملت لي رسالة الحبيبة ولكنك لم تسمعي منها ولم

تعرفي ما سمعت وعرفت انا (٤) اي في القلب

يا قلبُ انت وعدتني في جهنم
 ان الغرام هو الحياة فت به
 قل للذين تقدموا قبلي ومن
 عني خذوا ولي اقتدوا ولي اسمعوا
 ولقد خلوت مع الحبيب وبيننا
 وابع طرفي نظرة املتها
 فدهشت بين جماله وجلاله
 فادبر حافظك في محاسن وجهه
 لو ان كل الحسن يكمل صورة

صبراً فحاذر ان تضيق وتضجرا
 صباً فحذرك ان تموت وتعدرا
 بعدي ومن اضحى لاشجاني يرى
 وتحدثوا بصبايتي بين الورى
 سر ارق من النسيم اذا سرى
 فغدوت معروفاً وكنت منكراً
 وغدا لسان الحال عني يخبر
 تلتقى جميع الحسن فيه مصوراً
 وراه كان مهلاً ومكبراً



محتويات الكتاب

ص	ص
ظواهر الحضارة في العصر العباسي	٢٤
نشوء قومية عربية جديدة - انتشار العرب في الامصار	٢٤
الامتزاج بالزواج	٢٧
تعرب الامم المغلوبة	٢٨
حضارة بغداد	٢٩
الحياة والمصادرة	٢٩
امثلة من بذخ العباسيين - ملابس	٣١
الموفق والمكثني	
جواهر المقتدر	٣٢
بذخ ام جعفر وام المستعين	=
المادي والرشيد والواثق	=
الولائم والافراح والمساكل	٣٣
العمران الزراعي والتجاري	٣٤
بعض صور اجتماعية يعكسها	٣٧
الادب - الجوارى والغلمان	
مجالس الشراب	٣٨
التأنيق في الفنون الحضري	٣٩
انتشار المدارس والعلوم	٣٩
ظواهر الحركة الفكرية العامة	٤٠
مجري الحركة الفكرية	
مصادرها الرئيسية	٤١
نظرة عامة في الادوار السياسية	٣-١
في العصر العباسي	
التنافس بين العناصر	٣
تجزؤ الخلافة	٥
الامارات المستقلة في بلاد فارس	٧
الامارات التركية	٧
الامارات العربية	٨
الدولة الفاطمية	٩
الدولة الاندلسية	٩
تأثير هذا التجزؤ في الادب	١٠
الحركات الهدامة الداخلية	١١
حركات الخوارج	١٢
حركات العلوية	١٢
الزنج	١٣
القرامطة	١٤
الحشاشون	١٤
العوامل الهدامة الخارجية - الروم	١٥
غارات الصليبيين	١٦
تطور الحياة الاجتماعية	
الحضارة في فجر الاسلام	١٨
الدولة الاموية	١٩

ص	ص
المختار من شعره	٤١
دع عنك لومي	٤٤
دع الربع ما للربع فيك نصيب	٤٧
ذكر الصبح بسحرة فارتاحا	٤٩
ما زلت استل روح الدن في لطف	المصدر اليوناني
عاج الشقي على رسم يسائه	المصدر الفارسي
خفيت عليك محاسن الحمر	المصدر الهندي
ودار ندامى عطلها وادجوا	المجاري الفكرية الكبرى - الفلسفة
وفتيان صدق قد صرفت مطيهم	الكلام -
غدوت على الذات منهتك الست	المعتزلة - نشأتها - غايتها
يا شقيق النفس من حكم	مبادئها
اذا خطرت منك الموم فداوها	الاشعرية وتعاليمها
لا تحشعن طارق الحدان	التصوف نشأته - مبادئه
اني عشقت وما بالعشق من باس	٥١-٥٠
اذا التقى في النوم طيفانا	٥٤-٥٢
بعض اقواله في جنان	٥٦-٥٤
يا دار ما فعلت بك الايام	٦٠-٥٦
وعظتك واعظة القدير	٦٢
سحر الله للامين مطايا	خصائص الشعر العباسي
انت يا ابن الربيع الزممتي النسك الخ	الشعر الوجداني والموضوعي
يا رب وجه في التراب عتيق	التجدد في صناعة الشعر - رقة العبارة
خل جنيتك لرام	النقد البياني
الم ترني ابجت اللهو نفسي	التفنن في المعاني
ايا من بين باطية وزق	البديع اللفظي
دب في الفناء سفلا وعلوا	التوسع في المصطلحات اللفظية
١١٢-١١١ ابو الغمامية - مصادر دراسته	٦٦
	٦٩
	٧٠
	٧٣
	٧٥
	٧٦
	٧٧
	٨٠
	٨١
	٨٣
	٨٦
	٩١
	٩٤

ص	ص
نادت بوشك رحيلك الايام ١٣٨	١١٣ نسبه وزندقته
سكن بيتي له سكن * ١٣٩	١١٥-١١٧ حياته الادبية - اسباب انصرافه
الدهر ذو دول والموت ذو علل ١٤٠	عن اللهب
١٤١-١٤٢ ابوقام - مصادر دراسته	١١٧-١١٨ راي الناس في ترهده
١٤٣-١٤٥ توطئة تاريخية	١١٩ رسالته الشعرية
١٤٥ اهم ممدوحيه	١٢١ ابو العتاهية وابو نواس
١٤٦-١٤٩ شخصيته-عنوانه-اعجابه بنفسه	١٢٢ حكمه
١٤٩ خصائصه الفنية	١٢٥ شاعريته
١٥٠-١٥٥ التائق البديعي	١٢٦ مزايا شعره - السهولة
١٥٥-١٦٠ تفننه المعنوي	١٢٧ رشاقة التعبير
١٦٠ شغفه بالاغراب	١٢٨ سرعة الخاطر
١٦٣ دواعي غموضه	١٢٩ عيوب شعره
	١٣١ عدم تفننه
المختار من شعره	المختار من شعره
١٦٧ السيف اصدق انباء من الكتب	١٣٢ نصبت لنا دون التفكر يا دنيا
١٧١ من سجايا الطلول الا تجيبا	= بكيت على الشباب بدمع عيني
١٧٣ على مثلها من اربع وملاعب	= لدوا للموت وابنوا للخراب
١٧٥ اهن عوادي يوسف وصواجه	١٣٣ طلبت المستقر بكل ارض
١٧٦ ديمة سمحة القيادة سكوب	= اخوي مرأ بالقبور
١٧٧ غدت تستجير الدمع خوف نوى غد	١٣٤ حتى متى يستغزني الطمع
١٧٩ الحق ابلج والسيوف عوار	١٣٤ متى تتقضى حاجة المتكلف
١٨١ اجل آيها الربع الذي خف آهله	١٣٥ بليت وما تبلي ثياب صباكا
١٨٢ كذا فليجل الخطب وليفدح الامر	= نعى نفسي الي من الليالي
١٨٤ دموع اجابت داعي الحزن همع	١٣٦ لمن طال اسائه
١٨٧-١٨٨ البحتري - مصادر دراسته	١٣٧ الا هل الى طول الحياة سبيل
١٨٩ توطئة تاريخية-اطوار حياته الثلاثة	= اتدري اي ذل في السؤال

ص	ص
ممدوحوه - ١٩١	٢٣٣ حاله مع الزمان
١٩٢ ولعه بالحر	٢٣٤ عقليته واثرها في شعره
١٩٣ مذهبه السياسي	٢٣٥ هجاؤه
	٢٣٦ طيرته
	٢٣٧ اسرافه الخلقى
	٢٣٩ شعره وشاعريته -
١٩٤ راي النقدة في اسلوبه	٢٣٩-٢٤١ القول بالوحدة في قصائده
١٩٥-١٩٩ مواضيعه الشعرية	٢٤١ مزياه الفنية - طول النفس
١٩٩ مزيته الفنية - الوصف	٢٤٣ استيقاء المعنى وتقصى الاغراض
٢٠٠-٢٠٢ الوصف الحتمي والوصف الخيالي	٢٤٦ دقة احساسه - مجازه المرسل
٢٠٢-٢٠٥ بعض اوصافه المشهورة	٢٤٨ ديوانه عموماً
٢٠٥-٢٠٨ غزله - راي النقاد فيه	
	المختار من شعره
٢٠٨ اجدك ما ينفك يسري لزينبا	٢٤٩ كنى بالشيب من ناه مطاع
٢١٠ سلام عليكم لا وفاء ولا عهد	٢٥٢ شاب راسي ولات حين مشيب
٢١٢ انما العي ان يكون رشيدا	٢٥٤ بكاؤكما يشفي وان كان لا يجدي
٢١٣ اخني هوى لك في الضاوع واظهر	٢٥٥ امامك فانظر اي نهجيك تنهج
٢١٥ الم تر تغليس الربيع المبكر	٢٥٧ ذاد عن مقلتي لذيد المنام
٢١٧ صنت نفسي عما يدنس نفسي	٢٦٠ يا اخي ابن ربع ذاك اللقاء
٢١٩ قل للسحاب اذا حدثه الشمال	٢٦٢ يا خليبي يتمتي وحيد
٢٢٠ ميلوا الى الدار من ليلي نحيبا	٢٦٦-٢٦٦ مقطعاته الحكمية
٢٢٢ افاق صب من هوى فافيقا	٢٦٧-٢٦٨ المتنبى - مصادر دراسته
٢٢٤ رحلوا فاي عزيمة لم تسكب	٢٦٩ نشأته الاولى - صباه في الكوفة
	ثم في الشام
	٢٧٠ اسباب سجنه
	٢٧١ تلقيه بالمتنبى
٢٢٧-٢٢٨ ابن الرومي - مصادر دراسته	
٢٢٩ سيرته	
٢٣٠-٢٣٢ حاله مع ممدوحيه	

ص	ص
فدينك من ربيع وان زدتنا كريا ٣٠٣	تردده في الاقطار الشامية ٢٧٢
على قدر اهل العزم ٣٠٥	في حلقة سيف الدولة ٢٧٣
واحر قلباء ٣٠٧	في مصر - عند كافور ٢٧٥
كفى بك داء ان ترى الموت شافيا ٣٠٩	بين العراق وفارس ٢٧٧
اود من الايام ما لا توده ٣١٠	مقتله ٢٧٩
من الجاذر في زي الاعارب ٣١٣	مزايه الخلقية - تعاضمه ٢٧٩
فراق ومن فارقت غير مذمم ٣١٤	سوء سياسته ٢٨٠
الحزن يقلق والتجمل يردع ٣١٦	شعوره بالتفوق ٢٨١
نعد المشرفية والعوالي ٣١٨	طموحه الى المجد ٢٨٣
ملوم كما يجلب عن الملام ٣٢٠	عصيته العربية ٢٨٥
٣٢٤-٣٢٣ المعري - مصادر دراسته	نسبه والقول فيه ٢٨٧
توطئة تاريخية - عصره ٣٢٥	شهرته الشعرية ٢٨٨
بيئته ٣٢٦	شراحه ونقاده ٢٨٩
رحلاته ٣٢٧	شخصيته الشعرية
٣٣٢-٣٣١ ترجمه وجاهه وكرمه	عواطف الشباب ونفثات الالم ٢٩١
زندقته وایانه ٣٣٢	الجهاد والبطولة - في حلب ٢٩٤
التراع الفكري في عصره واثره ٣٣٣	الغيظ من الماضي والامل بالمستقبل ٢٩٦
في الشاعر ٣٣٤	في مصر ٢٩٧
طوره الاول وطوره الثاني ٣٣٤	شعره في العراق وفارس ٢٩٧
شاعريته وشعره - سقط الزند ٣٣٥	المتنبى في حكمه ٢٩٨
تقليده القديما =	الخنار من شعره
٣٣٦-٣٣٧ ما يكثر في شعره	كم قتيل كما قتلت شهيد ٢٩٩
عواطفه الدينية ٣٣٨	في الحد ان عزم الخليل رحيلاً ٣٠١
درعياته ٣٣٨	

ص	و	ص	
يخس مرأى لبني آدم	٣٦٥	لزومياته	
من لي ان لا اقيم في بلد	≈	سلاسته وتعته	٣٣٩
قد قيل ان الروح تأسف بعدما	≈	اسباب تعته	٣٤١
انا صائم طول الحياة	≈	دقة تشابهه وروعة حكمه	٣٤٢
لا تبدأوني بالعداوة منكم	٣٦٦	المواقف الشعرية في اللزوميات	٣٤٣
جر يا غراب وافسد	≈	الغيبات	≈
العالم العالي براي معاشر	≈	تحيره فيها	٣٤٤
اركان دنيانا غراتر اربع	٣٦٧	الطبيعة والحياة البشرية	٣٤٦
قد اختل الانام بغير شك	≈	الاديان	≈
ابن الفارض - مصادر دراسته	٣٧٠	الشعب وزعمائه	٣٤٧
نشأته	٣٧١	الطبيعة البشرية	٣٤٨
شخصيته	٣٧٣	اسباب شهرته	٣٥٠
اثر الصوفية في شعره	٣٧٧	المختار من شعره	
٣٨٠-٣٨٣ اسلوبه الشعري ومزايه الفنية		نقمت الرضا حتى على ضاحك المزن	٣٥١
٣٨٣-٣٨٦ عيوب اسلوبه		غير مجد في ملتي واعتقادي	٣٥٣
٣٨٦ غزله		احسن بالواجد من وجده	٣٥٦
٣٨٨-٣٩٢ غيبوته والثانية الكبرى		مغاني اللوى من شخصك اليوم اطلال	٣٥٨
المختار من شعره		علاني فان بيض الاماني	٣٦٠
٣٩٣-٣٩٥ سائق الاظمان		الا في سبيل المجد ما انا فاعل	٣٦٢
٣٩٦-٣٩٧ هو الحب		امثلة من لزومياته -	
٣٩٨ ما بين معترك الاحداق		اولو الفضل في اوطانهم غرباء	٣٦٣
٣٩٩-٤٠١ قلبي يمدثني		اذا كان علم الناس ليس بنافع	٣٦٤
٤٠١ زدني بفراط الحب		يرتجي الناس ان يقوم امام	٣٦٤



من مؤلفات صاحب الكتاب

نظور الاساليب النثرية

في

الادب العربي

كتاب في نحو ٤٥٠ صفحة كبيرة يتناول النثر العربي وخصائصه الفنية منذ بزوغ الاسلام الى النهضة الاخيرة ، ويتخلله دراسات تحليلية لنبذة من امراء الاقلام وعرض كثير من نصوصهم الانشائية ولعله اول محاولة علمية لدرس الاساليب النثرية وتتبع تطورها مع الزمان

الذكرى

وهي النشائد الخالدة التي نظمها شاعر انكلترا العظيم الفرد تنسون ، وقد نقلت نظماً الى العربية وروعي فيها ما امكن المحافظة على المعاني الاصلية

الدول العربية وادابها -

الطبعة الخامسة

وهو موجز في تاريخ الادب يتناول الدول العربية وما نشأ فيها من الآداب . وفيه تراجم اشهر الشعراء والكتبة من اقدم العصور الى الوقت الحاضر - مقرونة بامثلة من اجود ما روي او نشر لهم

...

وهناك مؤلفات اخرى تطلب قارئتها من صاحبها او من المطبعة الاميركانية في بيروت

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين

والصلاة والسلام على من لا نبي بعده

وبعد

فإننا نحمد الله الذي هدانا لهذا الذي كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله
والصلاة والسلام على من لا نبي بعده
وبعد

والله

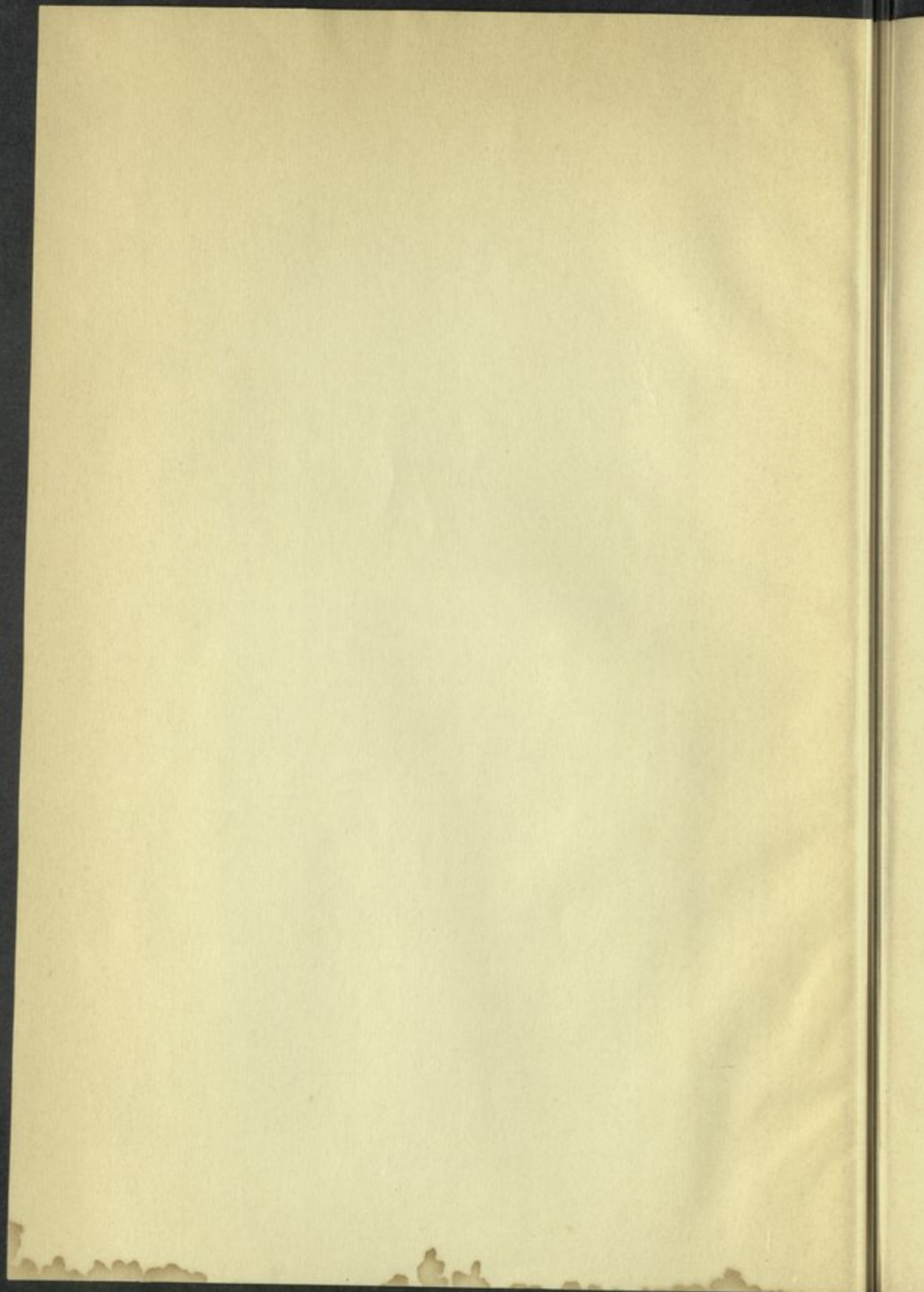
أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له
وأشهد أن محمداً عبده ورسوله

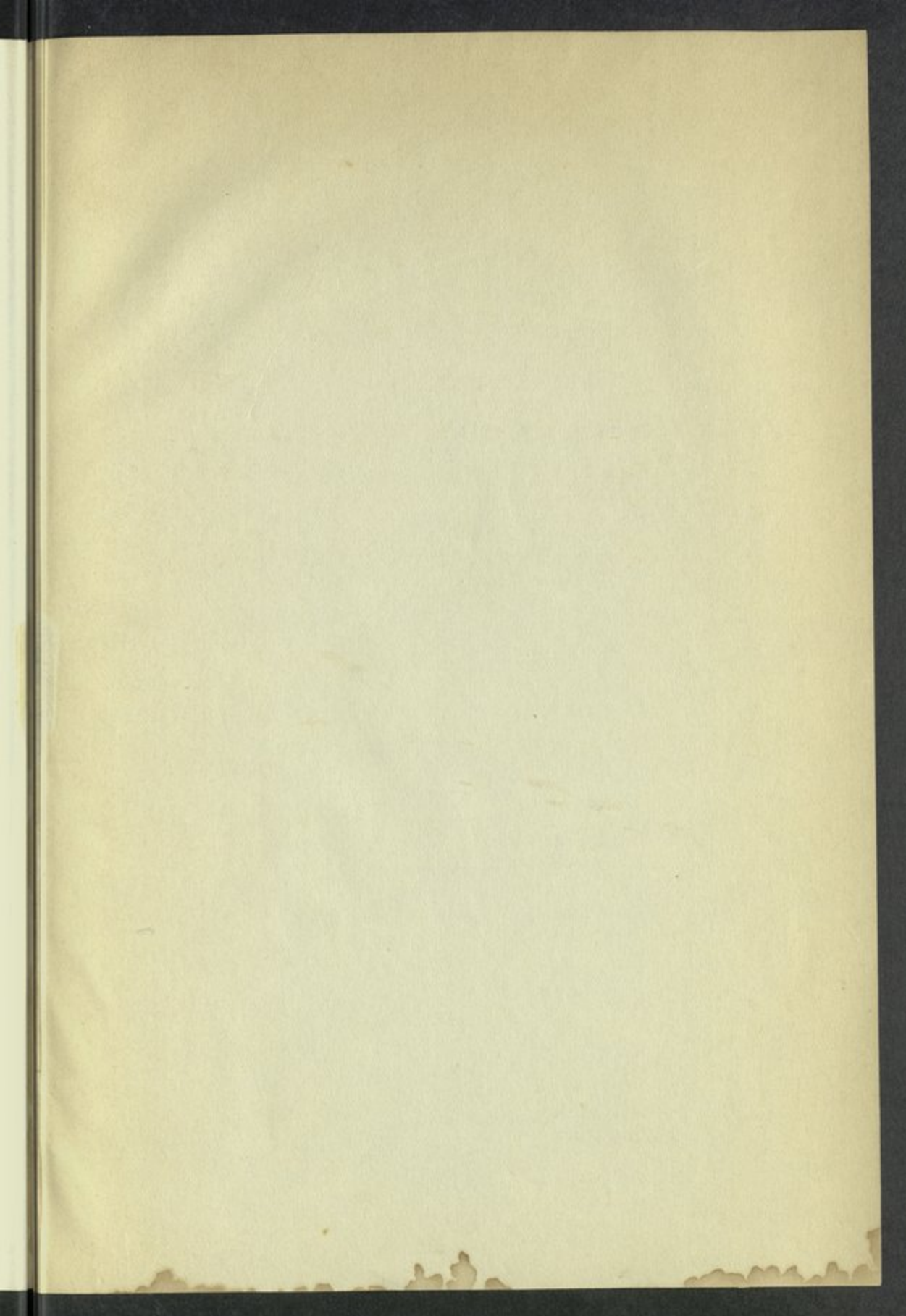
والله أكبر

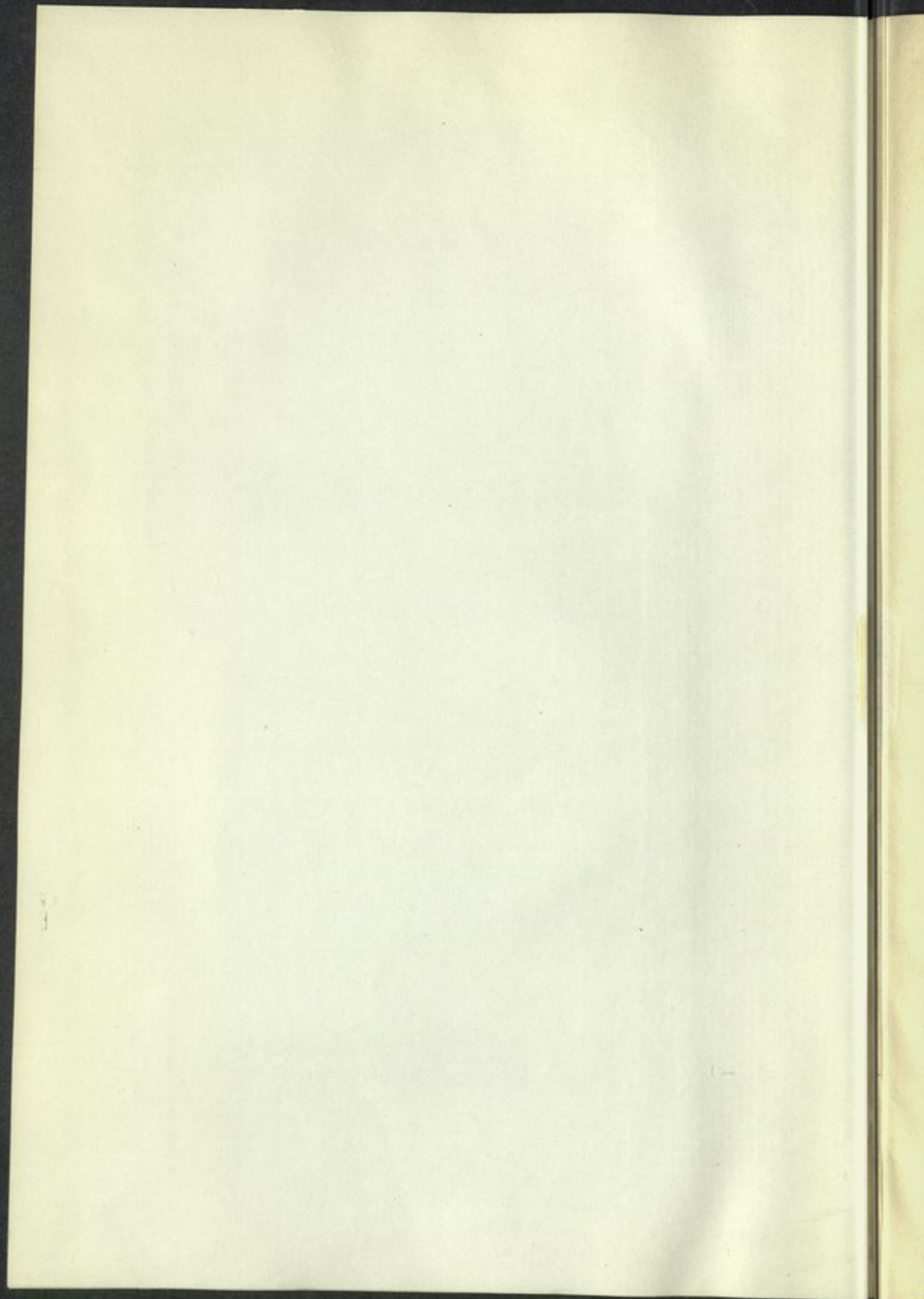
والله

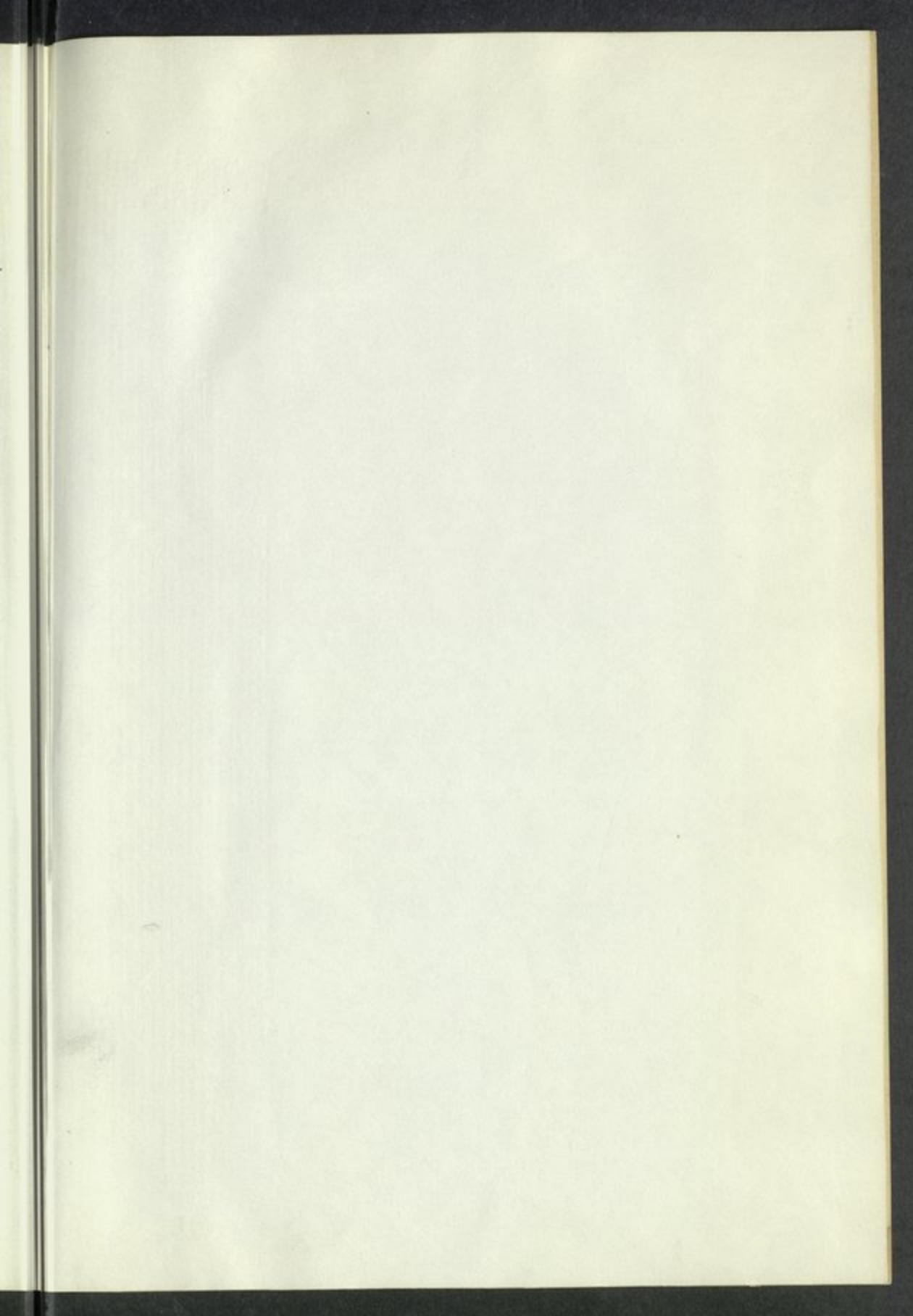
أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له
وأشهد أن محمداً عبده ورسوله
والله أكبر

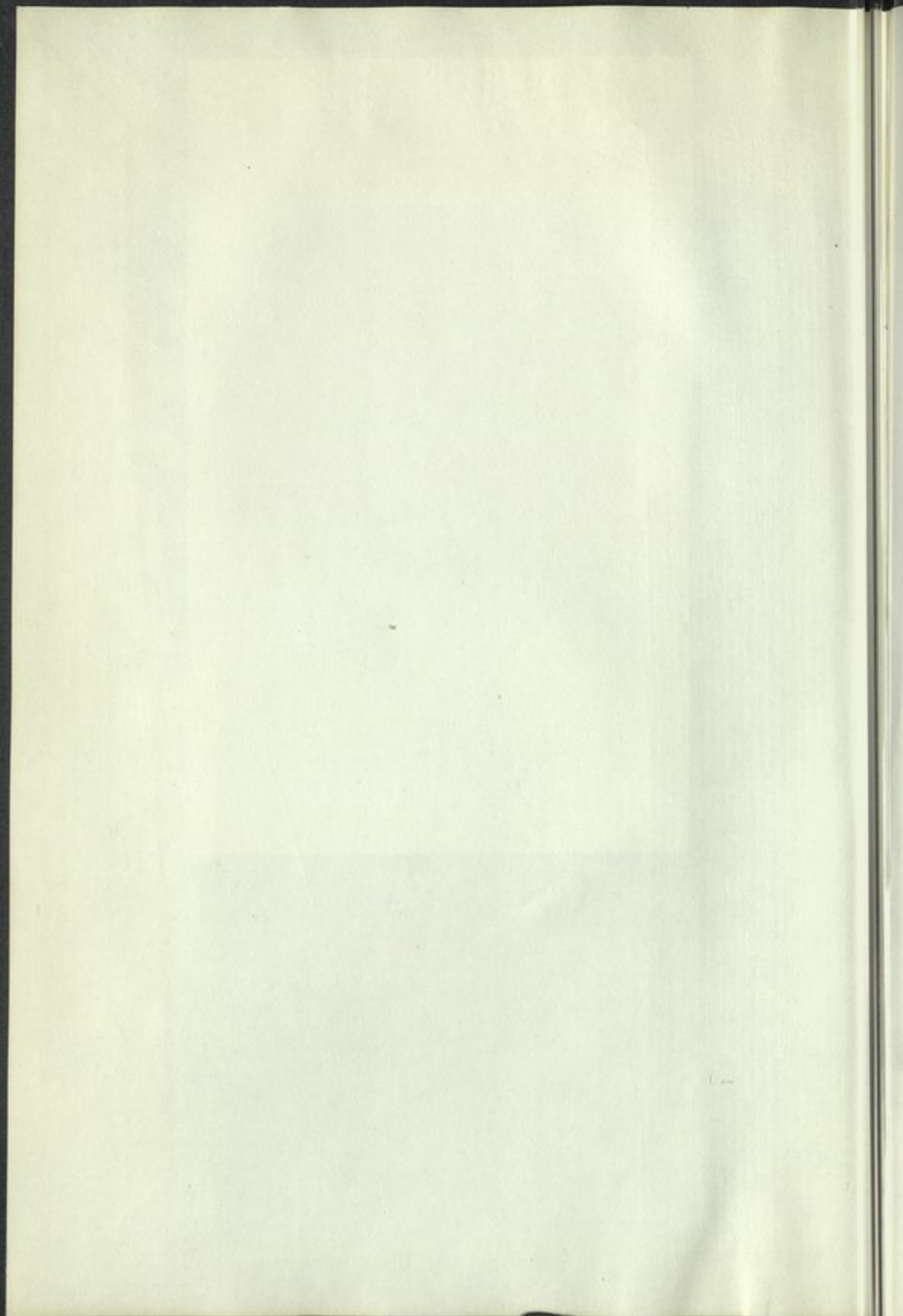
والله أكبر











CA: [redacted]:892.7109:M234u2A:c.1

AUB

المقدسي، انيس الخوري
امراء الشعر العربي في العصر العباسي

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01066700

ARY

CLOSED
AREA

CA:AUB

[redacted]:892.7109:M234u2A

المقدسي .

امراء الشعر العربي في العصر العباسي :
وهو دراسات تحليلية لأدب ثمانية ...

CA:AUB

[redacted]
892.7109

M234u2A

